أحمد شوقي

الأعمال الكاملة

المسرحيات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٤

قام على تحقيق هذه الطبعة لغوياً وعروضياً
سعد درويش

وراجعها
الدكتور عز الدين إسماعيل

تصميم الغلاف والإخراج الفنى : سعد عبد الوهاب

تقـــديم

يحتل الشاعر أحمد شوقى مكانة مرموقة فى تاريخ الأدب العربى الحديث ، أهله لها عطاؤه الأدبى الغزير والمتنوع ، الذى شغل به الناس فى حياته على مدى نيف وأربعين عاما ، ومازالوا يشغلون به حتى اليوم ، شأنه فى هذا شأن المتنبى .

لقد كان مايزال حيا عندما اتفق النقاد فى أمر شعره واختلفوا ؛ لكنه بعد وفاته صار ملكا للتاريخ ، فتوارت دوافع المعاصرة بوجهيها الإيجابى والسلبى ، وبقى نتاجه الأدبى حيا فى ضمائر الأجيال ، مؤكدا أنه كان أمة وحده ، وأنه كان - بحق - شاعر أمته .

لم يكتف بأن يكون الشاعر المبرز فى زمانه فيقتصر نشاطه الإبداعى على فن القصيد ؛ ولو فعل لكفاه أن يكون شاعر عصره ، كسائر الشعراء الكبار فى تاريخ الأدب العربى ، ولكن طموحه الأدبى كان يجاوز هذه الغاية . كان يكفيه أن يكون الشاعر الذى رسخ دعائم النهضة الشعرية الحديثة ، ولكن إحساسه العميق بمطالب النهضة الأدبية بعامة ، دفعه - منذ صدر شبابه - إلى التطلع إلى آفاق أخرى من الإبداع الأدبى ، كان الواقع - آنذاك - يلح فى طلبها . ولا شك فى أن السنوات الأربع التى قضاها مبعوثا فى فرنسا ، والتى أتيح له فى أثنائها أن يزور إنجلترا ويمضى بها شهرا ، قد قوت فى نفسه ذلك الإحساس ، من خلال ما اطلع عليه من أشكال

أدبية ، وبخاصة فى مجال المسرح والقصة .

وهكذا اجتمعت كل الظروف ، العامة والخاصة ، على دفعه إلى الخروج من إطار القصيدة الغنائية المحدود ، وإلى المغامرة فى عالم المسرح ، فكتب - وهو ما يزال فى بعثته - مسرحيته الأولى المسماة «على بك الكبير» . ويبدو أنها لم تلق القبول من الخديو ، ولكن المؤكد أنها كانت - مثل كثير من الأعمال الأولى - عملا هزيلا ، بدليل أن شوقى نفسه قد عاد فى أخريات حياته فأعاد كتابتها .

والواقع أن إخفاق شوقى فى هذه التجربة الأولى قد صرفه ردحا من الزمن عن الكتابة للمسرح ، ولكنه بعد أن عاد من بعثته واستقر به المقام فى القاهرة ، اتجه إلى معالجة لون آخر من ألوان الإبداع الأدبى ، فكتب عددا من القصص ، فى وقت لم تكن القصة فيه قد أصبحت فنا أدبيا معترفا به ومقدرا من البيئات المثقفة . ولأمر ما لم يشغل أحد من نقاد شوقى المعاصرين له بهذا اللون من النتاج الأدبى ، بل ما تزال العناية بهذه القصص التى كتبها شوقى محدودة للغاية حتى اليوم ، على الرغم من أهميتها التاريخية والفنية .

وهكذا شاءت الظروف أن يظل شوقى مرتبطا بفن الشعر فى إطار القصيدة ، وأن تتحدد مكانته الأدبية على المستويين المصرى والعربى فى ضوء ما أبدع فى هذا المجال ، على مدى نيف وأربعين عاما ، فكان تتويجه أميرا للشعراء فى عام ١٩٢٧ .

وعند هذا المدى كان شوقى قد استنفد كل الطاقات التعبيرية لإطار القصيدة ، وكانت ظروف المجتمع قد تطورت فحصلت مصر على وعد باستقلالها ، ووضع الدستور وقامت الحياة النيابية ، واستحكمت دعوات التجديد واتضحت فيها الرؤية . عند ذلك عاود شوقى الحنين إلى مغامرته الأولى فى كتابة المسرحية الشعرية ، فإذا هو يتجه إليها بكل طاقته ، وإذا هو فى غضون السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة من حياته يكتب سبع مسرحيات جديدة ، ويعيد كتابة مسرحيته القديمة «على بك الكبير» .

وإذا دل هذا النتاج الغزير فى ذلك الزمن المحدود على شىء فإنما يدل على أن شوقى ظل طوال ذلك الزمن مؤرقا بفكرة المسرح ، وأن هاجس هذه الفكرة لم يكف

فى نفسه ، إلى أن صارت الظروف مواتية فانطلق الشاعر فى الكتابة كأنه يسابق الزمن ، وكأنه وجد أخيرا متنفسا لذلك الهم الثقافى الذى حمله فى قلبه وفى ضميره زمنا طويلا .

***

وقد كان المسرح فى مصر حتى ذلك الوقت قد غلب عليه تياران استجاب كلاهما لجانب من الذوق العام ، أحدهما تيار الترجمة والتمصير للمسرحيات الكوميدية ، وبخاصة كوميديات «موليير» ، والآخر تيار عربى ، يستمد موضوعاته من الحكايات الشعبية ، وبخاصة من «ألف ليلة وليلة» ، ويمتلىء بمقطوعات الشعر التى تؤدى غناء . ومن خلال النكتة أو الغناء كانت المسرحية تجد طريقها إلى نفوس جمهور المشاهدين . ومع ذلك فإنه إلى جانب هذين التيارين كان تيار ثالث يظهر على استحياء فى أعقاب الحرب العالمية الأولى نتيجة لتزايد الاتصال بين مصر والثقافة الغربية ، وعودة بعض المبعوثين الذين درسوا أصول المسرح وفن التمثيل ، والذين حرصوا على أن يقدموا الأعمال المسرحية الجادة لكبار الكتاب الغربيين ، وفى مقدمتهم شيكسبير وكورنى وراسين . وربما كان هذا المناخ الجديد - بالإضافة إلى عوامل أخرى - هو ما شجع شوقى على معاودة الكتابة للمسرح .

***

ومهما يكن من شىء فقد استهل شوقى نشاطه المسرحى بمسرحيته المسماة «كليوبترة» ، ثم أعقبها «مجنون ليلى» و «قمبيز» و «على بك الكبير» و «عنترة» و «أميرة الأندلس» و «الست هدى» و «البخيلة» . ولاخلاف فى الترتيب من حيث الزمن حول المسرحيات الثلاث الأوليات ، والمسرحيتين الأخيرتين . وعلى كل فإن المدة القصيرة التى استغرقتها كتابة هذه المسرحيات جميعا تجعل للترتيب الزمنى لصدورها قيمة ثانوية . وما قد يراه بعض النقاد فى مسرحية متأخرة ، مثل «الست هدى» مثلا ، من تطور فى فن الكتابة المسرحية بالقياس إلى مسرحية متقدمة مثل «كليوبترة» أو «مجنون ليلى» يمكن مراجعته فى ضوء حقيقة أن طبيعة الاختلاف بين الموضوع التاريخى المأسوى فى «كليوبترة» ، والموضوع الواقعى الكوميدى فى «الست هدى» قد اقتضت أسلوبين مختلفين للمعالجة .

من أجل هذا آثرنا ، فى هذا المجلد من الأعمال الكاملة لشوقى ، أن نقدم إلى القارىء هذه المسرحيات مرتبة على النحو التالى : عنترة ، مجنون ليلى ، أميرة الأندلس ، ثم قمبيز ، فكليوبترة ، فعلى بك الكبير ، فالست هدى ، فالبخيلة .

وقد آثرنا هذا الترتيب لسبب موضوعى ، يأخذ فى الحسبان نتاج شوقى الشعرى فى مجمله . فقد رأينا كيف أن شوقى قد كتب هذه المسرحيات فى أخريات حياته ، بعد أن كان قد استوفى حظه من كتابة الشعر فى إطار القصيدة . وقد لاح لنا أن ما كتبه شوقى من مسرحيات لا يكاد يخرج فى مضمونه الكلى وفى مغزاه الأخير عما استأثر باهتمامه فى «شوقياته» ؛ فهناك إطاران موضوعيان ارتبط بهما كثير من هذه الشوقيات ، هما الإطار العربى والإطار المصرى . ومن جهة أخرى يشكل التراث العربى مصدرا أساسيا وجوهريا لثقافة شوقى ، فى الوقت الذى يشكل فيه التاريخ المصرى منذ عهد الفراعنة حتى زمنه رافدا أساسيا لشعوره الوطنى . ومن أجل هذا وذاك كانت المسرحيات الثلاث الأولى - فى هذا الترتيب - هى ما استمد فيها شوقى من ثقافته العربية ؛ وكانت المسرحيات الخمس الأخيرة هى ما استمد فيها شوقى من التاريخ المصرى القديم والحديث نسبيا ، ومن الواقع المعاصر .

لقد كانت هذه المسرحيات تتويجا لرحلة طويلة فى عالم القصيدة ؛ وهى لذلك لا يمكن أن تنفصل عنها ، بل إنها تفسرها بقدر ما تفسَّر بها . وهذا موضوع دراسة طريف ، ولكن لا مجال له هنا .

* * *

وقد يقال إن قدراً لا يستهان به من قصائد شوقى قد تحرك فى إطار آخر غير الإطارين العربى والمصرى ، هو الإطار الإسلامى ، وإن الجزء الأكبر من هذه القصائد قد ارتبط بالترك وبسلاطينهم بوصفهم حماة الإسلام . ولم يكن شوقى يعتقد هذه العقيدة وحده ، بل كان هناك آخرون مثله ، يقودون تياراً سياسياً يصطرع مع غيره من التيارات . ومع ذلك لم يفكر شوقى فى أن يكتب مسرحية يستمد موضوعها من التاريخ التركى فى أى مرحلة من مراحله ؛ وكل ما نعرفه فى هذا الشأن هو ما صرح به ابنه حسين من أن أباه كان قد شرع فى كتابة مسرحية عن محمد على الكبير ، رأس الأسرة المالكة فى مصر . أما القسم الآخر من هذه القصائد فيتعلق

بالإسلام فى قيمه الروحية ومبادئه الأخلاقية . وفى هذا المستوى نستطيع أن ندرك أن هذه القيم والمبادىء كانت تسيطر على رؤ ية شوقى لسلوكيات بعض شخوصه المسرحيين فى بعض المواقف ، سواء منهم العرب والمصريون . ومن ثم كان من الصعب أن نعزل بعض مسرحياته لكى نصنفها فى إطار إسلامى صرف .

ومرة أخرى يمكننا أن نتمثل تلك العلاقة القوية بين نتاج شوقى المسرحى ونتاجه الشعرى إذا نحن أخذنا فى الحسبان مصادر مادة هذه المسرحيات . فأربع من هذه المسرحيات مستمدة من التاريخ ، وهى قمبيز وكليو بترة وعلى بك الكبير وأميرة الأندلس ؛ واثنتان منها مستمدتان من روايات شبه تاريخية ، هما عنترة ومجنون ليلى ، واثنتان منها تضربان بجذورهما فى قلب الواقع الذى عايشه شوقى ، هما الست هدى والبخيلة . فإذا عرفنا أن المسرحيات الأربع الأولى قد اتصلت بالملوك والأمراء والولاة وحياة القصور اتصالاً وثيقاً ، أدركنا العلاقة الموضوعية والنفسية بين هذه المسرحيات وكثير من قصائد شوقى فى الأسرة المالكة وفى وصف حياة القصور التى خبرها عن قرب . وإذا عرفنا أن المسرحيتين التاليتين قد اتصلتا بشاعرين عربيين كانت عاطفة الحب مدار حياتهما ، أدركنا كذلك العلاقة الموضوعية والنفسية بينهما وبين قصائد شوقى الغزلية ، التى حاول فيها أن يشرح عاطفة الحب ، وأن يسمح لنفسه بالتعبير عن مشاعره الذاتية . ثم تأتى المسرحيتان الأخيرتان فتعلنان - باتصالهما المباشر بالواقع الاجتماعى - عن مرحلة التحول فى شعر شوقى إلى هموم الشعب ومشكلاته . وأيضا فإن الاتصال بين الفكاهة الشعبية الساخرة فيهما وشعر « المداعبة » عنده لا يحتاج إلى بيان .

وهكذا تصبح هذه المسرحيات فى هذا النسق معبرة عن مناح ثلاثة ، هى المنحى التاريخى ، والمنحى الذاتى ، والمنحى الاجتماعى . وهذه المناحى هى نفسها التى يعلن عنها حصاد شوقى الشعرى .

على أنه ينبغى أن يكون واضحاً أننا لم نقصد بهذه المقاربة بين نتاج شوقى المسرحى ونتاجه الشعرى أن نقول إن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر أو يغنى غَناءه ؛ وأيضاً فإننا لا نقصد بها أن ندعم النقد القديم الذى ذهب فيه أصحابه إلى أن شوقى قد نقل شعره الغنائى إلى مسرحياته . وكل ما قصدنا إليه هو أن نشير إلى

الأطر الموضوعية العامة لعالم شوقى كماتتمثل فى مسرحه وفى شعره على السواء .
ويبقى بعد ذلك أن يتميز الإطار الفنى للمسرحية - حتى عندما تكون شعرية - عن إطار القصيدة .

* * *

وقد كتب شوقى مسرحياته شعراً باستثناء مسرحية واحدة كتبها نثراً ، هى مسرحية أميرة الأندلس .

وليس هنا مجال الخوض فى علاقة المسرح بالشعر ، قديماً وحديثاً ، ولكن ما ينبغى تسجيله هنا هو أن شوقى قد وجد نفسه - وقد أقدم على كتابة مسرح شعرى - مطالباً بأن يطوع ذلك القالب الضيق لمقتضيات الأداء المسرحى ، حيث تتباين الشخوص والمشاعر والأفكار فى المواقف المختلفة ، وحيث يبطىء الحوار ويسرع وفقاً لطبيعة كل موقف . ومن ثم فقد كان مضطرا - من أجل تحقيق هذا الأداء - إلى الخروج من قبضة الوزن الشعرى الواحد والقافية الموحدة ، إلى التنويع الدائم للأوزان والقوافى ، على نحو يضمن مرونة الأداء ، ويلائم طبيعة الحوار فى كل موقف ، بل فى كل منعطف شعورى أو فكرى فى داخل الموقف الواحد . ويمكننا أن نلاحظ - بالإضافة إلى كل ذلك - أن بنية البيت الشعرى الواحد صارت تفتت أحياناً - وفقاً لمقتضى الحوار فى مواقف بعينها - بحيث تستوعب مساحة البيت اللغوية حواراً متبادلاً بين شخصيتين ، على نحو ما نرى فى الحوار التالى من مسرحية عنترة :

عبلة : فتى ! وممن الفتى ؟
ناجية : من عامر
عبلة : وما حداه نحو عبس ؟
ناجية : الهوى

فهذه البنيات اللغوية الأربع ، المتمثلة فى سؤالين من عبلة ، وإجابتين من ناجية ، إذا ضمت جميعاً شكلت بنية عروضية لبيت شعرى واحد ؛ لكن ورودها على هذا النحو قد ذهب بالإيقاع الصوتى الحاد لهذه البنية العروضية ، وحقق للحوار

ما يقتضيه فى هذه اللحظة من مرونه وسرعة . وما نحسب أن شاعرنا كان فى مقدوره - وهو يرتاد كتابة المسرح الشعرى فى بيئة ألفت الشعر فى شكل القصيدة - أن يطوع هذا الشكل لمقتضيات الحوار بأكثر مما صنع . ومن ثم يصبح ضرباً من التجنى ما ذهب إليه بعض الدارسين * من أن شوقى لم يستطع تكييف المعجم الشعرى لمقتضيات الأداء المسرحى ، وأنه كان ينزلق فى الاسترسال الغنائى .

حقاً إن هناك مواقف يسترسل فيها الشاعر فيجرى على لسان أحد الشخوص حديثاً قد يطول حتى ليوشك أن يكون قصيدة . ولكن التأمل فى مثل هذه المواقف يدلنا على أن الشخصية لا تسترسل - فى الأغلب الأعم - إلا لأنها فى موقف « مناجاة » . والمناجاة بطبيعتها حديث مع النفس ، أو كشف عن مكنونها ؛ وهى وسيلة من وسائل الأداء المسرحى ، عرفها المسرح منذ القدم ، وما زال يستخدمها حتى اليوم . وكثيراً ما كان شوقى ينص فى توجيهاته المسرحية على أن الشخصية فى موقف مناجاة ، مثلما صنع - على سبيل المثال - فى بداية الفصل الرابع من « مصرع كليوبترة » :

كليوبترة : « كأنما تناجى نفسها »

نام ماركو ولم أنم ... وتفردت بالألم

إلى أن تقول :

أيها العين أبصرى ... إنما كنت فى حلم

وفى هذه اللحظة تلتفت إلى « شرميون » التى كانت تقف مع « هيلانة » فى أقصى الحجرة والدموع تنهمر من عينيها فتقول لها :

يا شرميون بلغنا موقفا حرجاً ... لا الرأى ينفعنا فيه ولا الباس .

ومن الواضح أن تغيير شوقى للوزن والقافية هنا ، فضلا عن المضمون ، يوحى بخروج كيلوبترة من حالة التفرد والاستغراق فى المناجاة إلى حالة الحضور الجماعى .

ويبقى بعد هذا أن بعض الشعر الذى ورد فى مواقف المناجاة مشبع بغنائية تؤهله لأن يلحن ويغنى . وسواء قصد شوقى إلى هذا قصدا أو صدر عنه بطريقة

عفوية فإن هذا المسلك لم يكن بمعزل عن هدف من أهداف المسرح العربي قبل شوقي ، وهو - كما ذكرنا - التأثير في الجمهور عن طريق الغناء . وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد مندور : «ونحن لا نلوم شوقي لتضمينه مسرحياته بعض المقطوعات الغنائية ؛ وكنا نود لو مثلت - كما قلنا - بعض تلك المسرحيات كأوبرا ، وعندئذ كان لابد أن يختفي ما لاحظه بعض النقاد أو معظمهم من أن هذه المقطوعات الغنائية قد جاءت أحيانا دخيلة على بناء المسرحية ، معوقة لسير أحداثها وتطورها نحو خاتمتها»* .

والواقع أن مواقف المونولوج المشبعة بالغنائية لا تصادفنا في كل مسرحيات شوقي الثماني ؛ فعلى الأقل هناك المسرحيتان الأخيرتان ، وهما «الست هدى» و «البخيلة» . هاتان المسرحيتان قد خلتا من الغنائية ، لا لأنهما خلتا من مواقف المونولوج فحسب ، بل لغلبة الواقعية على أحداثهما كذلك . والواقع أن شوقي قد تنبه - بعد تجربته في «مصرع كيلوبتره» و «مجنون ليلى» ، وبتأثير ما وجه إليه حينذاك من نقد - فخفف في مسرحياته التالية من مثل هذه المواقف .

* * *

وعلى الرغم من تنوع مسرح شوقي من حيث مصادر مادته ، ومن حيث أساليب معالجته ، فإن القارىء المتأمل لهذا النتاج في مجموعه يستطيع أن يستشف صدور شوقي في هذا النتاج كله عن مبدأ أخلاقي ، يحكم نظرته إلى التاريخ أو ما يشبه التاريخ من جهة ، وفهمه لوظيفة المسرح من جهة أخرى . فهو فيما يختار من أحداث تاريخية يدير حولها بعض مسرحياته يكون مدفوعا بمشاعر وطنية ، وأعراف وتقاليد اجتماعية ، يستهدف تعميقها في نفوس الجماهير وتأكيدها في ضمائرهم . وهو من أجل ذلك لا يفسر غدر كيلوبترة بأنطونيو على أساس من الانحلال في سلوكياتها ، أو ميلها إلى النجم الصاعد آنذاك وهو أكتافيو بقصد إغوائه ، وبرغبتها في تحقيق أمجادها الشخصية ، بل يفسر هذا الغدر في ضوء سياسة وطنية كانت كيلوبترة - في رأيه - تتبناها ، مؤداها أن توقع بين قواد الرومان حتى يفني بعضهم بعضا ، فتتمكن بهذا من بسط نفوذها على مصر وعلى الإمبراطورية الرومانية نفسها ؛ وكأن شوقي قد هدف من هذه المعالجة إلى إحداث نوع من التعاطف بين الجماهير وبينها ، وكسب

* محاضرات عن مسرحيات شوقي - معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٤ ص ٢٠ .

عطفهم عليها . أما أن يكون قد نجح فى تحقيق هذا الهدف أو لم ينجح فهذه مسألة أخرى .

ونفس الشىء يمكن أن يقال عن موقفه من واقعة زواج «نتيتاس» من قمبيز ؛ فهو يميل إلى جعل إقدامها على الزواج من هذا الملك الغريب موقفا وطنيا منها . لقد كان قمبيز قد هدد وطنها مصر بالغزو عندما رفض فرعون مصر أن يزوجه من ابنته . وقيام نتيتاس بدور البديل هو نوع من التضحية بالنفس فداء للوطن . هكذا أراد لها شوقى ، على الرغم من أن رؤ ية أخرى للأحداث نفسها قد تنتهى إلى تفسير آخر لسلوك نتيتاس ، مغاير لما رآه شوقى . وفى هذه الحال يمكننا أن نقبل وجهة نظر شوقى أو نرفضها ، ولكن دون أن نذهب إلى تخطئته . فشوقى لم يغير من أحداث التاريخ الكبرى المرصودة ، ولكنه مضى يفسرها فى ضوء مبدئه الأخلاقى ، ويوجه مغزاها توجيها خاصا ؛ وهذا حق مشروع له ولكل الأدباء ، عندما يتجهون إلى التاريخ ليأخذوا منه مادة موضوعاتهم .

ويرتبط بهذا المنزع عند شوقى ما يمكن ملاحظته من اختياره من حياة الأمة الحقب التاريخية التى تكون فيها فى حالة انكسار ، أو تكون قد ألمت بها فيها بعض الكوارث . فالنظرة العجلى قد ترى فى هذا الاختيار تعارضا مع أهدافه الوطنية ، وإلا فقد كان الأولى به أن يختار الحقب التى يبلغ فيها الوطن أوج الازدهار ، والتى يحقق فيها أمجاده . هكذا كان اختياره لأحداث « قمبيز » و« كليوبترة » ؛ فالأحداث الأولى تنتهى إلى سقوط مصر تحت سيطرة الفرس ؛ والأخرى تنتهى إلى وقوعها تحت سيطرة الرومان . فإذا اتجه إلى الأندلس اختار الحقبة التى أخذ فيها حكم « الطوائف » فى الانهيار ، وعلى وجه التحديد حقبة انهيار دولة المعتمد بن عباد فى إشبيلية . أما فيما يتصل بتاريخ مصر الحديث نسبيا فقد اختار - فى « على بك الكبير » - حقبة تصور انحلال الحياة السياسية والاجتماعية على أيدى المماليك فى زمن الحكم العثمانى . لكن المتأمل فى المسرحيات التى دارت أحداثها فى هذه الحقب يدرك أنها أكثر ما تكون ملاءمة لكتابة « المآسى » المسرحية بصفة عامة . لكن شوقى - مدفوعا بأهدافه الأخلاقية - كان يبحث فى قلب هذه الانتكاسات التاريخية عن البطولات التى تكتسب عندئذ قيمة وأهمية خاصة فيبرزها .

هذا فيما يتصل بمسرحياته الأربع ذوات العلاقة الوثيقة بالتاريخ المعترف به . أما فيما يتصل بمسرحيتى « عنترة » و« مجنون ليلى » فالهدف الأخلاقى يتركز فى تأكيد المبادىء والأعراف والتقاليد التى درج عليها المجتمع . فالقيم والأعراف الاجتماعية السائدة تمثل عند شوقى الإطار المرجعى للحكم الأخلاقى على شخوصه . فإذا اصطدمت مشاعر الفرد بأعراف الجماعة كان على الفرد أن يضحى بمشاعره فى سبيل تحقيق هذه الأعراف . وفى هذا يتمثل الصراع الذى كتب على الشخصية المأزومة عنده أن تخوضه . وهذا المنحى يدل على رغبة شوقى فى عدم الاصطدام بالتقاليد والأعراف ، أو إحداث أى هزة لها ، وميله - على العكس - إلى تأكيدها .

إن ليلى حين خيرت فى الزواج بين قيس وورد لم تتردد فى اختيار ورد ، على الرغم من حبها لقيس . على أن رفضها لقيس لم يقم على أساس من مبدأ نابع من ضميرها الشخصى ، بل من ضمير الجماعة التى كانت تأبى للفتاة أن تزف إلى من شبب بها فى شعره ، وكشف عن مشاعر الحب نحوها . فالتقاليد القبلية إذن هى التى اصطدمت برغبة ليلى ، فضحت بحبها أو بالزواج ممن تحب ، إبقاء منها على تلك التقاليد . وكذلك كانت التقاليد القبلية - على نحو آخر - هى المتسلطة فى « عنترة »

وعلى الجملة يمكن أن يقال إن التزام شوقى الأخلاقى بوجهيه الوطنى والعرفى هو المسئول عما يكشف عنه تحليل الصراع فى مسرحياته التاريخية وشبه التاريخية من نجاح أو إخفاق .

***

وكل من يتأمل مسرحيتى شوقى الأخيرتين ، « الست هدى » و« البخيلة » ، يدرك التطور السريع الذى حققه شوقى فى مجال الدراما الشعرية . وهذا التطور يتمثل فى عدة مستويات .

فعلى مستوى الاتجاه العام خرج شوقى نهائيا من إطار المأساة الكلاسيكية وانتقل إلى الملهاة الواقعية . وقد استتبع هذا انصرافه عن شخوص الملوك والأمراء . وعن الشخوص الذين صنعت الرواية الشعبية من حياتهم أسطورة ، واتجاهه إلى شخوص

عاديين مألوفين من طبقة البرجوازية فى مجتمع المدينة الذى عاصره . والطريف أن الشخصية الرئيسية فى كلتا المسرحيتين شخصية نسائية . فالست هدى امرأة ثرية ودميمة ، يطمع أزواجها الواحد بعد الآخر فى أن يرث ثروتها . والبخيلة كذلك امرأة تكتنز الثروة وتحرم نفسها وكل من حولها منها . ومن ثم كان أساس الدراما فى المسرحيتين هو المفارقة . والمفارقة من شأنها أن تثير الضحك ، ولكنها قد تنطوى كذلك على نقد لاذع . وبهذا تسجل هاتان المسرحيتان تطورا فى إنجاز شوقى الدرامى على مستوى الموضوع والتناول .

وقد استتبع هذا كله تطورا ملحوظا على مستوى الأداء اللغوى والشعرى . فاللغة فى هاتين المسرحيتين قد اقتربت إلى حد كبير من لغة الكلام وإن حافظ الشعر على تماسكها .

ومن جهة أخرى اكتسب الشعر كثيرا من المرونة والحركة نتيجة لتطويعه لمقتضيات الحوار . وسوف يلاحظ قارىء هاتين المسرحيتين إلى أى مدى امتزجت اللغة فيها بالشخوص وصارت دالة عليها ، وإلى أى مدى استوعب الشعر الإيماءات والنكات والتعبيرات الشعبية دون أدنى افتعال أو تكلف .

* * *

وبعد فليس الهدف هنا تقديم دراسة أو ما يشبه الدراسة لهذه المجموعة من المسرحيات ؛ وإنما هى كلمة تقديم لها ، لن تحول بحال من الأحوال بين القارىء وما ينتهى إليه من آراء خاصة . وقد اقتضى هذه الكلمة إصدار هذه المسرحيات الثمانى مجتمعة فى مجلد واحد ، بعد أن صدرت كل مسرحية منها فى كتاب على حدة . والحق أن معظم هذه المسرحيات قد طبع خلال الخمسين عاما الماضية عدة طبعات . أما مسرحية البخيلة فلم يسبق نشرها فى كتاب قط ، إلا فى هذه الطبعة التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب . وقد كان من أثر الطبعات المختلفة غير المسئولة لتلك المسرحيات أن كثر فيها التحريف والتشويه والأخطاء اللغوية والعروضية ، وتداخلت فيها أحيانا أقوال الشخوص واختلطت على نحو يفسد

المشهد . وكان لابد من تدارك هذه الأخطاء والعيوب جميعا ، وإصدار هذه الطبعة الجديدة من هذه المسرحيات ، محررة ومدققة قدر الطاقة ، ضمن مشروع لإصدار أعمال شوقى الكاملة ، على نحو يليق بمكانته الأدبية فى تاريخنا الحديث ، ووفاء لأجيال المستقبل .

القاهرة فى ١٩٨٤/١/١٦

عز الدين إسماعيل

أحمد شوقى

الأعمال الكاملة

المسرحيات

عنترة ١

مجنون ليلى ١٠٥

أميرة الأندلس ٢٣١

قمبيز ٣٤٥

مصرع كليو باتره ٤٤٩

على بك الكبير ٥٤٩

الست هدى ٦٦٣

البخيلة ٧٢٩

عنـــــترة

تمهيد

زمن الرواية : حوالى منتصف القرن الأول قبل الهجرة

مكان الرواية : بادية نجد — أحياء عبس وعامر وما بينهما

أشخاص الرواية :

عنترة ، فارس بنى عبس ، أسود اللون لأمه .

عبلة ، محبوبة عنترة وابنة عمه .

مالك ، أبو عبلة ، وعم عنترة ، وهو سرى من سراة عبس .

زهير، عمرو ، إخوة عبلة .

صخر ، سرى من سراة عامر يحب عبلة و يتردد على حيها ويخطبها .

ضرغام ، فارس شاب من فرسان عبس يحب عبلة و يخطبها كذلك .

ناجيــة ، فتاة من عبس تحب صخرا .

شـدّاد ، أبو عنترة .

داحس ، رفيق عنترة .

مارد
غضبان } ، عبـدان .

رستم ، قائد الفرس .

سـعاد ، خادم عبلة .

نكرات مسرحية ، رجال وخدم وفتيـات من عبس وعامر
راقصـات ومغنيـات و زامرون ،
ولصوص ...

الفصل الأول

« عين ذات الأصاد فى يمين المسرح وقد حفت بالنخيل. »
« وفى اليسار مضارب بنى عبس ، وأظهرها خيمة مالك الحمراء »
« التى يبدو جزء منها حوله ومن ورائه فضاء . فى جبهة المسرح ربوة »
« عالية وكثبان من الرمال تستوى بالأرض من ناحية اليمين . »
« الوقت فى مطلع الشمس وقد وقف عنترة أمام الخيام باديا »
« عليه النصب والكلال . يسمع نباح كلاب من وراء الخيام »

المشهد الأوّل

عنــترة :

سَلِي الصبحَ عنّى كيفَ ياعبلَ أُصبِحُ　　وأينَ يَرانِى نَجمُهُ حينَ يلمحُ
أفى خيمتِى كالنّاسِ أم فى بيوتِكُم　　أَبُثُّ الخيامَ الشوقَ وهو مبرِّحُ
أُقبِّلُ أطنابَ البيوتِ ورُبّما　　تلفّتُ عن مُنْهلّةِ الدمعِ تسفحُ
أرى بوُقوفِى فى ديارِكِ راحةً　　كما يَستريحُ ابنُ السبيلِ المطرَّحُ
أبوكِ غريرُ القلبِ لم يعْرفِ الهوى　　ولم يَدْرِ ما يأسو القلوبَ ويجرحُ

يَخِفُّ لواشٍ يشرحُ الزورَ سمعُهُ — وفى أُذْنِهِ وقرٌ إذا جئتُ أشرحُ
أرى الغيدَ من حولِى وفيهنّ سلوةٌ — فمالِى أردُّ القلبَ عنكِ فيَجْمحُ
فما سرّنى منهنّ ما كان يُشتَهى — ولا راقَ لى منهنّ ما كان يَملُحُ
أحيدُ عن السّارِى لكى لا يَرِيبَكم — وأُقصى كلابَ الحىِّ عنّى فتنبحُ
فياعبلَ قد طالَ التّنائِى وظلُّهُ — متى بتدانِينا الحوادثُ تَسمَحُ؟

[يصعد الربوة من اليمين]

ياليت حبّكِ عبلَ لى — حبُّ القَطَاةِ لشكلِها
أو حبُّ قُبّرةِ الصّفا — لأليفِها ولخِلّها
أو مثلُ حُبِّ نجيبةٍ — مجنونةٍ فى فحلِها
ليتَ افتتانَكِ لم يكن — بشجاعَتِى وبفضلِها
أو ليتَ حبّكِ لم يكن — لقصائِدى ولنُبلِها

[يهيئ لنفسه مضطجعا وراء نخلتين على الربوة تحجبانه عن سائر المسرح جهد المستطاع ثم يرقد ويعلو نباح الكلاب وثغاء الشاء وصياح الديكة ويمرّ به فتيان سائران على الربوة وقادمان من ناحية الخيام]

المشهد الثانى

أحد الفتيين: ماذاك؟ مَنْ؟ قِفُوا، انْظُروا — جُلمودُ صخرٍ أم جَسَدْ؟
الآخــر: هــذا الفَتَى عنــترةٌ — كلُّ الــثّرى له وُسُــدْ

قَــدِ التوى كالأفعُــوا نِ وتمطّى كالأسَــدْ

[يهبط الفتيان الربوة ويختفيان
ناحيــة اليمين وراء النخيل ويسمع
صوت هاتف من وراء الخيام]

المشهد الثالث

الهـاتف : الديكُ عِندَ البُيوتِ صاحَا   يا حىَّ عبْسٍ عِموا صَبَاحَا
حىِّ هلَا يا رُعاةُ هُبُّــوا   هاتُوا المَواشِى خُذُوا البِطاحَا
هلُمُّنَ ياراعياتِ عَبْسٍ   الرَّعْىَ والحلْبَ والفَلاحَا

[يخرج صبية وجوار من كل ناحيــة فى الحى مارّين بالخيمة
الحمراء ومتجهين الى الحظائر وراء النخيل بينما يجلس جماعة من
الجوارى على حفافى العين يملأن الجرار ومن بينهن ناحيــة ثم
تخرج عبلة من الخيمة الحمراء وتقف أمام بابها تمطى وتتثاءب]

المشهد الرابع

عبــلة : وَادى الصَّفا تجاوَبتْ   وزقْزَقتْ عصافِـرُهْ
وانتبهتْ خِيـامُــه   واستيقظتْ حظائرُه
صاحتْ هُناك شاؤُه   وههُنَــا أباعِــرُهْ

أوّلُه فى بُجُنَّـةِ الـــفَجْـرِ جَرَى وآخِرُهْ
نَبَـــاتُهُ وماؤُهُ وظِلُّـهُ وحافِـرُهْ

فتاة تتغنى : جِئْن الصفا يا عَذَارى وآملأْنَ منـهُ الجِرارَا

الأخريات متغنيات :

جِئْن الصــفا ... ...

الأولى وحدها :

ماءٌ من الفَجْرِ أصْفَى فرِدْن صـفًّا فصـفًّا
واقعدْن فاضرِبْن دُفّا وقُمْنَ فاضِرِبْنَ طارَا

الأخريات: جِئْن الصفا يا عذارَى وآملأْنَ منه الجِرَارَا

الأولى : تلك دُموعُ الغَوادى جُمِّعْنَ من كلِّ وادِ
فى عينِ ذاتِ الأصادِ ثم انفجَـرْنَ انفِجَارَا

الأخريات: جِئْن الصفا يا عذارى واملأْن منـه الجِرَارَا

الأولى : رِدْنَ القَـراحَ الزُّلالا رِدْنَ الرَّحيقَ الحلالا
فما سـقَى منذُ سَالَا كمثـلِ عبْسٍ دِيارَا

الأخريات: جِئْن الصّفا يا عذارى وآملأْنَ منـه الجِرَارا

[تدخل عبلة خيمتها و يمرّ صخر أمام الخيام متهاديا
واقفا فى المسرح هنا وهناك بين الحين والحين]

المشهد الخامس

إحدى الفتيات : ناجيةُ اسمَعي انظُري مَنِ الفتى يا ناجِيَه؟
ذاك الفتى المُهَنْدَمُ الـحُلْوُ الرقيقُ الحاشِيَهْ

ناجية : كيف ألم تَرَيْهِ قبْلَ هذِه فى النَّاحِيهْ؟

الفتاة : للهِ ما أظرفَهُ

ناجية : أحببتِهِ يا غاوِيَه
خلِّيهِ فهْوَ مغرمٌ صَبٌّ بأخرَى سالِيَهْ

الفتاة : مَنِ الفتَى؟

ناجية : مِن عامرٍ أبوهُ موفورُ النِّعَمْ
يقالُ فى حِظارِهِ ألفانِ من حُمرِ النَّعَمْ

الفتاة : يحبُّ مَن؟ يعبدُ من؟ يا ليتَنِي كنتُ الصَّنَمْ

ناجية : إنَّ التى هامَ بها بغيرِ عبدٍ لم تَهِمْ

الفتاة : عبلةٌ؟

ناجية : لِمْ لا؟ إنها اليومَ حديثٌ للأُمَمْ
صيَّرها عنترةٌ نارًا على رأسِ عَلَمْ

[تظهر عبلة على باب الخباء]

المشهد السادس

ناجيـــة :

خيمتـــكِ الحمـــراءُ يا عبـــلَ لعـمْرى فاخـــرهْ
تصـــلحُ أن يَســـكُنها عقـــائـــلُ المنـــاذِرَهْ

فتـــاة :

مُتِّـــعتِ يـــا أُختُ بهـــا ولا تَـــزالُ عامِـــرهْ
وعاشَ أهـــلوكِ وعاشَ مالكٌ وعِشْتِ فى بيْتِكِ ياعبلَ المدى
مَـــعْ رَجلٍ كأنه ليثُ الوغَى

صخـــر : بل رَجلٍ كأنهُ بدرُ الدُّجَى

عبـــلة :

بدرُالدجى؟ لا . ليس ذاكَ بُغْيَتِى نحنُ الغوانى حسبُنا بدرُ السما
إن كان فى الأسمارِ ياتَ عندَنا أو فى الكَرى علَى المضاجِعِ انحنَى
البـدرُ فى بيضِ لياليـهِ مَعِى

صخـــر : ماذا تُريدينَ إذنْ ؟

عبـــلة : ليثَ الشَّرَى

أُريدُ أَجلادا شـديدَةَ القُوى وساعِدًا خشْنا كجُلمودِ الصَّفَا

صخـــر :

وسِحْنـــةً كأنمـا قـد قُلِبَتْ على هَبابِ القِـدرِ وجْهًا وقَفَا

عبـــلة :

تُرِيدُ أنْ تسخَرَ من عنترةٍ؟ بيِّن كفَى يا صخرُ تعريضاً كَفَى
إن كنت كالفتيانِ فامْضِ لاقِهِ

صخـــر : أنا ؟ أُلاقيــه أمجنونٌ أنا؟
لِمْ لاتقولينَ الْقَ حيّــةَ الصّفا أو أسد الصحْراءِ أو ذئبَ الفلا

عبـــلة : خَلِّكَ منه صخرُ لا تَقْتَبِس به لا تَقْرِنْ صخر بفارِسِ الوغَى

صخـــر : الحقُّ أنى يابنـا ت عبْسَ خانَنى الصَّبرْ
سئمتُ من عنترةٍ ومن ثنائِه العَطِرْ
ومن حديثِ بأسِه ومن نُعوتِهِ الأُخَرْ
وفتنــةِ البَــدوِ بِهِ وشأنِه بينَ الحضَرْ
أكُلُّ ذئبٍ رِبُّه وشَــبْعُه مِن البَشَرْ
وكُلُّ ليثٍ فاتِك وكُلُّ حيّــةٍ ذَكَرْ
وكُلُّ سيْلٍ لم يدعْ وكُلُّ ريحٍ لم تَــذَرْ
عنـدَ الرجالِ والنسا ءِ كائنٌ له خطَرْ؟

عبـــلة : خلِّينَ صخراً دعنْـــهُ قد قتَلَ الفتَى الحسدْ
إسمعْنَ شاةَ عامرٍ ماذا تقولُ فى الأسَــدْ

صخـــر : شاةٌ أنا يا بنات عبْسٍ إحسَبْتَنِى الشاةَ مايضُرُّ؟
فى الشاةِ واللهِ كلُّ خيرٍ وليس فيها أذًى وشرٌّ

مزاجها هادئ لطيف وشكلها رائق يسر

عبلة [ضاحكة]: اضحكن يا بنات العامرى شاة

[ثم الى صخر]: بسبس تعالى بسبس

أخرى : هس شاة عامر هسى

خذى كلى من ترمسى

صخر : شهد الله قد أسأتن فهما

عبلة : نحن؟ بل أنت قد أسأت مقالا

صخر : ما الذى قلت؟

عبلة : قلت ماقيمة البأ س وصغرت عندنا الأبطالا

صخر : إنما قلت تأخذ الذئبة الذئب وتعطى اللباءة الرئبالا

وابنة الناس لابنهم فقديما سخر الله للنساء الرجالا

عبلة : لا تريد الرجال يا صخر إلا جبناء أذلة أنذالا

صخر : بل أريد الحياة خيرا وسلما ليس شرا سبيلها وقتالا

أريد الجمال لهذا الجمال وأبغى الشباب لهذا الشباب

ويحزننى أن تزف الظباء الى أسد الغاب أو للذئاب

وأن تحمل امرأة كالشعاع عروسا الى رجل كالهباب

وفى البيد كل فتى كالسراج اذا أظلم الليل أو كالشهاب

عبلة : جميلٌ وليس بحامى البيوتِ ولا مانعٍ مِن يدٍ مالَه
اذا ماعوى الكلبُ ضلَّ السلاحَ وبلَّ من الخوفِ سِروالَهُ
يجودُ بزوجتِــه للغــير ويرمى الى الذئبِ أطفالَهُ

صخر : ومَن تعنينَ يا عبلَ؟

عبلة : ومَنْ يا صخرُ من تَعنى؟
لقد أسرفتَ فى التعريضِ بالليثِ وفى الطعنِ

[تسمع ضجة وأصوات استغاثة من ناحية الخيام]

عبلة : وَيْحَ جيرانى وَوَيْحى صرخاتٌ وصفيرُ
وعلى الخيماتِ أشباحٌ وأقدامٌ تدورُ
أتُرى قد نزلَ اللِّصُّ بعَبْسٍ والمُغيرُ؟

صخر : الحياة الحياه النجاة النجاه
الفرار الفرار الفرار الفرار

[يفر الجميع من هنا ومن هناك وتبقى عبلة وحدها فتخرج اليها من الخيمة الخادم سعاد]

المشهد السابع

سعاد : سيدتى هىَّ اهربى جَمعُ الشياطينِ اقترب

عبلة : أهرُبُ؟ لا! ما فى طِباعِ العربيّاتِ الهرب

نحنُ ثِنتانِ يا سُـــعادُ تعالَىْ بجانبى
بلْ قِفِى حيثُ أنتِ فى طَــرَفِ البابِ راقِبى

سـعاد : ومَعِى

عبـلة : ما الذى حَمَلتِ ؟

سعاد [وتظهر خنجرها] : خَليــلِى وصاحِـبى

[تدخل عبلة الخيمة ويسمع صوتها
من الداخل وترى من الباب]

عبـلة : خنجَــرٌ مِثلُ خنجَــرِى جَــرِّدِيهِ تأهَّـــبِى
خنجرى أينَ خنجرى اليومَ مِنِّى هُوَ ذا خنجرى تَعالَ أُغَنِّى
حُطْ عَفافِى وَحامِ عن قُدْسِ الــعُزَّى ورُدَّ اللصوصَ عنْها وعَنِّى

[تتجه عبلة الى صنم بداخل الخيمة]

عُزَّاىَ قَــوِّى يَمِينِى عُزَّاىَ لا تَخـذُلِينِى
أَبِى تأخَّــرَ عــنِى وإِخْوَتِى تَرَكُــونِى
وأين عنــترةُ اليــوْمِ أيــن حامِى العَرِينِ؟
لوْ كانَ فى أرضِ عبسٍ لجــرَّدَ السيفَ دُونِى

عُزَّاىَ معبودَ ثَقِيفٍ وإلَهَــةَ العَــرَبْ
إنَّ اللصُوصَ طَمِعوا فيما عليكِ مِن ذَهَبْ

لن يسلُبوكِ شَعْرةً　　وفيَّ عِرْقٌ يَضطرِبْ

[تخرج عبلة]

كيم الرِّجال ، هلُمّى　　قُومِي أنظري يا سُعادُ

[تدور سعاد حول الخباء فى حذر ثم تعود]

سعاد : سيِّدتى لا تُراعِى　　حوْلَ الخِباءِ ثلاثَهْ

وجوهُهُمْ كالجثاثِ　　وبالثِّيابِ رَثاثَهْ

المشهد الثامن

« يظهر أحد اللصوص فتختبئ الفتاتان وراء باب الخباء ، حتى إذا حاذى الباب طعنته عبلة فى ظهره »

عبلة [هامسة] : ذِئْبٌ ؟ تعالَ خُذْ ، مُتْ　　قَتَلْتُهُ بِضَرْبَةِ

المشهد التاسع

« يظهر لص آخر فتطعنه سعاد »

سعاد [هامسة] . وأنتَ أيضاً يا شَقِى　　خُذْ امضِ مُتْ بهِ الحَقِ

اللص [ممددا على الأرض] :

آهٍ من الخناجِرْ

الأول : شلَّت يمينُ الغادِرْ

[يظهر لصوص آخرون
من هنا وهناك وراء الخباء]

المشهد العاشر

سعاد : سيِّدتِي

عبلة : سُعادُ ماذا؟ ما الخبَرْ؟

سعاد : سيِّدتي الآنَ نُواجِهُ الخَطَرْ

سِرْبٌ من الذئابِ نحوَنا انحدَرْ

عبلة : بَلْ هُو ذا سُعادُ في البَيْتِ انفجر

قِفِي سُعادُ ناحِيَهْ دونَكِ تلكَ الزاوِيَهْ

سعاد : وأنتِ مِن وَرائِيَهْ

عبلة : لا بلْ مكانِي هَهُنا فربَّةُ الدَّارِ أنا

سُعادُ للمنيَّهْ أحْلَى مِنَ الدَّنيَّهْ

ولا يَزيدُ في العُمُرْ شيءٌ اذا الموتُ حضَرْ

هيَّ ابنَتِي تَقَنَّعِي وناوِلِيني بُرْقُعِي

وقاتِلِي الجمعَ مَعِي

أحد اللصوص : السلاتُ أكبرْ ما ذاك ؟

عبلة : خنجَرْ

[تحاول أن تطعنه فيمسك بذراعها و يمسك لص آخر بذراعها الأخرى و يقبض لصان آخران على سعاد]

اللص : ما للبرْقَعاتِ والخناجرِ يحملنها؟

عبلة : لرَدْعِ كلِّ فاجرِ

لص آخر : تعالَيْ اسفرى ارفَعِي ما ذَا وراءَ البرقُعِ؟
الآنَ تمضينَ مَعِي !

[يحمل بعض اللصوص عبلة وسعاد الى ما وراء الستار من ناحية اليسار فتسمع استغاثة عبلة من هناك بينما يبقى فى المسرح سائر اللصوص]

المشهد الحادى عشر

عبلة(مستصرخة) وَاعنْترا وَاعنترا لَيْتكَ عِنْدى فترَى
حَلَّ الذئابُ ساحَتِي إلىّ ياليثَ الشَّرَى

أحد اللصوص : الخيمَةُ الحمْرا القُبَّةُ الكُبْرى
هُنا روائعُ التُّحَفْ هُنا نَفائسُ الطُّرَفْ
هُنا عصائبُ اليمنْ ووشيُها الغالى الثَّمَنْ

آخر [ممسكا بخناق أخيه] :

بُشراىَ دعْ يا ابنَ الزنا القُــرْط لِى

بَلْ لِى أنَا

آخــــر :

الأول : الســـيْفُ بَيْننا حَكَمْ

الثانى [ويطعنه] : خُذْها وما شِئتَ فنَمْ

الثالث : لا لَكَ القُرْطُ ولَا لَهْ

[ثم يطعن الثانى]

أعطِنيــهِ يا حُثَالَهْ

[ضجة الغارة مستمرة من وراء الستار . يقدم من يسار الربوة المرتفع شــداد ومالك فيهرب اللصوص ويعثر القادمان بعنــترة وهو نائم]

المشهد الثانى عشر

شـــداد : أضجْعَةً يا عَبْدُ والحىُّ سُبِى

عنــترة : مَنِ المُنادِى؟ سيِّدى : صوتُ أبِى ؟

شـــداد : ماذَا يَقولُونَ غدًا فى العَــربِ !

[يظهر من يمين الربوة بعض الهاربين]

المشهد الثالث عشر

أحد الهاربين :

أُبيحَتِ الحِظارُ والخيــامُ واختُطِفَتْ بحروةُ يا هُمَامُ

مالك : وافَرسَا طارَ بِهــا الطَّغَامُ !

مالك [لعنترة] : عنترَ قُمْ ردَّ علىّ جَرْوَتِى

عنـــترة [ببرود] : سِرْ أنتَ أنقِذها وابعثْ إخوتى
وخلِّنى أغنَمْ لذيذَ غفْوتِى

[ويرقد]

هارب آخر : يا سـيِّدَ الماء ليْس لنا الماءُ
أطردَتِ الإبـلُ وسِيقَتِ الشَّاءُ

شـداد : يابنَ شدّادَ

عنترة [بتهكم] : ما أنا ابْنٌ لِشـدّادَ ولكِنْ عبدٌ يسُومُ ويَسْقِى
لستُ من عبْسٍ لا، ولسْتُ لك ابنًا لونُ أُمِّى أفاتنى مِنْك حَقِّى

شـداد : قُـمْ يافتى عبسٍ انْهَضْ ذُد عنْ حَرِيمِى وعنِّى
إذا رَدَدْتَ السبَايا فأنتَ عنـترةُ ابْنِى

عنـترة : ياسـيِّدَ الحىِّ قُـلْ لى مَتَى فَطِنْتَ لِشـأنِى
أأنتَ ذا تدَّعيـنِى وكُنْتَ تـبْرأُ مِنِّى؟

هارب ثالث : يا سـيِّدَ الوادِى هىِّ آخِـه هىِّ
عبْـلة ...

عنترة [ناهضا] : ما الخطْبُ ؟

الفـتى : سُلَّتْ مِنَ الحىّ

عنترة :

أنا كالليث ما الهزيمةُ فى طبْعى وليْس الفرار لى فى جِبِلَّهْ

أنا حُرٌّ وإن أبتْ عبْسُ والنا س وآبائىَ السَّراةُ الأجِلَّهْ

لا لِحُرِّيَّتى أموتُ ولكنْ حبذَّا الموتُ فى سَبِيلك عبْلَهْ

[يسمع صوت استغاثة من وراء الستار]

المستغيث : عنترةَ البأسِ ويا عَزيزَ الجارْ

تلك نِسا عبْسِ حلَّ عليها العارْ

عنترة : لبيْكِ يا عبسُ يا عبْس لَبيْك

عنترةُ الروْعِ أمْنُ سِرْبيْك

[يسمع صوت عبلة من بعيد ومن وراء الستار]

عبلة : واعنترَتاَ واعنترَتاَ

عنترة : لَبيْكِ عُبيْلَ الليْثُ أتَى

عبلةُ يا عبلَ لا تُراعى لبيْكِ بالسيفِ بالقَناة

يا عبلةَ القلْبِ لا تُراعى لبيْكِ بالرُّوحِ بالحياة

تأمَّلى غضْبَتِى ترَيْها كغضْبةِ الليْثِ لِلُّباة

[يظهر جماعة من اللصوص من ناحية الخيام يحملون أسلابا ، ويحاولون الهرب عن طريق العين حينما سمعوا صوت عنترة فيهبط عنترة من الربوة ويقطع عليهم الطريق]

المشهد الرابع عشر

عنترة :	يا سَرَقَهْ يا فَسَقَهْ	الليثُ جا
	رُءُوسَكم نُفُوسَكم	أوْ فالنَّجا
	خَلُّوا الحُلى	دَعوا الوُسُدْ
	من يَخْتلِس	حَبْلَ مَسَدْ
	فَوَيْلُهُ	مِنَ الأسَدْ

[يهجم عليهم]

	كُونُوا ذِئابَ الفَلا	إنِّى أنَا القَسْوَرَهْ
أحد اللصوص :	عنترةٌ جاءَكُمْ	عنترةٌ عَنْتَرَهْ
عنترة :	رُدُّوا الحُرَمْ الى الخِيَمْ	سُوقُوا النَعَمَ الى الحِظَارْ
	هلُمُّوا يا ذِئابَ القَفْرِ	لاقُوا السَّيْلَ والنارَا
	هلُمُّوا جمعَكُمْ وابْرُوا	رِياحًا أجرِ إعْصارَا
	فهذا اليومُ فى البِيدِ	سيبقَى بينَنا ثارَا
	مَن يَتّزِنْ بالليثِ مَن؟	حَذارِ من بَطْشِى حَذارْ
	هاتُوا القَنَا ألقُوا هُنا	إنى أنا سَيْلٌ وَنَارْ .
أحد اللصوص :	زمجرةٌ قَسْوَرَةٌ	عنترةٌ هَيُّوا الفِرَارْ
آخــــر :	بَلِ اهجموا وأقْدِمُوا	لا تُحجِمُوا فَذاكَ عارْ

أسيد : مكانكم ياقوم لا تفرّقوا كم ذا من العبد الى كم نفرق ؟

[لعنترة] : هلمّ عنتر القني تُسق الرّدى أو تُتّقي

عنترة : مَن الفتى ؟

أسيد : ابنُ حُرة!

عنترة : عرّضت يا أحمق بي

أنا ابنُ شدّادَ فمَنْ أبوكَ؟ جئني بالأب

أسيد : أبى مُعانِق الأسَل سَلْ عن أبى مَنْ شئتَ سَلْ

عنترة : شدّاد أعلى وأجلْ

أحد اللصوص : صاحبكم وعنترهْ يا عجبًا هبّوا تَرَهْ

أُسَيْدٌ شهمٌ أسيدٌ باسلْ

تعال ننظرْ كيف ينازل

ليث الصحارى غول القبائل

[يطعن عنترة أسيد فيرديه ثم يجرى الى ماوراء الخيام باحثا عن عبلة ووراءه مالك وشداد]

المشهد الخامس عشر

لص : أُسيدُ عِش أنتَ اسيدُ يتساهل

من يطفر النارَ فليس بالعاقل

آخـــر : هــذا القــدَرْ مَن يقتحمُــهْ
هــذا الصخرْ مَن يَصــدِمُهْ

[يفر اللصوص من اليمين ويدخل عنترة وعبلة من اليسار وو راءهما داحس وسماد]

المشهد السادس عشر

عنـــترة :
لبيك عبلةُ يا فِداكِ حَيـاتِى نادِى يُجِبْكِ مُهنَّدى وقنـاتى
لو رَنَّ صوتُكِ فى جَوانِبِ حُفرَتى لبّـاكِ من ثَبَجِ الترابِ رُفاتِى
البِيدُ تحتَ يدى وتحتَك ضيْعةٌ أنا لَيْثُ غابَتِها وأنتِ لَباتِى
رُوِّعتِ بِنتَ العمِّ ؟

عبـــلة : مِمَّ ؟

عنـــترة : ألم يرُعْ
مَرْأى البُزاةِ حَمامَتِى وقَطَاتِى

عبـــلة :
مَرْأى البُزاةِ ؟ تَرى اللصوصَ بَوازِيا هُمْ دونَ ذلك، هُم حِداُ فَلاة
جُبناءُ خَطّافونَ أكبرُ همِّهمْ عكازُ شـيخٍ أو حُلِيُّ فَتـاة

عنترة : ماذا لقيتِ من اللصوص؟

عبلة : بَل امضِ سَلْ

[تشير الى قتيلين على باب الخباء]

هذين كيف تلقيا طعناتي

أنا وابنَتي هاتيكَ جندلناهما

عنترة : حقٌّ سعادُ فعلتِ

سعاد : سَلْ مَوْلاتي

عنترة :

أجَلْ أرى جثةً وأخرى داحِسُ ماذا ترى؟

داحس : دِماءَ

عنترة : أأنتما تقتلان

عبلة : لِمْ لا؟

عنترة : من قلّدَ الخنجرَ الظِّباءَ؟

عبلة : ذِئابُ قفرٍ مشتْ إلينا كُواِلحاً تُضمِرُ العَداءَ

عنترة : وأينَ كانَ الرجالُ ؟

عبلة : سَلْهُمْ

عنترة : وكيفَ لم يَسمَعوا النِّداءَ؟

عبلة : لقد تلفّتُّ لم أجِدْهُمْ ولم أجِدْ حولِيَ النِّساءَ

عنترة [ملتفتا لداحس] :

دَاحسُ صِحْ وأَسمِـع ... ونَادِ ، عبْـلَةٌ مَعِى
وَأَنَّهَا سَالِمَـةٌ ... وأنَّها لَمْ تُـرَعِ

[تدخل سعاد الخباء وينادى
داحس من وراء الخيام]

المشهد السابع عشر

داحس : ياعبْسُ بُشْرى لكُمُو ... قد وُجدتْ أختُكُمُو
عنـتَرَةٌ حيـالَكُمْ ... وعبـلةٌ بَينَكُمـو

عبـلة : عنـترةٌ ؟

عنـترة : عُبيلةٌ

عبـلة : مِن ... أَينَ ؟

عنـترة : مِن طولِ السُّرى
سَرَيْتُ أبْغِى الحىَّ ليـلِى كلَّه حـتى دنا
وجئتُ فى مُنبلَجِ الـصّبح أسابِقُ الضُّحى
عساىَ أرعَى شاءَكُمْ ... كعادَتى فِيمَـنْ رَعَى

عبـلة : لا لستَ تَرعى الشاءَ يا ... عنـترَ بل تَرعى الحِمَى
وأينَ يابنَ العـم كنتَ لم تَزُرْنا مِن مَدى

عنـــترة : فى عالَم الدنيـا وفى وادِى الحياةِ وفى شِعابِهْ
فى البِيدِ عبلةُ فى عَرِيـــــنِ الليْثِ فى سلطانِ غابِهْ

عبـــلة : سعاد

[تخرج سـعاد من الخباء ويعـود داحس من وراء الخيام فيصعد الربوة ويختفى وراء النخيل]

المشهد الثامن عشر

يا بنت اذهبى جيئى بتمـر ولبن

[تدخل سعاد الخباء]

المشهد التاسع عشر

عنـــترة :

أجلْ لى ثلاثٌ ألبَسُ البيدَ حائرا كما يلبَسُ الليـلَ الطويلَ سقيمُ
اذا قمتُ من ذئبٍ عثَرتُ بحيّةٍ طريقٍ مَنايا كلُّه وسُمُـــومُ
أهيمُ على وجْهى وقلبى من الجوَى على وجهِهِ بين الضُّـلوعِ يَهـيمُ
ويَهـدأُ إلا حينَ تهـتزُّ بانةٌ ويُطرِقُ إلا حينَ يشخَصُ رِيمُ
أجىءُ حماكُم من نجومٍ بعيـدةٍ وتَرجِعُ بى مِن حيثُ جئتُ نُجومُ
ويحزُنُنى يا عبلَ أنى أزورُكم فيصرِفُ عمّى الوجهَ وهو كريمُ
يكاد يَسُلُّ السيفَ حين أجيئُه ويوقِدُ نارَ الطرْدِ حينَ أريمُ
تخاضَ المَوالى فى حديثى وأقبلتْ علىَّ مِن الوادى الظنونُ تحـومُ

وكم رامَ وُدّى فى القبائل سيدٌ ... ووَدّ مكانى فى الديارِ زعيمُ
ولو لم يكنْ يا عبلَ عمّا ولا أبًا ... لعبلةَ سيمَ الخسفَ وهْو كظيمُ

عبلة :

تسومُ أبى خسْفاً ؟

عنترة : معاذكِ عبلتِى

معاذ الهوَى أنّى أذنُ للئيمُ

ولكنّ عمّى جارَ

عبلة : هبْ لى ذنبَه

وهَبْنِى التى جارَتْ أكنتَ تلومُ؟

عنترة :

عُبيلةُ جُورى واتركى عمّنا يَجُرْ ... فإنى على عهْدِ الهوَى لَمقيمُ

[تخرج سعاد من الخباء حاملة قصعة فيها جميع
وهو طعام يصنعه العرب من التمر واللبن ، فتضع
القصعة على الأرض وتدخل من حيث خرجت]

المشهد العشرون

عبلة : عنترَ خذْ قاسِمْنى الجَميعا

عنترة : هاتى فقد كدتُ أموتُ جوعا

[يجلسان الى قصعة الجميع فتتناول
عبلة بضع بلحات تعطيها الى عنترة]

عنترة :

حَسْبي النّوى عبلَ ما في التَّمْرِ لي أربٌ … مُنَـاىَ كلُّ نواةٍ خالَطَتْ فاكِ

التمـرُ أطيبُ ما فيـهِ النواةُ اذا … مرّتْ بثغرِك أو مسّتْ ثناياكِ

لقد مررْتُ بوادٍ غيرِ ذي شجرٍ … نضْرٍ وإن لم يصُبْهُ الغيثُ ضحّاكِ

مُطيَّبٍ نفَحَتْني منـــه رائحـةٌ … كالمسكِ ياعبلَ أو تعلو على ذاكِ

فقلتُ عبلةُ في الوادي مشتْ ورمتْ … على نَواحيهِ مِن فيهـا بمِسْواكِ

عبــلة : لقد أحسنْتَ يا عنتَر … فاقبَلْ من فمي التمْـرا

عنــترة : بروحي فُوكِ يا عبلــةُ … هاتي الشهدَ والخمْرا

عنــترة : عبسُ اشهَدوا عبلةُ قدْ … قامتْ تزُقُّ عنــتَرَهْ

كما تَــزُقُّ فرخَهــا … على الغُصونِ القُـبَّرَهْ

عنــترة : عبــلَ

عبــلة : لبيكَ سَمِيّ الخيْلِ

عنــترة : لا أما … أنا لِلخيـْـلِ يا عُبيْــلةُ حامِ

عبــلة :

من إذن يُمسِك النّجيبــةَ في الســـرْبِج ويحمي النجيبَ خلفَ الخِيامِ؟

عنــترة : ألهذا أحببْتِني؟

عبــلة : ولِشأنٍ … كضُحى الشمْسِ أو كبدْرِ التَّمامِ

كلَّ يومٍ يُقالُ عنترةٌ أرْدَى كَمِيًّا وقامَ عن ضِرْغامِ

عنـــترة :

لم لا تَعشــقينَ عبــلَ جَوادى؟ لم لا تَعشقينَ عبلَ حُسامى؟
أوَ ليْسا هُما شَريكَيَّ فى الفتْكِ وضربِ الطُّلَى وحصْدِ الهامِ؟

[يظهر داحس على الربوة ثم يهبط منها
حاملا معه فراخ نسر وثلاثة أشبال]

المشهد الحادى والعشرون

عبــلة : مـاذاك؟ مـاتحمـلُ؟ مـاذا عـنترة؟
ما تِلك عنترَ؟

عنترة [متناولا أفرخ النسر من داحس] :

هَـــذِى يا عبلَ أفــراخُ نَسْرِ
إغْـــترَّ بِى أبـوَاها وكنتُ بالشِّعْبِ أسْرِى
فظلَّلَ الأبُ صدْرى وغطَّتِ الأمّ ظَهْرِى
ومسَّـــيانِى بكـَـرٍّ على الجبـالِ وفَـــرِّ
توَهَّمـانِىَ صــيْدًا يهِى الفِراخَ ويبرِى
فلم أكـنْ غيرَ يُتْمٍ لِمُبتغِى الصــيْدِ مُرٍّ

عبــلة : سَاتَا؟

عنــترة : أجـلْ لَقِيَـا عبلَتى جزاءَ التجرِّى

مُحطّمين بكفى ممزّقين بظُفرى

[يدخل جماعة من المار بين فتيانا وفتيات من ناحية العين و بينهم صخر وناجيــة]

المشهد الثانى والعشرون

صخــر : عبـلةُ لم تُسب

صــوت : عبلةُ فى الحَىّ

آخــر : عنـــترةٌ ثَمّ لاخوفَ من شىٌ

عبــلة : وما هـذه الأُخرى؟

عنــترة : شُبولٌ ثلاثةٌ تُربّى هنا بين البُيوتِ وتُصلَحُ

تعرّضَ لى ليثٌ يُدِلُّ ببأسِـه الى جانبيْـهِ لبـوةٌ تتبجّحُ

وقد ملأ البيداءَ رعْدًا كأنمـا بكلّ سـبيلٍ ذُو رُعودٍ مُلمّـحُ

مَشيتُ إليـه فانثنَى فطلبتُـهُ فأقبـلَ تيّـاهَ الخُطا يترنّحُ

ظللنـا مليّـا أتّقيــه ويتّقى ويُعجِمُ فى قولِ الوَعيدِ وأُفصِحُ

فأغمدتُ سيفى فى قرارةِ جوْفه أليس لسيفى ذلك الغمدُ يَصلُحُ؟

الى أن تعايَا فى يَدى فذبحتُه ومن ذا رأى الضِّرغامَ كالشاةِ يُذبحُ

وكم من كَمِىٍّ فى أعِنّـةِ سابحٍ تركتُ ورائى فى الدّمِ الحُرِّ يَسبَحُ

عبلة :

وما صنعتَ باللباةِ يابنَ عمْ

عنترة : عفوتُ عنها

عبلة : ذاكَ واللهِ الكرَمْ

عنترة : اقتحمتني مرّتينِ وانثنتْ لم ترَ من فائدةٍ أن تقتحِمْ

أنثى ضعيفةُ القوى تركتُها إنّ الإناثَ عندَ أمثالي حُرَمْ

صخر :

شبولٌ تُربّى فى البيوتِ أغابةٌ حِماكُم ؟

عنترة :

ونحنُ الأسدُ فى الغابِ نسرح

ومالكَ ياهذا وعبس ودُورِها وما أنتَ؟ منْ هذا الفتى المتوقّح؟

صخر :

فتىً زائرٌ من عامرٍ من سَراتها وما هو إلا معجَبٌ مُتمدِّح

عبلة :

جبانٌ ذليلٌ جاء عبْسا وماءَها يعرّضُ للإفكِ العذارى ويَفضحُ

فتاة :

فتى عامرٍ فى كُربةٍ أينَ عامرٌ؟ يكادُ فتاها فى السراويلِ يَسلَحُ

ناجية : أساتَ به ياعنترَ الظنّ

عنترة : ما أرى وأسمعُ؟ أنثى عنكَ ياخِلُّ تَنضحُ؟

صخر [همسا] :

دعينا دعيه لا تزيديه ثورة

ناجية : تنحَّ اذن قد أوشك الكبش ينطح

[ينصرف الجميع فلا يبق إلا عبلة وعنترة]

عنترة :

يا عبلَ كم بيداءَ جبتُ مخوفةٍ   قذفتْ إلىَّ بذئبها والضيغمِ
فلقيتُ كلَّ منازلٍ بسلاحهِ   وجعلتُ أضربُ باليدينِ وبالفمِ
أخّرتُ رمحي وادّخرتُ مهنّدى   وربطتُ سرجى للكمىِّ المُعْلمِ
حتى تراءتْ ظبيةٌ فتملّأتْ   مما رأتْ رعبا فلم تتقدمِ
لما رأتنى والسباعُ تنوشُنى   نفرتْ نفارَكِ من عيونِ الموسمِ
ريمٌ تلفتَ لم يفتكِ بجيدهِ   وبمقلتيهِ وفتنةٍ بالمبسمِ
فمنعتُها من كلِّ ضارٍ ثائرٍ   وأبحتُها الوادى وقلتُ لها اسلمي

يا ليتنا يا عبلَ عصفورتانْ   فى غصنِ ضالٍ أو على فرعِ بانْ
فى روضةٍ غُفْلٍ وراءَ الرُّبا   لم يسقِها إلا الغوادى الدانْ
على جناحيكِ جناحى وفى   فمى مكانَ الحبِّ هذا الجمانْ

عبلة : لقد وددتُ فوقَ ما   شئتَ لنا ما قسورهْ
من عيشةٍ وادعةٍ   خاملةٍ مستترهْ
لا بعيونِ الناسِ أو   ألسنهم مكدّرهْ

عنـــترة : لو لم تهيمي عبلــتي بجمــلاتى المنكــرهْ
وايـــس بي أنا ولا بســحْنتي المحتقــرهْ
لقلتِ إذ دعــوتني يا قمــري يا سُكّرهْ!
عبـــلة : هذا السوادُ يا بنَ عمِّـــى مثلُ صِبغةِ السّحَرْ
كالمسْكِ والكُحلِ هُمَا في مَفْرِقي وفى البَصَرْ
وما يضُرُّكَ الســوا دُ يابنَ عمّى ما يَضُرْ
الكعبةُ الغَــرّاءُ من أحْسنِ ما فيها الحجَـرْ
البَــدْوُ فى إجْلالهِ وفى وقارِهِ الحضَــرْ
عنـــترة : ماذا ودِدْتِ يا عُبيـــلَ يا حياةَ عنـــترهْ؟
عبـــلة : وددتُ أنِّى صــدفٌ وأنتَ فيــه جوهَرَهْ
فى زاخرٍ لم يدرِ بعدُ الغائصونَ خَبَرَهْ
ومَوْضعٍ لم يَســمعِ الفُلْكُ به ولم يَــرَهْ
عنـــترة : بى أنتِ يا عبــلةُ بى لا بَــلْ بأمِّى وأَبى
لا بَلْ بعبْسٍ بل بنَجْــدٍ بلْ بمُلْكِ العــرَبِ

ســتــار

الفصل الثانى

المنظر الأول

« المكان كما كان فى الفصل الأول إلا أن خيمة مالك قريبة »
« جدًا تملأ المسرح أو تكاد ، ويبدو بابها كأنه ستر مسدول »
« ولا أثر لعين ذات الأصاد ولا لسائر خيام بنى عبس ؛ »
« ويرى مقدم المسرح كأنه طريق عام أمام الخباء . »
« الوقت فى الأصيل وقد وقفت عبلة وناجية توصوصان »
« من ثقوب فى باب الخباء ثم تتحدثان ... ... »

المشهد الأوّل

عبلة : مَن يا تُرى الرجالُ منْ؟ أتى الحِمَى ياناجيهْ؟
ناجية : ضيوفُكُمْ من عامرٍ من السَّراةِ العاليهْ

عبـــلة : وفيمَ يا أختُ جاءوا

ناجيـــة : لا أدرِ... ما يطلبونا

عَساهُمُو رُسْلُ خيرٍ لعلّهـــم خاطِبـــونا

عبـــلة :

من عامرٍ أجلْ عرفتُ بعضَهم ويَخطبونَ عِندنا مَن ياتُرى؟

ناجيـــة :

أظنُّ بنتَ مالكٍ عالمـــةً بكلِ ماجَرى ويجْرِى فى الحِمَى

ومَن عسى يُخطَبُ فى الحىِّ سِوَى عبلةَ ربّةِ السَّناءِ والســنَا؟

عبـــلة : هازلةٌ ياأختُ أمْ مجنـونةٌ أنتِ؟ أجاءَ القومُ من أجْلِي أنَا؟

ناجيـــة : لا تُنكِرِى عبـلةُ لا تَجاهَلِى لم يبقَ سِرًّا أمرُ ذلك الفتَى

عبـــلة : فتًى وممّنِ الفتَى ؟

ناجيـــة : مِن عامرٍ

عبـــلة : وما حداهُ نحوَ عبسٍ؟

ناجيـــة : الهوَى

عبـــلة : وما آسْمُهُ

ناجيـــة : صخـــرٌ

عبـــلة : لعلّه الذى فى كل مَغرِبٍ علَى الماءِ يُرى

ناجيـــة : كيفَ أما تَهوِيْنَه ياعَبلَ

عبـــلة : لا أخْطَاكِ ما حسِبتِ يا نَاجِىَ لَا

ناجيـــة : يافرحا خلبه لي تدلل

عبـــلة : اذهبي به متى أخذته منـــك متى

| تنصرف عبلة من اليسار متبرمابثة ، وتعود ناجية الى الوصوصة من ثقوب الخباء ، وبعد لحظات يقـــدم صخر من اليميـــن متأبطا صرة فيها ثياب |

المنظر الثاني

ناجيـــة :

عِمْ صَباحا ياعامريّ إلى أينَ؟

صخـــر : إلى عبـــلة

ناجيـــة : أيُمكن ذا كا؟

صخـــر : لِمَ لا

ناجيـــة : عبلةٌ ترى الذئبَ فى جَوْزِ الفَيافى لكنّها لا تَراكا

صخـــر : ما تقولينَ ؟

ناجيـــة : لم أقُل غيرَ حقٍّ هى ياعامريُّ تهوَى سِواكا

صخـــر : عبلةٌ لى غدًا

ناجيـــة : خُدِعْتَ ولم يصدُقْـــكَ شيطانُك الذى منّاكا

صخرُ دعْ عبلةً وخلِّ هواها وتحوّلْ إلى التى تَهْوَاكا

صخــــر : أنا أهوى سواكِ يا أختَ عبسٍ

ناجيــــة : امضِ لا نلتَ يا غبيُّ مُناكا

[ينصرف صخر من ناحية اليسار ، ثم تتبعه ناجية بعد قليـــل من التفكير ثم يفتح باب الستار المسدول عن داخل الخباء]

المنظر الثانى

« داخل خيمة مالك وتبدو النعمة على كل ما فيها وقد جلس »
« مالك القرفصاء فى جانب ، وجلس فى جواره وفى الجانب الآخر »
« رجال من بنى عامر — خدم وقوف بباب فى صدر الخباء »

المشهد الأوّل

مالك :

أَلجزورَ، الجزورَ ؛ ألنارَ، ألنارَ ؛ قِرى الضَّيْفِ ضيفنا اليوم عامرْ

[ينصرف الخدم]

المشهد الثانى

يا مَرْحبًا بعامرِ العِلْيَــةِ ٱلأكابرِ
حظٌّ لعَمْرى عظيم

الضيفان : لَنَحنُ أعظمُ حظًّا

مالك : سَراةُ عامرَ عنــدى

أحد الضيوف : فى دارِ سيِّدِ عبْسِ

آخـــر : فى البِيدِ يا مالكُ قولٌ شائعٌ نُرِيدُ أن نعـلَمَ منكَ خبَرَهْ
ثمّ نخُوضَ فى الذى جئْنا له

مالك : هاتُوا اسألُونى رَاشدِينَ بَرَرَهْ
ماذَاكَ ؟

الضيف : إنّ الناسَ قد تحدّثوا أنَّك لن تَرضَى بغيرِ عنـترهْ

مالك : صِهْرًا ؟

الضيف : أَجَــلْ

مالك : مَن قال؟ ذاكَ كذِبٌ أيطمعُ الأسودُ أن أُصاهِرَهْ؟

الضيف :
ذلك يا مالكُ ما قلتُ لَهُمْ

[ثم يتلفت حوله]

لا يسمَعَنَّ ابنُ الإماءِ لا أَبَهْ!

آخـــر :
عبلةُ لا تُهدَى الى ابنِ أمَةٍ يرْعَى الشُّويهاتِ ويَسْقِى الأبْعِرَهْ

آخـــر :
أبا عبلةٍ جِئْناكَ نخطُبُ عبـلةً

مالك : لِمَنْ ؟

الأول : لنجيبٍ سيدٍ وابنِ سيّدِ
لأبيَضَ من فِتْيانِ عامِرَ ماجـدٍ وليْس لعبدٍ عند شـدادَ أسودِ

مالك : ما اسمُ الفتى

الأول : صخْرٌ مِنْ ولدِ الأشْتَر

مالك : وهلْ رأَى عبلَهَ؟

آخر : ألفَ مرّه وسمِعَ الحُرُّ حديثَ الليل

مالك :

أَصيخُوا لى ... أصاحِبُكُم شجاعٌ؟ فعبلةُ تُبغِضُ الرَّجلَ الجبانا

أحدهم :

كَلَيْثِ الغابِ إقدامًا وكرًّا اذا اعتقلَ المهنّدَ والسّنانا

مالك :

أَصيخُوا لى أَصاحِبُكم جوادٌ فعبلَةُ تبغِضُ الرجلَ البخيلا

أحدهم :

يكادُ ندَى يديْهِ حين يَهمِى يُنَسِّى حاتمَ السمْحَ المُنيلا

مالك :

أَصيخُوا لى أصاحِبُكُم جميلٌ؟ فعبلَةُ تُبغِضُ الرجلَ الدَّميما

أحدهم :

ألم تَرهُ ألم تنظُرْ اليهِ اذن لم تُبصِرِ المَلَكَ الكريما

مالك

أَصيخُوا لى أصاحِبُكُم فَصيحٌ؟ فعبلَةُ تُبغِضُ الرجلَ العَيِيّا

أحدهم :

ألم تَرَ قطُّ قُسًّا فى عُكاظٍ؟ وسَحْبانًا اذا شهِدَ النَّديّا؟

مالك :

أصيخُوا لى أصاحبُكم رقيقٌ؟ فعبلةُ تُبغِض الرجلَ العَنيفَا

أحدهم :

ستُلفيهِ اذا حُمِلتْ إليـهِ وَديعًا مثـلَ نعجَتِهـا ألُوفا

مالك :

أصيخُوا لى أصاحبكُم غنيٌّ؟ فعبـلةُ طِفْـلةٌ تهوَى الـثَّراءَ

أحدهم :

سنُسكِنُها القصورَ كبنْتِ كِسْرى ونُلْبِسُها الجواهِرَ والفـراءَ

آخـر :

ذكرْنا شيخَ عبْسٍ كلَّ شىء ولم تذكُرْ لنـا مهرَ الفَتـاةِ

آخـر :

فَهَىِّ سل اقترِحْ ما شئْتَ هيَّ أألفُ نجيبَـةٍ أم ألفُ شـاةٍ؟

مالك :

عَلِمتُمْ أنّنِى مُثْرٍ غـنِىٌّ فلا أبْغِى النِّعـاجَ ولا النِّيَاقَا

ولستُ بجاعلٍ مَهرًا لبِنْتِى هِجانَ الإبْلِ والخيْلَ العِتاقَا

أحـدهم : ولكن ما تُريدُ ؟

مالك : أريدُ شيْئًا لو ابتُلِىَ الحـديدُ به لَضَاقَا

أحدهم : إذنْ فاذكُرْهُ قلْهُ

مالك :
وما انتِفاعي ولو حمَّلتُ صخراً ما أطاقا
أصيخُوا لي اذهبُوا قولُوا لصخرٍ يُقدِّمْ رأسَ عنترةٍ صداقا

أحدهم :
نقولُ له انتزِعْ قُلَلَ الرّواسي؟ نقولُ له اهدِمِ السبعَ الطِّباقا؟
نقولُ له تُطالبُهُ بمهرٍ تَضيقُ به القبائلُ أن يُساقا

آخر :
ولِمْ لا؟ ما هُنالك مُستحيلٌ هُناكَ دمٌ سئِلنا أن يُراقا
أليسَ المالُ يصنعُ كلَّ شيء؟ ويَرشُو السُّمرَ والبيضَ الرِّقاقا
ولو هَبطَ الأباطِحَ مالُ صخرٍ لغطَّى الشامَ أو غمرَ العراقا
اذا أعياهُ رأسُ العبدِ أغرَى مواليَ بيتِهِ ورَشَا الرِّفاقا

مالك :
ألانَ فهِمتُمُو قد ضِقتُ ذَرْعًا بعنترةٍ وضِقتُ به خِناقا
أريدُ العبدَ ميتًا ما أُبالي قضى بالسيفِ أم ماتَ اختِناقا
أُريدُ فِراقَهُ وأريدُ حتّى مِنَ الأصهارِ يُبلِغُني الفِراقا
إذا ذاقَ الهلاكَ لنا عدوٌّ أنسألُ عنه أينَ وكيفَ ذاقا؟

أحد الضيوف :
في غدٍ نحرٌ وقِدرٌ في غدٍ دُفٌّ وزامرْ

انهَضوا بورِكَ فى الصِّــهرِ لعبْـــسٍ ولِعَا مـــرْ

[يهمون بالقيام]

مالك : مكانَكمْ ياضيوفَ عبْسٍ هُنيْهَـةً تطعَمُـوا المجيعَا
مجيعُ البِيدِ من لَبنٍ وتمْـرٍ ولا تَلْقاهُ إلا عنْـدَ عبْسٍ
إذا الغِلمانُ للأضيافِ قامُوا فإنى خادمٌ ضَـيْفى بِنفْسِى

[ثم يخرج ليأتيهم بالطعام]

المشهد الثالث

أحدهم للآخر : لقــد كذَبتَ كثـيرا وقُلتَ واللهِ زُورا
قــد زِدتَ للشاةِ شاةً وللبعَـيرِ بعَـــيرا
وقـد صنعْت لصـخْرٍ مخالبًا وزئـــيرا
ورُبما طـارَ صخْـرٌ إذا رأى عُصــفورا!

الآخــر : أجـلْ كذَبْتُ وما ضرَّ لستُ أوّلَ كاذبْ
وكلُّنا قــد كذبْنا لكَىْ نقــومَ بِواجبْ
لقــد خَطبْنا لصخْرٍ والكِذْبُ فنُّ الخواطِبْ!

ثالث : ومالكٌ كيف نسِـيتمْ كلماتٍ قالَهَــا
مُباهِيًــا ببنْتِــــهِ ومُظهِــرا كمالَهــا
سمِعْناهُ يقولُ ولا يُبالى فعبلةُ تبغِضُ الرجلَ الدَّميما

ولم نر قبلَ عبلةَ فى البوادى فتاةً عُلِّقتْ عبدًا زنيما
سمِعْناه يقولُ ولا يُبالى فعبلةُ تُبغِضُ الرجلَ العَنِيفا
ولم نر قبلَ عبلةَ فى البوادى فتاةً علِّقتْ ذِئبا مَخُوفا

[يدخل مالك حاملا قصعة فيها طعام ومن ورائه غلمان يحملون مثلها ، توضع القصاع على الأرض ، و ينصرف الغلمان]

المشهد الرابع

مالك : المجيعَ المجيعَ يا ضيفَ عبْسٍ إطعَمُوهُ اطعَمُوا هنيئًا مَرِيئًا

[يقبل الحاضرون كلهم على القصاع]

أحدهم : ألبانُ عبْسٍ تفضلُ العُقارا
آخر : وتَمرُها كلَمِ العذارَى
آخر : أَفدِيهِما من لبَنٍ وتمرِ
آخر : [هامسا] لا أشتريهِمَا بزِقِّ خمرِ
مالك : ألآنَ استعمِلوا الحزْمَ فما نعلَمُ ما يطْرا
بنى عامرَ لا تجْرُوا لِما كانَ هُنا ذِكْرا
أحدهم : أبا عبلَةَ لا تخْشَ سيبْقَى ما جرى سِرّا
آخر : وما ضرَّ اذا نحنُ أذعْنا الأمرَ ماضرّا؟
ولِمْ لا نذكُرُ الخِطْبَةَ أو لا نُعلِنُ البُشْرَى؟

إذنْ أنت تخافُ العبْدَ أو تخْشى له شَــرا؟
مالك : أليس الحزْمُ أنْ نأخذَ مِن عنــترةَ الحِــذْرا؟
فقــد يقتلنِي وحْدى وقــد يقتُلُنـا طُرًّا
ولا يُبــقِي لنـا شاةً على المْرعى ولا بكْرًا
أحـدهم : أبو عبلةَ بالعبْــدِ وما يفْعــلُهُ أدْرى
فَســيروا بالذى قالَ ولا تعْصــوا له أمْرا

[يقومون عن الطعام ثم يحيون مالك ويبدأون في الانصراف فاذا انصرفوا وقف مالك بباب الخباء]

أحـدهم : فى ذمّةِ الله وفى حِفْظِه... مالك
مالك : محْرُوسينَ بالله

المشهد الخامس

مالك : عبــلَ
عبلة [من وراء الستار] : أبى ؟
مالك : مِن أينَ يا عبْــلةُ

المشهد السادس

[تدخل عبلة]

عبــلة : مِن خِبائِيــا

مالك : وأينَ تمْضـين ؟

عبـلة : أُهيـــبُ بِسُـقاةِ شَائِيَـا

مالك : قِفِى اسْمعِى لِى ساعةً وخَفِّـفِى عَنَائِيَـا

عبـلة : قُلْ أبى مُرْ

مالك : إذن تعالَىْ أُصيخِى وزُهـيرٌ أَخُوكِ أينَ زُهيرُ؟

عبـلة : مع عَمرٍو هُناكَ

مالك [ينادى]: يا عمْـــرُو

عمرو [من وراء الستار] : لَبيْــكَ أبِى

جئْ تعـالَ هىّ زُهــيرُ

[يدخل عمرو وزهير]

المشهد السابع

مالك :

عبْلَ أصغِى فى أرْضِ نجْدٍ شَبابٌ أُطلِعُـوا فِى سَمَـائِها أقْـمارَا

مِنهمُ الأُسْـدُ جُرأةً وثَبـاتًا والقَوارِينُ نِعْمَــةً ويَسَـارَا

مِثْلُ صخْرٍ

عبـلة : ومَن يكُنْ صخْرٌ؟

عمـرو : عامِرِىٌّ مِن أرْفَـعِ البِيدِ دَارَا

زهـــير :

مِن بَنِى الأشترِ الكَثيرينَ مالًا ونَخيــلًا وَضــيْعةً وعقارًا

عبـــلة :

قدعرَفتُ الغُلامَ ذاكَ الفتَى النِّضْــوَ الّذى لايُطيــقُ يَقْتُلُ فارًا

كل يوم معَ العَذارَى كثيرُ الــعُجْب مُستحْيِيًا كإحْدَى العَذارَى

أترى يا أبى وأنتَ أخى يا عمــرو كيفَ انتقيْتُمَا الأصْهارَا

زهـــير :

وأنا لا أرَى عُبَيْــلةَ خــيْرًا مِن أبيهــا ولا أخيها اخْتِيارَا

أنتِ مفْتُونةٌ بِأســوَدَ عبْــدٍ مِن بنِي عَمِّنــا تَسرْبَلَ قارَا

عبـــلة :

أوتَعنِي الذى حَمى حَوضَ عبْسٍ وكَسَا البِيــدَ سُؤْددًا وفخَارَا؟

والذى قَــلَّدَ الوقَائِــعَ والأيّـــامَ عبْســا وخَــلَّدَ الأشْــعَارَا

يا زُهيرُ اتئِــدْ مَتَى كانَتِ الألْوا نُ تَبْنِي وتَهدِمُ الأحْرارَا؟

لم يَحُطَّ السّوادُ من أسَــدِ القَفْرِ ولم يَرْفَــعِ البَيَــاضُ الحِمَارَا

أرأيْتَ السوادَ قد عبَّدَ اللَّيــلَ كما عبَّــدَ البيــاضُ النَّهارَا؟

مالك : زُهــيْرُ

زهـــير : أبِي

مالك : أصــغِ عمرُو استَمِعْ ويا عبلَ آنَ لنَــا أن نجِــدْ

عبـلة :

مَتَى كُنتُ هازِلَةً يا أبِى؟

مالك : هَزَلتِ ابنَتِي وأضعتِ الرَّشَدْ

وما زِلتِ بالعبْدِ مَفتونَةً وهيهاتَ بالعَبْدِ يَرضى أحَدْ

فَلا أنا أرضى ولا أخوَاكِ ولا مَنْ تدانَى ولا مَن بعُدْ

عبـلة :

أعَنتَرَةً يا أبِى قد عَنيْتَ ؟

مالك : أجَلْ

عبـلة : وَا لِعَنـتَرَةَ المُضطهَدْ!

أبِى قد تَمَكَّنَ مِنكَ الوُشاةُ وأثَّرَ فيكَ كَلامُ الحسَدْ

أليسَ ابنَ عمِّى؟ أليسَ الجوادَ؟ أليسَ الشُّجاعَ أليسَ الأسَدْ؟

أما هُوَ مِنِّى ومِن إخوَتِى نَمَانا أبٌ فى الأوائِلِ ويَمْدْ؟

وَفى البِيـدِ رُدَّ لِآبائِهِ وليسَ إلى الأمَّهاتِ الوَلَدْ

أبِى عنـترَةُ ليسَ بِزِنجِىٍّ ولا عبْـدِ

ولم يُجلَبْ مِنَ النُّوبِ ولم يحضَرْ مِنَ السِّنْدِ

ولكنْ مِيسَمُ اللَّوْنِ كَمِثلِ الأسَدِ الوَرْدِ

فَتًى كالأسمَرِ اللَّدْنِ جَمِيلِ الشَّعَرِ الجَعْدِ

شُجاعٌ ذائِعُ الصِّيتِ جَوادٌ واسِعُ الرِّفْدِ

عمـــرو :

أبى سُـدًى تُرَاجِعُ المفتُونا وعَبَثاً تُخـاطِبُ المجنُـونا

زهـــير : فَمُرْ يكن ما شِئْتَ أن يَكُونا

مالك :

الأمرُ يا عبلَ ما تأمرينـا فالشأنُ يَعنِيكِ لَيْس يَعنِينا

عبـــلة :

ذاكَ أمرٌ الرأْىُ فيه لِعمْرٍو وزُهيرٍ وليْسَ لِى الرأى فيه

ياأبِى اعقِدْ علَى زُهيرٍ لصخرٍ أو فزوِّجه يا أبى من أخيه

مالك [فى دهش] :

أُزوِّجُ الـرِّجالَ بالرِّجالِ؟ ذاكَ لَعَمْرِى مُنتَهى الخبَالِ

زهـــير : استَهْتَرَتْ أُخْتِى فَمَا تُبَالِى

مالك : إذنْ يا عبلَ أصررت؟

عبـــلة : أجَلْ ولَيْكُ ما كَانَا

فلنْ أرضى سِوى عَنْتَرَةَ ابنِ العَمِّ إنسَانا

[ثم تخرج غاضبة]

المشهد الثامن

مالك : إذن فانتَظِرى ياعبـــلَ لِلْعبْدِ ولى شَـانا

[يخرج فى أثر ابنته ويقبل صخر من ناحية الطريق من جهة اليسار ومعه الصرة التى كان يحملها فى المنظر الأول]

المشهد التاسع

صخـــر : عَمْرٌو زُهيرٌ؟ عَجَبُ الحظِّ صَديقاىَ هُنا!
يا طِيبَهَا لِقَاءَةً

عمـــرو : للّــه ما أَسْــعَدَنا
أهْلًا بِصخرٍ مَرْحبًا بالقَمرِ العَالِي السَّنا
ما هَــذِه الحُــلَّةُ مَا أظْــرَفَهَا مَا أحْسَنا

زهـــير : أصَــنْعَةُ الشَّـامِ؟

صخـــر : ولِمْ لا تَذْكُرانِ اليَمَنَا؟
صَنعاءُ أَعْلى من دِمَشْــقَ سِــلْعَةً وثَمَنا

عمـــرو : تِلكَ أمــورٌ يا أَخِى يَعرِفُها أهْــلُ الغِــنَى

زهـــير : وما ذلك مَا المنديــل ياصخـرُ وما فيــه؟

صخـــر : ثِيـابٌ مِثلُ أثوابى مِنَ الوَشْيِ وغَاليه
لِــكُلٍّ مِنكُمَا ثَوْبٌ إليْــهِ جِئتُ أُهْديه

[يفرد الصرة فيتناول كل منهما حلة]

زهـــير : عَمْرُو تأمَّلْ يا لَهَا حُلَّةً لِلّهِ ما أبْهَى وما أبْهجا

الحقُّ ماقالَ فتى عامرٍ صَنْعاء أعلى بلد مَنْسجا

[يرى فى الصرة طرحة من حرير فيتناولها]

وتِلْك عَمْرُو ؟

عمــــرو : طرحةٌ مِثْلُ ذُنَابى الطاوُسِ

كمِثْلِها ما لَمَسَتْ فى الوَشْيِ كفُّ لامِسِ

عمرومبتسما : هــدِيَّةٌ لِعَبْــلَةٍ؟

صخـــر : مَجْلوبةٌ من فارِسِ

زهـــير : خلّنا صخرُ من هداياك . قلْ لى كيف أزمعتَ أن تُلاقِيَ عنترْ؟

صخـــر : غدًا على العبْدِ أصُبُّ النَّحْسا عبْدينِ من شرِّ العبيد نَفْسا

ومن أشدِّهم قُوًى و بأسا

إن صارَعا جُلْمودَ صخرٍ صُرِعا أو قارَعا ضَيْغمَ غابٍ قُرِعا

أو رَمَيا الشمْسَ أصابا المطْلعا

غَضْبانُ وهو المنيّــهْ ومارِدٌ وهــوَ حيّــهْ

كِلاهُما جِنّيّهْ

ها هُمَا أقبلا تأمّلْهما يا عمرُو

[ينظرون الى شبحين قادمين من ناحية اليمين]

عمــرو : ماذا أقــول جِنّيان

ولِمَنْ يا تُرى هُمَا ؟

صخر : السابِقِ الأوّلُ عبْدِى وقد شَريْتُ الثّانى

[يدخل العبدان غضبان ومارد]

المشهد العاشر

تَعَالَ غَضْبانُ قل لِصَخْرٍ كم أسَدٍ صِدْتَ؟

غضبان : نحْوَ ألْفِ

عمرو : ألْفٌ؟ أفى البيدِ ألْفُ لَيْثٍ لَوْ قُلْتَ لَيْثَيْنِ كانَ يكفى!

زهير : وكمْ ذِئْباً قتلْتَ ؟

غضبان : اثنين !

عمرو : ماذَا ؟

غضبان : قتلْتُ عِدادَ ناصِيَتِى ذِئَابا!

زهير : وكنتَ إذا بَعثْتَ لها سِهامًا وجِئْتَ تَجُسُّهاوجِدْتَ كِلَابا!

وأنتَ يا مارِدُ قُلْ لى كيفَ صيْدُكَ الأسَد؟

مارد : أَصِيدُه إذا أتى لِبَطْنِ وادٍ فرَقَدْ
وكُنْتُ فوقَ نخْلَةٍ يَزِلُّ عنْها مَنْ صَعِدْ

والقَوْسُ فى حُضْنِى كما تَحْتَضِنُ الأمُّ الوَلَدْ
وكانَتِ السِّهامُ فى كنانَتِى بِلا عَدَدْ
هُناكَ أَرْمِى فأَسُلُّ الرُّوحَ من أصْلِ الجَسَدْ
فى حائِطِ التَّامُورِ إن شِئْتُ وفى رُكْنِ الكَبِدْ

عمـرو : غَضْبانُ

غضبان : لبيْكَ

عمـرو : أجِبْنى

غضبان : سَلْ مُرِ

عمـرو : كيْفَ لِقَا عنترَةَ الغَضَنفَرِ؟

غضبان : وجْهًا لوَجْهِ ؟

زهـير : لِمَ لَا ؟

غضبان : لا أجْتَرِى

زهـير : كيْفَ تَبيعُهُ إذَنْ وتَشْتَرِى؟

غضبان : أقْذِفُهُ مِن فَرْسَخٍ بخِنْجَرِ أتْرُكُه كالتِّبْتِلِ المُعَفَّرِ

صعتر : وأنْتَ يا مارِدُ لَسْتَ تَجْهلُهْ

مارد : مَنْ يجهلُ اللَّيْثَ ؟

صعتر : فكيْفَ تَقْتُلُهْ؟

مارد : آتى لرأسِ جَبَـلٍ فأنزلُهُ وثَمّ

عنتـر : مَا ذَا ؟

مارد : لى سَهمٌ أرسِلُه

يُودِعُ الحيـاةَ من يَسْتَقبِلُهْ

[يتهامس الثلاثة لحظة ثم يتجه عمرو وعنتـر ناحيـة اليمين لينصرفا]

عمـرو : الخـيرُ فى العَبدَيْنِ سِيرا امضِيا راشِدَيْنِ

[يخرج عمرو وعنتر و ينصرف العبدان من ناحية اليسار وتسمع ضجة تتعالى شـيئا فشيئا ، وصياح وعويل ، فتظهر عبلة من الباب الذى فى الصدر، فزعة مضطربة]

المشهد الحادى عشر

أصوات من الخارج : وَا وَلدَا ! وَا كَبِدَا ! وَا أَسَدَا !

عبـلة : زُهيرُ ما الضَّجَّه؟ ما هـذه الرَّجَّـه؟

زهـير : أحسبُها قافِـلةٌ مُدبِرَةٌ مُنهَـزِمَه

تَعَرَّضتْ لِقَاتِلِك فَـرَدَّها مُحَطَّمَـه

[يسمع صوت مناد ينادى]

الصـوت : يا مَعْشَرَ البِيـدِ اسْمَعُوا بُشْرى لكُمْ أهلَ الحِيَمْ

بِظَهْرِ عبْسٍ وَوَرَاءَ الـحَىّ إبـلٌ وغَـنَمْ

ألفانِ أو ما نحـــو ذا ـــكَ مِن كَرائِمِ النّعمْ
كانتْ إلى كِسرى تُساقُ وإلى أرْضِ العَجـــمْ

[يسمع صوت مناد آخر من ناحية أخرى]

الصـــوت : وراَءَ الحىِّ يا عبْس مِن الأنعامِ ألْفانِ
جَنَى عنــتَرَةَ الفلْحا ءِ من أسْلابِ سرْحانِ
وكانتْ فى الفَلَا تُزْجَى الى كِسْرى بْنِ ساسَانِ
ألا فَلْيَعْـلَمِ القــاصِى مِنَ الحيِاتِ والدّانِى
بأنَّ الليْثَ قد جادَ عــلَى الحىِّ بقُطْعانِ

زهـــير : مَنِ الليْثُ ؟

عبــلة : لحاكَ اللهُ هلْ فى البِيدِ لَيْثانِ ؟

[يمرّ على الطريق رجال ونساء هم فلول القافلة المسلوبة
فى هيئة ذعر واضطراب داخلين من اليمين]

المشهد الثانى عشر

احـــدهم : وذِراعِى وأينَ منّى ذِراعى؟

آخـــر : أيْنَ ساقِى قد طَيّرَ السيفُ ساقِى؟

امـــرأة : نَعْلي، تركْتُ في القِتال نَعْلي

أخـــرى : أمّا أنا خلّفتُ فيـــه بَغْـلي

آخـــر : وَافَـرَسي ما حالَ بيْنَـهُ وبيْن صاحِبِهْ!

أيُّ جبانٍ حطّني عَنْ سرْجِه وطـارَ بِهْ!

عجوز [باكية] :

لَهفي على فَوارِس من قَوْمي ناموا على العَـراءِ شرَّ نوْمِ

يا ليْتني لم يتأخّرْ يوْمي

عبـلة : تِلْك العَجـوزُ ثاكِلَه تَبْكي ابنَهـا في القافِلَهْ

يا أُمُّ ماذا دهَـاكِ أوْجَـعَ قلبي بُكاكِ؟

العجـوز : عِشرونَ من بَواسِلِ الفُرْسانِ تحتَ لِواءِ ولَدي سرحانِ

عبـلة :

سرحانُ ليثُ الضَّرْبِ والطِّعانِ؟

العجـوز : أجلْ تركْتُهـمْ علَى المكانِ

وليمةَ الحِدَاءِ والغِرْبانِ

عبـلة : إذنْ سرحانُ في القَتْلَى لَكِ الرحمنُ من ثُكْلِ

من المغِـيرُ؟

العجـوز : عُصْبَةٌ

عبـلة : مَن الزَّعيمُ؟

العجـوز : عنـــتَرهْ

عبلة : عَنترَةٌ يفعَلُ أفعَالَ اللُّصوصِ الفَجَرَهْ ؟

العجوز : لا يا ابنتى ظلَمتِه عنترَةٌ لَمْ يَبْتَدِى
عنترَةٌ كالليْثِ عنْد شَبْعِهِ لا يعْتَدِى

عبلة : من بعَثَ الحرْبَ إذنْ ومنْ جَناهَا؟

العجوز : وَلَدِى
ثكِلْتُ على الدرْبِ خيْرَ البَنينَ وفَاجَأنا فى الطَّرِيق الهَبَلْ
وكُنّا ثلاثِينَ غيْرَ الرُّعاةِ
مِنَ امرأةٍ معَنا أوْ رَجُلْ
وكان السَّوامُ كثيرًا يَضيقُ
بِهِ السَّهْلُ أو يتَغَطّى الجَبَلْ
وكُنّا نُيَمِّمُ أرضَ العِراقِ لِنَجْتازَها

عبلة : نَحْوَ كِسْرى؟

العجوز : أجَلْ

عبلة [غاضبة] : لتُعطُوا الرِّشَا وتَنالوا المنى ويُمنَحَ سرحَانُ بعضَ العمَلْ
ويحكُمَ فِى البِيدِ باسْمِ الهُمَامِ وتَحتَ ظُبَى فارِسٍ والأسَلْ
ذَليلٌ ببَاب أنو شِروَانَ وعِنْدَ الخِيامِ العَزِيزُ البطَلْ
إلى كمْ تَهيمونَ تحتَ النجوم وتفترِقُونَ افتراقَ السُّبُلْ؟
فنصْفٌ قِطاعٌ رعتْها الذِّئاب ونِصفٌ على البِيدِ فَوضَى هَمَلْ؟

وليس لكم دولةٌ فى الوجودِ وتَسحبُكمْ كالذُّيولِ الدُّولْ
ألمَّ على حوضِكم قيصرٌ وكِسرى على جانبَيْهِ نزَلْ
ويحكُمُكم تحتَ نيرِ الغريبِ ومِهمازِهِ الأدعياءُ الدَّخَلْ
هُمُ الأمراءُ وقد يرتَدونَ ببابِ الأعاجِمِ ذُلَّ النَّدُلْ

أحدهم : سَمِعتَ !

آخـــر : ما ذاك ؟

الأوّل : سَمِعتَ النَّاعِيَـــهْ ؟
فَهِمتَ !

الثانى : فارقَنى تَزَحْزُحُ ناحِيَــهْ

الأوّل [لعبلة] : يا لكِ مِنْ مُكابِرهْ تَطعَنُ فى الأكاسِرَهْ
وتلعنُ المناذِرَهْ !

الآخــر : عَبلَةُ تنطِقُ الذهبْ لو كُنتَ تعقِلُ الخُطَبْ

الأوّل : وما الذى تَرْمى لهُ ؟

عبـلة : أرمى لِتَحريرِ العَرَبْ

الأوّل : تَحريرُهم ؟ مِمّ ؟

عبـلة : من القيدِ

الأوّل : وكيفَ قُيِّدوا ؟

عبـلة : الفُرْسُ والرُّومُ استَرَقُّوا قومَنا واستَعْبَدوا

الثانى [لأخيه] : مَالى إذنْ ؟

الأول : ما ذَا ؟

الثانى : لا قيـــدَ فى رِجْـــلِى

وأنتَ والنـــاسُ جَميعُكم مِثْـــلِى !

عبـــلة : ألا بَطَلٌ نلتقِى حـوْلَه كإسْرَائِلَ(١) حوْلَ لِواءِ الرُّسُلْ ؟

يَفُكُّ مِنَ الرِّقِ أعْناقَنا كَمَافَكَّ مُوسى رقابَ الأُوَلْ

الأول : وَجدْناهُ ؟

صــوت : مَنْ ذاكَ مَنْ يا تُرى يَكونُ ؟ تكلَّمْ لكَ الوَيْلُ قُلْ

عبــلة : أتنسونَ عنترَةَ العبقرِىَّ ؟

صــوت : أيحكُمُنا العبْد هـذا خَبَلْ !

لَبِئْسَ أميرُ الرِّجالِ الغُرابُ وبِئْسَ الذَّليلُ إذا ما حَجَلْ

الأول : أَتجحَدُ عنترَةَ ؟

آخــر : خَــلِّه فما جدَّ فى قوْلِهِ بَلْ هَزَلْ

عبــلة : ما بالُكُمْ جَبُلْتمو يا عبْسُ قَــوْما ونِسَـا ؟

حـتى رَمى هـذا الفَتَى عنــترةٌ بما رَمَى

---

(١) بنو إسرائيل .

أليسَ في أرجُلِكُمْ نعلٌ وفى الأيْدى عصًا؟

[يهجمون على من سب عنترة ويضربونه]

الأوّل : ما لك يا فتى بلغتَ في الوقاحةِ المدَى

آخر : ما ذا الذى غرَّكَ يا كلبُ بضرغامِ الشَّرى؟

المضروب : وأنتَ مايعْنيكَ من عنترةٍ؟ وماالذى يَعنيكَ منْ شأْنِي أنا؟

عبلة :

صَدقْتَ ما كُنْتَ لِتَعنِيَ أحدًا لولمْ تخضْ فى الفَرْقدِ العالى السَّنا
أما ابنُ شدّادٍ فـذُخْرُ قومِه يهمُّ من راحَ ويَعنِي منْ غدَا

[يسمع صوت عنترة من وراء
الستار قادما من ناحية اليسار]

عنترة : يا بيدُ ها أنا ذا أنا حامى حِماكِ ورَبُّ غابِكْ
إن كُنتِ جاهِلَتِي آخرُجى بجميعِ ظُفرِكِ لى ونابِكْ
هاتِى أسودَكِ كلَّها هاتِى الكواسِرَ من ذِئابِكْ

أحدهم : يا رِجالَ الفِرارَ قد طلعَ الليثُ علينا هيوا الفِرارَ الفِرارَا

[يفرّون جميعا من ناحية اليمين وتبقى عبلة وحدها]

المشهد الثالث عشر

عنترة [من وراء الستار] :

أيا عبل

عبـــلة : مَن الطارقُ مَن بالخيْمةِ آستذْرَى؟

مَن الهاتِفُ مَنْ ؟

[يدخل عنترة]

المشهد الرابع عشر

عنـــترة : عنـــترة العبسىّ

عبـــلة : يا بشرى !

عنـــترة : تعَـالَى ظبيـةَ القـاعِ أَجيرى أسـدَ الصحْرا

ســـتـــار

الفصل الثالث

المنظر الأول

« المنظر فى وادى الصفا على مقربة من حى بنى عامر على سبيل »
« مطروق . عيون ونخيل وأشجار ، عقلت عبلة بعيرها تحت شجرة »
« منها ، على بعد قليل . أناس يغدون ويروحون على الطريق »

المشهد الأوّل

عبلة : قُلْ لى بِربكَ مَن تُحبُّ ... ومَن تُحبكَ يا بَعيرْ
أىُّ النيَاقِ فإنهن ... عَلَى مرَاعينا كثيرْ
وهلِ اكتَفيْتَ بنَاقَةٍ ... أم أنتَ كالعبْسىّ زِيرْ؟
تَلْهو بما دفَعَ الرَّواحُ ... إليكَ أو ساقَ البُكورْ
مُتَنقِّلا بينَ البيُوتِ ... عَلَى عقَائِلِها يدُورْ

ما حقُّ عنترَ عندَنا إلا التجنُّبُ والنُّفُورْ
مالى تَمَلَّك مُهْجَتِي عبدٌ على عبْسٍ أميرْ!
لوْ يجمع العرَبَ السَّريرُ لجاءهُ يَسعَى السريرْ
كالليـلِ إلا أنّهُ فى عينِيَ القمرُ المُنيرْ
حَسَدَتْنِيَ الدنيا عَلَيْهِ وكلُّ محسودٍ خَطيرْ

[تتسلى عبلة باطعام بعيرها بينما يمر
فى الطريق ثلاثة فتيان، فيلمحون عبلة]

المشهد الثانى

قراد : بُجَيْرُ ماذا ضرَّ لوْ أنَّا أَتَيْنا الشَّجَرهْ
هلُمَّ نلْهُو ساعَةً بالغادَةِ المُنتظِرهْ
بجير : أأنا مجنونٌ أنا ألهُو بِرِيمِ القَسْوَرَهْ؟
لا يا أُخَى لا أجْتَرِى على لَباةٍ مُستَتِرهْ
الثالث : صَهٍ صَهٍ بُجَيْرُ حسبُ يا قُرادُ ثَورَهْ
دعا الفُضولَ وابْعِثا تحيَّةً مُعطَّرهْ
ما تلك إلا عبلةٌ ما عبلةٌ بنكِرهْ

[ينصرفون من الجانب الآخر ويسمع
صوت عنترة من وراء الستار]

المشهد الثالث

عنـــترة : يا عبـــلَ ...

عبلة [لنفسها] : مَنْذاينُادِى عبلَ ؟ عنترةٌ ؟

عنـــترة : يا عبـــلَ ...

عبلة [لنفسها] : تِلْك لعمْرِى نَبْرَةُ الأَسدِ

هذا هو الحبُّ هذا اسْمِى على فَمِهِ يأتى من القلْبِ أو يأتى من الكَبِدِ

يُرَدِّدُ اسمىَ فى البَيْـداءِ منفرِدًا وربمـا نَبَّى اسْمِى غيرَ مُنفَـرِدِ

عنـــترة :

يا عبلَ أين جَبينٌ لستُ ساليَـهُ طلق البشاشَةِ حلوٌ كالصباحِ ندى

وأينَ يا عبـلَ فرْعٌ كان فأغيَتِى وكان لهَـوِى اذا ضفَّرتُهُ وددِى

ولى يدٌ خَشْنَةُ الأظفارِ أنقلُهَـا مِنَ الغَـدائِرِ أحيانًا الى اللِّبَـدِ

تَعيثُ من شَعَرِ الغادَاتِ فى نَحَلٍ حِينًا ومن شَعَرِ اللبوَاتِ فى زَرَدِ

[يقبـل عنترة وفى أثره داحس فيختفى
داحس وراء الشجر بعيدا عن المسرح]

المشهد الرابع

عنـــترة : مَنْ أرَى ؟ عبلةُ ؟

عبـــلة : مَنْ ؟ عنترةٌ ؟

عنـــترة : مُهْجَتِي عبلَةُ ماذا تصْنعين؟

عبـــلة : خرجتُ للتَّنْزهَــهْ عَلَى الصَّـفَا وحْدِى
أقضِى هُنـا بُرْهَــهْ أبُثُّ ما عِنْــدِى
خَمِيــلةَ البانِ وروْضَــةَ الرَّنْــدِ

عنترة [مشيرا الى البعير] :
وذاكَ يا نُــورَ عبْس؟

عبـــلة : هــذا بَعِيرى صباحُ
رَبِّى مَعِي وبَعِيرِى تَحْتِي وَهَــذَا السِّلَاحُ

[وترميه سلاحها على هودج البعير]

عنـــترة :
أمثلُكِ عبلَ تخشَى بأسَ شيءٍ وتتخذُ الكنائنَ والرِّماحا
لقدقُرِنَ اسمُكِ المحبوبُ باسمِي أما يَكْفِى اسمُ عنترةٍ سِلاحا

عبـــلة : من أينَ يا ابنَ العمِّ؟

عنـــترة : مِن عَالَمِ البِيــدِ

عبـــلة : كم من فتاةٍ كَمْ ما ذا مِنَ الغِيــدِ؟
يقولون عنــترةٌ لم يقِفْ بحيٍّ من البِيــدِ إلا خَطَبْ

فقالَ لِهــاتيكَ ماتشتهى وغازَلَ تِلك وأُخرى أحبْ
خَلائِلُه صِرْنَ مِثلَ الحَصَى

عنـــترة : وأنتِ أصدَّقتِ هذا الكَذِبْ

أحاديثُ لفَّقها حُسَّدِى وقد يَخلُقُ الحَاسِدونَ الرِّيَبْ

عبـــلة : وأُختُ سَعْدٍ ؟

عنـــترة : مَالَهــا؟

عبـــلة : ألم تَقُـــدْ بَعِـــيرَها؟

وما نَسِـــيتَ فى ظلامِ الليلِ أنْ تَزُورَها

[يسمع حفيف فى أوراق الشجر وو طء أقدام فيقبل داحس مذعورا]

المشهد الخامس

داحس : سيِّدى سيِّدى خُذِ الحِذْرَ

عنـــترة : ماذَا داحِ؟

داحس : أحسَسْتُ أرْجلًا ودَبِيبا

عنـــترة : لا تخَفْ داحِ

داحس : بَلْ أخافُ وأخْشى خطَرًا ماثِلًا وشرًّا قَرِيبا

[يعود داحس من حيث أتى]

المشهد السادس

عبـلة : وما تلكَ ؟

عنـترة : كيف صُنعى بها ؟

عبـلة : بعثتَ إليها بجِـلدِ النّمِرْ

عنـترة : وكيفَ وأينَ ؟

عبـلة : لقد كانَ ذاكَ فلا تتنصَّلْ ولا تعتذرْ

وهنـدُ بنتُ عامرٍ ألم تجِئها فى الخِبا؟

وابنـةُ بِسطامِ ألمْ تنثُرْ عليها الذَّهبا؟

وابنـةُ شيبانَ ألمْ تطِـرْ بهـا مُشبَّبا؟

عنـترة : قـد زوَّروا واختلقوا وحدَّثـوكِ الكَذِبا

رُحماكِ ياعبلَ

عبـلة : دعْنى وامضِ اشتغلْ بالحلائلْ

عنـترة : من قالَ ذاكَ ؟

عبـلة : كثيرٌ هـذا حديثُ القبائلْ

عنـترة :

لا وعينَيكِ وأعظِم بالقَسَمْ وفمٍ عن غُرَّةِ الصبحِ ابتسَمْ

لم أنَمْ ياعبلَ عن عهدِ الهوَى من رعَى أمرًا عظيمًا لم ينَمْ

اذكُرِى ياعبلَ أيامَ الصِّبا حينَ أسقى بينَ عينَيكِ الغَنَمْ

وشُوَيهاتُكِ حولى أنّسٌ يغترفْنَ الماءَ من راحِى الشُّحُمْ

إن حضرتُ الماءَ حامت وارتوت أو تولّى الماءَ غيري لم تحُمْ
اذكرى إذ أنت طفلٌ حلوةٌ قد كساكِ الحسنُ فرعًا لقدمْ
إذ تجيئين بصبيانِ الحِمَى وصبايا الحيِّ في ظلِّ الخِيَمْ
فتقصّين عليهم خبري مع ذئبِ القفرِ أو ليثِ الأجَمْ
أنا يا عبلةُ عبدٌ في الهوى وأنا يا عبلَ في القُربى ابنُ عمّ
اطلُبي الإيوانَ أحمِلْهُ على راحتَيْ كسرى وهاماتِ العجمْ
أو سليني الهرمَ المشهورَ يا عبلَ أجلبْ لكِ من مصرَ الهرمْ
أوسليني البيدَ مهرًا أو سلي ما وراءَ البيدِ من حُمْرِ النَّعَمْ
أو تعالَىْ نحتذى أشرفَ ما قلّدَ الانسانُ سيفي والقلمْ
رُبّ خيلٍ قُدتُ حتى قادني وحوَى رِقّي بنانٌ كالعَنَمْ
وليوثٍ صِدتُ حتّى صادَني رشأ القاعِ ورُعبوبُ الأكَمْ
قد رعيتُ النجمَ حتى ملّني وتعهدتُ الدُّجى حتّى سئِمْ
أشتهِي طيفَكِ في حُلمِ الكَرى فيقولُ الليلُ لي أينَ الحُلُمْ؟

[في هذه الأثناء يظهر مارد وغضبان من وراء الشجر وفي غير الناحية التي اختفى فيها داحس، فيسدّد أحدهما سهمه الى ظهر عنترة، لتراه عبلة وتضطرب فيصيح عنترة بالرجل دون أن يلتفت اليه]

المشهد السابع

عنترة [ضاحكا] :

حذارِ ياوغدُ حذارِ يا لُكَعْ اللَيْثُ لا يقتلُهُ الكلْبُ فدَعْ

[يقع القوس من الرعب من يد مارد ثم يخرّ
هو نفسه الى الأرض ميتا و يفرّ غضبان]

قد وقَعَتْ من يَدِهِ وقد وَقَعْ

المشهد الثامن

قد كانَ لا بدَّ أن أراهُ للّيثِ عَينانِ فى قفَاهُ
سيرى انظرى ماتَ وربِّ الكعبَةْ زمجرةُ الليثِ المصُورِ صعْبَهْ
بل اسمعِى عبلَ اسمعِى كلامِى لولاكِ لم أنجُ من الحِمامِ
قد كنتِ أنتِ صنمِى قُدَّامِى لكِ اتّجاهِى وبكِ اهتمامِى
رأيتُ فى عَينيكِ قوسَ الرّامِى ويدُهُ فى جعبَـةِ السِّهامِ

عبـلة : وما رأيْتَ ؟

عنـترة : رأيتُ العينَ حائِـرة والوجْهَ لونَهُ الإشفاقُ ألوانا
وقفَ شعرُكِ وانسابتْ غدائرُهُ كما أثرْتِ وراءَ الليـلِ ثُعبانا
وقام صدرُكِ كالمنفاخِ مُجتهِدًا لا يُفرِغُ الريحَ إلا ارتدَّ ملآنا

فقلتُ شرٌّ ورائى لستُ أبصرهُ في عِطْفِ عبلةَ لما رُوِّعتْ بانا
ولاحَ لى الحبُّ فى عينيكِ مُرتسِماً لم تستطيعى لهُ يا عبلَ كِتمانا

عبلة : الحبُّ ! كيف عرفتَ الحبّ ؟

عنترة : منكِ ومنْ عينيكِ

عبلة : قد تكذِبُ العينانِ أحيانا

عنترة :

لا عبلَ لا إنَّ عينَ الحبِّ صادقةٌ وما تعوّدتُ من عينيكِ بهتانا

عبلة :

أجلْ ولكنْ قديماً كانَ ذاكَ أجلْ هذا السوادُ لعينى كانَ إنسانا

عنترة : واليوم ؟

عبلة :

مالَكَ فى قلبى الجريحِ هوًى اليومَ عنترُ من أحببتُ قد خانا

عنترة :

دَعِى الوساوسَ والأوهامَ عنكِ دَعِى ياعبلَ بُرِّى على ما قيلَ نِسيانا

[يسمع وطء أقدام]

عبلة : عنترَ تلكَ ضجةٌ فلنتوارَ ناحيةْ
لا يجد الواشى إلينا سُبلاً والواشيةْ

[يختفيان وراء الشجر و يقبل من ناحية أخرى مالك وضرغام وزهير كأنهم ماررن بالطريق ، و يتشاغل زهير بالشرب من ماء معين أو بشىء من مثل هذا]

المشهد التاسع

ضرغام : سيدَ الحيِّ

مالك : ألف لبيْكَ ضِرغامُ تكلّمْ أثَمَّ شيءٌ تقولُ ؟

ضرغام : سيدَ الحيِّ عبلةُ اختارَها القلبُ فهلْ لى إلى الزَّواجِ سَبِيلُ ؟

مالك : والمهرُ يا ضِرغامُ

ضرغام : مهرُ عبلةَ ؟ اقترحْ تَرَهْ

قدِّرْهُ أو خلِّ إلى عبلَةَ أن تُقدِّرَهْ

وغاليا ما شئتُمَا فيه وظُنَّا المقدِرَهْ

مالك : المهرُ يا ضِرغامُ غالٍ فاجتهِدْ أن تُحرِزَهْ

ضرغام : سلْ تاجَ كسرَى واقترحْ عِمامةَ المناذِرَهْ

سلْ سُبْحةَ القيصرِ أوْ فاطلُبْ صَليبَ القيصرَهْ

مالك : المهرُ فوقَ ذاكَ

ضرغام : قُلْهُ لا تخَفْ أن تذكُرَهْ

مالك : إسمعْ إذنْ أصغِ لهُ المهرُ رأسُ عنتره

ضرغام [لنفسه] :

له الويلُ ماذا قالَ ؟

مالك : قد وجمَ الفتَى

ضرغام : أبا عبلَةَ اذكُرْ هوْلَ ما أنتَ سائلُ

مالك : جبُنْتَ !

ضرغام : معاذَ الله ما الجبنُ فى دمى

مالك : فَلِمْ ضِقْتَ ذرْعا؟

ضرغام : مهرُ عبلةَ هائلُ

أأمْشى الى الفلحاءِ أخطفُ رأسَهُ فِداءُ الذى أمْشى إليه القبائلُ

كريمٌ لعمرى والكِرام قد انقضَوْا شجاعٌ وشجعانُ الرجالِ قلائلُ

إذا قال بزَّ القائلينَ رنينُهُ وما بزَّهُ فى أيكةِ البيدِ قائلُ

هَزارُ البوادِى طارحتْه بشجْوِها رُباها وغنّت فى صداهُ الخمائلُ

وما بيْنَنا ثأرٌ ولا بين أهلِهِ وأهْلِي عداوات خلَت وطوائل

مالك : وعبلةُ يا ضرغامُ؟

ضرغام : مَا شأنُ عبلةٍ؟

مالك : أليس فِداها فى الحجازِ المقاتل؟

ضرغام :

أجلْ وفِداها الشمسُ ما التقتِ الضحَى عليها وما رقّتْ عليها الأصائلُ

مالك :

أأنتَ تخافُ العبْدَ؟

ضرغام : لِمْ لا أخافُهُ تخافُ وتُرجَى فى الرجال الفضائلُ

وإن ابنَ شدادٍ وإن ذاعَ بأسُهُ فتًى ملءُ بُرْدَيهِ عفافٌ ونائلُ

من العُصْبةِ المسطورِ في البيتِ شعرُهم قصائدُهم أستارُهُ والوَصائلُ

ما لك :

فما لكَ مُصفرًّا كأنَّك هالكٌ من الخوفِ قبلَ الطعنِ والضربِ زائلُ؟

تعالَ زهيرُ اسمعْ حسِبْناهُ حائطًا [يقبل زهير]

زهير : فما هُوَ؟

ما لك : ركنٌ في العواصفِ مائلُ

وأمَّلتُه سيفًا فلما لبستُه إذا هو عُودٌ أنكرتْهُ الحمائلُ

وقلتُ غَمامٌ يُمطِرُ الحيَّ في غدٍ فكانَ جَهامًا ما لنا فيه طائلُ

وقلتُ كليبٌ نستطيلُ بصهرِهِ إذا هُوَ كلبٌ

ضرغام : ضَلَّ ما أنتَ قائلُ

وأقسمُ لولا ظبيةٌ تحتَ خيمةٍ وغصنٌ حوتْه في الحِجالِ الغلائلُ

لما رُحتَ إلا جُثةً في الثَّرى لَقًى وغالتْكَ من قبلِ المَغيبِ الغوائلُ

ما لك : تجرأتَ يا ضِرغامُ

ضرغام : ما تلكَ جُرأةٌ ولكنْ كما قد كِلْتَ لي أنا كائلُ

ما لك :

كفى حسَبٌ يا ضِرغامُ حسْبُ وقاحةٍ فما أنتَ إلا مُكثِرُ الزهوِ خائلُ

لقد قلتَ قولًا شفَّ عمّا وراءَهُ وقامتْ على لؤمِ النِّجارِ الدلائلُ

ولا يرفعُ الأبطالَ أنك منهمو فما هذه للباسلينَ شمائلُ

وما لكَ كالأبطالِ سيفٌ تُجيلُهُ ولكنْ لِسانٌ بالسفاهةِ جائلُ

أيذكُرُ عبدُ السوءِ فى كل قفرةٍ وذكرُكَ يا ضرغام فى البِيدِ خاملُ

أما أنت كالفلحاءِ صِنديدُ قومهِ أما لكَ كالفلحاءِ سيفٌ وعاملُ؟

ألا حسدٌ للعبدِ؟

ضرغام: لا ، لستُ حاسدًا ولا أنا للنارِ الأكولةِ حاملُ

أأحسدُ مَن يحيا العُفاةُ بمالِه ويأوى اليتامى ظلَّهُ والأراملُ؟

أأحسدُ من لا يَعصِمُ البيدَ غيرُه إذا زحفتْ من أرض كسرى الجحافلُ؟

أأحسدُ من يُرجى لتأليف قومِه اذا افترقتْ تحتَ الملوكِ القبائلُ؟

مالك :

يؤلِّفنا عبدٌ أما ثَمَّ سيِّدٌ عن العبد يغنينا أما ثَمَّ عاهلُ؟

إذن فليسُمْنا الخسفَ كِسرى وقومُه وقيصرُ والرومُ الجفاةُ الأراذلُ

أيمنعُنا عبدٌ؟ إذنْ نحنُ عُزَّلٌ فأينَ عوالينا وأينَ المناصلُ؟

ضرغام:

لقد عِيل صبرى للّذى أنا سامعٌ

مالك : إذا الصبرُ لم ينفدْ فما أنتَ فاعلُ؟

ضرغام:

عِقابٌ يُنسِّيكَ الوقاحةَ عاجلٌ وآخرُ متروكٌ الى الغدِ آجلُ

مالك :

رُوَيدكَ يا ضِرغامُ مالكَ هاذِياً ومالَكَ قد ضاعتْ لديكَ المنازِلُ؟
فما العبْدُ إلا كالدُّخانِ وإن عَلا الى النّجمِ مُنحطٌّ الى الأرضِ سافِلُ

ضرغام :

تعالَ تأهّبْ

[يمسك بكتفيه فيهزه هزا]

مالك : كاهِلي خلِّ كاهِلي

ضرغام : أقالَبُ زُبْدٍ ذاكَ أمْ ذاكَ كاهِلُ

زهير [صائحا] :

هلُمُّوا سَراةَ الحىِّ هاتُوا رِجالَكُم

مالك : الىَّ فعبْسٌ فاجأتْها النـوازِلُ!

يا عبسُ

[ويرى عنترة قادما فيجرى
نحو الحى هو وابنـه زهير]

عنـترةٌ ؟

المشهد العاشر

عنترة [من وراء الستار] : لبيك مَابِكُمُ؟ خَوْفٌ من السيْلِ أم خوْفٌ مِن النارِ؟
أللهُ أمّـن بالفلْحاء سِرْبَكُـو أفعَى الصّريمِ وليث القفْرةِ الضّارِى

[يظهر عنترة]

المشهد الحادى عشر

مَن الفتى من أرى؟ ضِرغامُ أنتَ هُنا أغارةٌ ؟ أين عهــدُ الجار للجارِ؟
أجئتَ تسبي مَهاتى ؟

ضــرغام: جئت أخطُبها

عنــترة : ما أجملَ الصِّدْق لم يُلْبَس بإنكارِ
فمـا جَرى ؟

ضــرغام: نَال منّا مالكٌ وبَغى عليْكَ بالشتم هذا العائبُ الزَّارِى
حتى انصرفْتُ اليــهِ كىْ أؤدِّبَهُ

عنــترة : يا ليتَ أدّبتَــهُ تأديبَ جبَّار
ضِرغَامُ

ضــرغام: عنــترةُ

عنــترة : اسْمَعْ بيلناشَرَكٌ فى حبّ عبـلةَ قد يَدنو من الثارِ
فاجعـلْ لنفسِك أنثى غيرَها أرَبًا فإنَّ عبلةَ آرابى وأوطـارى

ضــرغام:
وأنت فاعبُـدْ سِواها إننى رَجلٌ جعلتُ عبـلةَ أوْثانِى وأحجـارى

تعالَ نذهبْ الى شمسِ النهارِ معًا   نقول عبلةُ قد خُيِّرتِ فاختارى
فما ترى أنتَ ؟

عنترة : رَأْيِى أن نَصيرَ إلى   جمالِ تضْحيةٍ أو فضلِ إيثارِ
رأْسى ورأسُك فى الميزانِ قد وُضعا   وحُكم سيفِك أو سيفى هوَ الجارى
من ماتَ منا قضى حقَّ الهوى كرمًا   وليس بالموتِ دُونَ الحبِّ من عارِ

ضرغام :
رأيتَ عنترَ رأيا لستُ أتْبعُهُ   يأباهُ حبّى وإعجابى وإكبارى
واللهِ لا جمعتْنا ساحةٌ

عنترة : لِمَ لا ؟   الحربُ تجمعُ مِغواراً بمغوارِ

ضرغام :
هبْنِى قتلتُك

عنترة : ماذا ضرّ ؟

ضرغام : كيف إذن   تكونُ فى البيد أنبائى وأخبارى؟
ألستُ شِبْلا فتِيًّا من شبُولتها   فهل أجرّبُ فى الرئبالِ أظفارى؟
وكيف أفلقُ رأسًا ملؤهُ شرفٌ   أحقُّ من جبهاتِ الرومِ بالغارِ؟
وكيف أضربُ عُنْقا فى أمانتِها   كرامةُ القومِ من بَدْوٍ وحضّارِ؟
وكيفَ أرمى لِسانا طالَما سُقيتْ   بشهدِه البيدُ من شَربٍ وسُمّارِ؟

عنترة ينادى : ياعبلَ
عبلة [من وراء الستار] : لبيكَ يا ابنَ العمّ

[تقبل عبلة]

المشهد الثانى عشر

ضرغام : أنتِ هُنا؟

عبلة : أجلْ

ضرغام : إذن سمِعتْ ما قيلَ أُذناكِ؟

عبلة :

أجلْ علمتُ بما قد دارَ بينكما

عنترة : فما ترينْ؟ لعلَّ القولَ أرضاكِ

ياعبلَ حبُّك فى لحمى جرى ودَمِى وقد يحبُّك ضرغامٌ ويهواكِ

ضرغام : أحبُّها حبِّى العزّى وأعبدُها عبادةَ اللاتِ

عنترة : بِنْتَ العمِّ بُشراكِ

ضرغام :

ولو يُطافُ بغيرِ البيْتِ فى زمَنِى ما طُفتُ يا عبلَ إلا حول مَغناكِ

عبلة :

ماذا تقولُ ابنَ عمِّى بِمْ تُبشّرنى بُشرَى بماذا ؟

عنترة : بهذا العاشِقِ الباكى

عبلة [لنفسها] :

يُحبُّنى؟ ربِّ أشقيْتَ الفوارِسَ بِى فلا أُتيمْ إلا المعلَّمَ الشاكى

عنـــترة :

عبلَ اسمعِي عبلَ هذا الحبُّ كيف أتَى هلْ كان فى فترات الدهْرِ يلقاكِ؟

عساهُ جاءكِ يشكو الحبَّ من زمَنٍ لعلَّه بالهوَى مِن قبلُ ناجاكِ

ضِـرغامُ هاتِ تكلَّمْ

ضرغام : أنتَ تظلِمُنِي فما نصبْت لعبْس قطُّ أشْرَاكِى

قولى لعنترةٍ يا عبل ما خُلُقِى كما يقولُ ولا فى شِيَمَتى ذَاكِ

هل التقيْنا على ذاتِ الأصادِ ضُحىً وهـل لقيتُكِ إلا فى عذارَاكِ؟

وهل نظرْتُكِ إلا خاشعا خَفِرا كما نظرْتِ وراءَ السِّتْرِ عُزَّاكِ؟

عنـــترة :

الآنَ يا عبلَ تختارِينَ راضيةً هاكِ الخطيبيْن قد مدّا يداً هاكِ

عبلة :

إنى قد اخترتُ يا ابنَ العمِّ من زمَنٍ

عنـــترة : مَن ؟

عبلة : سيِّدى!

[تندفع اليه]

عنـــترة : عبدُكِ الوافِي ومَوْلاكِ!

[تسمع ضجة وقعقعة سلاح وأصوات]
[استغاثة من الحى كأنها من بعيد]

عبلة :

يا ويحَ أذنى صيحةٌ وفوارِسٌ ما ذاكَ عنتر؟

عنترة : غارةٌ وصياحُ

عبلة : ضِرغامُ عنترَ ما مُقامُكَ هاهُنا؟ والحيُّ ثَمَّ مروَّعٌ يُجتاحُ

[يقبل داحس مضطربا]

المشهد الثالث عشر

عنترة :

ماذا وراءَكَ داحِ ما دهمَ الحِمَى ؟

داحس : فِئةٌ عليهم شِكَّةٌ وسِلاحُ

وطِئتْ تُرابَ المهدِ أرجلُ خيلِهِمْ ولها بأبنيةٍ نشوةٌ ومِراحُ

عنترة :

أمِنَ البوادِي؟

داحس : بل غساسِنةٌ علَى قسَماتِهِمْ أثرُ النعيمِ صِباحُ

فى ظلِّ دجْلةَ والفراتِ ترعرعوا وغدَوْا على وشْيِ الرِّياضِ وراحُوا

أولادُ لخمٍ والذين رمَى بهمْ أرضَ العِراقِ تطلُّعٌ وطِماحُ

جاء الحِجازَ بهمْ ومكّةَ والتقتْ فيهمْ جِبالٌ حولَها وبِطاحُ

نَشئوا هُنالكَ فما تصلَّبَ منْبِتٌ لهُمو ولا بلغَ التمامَ جَناحُ

عنترة : ما يبتغون ؟

داحس : أظنُّ رأسكَ سؤْلَهم عتَفوا به حولَ البُيوتِ وصاحُوا

أنسيتَ سرحانا وكيفَ قتلتَهُـمْ وفوارِسا بُهمًا بسيْفِكَ طاحُوا

ضـرغام :

ما القـوْمُ ؟

عنـترة : عسكرُ رُستُمٍ

ضـرغام : مَن رُستمٌ؟

عنـترة : بطـلٌ له شرفٌ وفيـهِ سَماحُ

وفتًى يُعظِّمهُ العِـراقُ وصاحبُ ـكسرى إليـه بأنسِهِ يرتاحُ

عنترة [لداحس] :

ما شكلُه ؟ ما لوْنُه ما وجْهُـه؟

داحس : ريّانُ أبلجُ ناعمٌ وضّـاحُ

ضـرغام :

هذا الجمالُ فما شجَاعةُ رُستمٍ

داحس : موْتٌ لمن يمشى اليـه مُتـاحُ

عنـترة : وثيـابُه ؟

داحس :

زرَدُ الحديدِ وبُرنُسٌ ضافٍ على أعْطافِه ووشـاحُ

قدحفَّ ساعدَه السّوارُ ورفَّ فى أُذُنَيْـه قُرطُ اللؤلؤِ اللّـاحُ

[تزداد الضجة وتقترب الأصوات]

ضــرغام :

اسمع لواءَ البِيد أصغ لِصوْتِهِمْ   هــذا النّــداءُ يَزيدُ والإلحاحُ

[يسمع صوت رستم]

الصــوت :

العبدُ! رأسُ العبدِ

عنترة [لداحس]: إمضِ فقلْ لهُم   رأسِى لهم فى مَنكِبَىَّ مُبـاحُ

[ثم يواجه الأشباح القادمة من بعيد]

ياقومُ لم أفهــمْ نداءَ كُمُ اعزُبوا   إذ ليس فى لُغةِ الأَسُودِ نبـاحُ

ويحٌ لرأسِى قد غدا كرَةً لهــم   راحٌ تجىء به وتَرجِــعُ راحُ

كثُروا عليه فى الطِّلابِ ودونَهَ   تتقطّعُ الأســيافُ والأرماحُ

[يقبـل جماعة من الحى هاربين
وينصرف عنترة وضرغام للقاء المهاجمين]

المشهد الرابع عشر

عنترة [من وراء الستار] :

لبيْــكَ يا أَسْــوارُ تعـلَمَ أنّنـا   يُبكَى عليــهِ فى غــدٍ ويُنَـاحُ

عبلة [للقادمين] :

حُيِّيتُمو عبْسُ عِمُوا مَساءَ

عبسُ اسْمَعوا الزَّئِيرَ والعُواءَ

قُوموا انْظُرُوا عنترةَ اللِّواء

[يشرف الكل على المعركة الدائرة من وراء الستار]

أحدهم : علَى قَـدَمْ حَيُّوا العـلَمْ لَيْثَ الأجَـمْ

عنترة [من وراء الستار] : عبـلَ عبـلَ

عبـلة : لبيْكَ ألفَ لَبْ

أحـدهم : ذاكَ عبـدُ شـدّادٍ انقـلَبْ

عبـلة : بَـلْ لـواءُ عبْسٍ فتَى العـرَبْ

أنْصِتُوا اسْمَعُوا الرعْدَ فى السُّحُبْ

تلكَ صرْخَـةُ الليْثِ فى القَصَبْ

أحـدهم :

وآخرُ ليس دونَ أخيه بأساً

عبـلة : أجلْ

الأوّل : ضِرغامُ العَضْبُ الحُسَامُ

مُبيدُ الضيغمينِ بشِعبِ خَبْتِ

آخـر : أجلْ ضِرغامُ الموتُ الزُّؤامُ

المنظر الثانى

« نفس المنظر بعد زمن قصير ، لاتزال عبلة ومن معها من »
« بنى عبس يشرفون على المعركة ، وإن كان يبدو أنهم قد تأخروا »
« فى المسرح الى مكان أبعد من مكانهم فى المنظر الأول قليلا . »
« فى مقدمة المسرح من ناحية أخرى بجماعة قليلة من بنى نهم »
« أنصار الفرس وبيد أحدهم صندوق وحديثهم يكاد يكون همسا »

المشهد الأوّل

واحد من بنى نهم :

ماذاك؟ ما الصُّندوقُ؟ ما بأكفِّكُم؟

حامل الصندوق : السِّلْمُ يا إخوانُ والإصلاحُ

العبدُ رأسُ العبيدِ بُشرى فارسٍ اليومَ كلُّ مَحَلَّةٍ أفراحُ

[يفتح الصندوق فترى فيه رأس قتيل مغطى]

آخر :

أبرأسِ عنترةٍ أتيتُمْ مالهَ يَنْزُو؟ وما لِلسِّتْرِ عنهُ يُزاحُ؟

آخــر :

أتراهُ حيًّا !

آخــر : هل جُنِنْتَ

الأول : إذنْ قضى وتهامست من غولها الأرواحُ

آخــر :

من ذا الذى ذبحَ الغضنفرَ ؟

الجماعة : رُسْتُمُ فحلُ العراق وكبشُه النّطّاحُ

آخــر :

حُطُّوهُ ننظُرْ يا إلهى ما أرَى [يكشف القاتل الرأس]

ويلٌ لهم أىَّ الرءوس أطاحوا؟

ما ذاكَ عنترةٌ ولكن رُستُمٌ مَنْ يا تُرى الجانِى مَنِ السفّاحُ؟

آخــر :

مَن غيرُ عنترةٍ يُجندلُ رُسْتُمًا قد كانَ بينَ الضيغَمينِ كفاحُ

ماتنظُرونَ الرأسَ فى الدّمِ غارِقًا وعليه من كل الجهاتِ جِراحُ؟

لهفى على قَسماتِهِ وجبينِهِ عفَتِ البشاشةُ وانطفَا المِصْباحُ

آخر [صائحا] :

يالَكِسْرى ونَواحِى فارِسِ لِقتيلٍ حوْلَ عبْسٍ دارسِ

قَتَكَ العبْدُ بِحُرٍّ فارسى قائدِ الجحفلِ أُسْوارِ العِراقْ

يا بَنِي المُنذِرِ آلَ الأشهَبِ شَرَفَ الفُرسِ ومجدَ العرَبِ
قد صحبتُم رستمًا في الموكِبِ فاركبوا في ثارِهِ الخيلَ العِتاقْ
بيننا يا عبسُ يومٌ ذو نَبا

[تتجه الجماعتان: بنو عبس
وبنو لخم بعضهما الى بعض]

بنو عبس : مرحبًا باليومِ أهلًا مرحبا
أحدهم : هذه السُّمرُ أُعِدَّتْ والظُّبى أُرهِفَتْ وانتظرَتْ يومَ التَّلاقْ
عبلة : أولادَ لَخْمٍ
آخر : مَنِ المُنادي؟
آخر : عبلةُ
الأول : مَنْ تِلكَ ؟
الآخر : بِنتُ مالكْ
عنترةٌ جُنَّ في هواها والبنتُ جُنَّتْ بِهِ كذلكْ
آخر : لبيكِ لبيكِ أُختَ عبسِ
عبلة : ألا أُنبِّئكمُو بأمسِ؟
ما نحنُ إلا أبناءُ جِنسِ نحن بنو الشمسِ والصحارَى
لا تحفِلوا رُستمًا دعوهُ خلُّوهُ للفرسِ يثأرُوهْ
ولا يُقاتِلْ أخًا أخوهُ منكمْ ولا تخذُلوا الدِّيارا

حُشِرْتُمو تحتَ كلِّ رايهْ وأَسْرَجُوكُمْ لِكلِّ غايَهْ
وسُّعتُمو الملكَ والولايَهْ لِكلِّ كسْرى وَكلِّ دارا»
قبيلةٌ تحتَ حُكْمِ كسرَى وقيْصرُ الرومِ دانَ أخْرَى
أصبحْتُمو للغَريبِ جِسْرا يَرْكبُهُ كُلّما أغارَا

احدهم : ما ذا تقُولينَ يا فتاةُ؟ أَيترُكُ القائدَ الغُزاةُ
كأنّه فى الطّريق شاةُ وذابحُ الشاةِ قد توارَى ؟

عبلة : يا لخمُ يا بنى العرَبْ يا لخمُ حُرْمةَ النّسبْ !

[ضجيج]

رُوَيْدَ ما هذا الجلَبْ

بنو لخم : نُرِيدُ رأْسَ عنترَهْ

عبلة : قد رُمْتُمو ما لم يُرَمْ ما أَنْتُمو ولا العَجَمْ
ببالِغى لَيْثِ الأجَمْ

بنو لخم : نُرِيدُ رأْسَ عنترَهْ

احدهم : يا عبلَ أحْيِ رُسْتما — إنْ شئْتِ — نَحقِنِ الدّما
أو ناوِلينا المُجْرِمَا

الجميع : نُريد رأْسَ عنترَهْ

[يسمع صوت عنترة مقبلا من
بعيد فيلتفت الى ناحيته الجميع]

الصوت :

أراكِ يا عبلَ تغضبينا يا عبلُ مَنْ ذا تخاطبينا
مَنْ ذا الذى يرفعُ الجبينا مُخاطِبًا مَلِكَةَ العذارَى

عبلة :

عنترةَ البأسِ خَلِّ سيفَكْ وعُدْ لنا فى الحىِّ ضيفَكْ
ولا يرَ الأقربونَ حيفَكْ ولا يقولوا العبسىُّ جارا

ما أنتَ من ظَلَمَ القريبَ وهذه لخمٌ قرابتُنا الأدانى فاعْدِلِ
بالأمسِ تبنى ركنَ قومِكَ بانيًا واليومَ تفعلُ فيه فعلَ المعولِ
بالبيتِ بالعُزّى بعبلةَ بالهوى بالحقِّ إلا سِرْتَ سيرةَ مُجْمِلِ

[يظهر عنترة]

المشهد الثانى

عنترة : ما لكِ عبلَ ثائرهْ ما ينبغى المنافرهْ
صنائعُ الأكاسرهْ

بنو لخم : نُريدُ رأسَ عنترهْ

عنترة : رأسى أنا

واحد من بنى لخم : لِمْ لا أجلْ

عنترة : هل لكمو به قِبَلْ

الكل : أجَلْ أجَلْ أجَلْ أجَلْ

عنترة : يا بُعدَ رأسِ عنترهْ !

يا لَخْمُ هاتوا جمعَكم هاتُوا القنا ... وامْضُوا لِكسرى وارْجِعوا فى جَحْفَلِ

جِيئُوا بفُرسانِ العراقِ وفارسٍ ... من راكبٍ فيلًا ومن مُتَرجِّلِ

وتقلّدوا أمضَى المَناصِلِ واطلُبوا ... رأسِى بما قلّدتُمو من مُنْصُلِ

هلُمُّوا يا بَنِى لَخْمٍ ... خُذُوا رأسىَ من جِسْمِى

بما شِئْتُمْ فَبالسيْفِ ... وبالرُّمحِ وبالسَّهْمِ

[ينازلهم و يقتل منهم مقتلة عظيمة فيفرون صائحين]

احدهم : خلّنى أنجُ بنفسِى

آخر : أنجُ من جبّارِ عبْسِ

ذاك جِنّىٌّ ولا يَبرُزُ لِلجِنّىّ إنْسِى

عبلة : رُحماكَ عنترَ

عنترة : أنتِ عبلةُ ذِى

عبلة : أجَلْ

عنترة : ما تأمرينَ سلِي الخوارِقَ أفعَلِ

عبلة :

رُحماكَ عنترَ لا تَشِم سيْفًا ولا ... تطعنْ برمحٍ واتّئِدْ وتمهّلِ

[يلق عنترة سلاحه ثم يقبل عليها]

لم أنسَ ذِكْرَكِ والجراحُ تسيلُ من … ـعى وتصبغُ أشقَرى بالعَنْدَمِ
(ولقَدْ ذكرتُكِ والرِّماحُ نواهِلٌ … منِّي وبيضُ الهندِ تقطُرُ من دَمي)
فمَضيتُ أعتنِقُ الرِّماحَ لأنَّها … خَطَرَتْ كأسمرِ قدِّكِ المتقوِّمِ
(ووددتُ تقبيلَ السُّيوفِ لأنَّها … لمعَتْ كبارِقِ ثغرِكِ المُتبسِّمِ)

ستار

الفصل الرابع

« فى حى بنى عامر وفى مضارب بنى الأشتر وفى خيام صخر »
« سرادق نخم وسامر حافل فيه جماعة من سراة عبس وأخرى »
« من وجوه عامر . خدم يروحون ويجيئون بقصاع الطعام »
« وأوانى الشراب . جماعة يزمرون ، وآخرون يضربون »
« على الدفوف والمزاهر... ... ... »

المشهد الأوّل

أحدهم : عبلةُ فى الوَشْيِ — زُفَّتْ الى عامِرْ
يا زامــرَ الحيِّ — هاتِ أشْدُ يا زامِرْ
هيِّ ارتجِــلْ هيِّ — وأطـرِبِ السّامِرْ

شيخ من عامر :

الطعامَ الطعامَ يا عبْسُ قومُوا — الطعامَ الطعامَ ضيفانَ عامر

آخر :

الشرابَ الشرابَ تلك بواطِيه وهذي أقداحُه ياحساةُ

دوَنكم تـمْرَ عامرٍ ماا كتسَت أَطيبَ مِنهُ ولا ألَذَّ النوّاةُ

دونكُم من زبيبِ جِلّق والطـائفِ مالمِ يَسقِ الملوكَ السُقاةُ

آخر :

هـذا شرابُ الرماةِ دعْنِي مِنهُ وهاتِ اسْقِنى الكُروماَ

آخر :

هيَ جوارىَ الحِـمَى هيَ صبَايا عامِــرِ

قُمْن الى الدُفُوفِ واضرِ بْنَ على المزاهِــرِ

زِدْنَ جمالَ العرُسِ أوْ زِدْنَ جمال السامرِ

قـد كَمَلَ الأُنسُ قد بَحرت الكاسُ

قومُوا اطرَبُوا عبْسُ

قد كَمَلَ السامِرْ ورنّمَ الـزّامِـرْ

قومُوا اطرَبُوا عامِرْ

غنـاء : ياعبـلَ حيّينا إنا مُحيُّــوكِ

هـاكِ الرياحينا يَنفحْن عن فِيكِ

ياعبـلَ ياحُـرّهْ يا ملْـكَةَ البِيـدِ

أصبحـتِ كالدُرّه فى مَفرِقِ البِيـدِ

ضيف : لاَ تسْقِنى التمرَ ولا ... بنْتَ الشعيرِ والذُّرَهْ
وعاطِنِى مايشربُ الرُّ ... ومُ وراءَ أنقرَهْ
إذا شرِبتُ أربعًا ... منها انقلبتُ عنترَهْ!

[يسمع صوت عنترة من بعيد
يخاطب رجالا من وراء الستار]

صوت عنترة : مَنِ الرجالُ ؟

صوت أحد الرجال : ومَنْ أنتَ ؟

صوت عنترة : فاتِكٌ ومُغيرُ
من آثَرَ العيْشَ ... فلْينجُ بالنفْسِ
لا جرَّدَ اللهُ ... سيفِى على عبْسِ

واحد من بنى عامر : عنترةٌ ؟

آخر : ماذَا ؟

الأول : عنترةٌ جَاءَ

آخر . بل ذَاكَ سكرانُ ... يقولُ ما شَاءَ

آخر : ماذا تردُّ إلـواءُ؟

آخر [ثملا] : ما ذاكَ إلا ثُغَاءُ
شُوَيْهةٌ جاوبَتْها ... مِنَ المرَاعِى الشّاءُ

صوت عنترة : وقفتم يا رجال ؟

صوت أحد الرجال : أجلْ وقفنا

صوت عنترة : نَزالِ إذنْ نَزالِ إذنْ نزالِ

صوت أحد الرجال : تأهبْ يا فتى

صوت عنترة : أبناءُ عمي ؟ إلهي كيفَ أصنعُ بالرّجالِ ؟

صوت أحد الرجال : تأهبْ يا فتى للقاء عبسٍ

صوت عنترة : وأنتمْ فاستعِدّوا للقتالِ

[تسمع قعقعة سلاح]

واحد من بني عامر :

أمَا تبيّنتَ الفتى أما عرفتَ الزمجره؟

واحد من بني عامر [ثملا] : عامرٌ

آخرون : ماذا ؟

الأول : ظفرت أيديكمو بالجوهره

فزتم من البيدِ ومنْ سمائها بالنيّرهْ

آخر : وبعْد ؟ ...

آخر : ماذا تبتغي؟ فيمَ تحكّك الحنجرهْ ؟

الأول : أريدُ أن أعلمَ أينَ اليومَ أينَ عنترهْ؟

عبسٌ على سلاحِها وعامرٌ مُنتظِرهْ

وذاكَ سيفي في يدي فليجئِ العبدُ يرهْ!

أحـدهم : أعـوذُ بالعُـزّى أعـوذُ باللّاتِ
آخـــر : نَعـــوذُ بالْبيتِ من الفُجاءاتِ

صوت عنترة :

أنا الذى لقَّبَـنِي أَبي وأُمّي القَسْـوَرَهْ
ضَجَّت ضَراغِمُ الفَـلَا من حَمـلَاتِي المُنكَرَهْ

واحد من بنى عامر [لآخر من بنى عبس] :

أَوَلَم تقلْ لى إن رأسَ العبدِ كان صَداقَ عبلهْ ؟

الآخـــر : قدقيلَ ذاك أجل

الأول : فكيف إذن نراهُ؟

ثالث [من عبس] : أنت أَبْلهْ !

منذا الذى يَقوَى على رأس الغضنفرِ عنتره؟
قد ماتَ رستُمُ دونَه وهَوَى أُسَيْدُ القسوره
وجنى شيوخُ الحيِّ من مَهـرِ الفتـاة الثرثره
فرضُوا صداقَ فتاتِهم نَعَـمًا تُساقُ وأَبْعـره!

[يدخل عنترة ومعه رجال آخرون من عبس وفتاة مقنعة فينهض السامرون ويشهرون سيوفهم ويفر من بنى عامر غير قليل ، ويبرز لعنترة واحد من بنى عبس]

المشهد الثانى

المقدم : أنَا الذى تعلَم عبسٌ أنّى أذودُ عنها وتَذودُ عنّى
خُذْ يا ابنَ عمّىَ الحذارَ منّى

عنترة : مرحبًا بِكْ مرحبًا بِكْ عِشْ تمتّعْ بِشبابِكْ

[يحمل عليه عنترة فيطير السيف من يده ولا يؤذيه]

تعالَ سيفُكَ طارَا لا تخشَ بالأسْرِ عارَا
إنى أرْعى الأسَارَى

[يأخذه رجال عنترة أسيرا]

عنترة : خُذُوا الأسيرَ ناحِيَهْ ولا تجزُّوا الناصِيَهْ

[يبرز له آخر من بنى عبس]

المقدم : إنّى أنا الغضنفرُ العبْسىُّ تعرفُنى الرِّماحُ والقِسىُّ
والوحشُ فى الفلاةِ والإنسىُّ

عنترة [حاملا عليه] :
أنا المنَايَا المائِلَهْ أنا القضايَا النّازِلَهْ
غضنفَرٌ فى قافِلَهْ

[يحطم سيفه]

سيفُكَ يا هـذا كُسِرْ وصاحبُ السيفِ أُسِرْ

[إلى رجاله] : خُـذوهُ

[إلى منازله] : هيَّ إمْضِ سِرْ

[يأخذه رجال عنترة فيبرز له شاب ثالث]

المتقـدم : أنا أخُـو الأشـبَالِ مثـلُ أبي الرئبـالِ
بالقِرْنِ لا أُبالي

عنـترة : وأنتَ أيْضـا يا حـدَثْ ما الحـرْبُ ياطفـلُ عبَثْ
قِف لا تَسِرْ إلى الجدَثْ

[يحمل عليه عنترة فيطير السيف من يده]

الشـاب : أينَ مَضَى سيفِي ؟ قد كانَ في كفِّي

عنـترة : لا تَقْتَحِمْ ولا تَسَـلْ سيفُكَ في سيْفِي دَخَلْ !
سِرْ قِفْ هناكَ يا بطَلْ !
الآنَ أنتَ لُعبَتِي إلحَقْ بِصاحِبَيْكَا
إمضِ انضمِمْ اليهِمَا

[وفي هـذه الأثناء يكون قد رفع بيده من الأرض
مبارزا آخر كان قد خرج اليه فيقذفه بجانب الشاب]

وضُـم ذَا إليـكَا

[ثم يخاطب الجماعة]

سُدّى حربكُمْ ياقومُ ألقُوا سِلاحَكُمْ ولا تُرْكِبُونى فى دمائِكُو وِزْرَا

رأيتُمْ يدى؟

أحدبنى عامر: ما كانَ أعْظَمَ بطْشَها؟

عنترة: وسيْفِى؟

آخر: كسيْفِ الموْتِ يفرِى ولا يُفْرَى

[يقترب عنترة من الفتاة المقنعة التى دخلت معه]

انهضِى الآن يا عروسُ تعالى لا تخافِى منِّى ولا مِنْ رِجالى

بطلٌ كلُّهم فلا خوْفَ مِنْهُمْ كيفَ تشْقَى النساءُ بالأبْطالِ

[يرفع عن وجهها القناع فاذا هى عبلة]

صخر [فى ذهول]: مَنْ هذه؟

عبلة: عبلةُ!

صخر: مَن بمَن تزوجْتُ إذَنْ؟

مَن التى تركْتُ فى الخِباءِ؟

ومَن تُرى تكونُ فى النِّساءِ؟

رجل لآخر: لكنْ أجنبِى السَّنا فى دارِ صخرٍ وعرُسِهْ؟

الآخر: نعَمْ وأحسَبُ صخرا جرتْ أمورٌ بِنَحْسِهْ

عنترة:

فياما عامرٌ انتظروا قضائى فإنِّى الموْتُ ما منْه فِرارُ

وأنتمْ عبسُ للأوْطانِ عُودوا لما فى عامرٍ لكمْ قَرارُ

نَسِيتُ لكم وأَنْسى ما جَنيتُمْ   تُحَبُّ وإن تنكَّرتِ الدِّيارُ

الجماعة : [كل جملة يقولها رجل] :

العفــوَ عنــترهْ   الصفحَ يا بطَــلْ
مُرْنا بِمَا تشــا   أمرُك مُمْتَثَــلْ

عنــترة : رأيتُمو يا قومُ عبــلَةَ معِي   وكنتُمُو حسِبْتمُوها فى الخِبَا
نِيطَ بعبْسٍ وشبابِ عَامرٍ   أن ينقُلوها مِن حمًى الى حِمى
ساقُوا بعيرَها وكانُوا حوْلَهَا   عشرينَ فتيانا أشِدّاءَ القُوى
أدركتُهمْ على الطَّرِيقِ فنجَا   من المَنُونِ بالفِرَارِ مَن نجَا
وماتَ دونَ الرَحْلِ نحوُ عشْرةٍ   قد غُودِروا مُجندَلين فى الفَلَا
وهؤُلاءِ هم بَنُو العمِّ أبوْا   إلا المسيرَ معنا الى هُنا

كانت مَعِى ناجيةٌ فركَبْتُ   بعيرَ عبْـلةٍ وحَثَّتِ الخُطا
فى وشْيِ عبْلَةٍ وفى خِمارِها   وانطلقتْ تُحدَى بأتْباعِى أنَا

رجــل : حــديثُ عبــلةٍ عجبْ   لَيُؤْثرَنَّ فى العَــرَبْ
لَتروينَّه الحِقَبْ

صخــر : واشِــقْوَتِى وابــلَائِى   فَقَــدْتُ إبْلِى وشَــائِى!
عبــلة : يا صخرُ إنَّ فى الخِباءِ جارِيةْ   تَهواكَ فى السرِّ وفى العَلانيَهْ

صخــر : جاريةٌ تحبُّني! من ؟

عبــلة : ناجيَــهْ

صخــر : ناجيــةٌ؟ ومن أرادَها ليَهْ ؟

عبــلة : أنا التي جعلتُها مكانيهْ

عنــترة : ناجيــةٌ يا فتَى جاريةٌ كالرَّشا

وأنت بانٍ بها إن شئتَ أولم تشا

صخــر : قبِلتُ بالحُكمِ إنْ قبلتْ عامِـر

مُرْهُـم بما شئتَ أنتَ هُنـا الآمِرْ

عنــترة : من يُخالِف إرادتي منكمو يمض ناحيَــهْ

[لا يتحرك أحد]

قــد قبِلتُمْ مَشيئتي ورَضِيـتُم قضائيَـهْ

إشهدوا عُرْسَ عبْلةٍ واشهدُوا عُرْسَ ناجيهْ

عبــلة : إنِّي أخافُ

عنــترة : عجبًا يخافُ جارُ الأسَـدِ

عبــلة : غدًا يُقـالُ صـدّني وكنتَ لي بمَرْصَدِ

غداً يقالُ قد تآ مرْنا على التَّمرُّد

يُقالُ خان عمّهُ

عنـــترة : وأنتِ

عبــلة : خُنْــتُ والــدِى

عنـــترة : لِيَقُــلِ السّـامِرُ مَا قدْ شاءَ ولْيَهْذِ الندى
ولتَقُــسِمِ البِيــدُ لمـا نأْتِى بــهِ وتَقْعُـدِ
ماذا يَهُــمُّ بعــدَ ما قد صارَ كنْزِى فى يَدِى
وبعــدَ أن نِلْتِ مُنــا كِ وبَلغتُ مَقصِــدِى

عبــلة : والناسُ من كلِّ فضو لِىٌّ وكــلِّ مُعتَــدِ؟

عنـــترة : النـاسُ ؟ خلِّ لِقَنــا تِى النّاسَ أو مُهنَّــدِى
أنتِ اذا أطعَمْتِهِــمْ مُخَّ الرَّشا لم تُحمَــدِى
غـــدًا يخصُّــونَكِ بالـــــتمليــقِ والتَّــوَدُّدِ
البيــدُ معبَــدٌ وأنــــتِ دُميــةٌ فى المَعبِـدِ

واحد من عبس :

عنترَ اسلَمْ لعبْسَ نحنُ فِداؤُكْ لَقِيَ الذلَّ والرّدَى أعداؤُكْ
لقــد أبَى عمُّــكَ أنْ يُهدِى إليكَ الجوْهَرهْ
عمُّك نحنُ قومُهُ نحنُ لنــا أنْ نأمُرَهْ
عنــتَرَ هاكَ عبــلةً عبـلةُ هاكِ عنــتَرهْ

عنترة : الآنَ صخرُ امضِ إلى الخباءِ جئْ بناجيةْ

عامرُ عبسُ أقبلوا زُفُّوا العروسَ الغاليةْ

مَا هِىَ بالخادمِ فى عبسٍ ولا بالرَّاعيةْ

لكنْ فتاةٌ حُرّةٌ من البيوتِ العاليةْ

تزوّجتْ بوافرِ المالِ كثيرِ الماشيةْ

صخر : عنتر

عنترة : صخرُ هاتِ قُلْ

صخر : وإبلي وشائيةْ؟

عنترة : تُردُّ فى غدٍ اليكَ وهى مهرُ ناجيةْ

يا عبلَ سامحَني فى قُربِكُم زمَني وشاءَ ريبُ الليالى أن نَعيشَ معَا

يا بِيدُ هِيّ اشهَدى أعراسَ عنترةٍ ويا سِباعُ تعالَىْ هنّئى السَّبُعَا

عبلة :

التأمَ فى عامرٍ شملى بعنترةٍ وكان ظنّىَ فى شملى به انصدعَا

قد اجتمعْنا على عُرسٍ وفى فَرحٍ كم من شتيتَيْن بعد الفُرقةِ اجتَمعَا

انّى وضعتُ بنانِى فى يدىْ أسدٍ لو مَرّ مخلبُه فوقَ الصَّفَا خَشَعَا

سامَ القبائلَ إجلالى وملَّكَنِي عقائلَ البِيدِ حتى صِرْنَ لِي تبَعا

ستار الختام

مجنون ليلى

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلى

ليلى

المهدى — أبو ليلى

ورد — زوج ليلى

ابن عوف — أمير الصدقات فى الحجاز وعامل من عمال بنى أمية

زياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس فى حب ليلى

بشر — رجل من بنى عامر

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز
نصيب — كاتب ابن عوف
سعد — رجل من بنى عامر
الغريض — مغن مشهور
ابن سعيد — شاعر
أمية — رفيق ابن سعيد
الأموى — شيطان قيس

عضرفوت
هبيد
عسر
عاصف
} شياطين

بلهاء — جارية قيس
عفراء — جارية ليلى

سلمى
هند
عبلة
} فتيات من بنى عامر

رجال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدى فى حى بنى عامر ــ مجلس من مجالس السمر فى هذه الساحة ــ فتية وفتيات من الحى يسمرون فى أوائل الليل ، وفى أيدى الفتيات صوف ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون ــ تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها فى يد ابن ذريح »

« ليـلى »

دعى الغزْلَ سلمى وحَيِّى معى　　منارَ الحجازِ فتى يَثْرِبِ (١)

« تصافحه سلمى »

ويا هِنْدُ هـذا أديبُ الحِجاز　　هلمِّي بمَقْـــــدَمِهِ رَحِّبي

« تصافحه هند ويحتفى به السامرون »

« سـعد »

أمن يثربٍ أنت آتٍ ؟

« ابن ذريح »

أجل　　من البلدِ القُدُس الطيِّب

---

(١) يثرب ــ المدينة المنورة

« ليلى »

أيابنَ ذَريحٍ لقينا الغمام

« هند »

وطافَتْ بنا نفَحاتُ النبي

« عبلة ــ هامسة إلى سعد »

مَن ابنُ ذَريحٍ ؟

« سعد »

فتًى ذِكرُه على مَشرِق الشمس والمغرب
رَضيعُ الحُسَيْنِ عليه السلامُ وتِرْبُ الحُسَيْنِ من المكتبِ

« عبلة ــ الى بشر ومشيرة الى ابن ذريح »

أتسمَعُ بشرُ رضيعُ الحُسَيْنِ فديْتُ الرضيعيْن والمُرضعهْ
وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ تصاممتَ !

« بشر ــ هامسا ومتلفتا كأنما يخشى أن يسمعه أحد »

لا جاهلاً موْضِعهْ
ولكن أخاف امرأً أن يرى عليَّ التشيُّع أو يَسمَعه
أُحِبُّ الحسينَ ولكنما لسانى عليه وقلبى معه !

حَبَسْتُ لسانىَ عن مدحه حِذارَ أُميّةَ أن تقطعه
إذا الفتنةُ اضطرمتْ فى البلاد ورُمْتَ النجاةَ فكُن إمّعَه !

« ليلى »

إبنَ ذريحٍ نحن في عزْلةٍ فهل على مُستفهِمٍ منك بأسْ ؟

دارُ النبيِّ كيف خلّفتَها ؟ كيف تركتَ الأمرَ فيها يُساسْ

« ابن ذريح »

تركتُها ياليلَ مَضبوطةً يحكُمُها والٍ شديدُ المراسْ
إن حديثَ الناس فى يثربٍ همسٌ وخطوُ الناس فيها احتراس

« ليلى »

إبنَ ذريحٍ لا تَجزْ واقتصِدْ أحلامُ مَرْوانَ جبالٌ رَواسْ
يؤسِّسُون المُلْكَ فى بيتهم والعُنْفُ والشدةُ عند الأساس

« تتضاحك الفتيات وتقول إحداهن لأخرى »

« فتاة »

ليلى على دينِ قيسٍ فحيثُ مال تميلُ ؟
وكلُّ ماسرَّ قيسا فعند ليلى جميلُ

« ابن ذريح »

ما الذى أضحكَ منى الظّبياتِ العامريّهْ
ألأنى أنا شيعِيٌّ وليلى أمويّهْ ؟
إختلافُ الرأى لا يُفْسدُ للود قضيه

«ليلى»

أعِرْنى سماعَكَ يابنَ ذريحٍ ولا تسمَعِ الطفلةَ الهاذيهْ
أتيْتَ لنا اليومَ من يثربٍ فكيف ترى عالَمَ الباديه
أكنتَ من الدور أو فى القصور ترى هذه القُبّةَ الصافيه ؟
كأن النجومَ على صدرها قلائدُ ماسٍ على غانيه

«هند»

كفى يابنةَ الخال ! هذا الحريرُ كثيرٌ على الرّمّة الباليه
تأمّلْ تر البيدَ يابن ذريح كمقبرةٍ وَحشةٍ خاويه
سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه
ومن مُوقدِ النار فى مَوْضِعٍ ومن حالب الشاة فى ناحيه
وراغيةٍ من وراء الخيام تُجيبُ من الكلأ الثاغية (١)
وأنتم بيثربَ أو بالعراق أوِ الشام فى الغُرَف العاليه
مُغنّيكمو مَعبَدٌ والغريضُ وقَيْنتُنا الضّبُعُ العاويه
وقد تأكلون فُنونَ الطُّهاةِ ونأكل ماطبَختِ الماشيه

«ليلى»

قد اعتَسَفتْ هندُ يابنَ ذريحٍ وكانت على مَهدها قاسيه
فما البيد الا ديارُ الكِرامِ ومَنزلةُ الذّمَمِ الوافيه
لها قُبْلةُ الشمس عند البُزوغ وللحَضَرِ القُبلةُ الثانيه
ونحن الرياحينُ مِلْءَ الفضاء وهنّ الرياحينُ فى الآنيه
ويقتلُنا العِشقُ والحاضراتُ يَقُمْنَ من العشق فى عافيه
ولم نصطدِم بهموم الحياة ولم ندرِ - لولا الهوى - ماهيه
وآنا نخف لصَيْد الظباء وآنا الى الأسد الضاريه

«هند - ساخرة»

وفى كل ناحيةٍ شاعرٌ يغنّى بليلاهُ أو راويه

---

(١) الراغية : الناقة والثاغية : الشاة

« تحاول ليلى أن تمد رجلها فتتألم وتستغيث »

« ليلى »

قيسُ ، إلىَّ قيس

« هند »

ما دهاك ليلى ما الخبرُ

« ليلى »

أُحس رجلى خدِرت حتى كأنها الحجَرْ

« هند »

قد صحتِ قيسُ مرتين

« ليلى »

أو ثلاثاً ما الضرر

« هند ــ متهكمة »

إسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر

« ليلى »

هند كفى دعابة إن هو الا اسمٌ حضر

« لنفسها »

يا قيسُ ناجىَ باسمك القلبُ اللسان فعثَر

« عبلة ــ ضجرة »

أما سوى هذا الحديث شاغلُ ؟ كيف ظللْتَ اليومَ يا منازلُ ؟

« منازل ــ ضاحكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ يشرَبُ أو يَطعَمُ أو يُغازلُ !

« هند »

بخٍ ! كذا فلتكنِ الحياةُ مُت يابعيرُ وانفقى ياشاةُ

انغمست فى الترف الرعاةُ !

«ليلى»

وكيف ظللت اليوم سعدُ ؟ أهازلٌ كترِ بك أم فى صالحٍ ورشادِ !

« سعد »

بل الجدُّ ياليلى سبيلى وديْدنى حياتى بوادٍ والمجونُ بواد

صحبتُ زيادا طول يومى تلقفا لأشعار قيسٍ من لسان زياد

وإن زيادا ــ منذ كان ــ لرائحٌ علينا بشعر العامرىّ وغاد

ولولا زيادٌ ما تمثّل حاضرٌ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد

« يبدو على ليلى شىء من الزهو فتهامس الفتيات »

« سلمى »

انظرى هند ترىْ ليلى ! كتست زهواً وكبرا

وتعالت كابنةِ النعمان أو كابنة كسرى !

« هند »

لِمَ لا سلمى ، ألم يرفعْ لها المجنونُ ذكرا؟

« عبلة »

لِمْ إذن ياهند من قيس وبما قال تبرا ؟

هند

عَبَثُ النّسوةِ ! إنا نحن بالنسوة أدرى !

« سلمى »

سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

« أصوات »

سلوه

« هند »

سلى يا ليلَ عن يومه بِشرا

« ليلى »

وهَل يومهُ الا شؤونٌ كأمسِهِ من الصيد؟

« هند »

إن الصيدَ لذتُه الكبرى

« بشر »

نعم هو ملهايَ الذى لا أملّه ولا النفسُ تُعطَى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشى فى قصور أميّةٍ لعلّمتُ فنَّ الصيد فتيانها الزهرا

وما أنا صيّادُ الأرانب مثلَهم ولكن على حيّاته ألِجُ القَفرا

« ليلى »

إذن هاتِ واصدُقْ بشرُ فى القول مرّةً

ولا تخترعْ أو تبْنِ من حَجَرٍ قصرا !

« بشر »

دعى عنكِ هذا السُّخْرَ ياليلَ واسمعى

« ليلى »

تحدّثْ فلا واللهِ لم أُضمِرِ السُّخرا

« بشر »

بكَرتُ كدأبي اليومَ أبغي قنيصةً

ومَن يتصيَّدْ يحسبِ الغُنمَ والخُسرا

(رأيت غزالا يرتعي وَسْط روضة

فقلت أرى ليلى تراءتْ لنا ظُهرا) [(١)]

« هند — مشيرة الى ليلى »

وأيَّ الليالي بشرُ آنست ؟ هـذه

« بشر »

إذا شئتِ — أو هاتيكِ — أو حُرَّةً أخرى.

فقلتُ له ياظبيُ لا تخشَ حادثا

(فانك لى جارٌ ولا ترهب الدهرا)

(فما راعني الا وذئبٌ قـد انتحى

فأعلق في أحشائه الناب والظُّفرا)

(ففوَّقتُ سهمي في كَتومٍ غمستُها

فخالط سهمي مهجةَ الذئبِ والنحرا)

« ليلى ضاحكة »

أخي بشرُ لا شُلَّتْ يمينُك من يدٍ

ولا فَضَّ فاكَ الصبحُ والليلُ ماكرَّا

---

(١) الأبيات التي بين الأقواس من شعر المجنون

سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم
فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !
ووالله لم تغضب لظبي ولم تثب
بذئب ولم تُعمِل خيالا ولا فكرا
أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بضاعةً
سرقتَ لعمري الظبيَ والذئبَ والشعرا !

« ضحك من الجميع »

حديثُ الظبيِ والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
زيادٌ عنه نبّانى ولا ينبيك إلاه
رأى قيسٌ على رابيـــة ظبيا فناداه
فألقى الظبيُ أذْنيْهِ ومسّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول فى لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها »

برُوحى قيسُ! هل راحت ظباء القاع تهواه ؟
وهل يَرثى له الريمُ ولا أرثى لبلواه ؟

« تسترسل فى حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ بقايا صبغت فاه
رأى فى جيده قيسٌ وفى عينيه ليلاه
فبينا هو فى الشوقِ وفى نشوة ذكراه
حبا الذئبُ من الوادى الى الظبى فأرداه

تغذى بحشا الظبى غَـــــــداه ماتهنَّاه
رماه قيس فى المقتـل بالسهم فأصماه

« بشر : مندفعا بحماسة ! »

أجل ياليلَ ! ما قلتِ سوى شىء شهدناه
وإن لم تذكرى القبرَ ولا كيف خططناه
حفرنا القـبرَ للظبىِ وقمنـا فدفنـاه
وصلّينـا على الميْتِ وبالدمع سقيناه
فقـولوا ولتقل ليـلى معى يرحُمـهُ الله !

« أصوات : بين الضحك والسخرية »

أجل بشرُ !

أجل بشرُ !

أجل يرحمـــــه الله !

« ابن ذريح »

بشرُ كفى هزلا وتخليطا كفى ويابنةَ العم مضى الليلُ سُدى
أرسلنى قيسُ فلو أخبرتنى متى متى بأمر قيسٍ يُعتنى ؟
بتنا نخافُ أن يجِلَّ خطبهُ وتبلغَ البـلوى بقيسٍ المَدى
وقيسُ ياليـلى وإن لم تجهلى زين الشباب وابنُ سيد الحى
لم ندرِ فى حيِّك أو فى حيِّهِ فتى حكاه نسبا ولا غنى
ولا جمالا ، وهنا (ياليلَ) ما تريْنَ أنتِ لا الذى نحن نرى

« بشر ـ ساخرا »

بخٍ بخٍ ! إبنُ ذريح خاطبٌ

« ابن ذريح »

أسكت فلست للمروءات أخا !

« ليـلى ـ غاضبة »

فيم هذا الـكلامُ يا بنَ ذريحٍ ؟

« ابن ذريح »

إتقى اللهَ واقصدِى فى التجنى

« ليـلى »

ما تجنّيت

« ابن ذريح »

بل ظلمت ، دعينى أُحسن الذّودَ عن صديقى وخِدنى

« ليـلى »

أنا أَوْلى به وأحنى عليـه لو يُداوَى برحمتى والتحنّى
يعـلمُ الله وحـده ما لقيس من هوًى فى جوانحى مستكِن
إننى فى الهوى وقيسا سواء دَنُ قيس من الصبابة دَنّى
أنا بين اثنتين كلتاهما النا ر فلا تلْحَنى ولكن اعِنّى
بين حرصى على قَداسة عرضى واحتفاظى بمن أُحبُّ وضنى
صنتُ منذ الحداثة الحبَّ جَهدى وهو مستهترُ الهوى لم يصُنّى

قد تغنى بليلة النيـل ، ماذا كان بالغيل بين قيس و بينى ؟
كل ما بيننا سـلامٌ وردٌّ بين عين من الرفاق وأُذن
وتبسَّمتُ فى الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأنى

« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه »

أَوْغل الليلُ فلنقمْ

« ابن ذريح ــ متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليلَ)

« ليـلى »

خلِّ عنِّىَ دعنى !

« تدخل خباءها بينما ينفض السامرون فلا يتثاقل منهم فى القيام »
« الا منازل ــ الهرج والأسف يسودان الجميع »

« بشر »

انفضَّ سامرُ ليـــلى وكان حفْـــلا كريما

« سـعد »

قـــد فضَّه ابنُ ذريح ففض عِقـــدا نظيما
أثار ليـــلى فهاجت كما تنفَّر ريمـــا
ترى أتُبغِضُ قيسا

« ابن ذريح »

لا تقلبـــوا الحبَّ بغضا
ليـــلى العشيةَ غضبى ويُصبح الصبحُ ترضى

« سعد »

أنعم (منازِ) مساء

« منازل »

نعمت سعدُ مساء

« هند »

بشرُ مُسّيتَ بخير

« بشر »

أنعمىَ هندُ مساء

« هند »

نحن يحوينا طريقٌ فامض بلّغنى الخِباء

« سعد ـ ضاحكا »

احذرى يا هند منه !

« هند »

أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »

« قيس وزياد من جانب المسرح الآخر »

« قيس »

سجا الليل حتى هاجَ لى الشعرَ والهوى
وما البيدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملأت سماء البيد عشقاً وأرضها
وحُمّلتُ وحدى ذلك العشقَ يارب
ألمّ على أبيات ليلى بىَ الهوى
وما غيرَ أشواقى دليلٌ ولا ركبُ
وباتت خيامى خطوة من خيامها
فلم يشفنى منها جوار ولا قرب
إذا طاف قلبى حولها جُنّ شوقُه
كذلك يُطْغِى الغُلّةَ المنهلُ العذب
يحن إذا شطّت ويصبو إذا دنت
فياويح قلبى كم يحن وكم يصبو
وأرسلنى أهلى وقالوا امض فالتمس
لنا قبسا من أهل ليلى وما شبّوا
عفا الله عن ليلى لقد نوّتْ بالذى
تحمّلَ من ليلى ومن نارها القلب

« منازل — وقد سمع همهمة الصوت ورأي شبحيهما فى الظلام »

أرى شبحا مقبلا فى الظلام — وأسمع همهمة فى الدجى
هو ابن الملوّح دلّ الهزالُ — عليه ونمّ اضطراب الخطا
عدوّى البين وما بيننا — ولا بين صاغيتَيْنَا (١) جفا
روى شعرَه البدو والحاضرون — وشعريَ ليس له من روى

---

(١) صاغية الرجل قومه

وهـــام بليـلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظَمــا فى البلاد وجُنّ فما ازداد الا نُهى
وإنى لأبديـه اليـه الوداد وأخفى له فى الضلوع القِلى
وأحسُدُه حسدا ما علمت أقيسُ الشقىُّ به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

من الراكبُ الليلَ ؟ قيسٌ أخى ؟

« قيس »

منـــازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

« منازل »

أقيساً أرى فى ظلال البيوت ؟ وعهدـيـ بقيس حليفَ الفلا

« قيس »

منازل ، من أين ؟

« منـــازل »

من عندِها من السمر الممتع المشتَهى

« قيس : حنقا »

أمن عنـد ليـلى تجرُّ الذيول حديث لَعمرُ أبى مفـترى

« منـــازل »

بل الصدقُ ماقلتُ يابن الملوَّح

« قيس »

إخسأ متى قلت صـدقا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

« منازل ساخرا »

ما يصنعون لموت لعمرىَ فيمن لها
وسامر ليلى كثير الزِّحام فلست تعدُّ شباب الحِمى
وليلى تُفيضُ على من تشاء رضاها وتحرمهُ من تشا

« زياد مغضبا »

منازل، قيسُ، سبيلكَ قيس ! وكِلْ لىَ تأديبَ هذا الفتى

« منازل — وقد أخذ بتلابيبه »

تؤدبُني زيادُ وأنت ظل لمجنون وراوية لهاذى
وتزعمُ أننى نِدٌّ لقيس رضيت من المصائب غيرَ هذى !

« زياد »

من قال ذا ؟ أنت لقيس نِدٌّ لم يبق فيكِ يا حياةُ جِدٌّ
إمضِ بنا ناحيةً يا وغد !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفى »
« فيقبل قيس على خباء ليلى وينادى »

« قيس »

ليلى !

« المهدى : خارجا من الخباء »

من الهاتف الداعى ؟ أقيس أرى ؟ ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

« قيس : خجلا »

ما كنتُ يا عمُّ فيهم

« المهدى : دهشا »

أين كنت إذن ؟

« قيس »

فى الدار حتى خلَتْ من نارنا الدار

ما كان من حطب جزْلٍ بساحتها أودى الرياحُ به والضيفُ والجار

« المهدى — مناديا »

ليلى — انتظر قيس — ليلى

« ليلى — من أقصى الخباء »

ما وراء أبى ؟

« المهدى »

هذا ابن عمك مافى بيتهم نار

« تظهر ليلى على باب الخباء »

« ليلى »

قيس ابن عمى عندنا يا مرحبا يا مرحبا

« قيس »

متّعتِ ليلى بالحياة وبلّغت الأربا

« ليلى : تنادى جاريتها بينما يختفى أبوها فى الخباء »

عفراء

« عفراء ـ ملبية نداء مولاتها »

مولاتى

« ليـلى »

تعـــــالَىْ نقضِ حقا وجبا

خــذى وعاءً واملئيـــه لابن عمى حطبـــا

« تخرج عفراء وتتبعها ليلى »

« قيس »

بالروح ليلى قضت لى حاجةً عرضت

ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتِ

مضت لأبياتهـا ترتاد لى قبسا

والنار يا رُوحَ قيسٍ ملء أبيـاتى

كم جئتُ ليلى بأسباب ملفقة

ما كان أكثر أسبابى وعلاتى

« تدخل ليـلى »

« ليلى »

قيس

« قيس »

ليـــــلى بجانبى كلُّ شىء إذن حضرْ

« ليلى »

جمعتنا فأحسنت ساعــــةٌ تَفْضُلُ العمُرُ

« قيس »

أتجدِّين ؟

« ليلى »

مافـــــؤا دى حديدٌ ولا حجر
لك قلبٌ فسله يا قيـــس ينبئْكَ بالخبر
قدْ تحملتُ فى الهوى فوق ما يحمل البشر

« قيس »

لستُ ليــلاى داريا كيف أشكو وأَنفجر ؟
أشرح الشوقَ كله أم من الشوق أختصر ؟

« ليلى »

نبّنى قيسُ ما الذى لك فى البيد من وطر ؟
لك فيهـا قصائدٌ جاوزَتْها الى الحضر
كلُّ ظــبيٍ لقيته صُغت فى جيده الدرر
أتُرى قـد سلوْتنـا وعشقتَ المهَا الأُخر ؟

« قيس »

غرت ليــلى من المهَا والمهـا منك لم تَغَر
حبّب البيدَ أنهـا بكِ مصبوغةُ الصُّوَر
لست كالغيـدِ لاولا قمرُ البيـد كالقمر

« ليلى : وقد رأت النار تكاد تصل الى كم قيس »

ويحَ عيــــنىَّ ما أرى قيس !

« قيس »

ليلى

« ليلى : مشفقة »

خذ الحذر !

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجـر سـألتُه هل تنفستِ فى السَّحَر
ورياح حسبتُهــــا جــرَّرَت ذيلَك العطِـر
وغــزالٍ جفُــــونُه سرقت عينكِ الحَوَر

« ليــلى »

إطرح النـــارَ يافتى أنت غادٍ على خطـر
لهبُ النـارِ قيسُ فى كمك الأيمن انتشر

« قيس : مستمراً بعد أن رمى النار من يديه »

وذئابٍ أرقُّ ياليـــلُ من أهلِك الغُـــيُرُ
أنِســتْ بى ومرّغت فى يدى الناب والظفرُ

« ليلى »

ويح قيسٍ تحـرقت راحتاه وما شَـعَرْ

« قيس »

أنت أججتِ فى الحَشا لاعجَ الشوقِ فاستعرْ

ثم تخشَيْنَ جمرةً تأكلُ الجلد والشَعَر

« يترنح قيس فى موقفه وتظهر عليه بوادر الاغماء »

« ليلى »

فِدَاك أبى قيس ، ماذا دَهاك ؟ تكلم ، أبِن قيس ، ماذا تجد

« قيس »

أحسُّ بعينىّ قد غامتا وساقىّ لا تحملان الجسدْ

« يخر صريعاً الى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة »

« ليلى »

يا لأبى للجارْ قيسٌ صريعُ النارْ مُلقىً بصَحن الدارْ !

« يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها »

أبى ها أنت ذا جئت أغثنــــا أبتِ أدركْ

لقد حُرِّق بالنـــارِ فما يصحـــو إذا حُرِّك

« المهدى »

يرانا الناسُ ياليـــلى

« ليلى »

أبى انفِ الناسَ من فكرك

هنـــا لا تقعُ العيْنُ على غيرى ولا غيرك

ولا يَطْلُــع إنسانٌ على سرى ولا سرك

ولا أجدر من قيس باشفاقك أو برك

أبى صــدرىَ لا يقوى فأسنده الى صدرك

« المهدى — وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه »

رعاكِ اللهُ ياليـــــلى وكافاكِ على صبركِ
أخافُ الناسَ فى أمرى وأخشى القلبَ فى أمركِ
وكم داريتُ ياليــلى وكم مهّدْتُ من عذركِ
ولستُ الوالدَ القاسى ولا الطامعَ فى مهركِ

« يناجى قيسا فى غيبوبته »

أبا المهدىّ عوفيتَ ويا بورك فى عمــركْ
أرانى شعرُكَ الويلَ وما أروى سوى شعركْ
كما لذّ على الكُرهِ كلامُ الله للمشركْ !

« يتحرك قيس ويبدو عليه كأنما استبق فيناديه »

قيس

« قيس — يحاول الوقوف فتسنده ليلى »

لبّيك عمّ

« المهدى »

حسبُك فاذهبْ لاتطأ لى بعد العشيّةِ دارا

« ليـلى »

أبتِ لا تجزْ على قيسٍ

« المهدى »

لِمْ لا إن قيسا على القرابةِ جارا

« ليلى »

أبتي ما تراه كالفَنَنِ الذا وي نُحولا وكالمَغيب اصفرارا ؟

وتأملْ رداءه ويديهْ تجد النارَ أو ترَ الآثارا

أبتي دَعْه يسترحْ

« المهدى »

بل دعينا لا تزيدي ياليلَ سُخطي انفجارا

« قيس »

حسبُ يا ليلَ، حسبُ ذلاً لمثلي وكفى حلفةً له واعتذارا

عمُّ ماذا جنيت ؟

« ليلى »

ماذا جنى قيس

« المهدى »

نسيتِ الرُّواةَ والأخبارا

« قيس »

إنهم يأفِكون يا عمّ

« المهدى »

والغَيلُ أليلاً غشيتَه أم نهارا ؟

ما الذي كان ليلةَ الغَيْل حتى قلتَ فيها النَّسيبَ والأشعارا ؟

« قيس »

لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدي

إنما نحن فتيةٌ وعذارى

جمعتنا خمائلُ الغيل بالليل كما يجمــعُ الحمى السمّارا
ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترقنا ذهبتْ يمنةً وسرتُ يسارا

« المهدى »

إمضِ ياقيس إمض لاتكسُ ليلى كلَّ حينٍ فضيحةً وشنارا
فكأني بقصة النار تُروى وكأني بذلك الشعر سارا
وكأني ارتديتُ فى الحي ذلا وتجللتُ فى القبائل عارا
إمض قيسُ امضِ

« قيس »

عمُّ رفقا بليلى وبقيسٍ ولا تكن جبارا
الحذارَ الحِذارَ من غضب الله ومن سُخطه الحذار الحذارا

« المهدى »

إمض قيس امض جئت تطلب ناراً
أم ترى جئتَ تُشعلُ البيتَ نارا ؟

« يخرج قيس »

ستار

الفصل الثانى

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حى بني عامر حيث »
« تبدو مضارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد — قيس وزياد »
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشرفان شبحا يسير نحوهما »

« قيس »

زيادُ ، ما تلك ؟ مَن الجُوَيْرِيَهْ ؟ أتلك (بلهاء) ؟

« زياد »

أجل قيس هيَهْ

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

« قيس »

بلهاء كيف الحىّ ؟ كيف أُمَيّه ؟

« بلهاء — وهي تضع القصعة »

تسأل عنكَ كما سألتَ

« تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

« زياد »

بالله قيسُ إلا أكلت

« يشتد ميل قيس عن الطعام »

« بلهاء هامسة لزياد »

زيادُ ما ذاق قيسٌ ولا همّا

« زياد »

طبخُ يدِ الأمّ يا قيسُ ذُقْ مِمّا
الأمُّ يا قيسُ لا تطبُخُ السُّمّا

« ينزع عن القصعة غطاءها »

تعال تأمّلْ قيسُ ، تلك ذبيحةٌ

« قيس »

عسى اليومَ نحرُه

« زياد »

أين نحنُ من الأَضْحى ؟

« قيس »

أرى صُنعَ أمى يازيادُ ، فَدَيتُها بروحى وإن حمّلتُها الهمَّ والبرْحا
ستخبرنا البلهاء

« زياد »

بلهاء بيِّنى ولا تكتمى عنا الحديثَ ولا الشرحا

« بلهاء »

لقد مرّ عرّافُ اليمامةِ بالحمى فما راعنــــا إلا زيارتُه صُبحــــا

طوى الحىَّ حتى جاء عن قيس سائلا وأظهرَ ماشاءَ المودّةَ والنُّصحا
ولاحت له شاةٌ جَثومٌ بموضعٍ تخيَّلها ظلا من الليل أو جُنحا
فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندَها فقام اليها يافعٌ يُحسِنُ الذَّبْحا
فقال انزعوا من جثّة الشاةِ قلبَها فلم نألُ قلبَ الشاة نزْعا ولا طرْحا
فلما شوياهــا رَقى بعزائمٍ عليها وألقى فى جوانبها المِلْحا
وقال اطلبوا قيسًا فهذا دواؤه كأنى به لمــا تناوله صحَّا

« زياد »

تعلَّلْ قيسُ بالشــاة عساها تذهبُ الحبّا
فمــا العرّافُ بالمجهو لِ لا علمًا ولا طبّـا
ولم تعلَمْ عليه البيد تدجيــلا ولا كِذْبا
طبيبٌ جرّبَ اليابسَ فى الصحراءِ والرَّطْبا
فذقْ قيس ولا ترتبْ بمــا قال وما نبَّـا
وتلك الأمُّ ياقيـــس أطِعْهــا تطِع الربّا

« قيس »

زياد اسمعْ وكن عونى وخلِّ اللومَ والعَتبا
إذا ما لم يكن بُدٌّ فإنى آكُلُ القلبا

« زياد »

قيسُ يبغى القلبَ يابلــــهاه أين القلب أينا ؟

« بلهاء »

هــو عنــدى ويسيرٌ ما اشتهى قيسٌ علينا

هــو فى الشاة

« زياد »

هلمّى أخرجى القلبَ إلينا

« بلهاء »

القلبُ ! أين القلبُ ؟ أيــــن يا ترى وضَعْتُه ؟

يا ويحَ لى ! نسيتُ أنى بيـــدى نزعتُه !

« قيس »

وشاةٍ بلا قلبٍ يداووننى بهـا

وكيف يُداوى القلبَ من لا له قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صغار من ناحية الحى يلهون فى طائفتين وإذ تقع »
« أبصارهم على قيس وزياد تتغنى كل طائفة بغناء »

« الطائفة الأولى »

قيسُ عُصفورَ البوادى وَهــــزارَ الرَّبَواتْ

طِرتَ من وادٍ لِوادى وغمــرتَ الفــلواتْ

إيهِ يا شاعــرَ نجــدٍ ونجىَّ الظَّبَيـــاتْ

أضمــرِ الحبَّ وأبدِ لأعَفّ الفَتَيـــاتْ

« الطائفة الثانية »

قيسُ كشَّفتَ العذارى وانتهكتَ الحــُرُماتْ

ودمغْتَ الحىَّ عارا فى السنينَ الغـابراتْ

قد ذكرتَ الغيْلَ دعوى واصطنعتَ الخلوَاتْ
صَلِيَتْ ليلى ببلوى منك دون الفتَياتْ !

« يلتقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصا من يديه ، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكاتبه نصيب »

« قيس : مناجيا نفسه »

قيسُ لا ! سامحْ صغارا لا يُحسُّون الخطيئه
إنهم فيما أتوْه تَبّغاواتٌ بريئهْ
لَقَّنوها كلماتٍ نزهاتٍ أو بذيئه

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم واذكروا قيسا بخير يا خُبُثْ
إذهبوا أوْحُوا الى أترابكم وليُبلِّغْ حدَثًا منكم حَدَثْ
سيْطرَ الحبُّ على دنياكمو كلُّ شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ

« يجرى الصغار أمام زياد مضطربين ثم يختفون عن الأنظار ، بينما يستلقى قيس »
« على الأرض فى شبه إغماء »

« ابن عوف : الى نصيبُ وزياد يطارد الصغار »

انظرْ نُصيْبُ ضجةٌ وصبيةٌ ورجلٌ يرمى الصغار بالحصا

« نصيب »

أرى أميرى نشَأً تعلقوا بابن سبيلٍ مُتعَبٍ واهى القُوى

« ابن عوف »

بل امضِ سَلْ

« نصيب : معترضا زياد »

من الفتى ؟

« زياد : لنفسه وقد رأى ابن عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقات ههنا

« ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمامُ العاشقين

« ابن عوف »

أيُّهم فهم كثير ، كل قيس بهوى

« زياد »

أجلْ ولكنّ الذي تُبْصِرهُ أرفعُهم ذكرا وأعلاهم سنى

« ابن عوف »

لعله قيسُ الذي نعرِفُه لقد رَوَيْت شعرَه فيمن رَوى
فأين ظلُّه زياد ؟

« زياد »

أنا ذا أنا الذي يتبعُه حيثُ مشى

« ابن عوف »

أنت الذي تهدى لكلّ قريةٍ مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبا
ما بالُه يطَأ الترابَ حافيا ويقطعُ البيدَ مُمَزّق الرّدا
خُذ يا نُصَيْبُ بُردتى فغطّه لا يلحقنّه من العُرىِ أذى

« زياد »

إحفظ عليك البُرْدَ يا أميرُ لا فقرَ اليه بابن سيد الحمى

إن لقيس من ثياب الوشْيِ ما يفنى به العمر وما يُعيِي البلى

« ابن عوف : مناجيا نفسه »

ياويحَ قلبي ما خلا من قسوةٍ ما بالُه رَقَّ لقيسٍ ورثى

« يقبل على قيس »

قيسُ بُنَيّ

« زياد »

هو فى إغماءة من وَجْده وما أظنُّه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى يظهر الحادى »

« ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت قليلا قليلا حتى ينقطع »

« أنشودة الحادى »

يا نجدُ خُذْ بالزمامْ ورحِّبِ

سرْ فى رِكاب الغمامْ ليثربِ

هذا الحُسيْنُ الامامْ ابنُ النبى

النورُ فى البيد زادْ حتى غَمَرْ

أُحْدُ الحيا فى الوهادْ أُحدُ القمر

أُحْدُ جمالَ البوادْ زينَ الحضرْ

ابنَ النبى

« ابن عوف »

سمعتمو ؟ يا لكِ من رنة حادٍ مُطرِبِ

« زياد »

يا ليت شعرى ما الركا ب مَنْ لواء الموْكب

« نصيب »

قد بيَّن الحادى فقل أصمٌ أنت أم غبى ؟
هذا منارُ العرب هذا الحُسينُ ابنُ النبى
هذا الزكىُّ ابنُ الزَّكىِّ الطيِّبُ ابنُ الطيب
عارَضَنا الحسينُ فى طريقه ليثرب
هذا سنا جبينه مِلْءُ الوهاد والرُّبى
قد جلَّ حاديه جلا لَ القارئ المطرِّب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبُ صه لا تسلكنْ بنا مسالكَ التُّهَمْ
ولا تظاهرْ بالهوى لوارث البيت العَلَمْ
إحذرْ جواسيسَ ابنِ هندٍ وعيونَ ابن الحكَمْ
نحن رجالُ دولةٍ قوّامةٍ على الأمم
ليس بعينها عمًى ولا بأُذْنها صَمَمْ
تسمع فى ظل القصور همسَ رُعيان الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظرْ فما انفكّ صريعَ الوجد والذكرى
كما مرّ بنا الركبُ الحسينىُّ به مرّا

فلم يشغَلْ له بالا ولم يوقظْ له فكرا

« زياد »

رويدا سيدى مهلا ولا تستغرِب الأمرا
لقد سقناه بالأمس لحجِّ الكعبةَ الغرّا
فلما لمس الركنَ ومسَّتْ يدُه السِّترا
وقلنا الآنَ من ليلى ومن فتنتها يبرا
سمِعناه ينادى الله من ساحته الكبرى

« ابن عوف »

وماذا قال ؟

« زياد »

ما تابَ من العِشق ولا استبرا
ولكن قال يارِبُّ ملكتَ الخيرَ والشرا
فهاتِ الضرَّ إن كان هوى ليلى هو الضرا
وإن كان هو السحرَ فلا تُبطلْ لها سحرا
ويارِبِّ هَبِ السلوى لغيرى وهب الصبرا
وهبْ لى موْتةَ المُضنَى بها لا مِيتةً أخرى

« يقبل على قيس ويميل عليه بحنان »

جنانيك قيسُ إلامَ الذهول ؟ أفقْ ساعةً من غواشى الخبَلْ
صليلُ البغال ورجْع الحُداء وضجّةُ ركْبٍ وراء الجبَلْ
وحادٍ يسوق رِكابَ الحسيْنِ يهزُّ الجبالَ إذاما ارتجلْ

فلم يبقَ ماشٍ ولا راكبٌ   على نجدَ الا دعا وابتهلْ
فقمْ قيسُ واضرعْ مع الضارعين   وأنزِلْ بجَدّ الحسيْنِ الأملْ

« يسمع صوت حاد آخر قادما الى نجد من ناحية يثرب ، على رأس قافلة أخرى »
« وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادى »

هـلا هلا هيَّا * إطوى الفلا طيَّا * وقرّبى الحيّا * للنـازح الصَّبِّ
جلاجلٌ فى البيدْ * شجيةُ الترديدْ * كرنَّةِ الغرّيدْ * فى الفنَنِ الرَّطْبِ
أناح أم غنَّى * أم للحمى حنّا * جُليْجلٌ رنَّا * فى شُعَبِ القلبِ
هلا هلا سيرى * وامضى بتيسير * طيرى بنا طيرى * للماء والعُشبِ
طيرى اسبقى الليلا * وأدركى الغيْلا * العهدَ من ليلى * وَمـنزلَ الحبِّ
بالله يا حادى * فتّشْ بتوْبادِ * فالقلبُ فى الوادى * والعقلُ فى الشِّعبِ
يا قمرا يبـدو * مَطلعهُ نجـدُ * قد صنع الوجدُ * ما شاء بالركبِ

« يفيق قيس ثم يتلفت مصغيا الى الحداء »

« قيس »

ليلى ! منادٍ دعا ليلى فخفَّ له   نشْوانُ فى جنبات الصدر عربيدُ
ليلى ! انظروا البيدَ هل مادت بآهلها
وهـــل ترنّمَ فى المزمار داودُ
ليلى ! نداءٌ بليلى رنَّ فى أذنى   سحرٌ لعمرى له فى السمع ترديدُ
ليلى تردّدُ فى سمعى وفى خلدى   كما تردّدُ فى الأيك الأغاريدُ
هل المنادون أهلوها وإخوتُها   أم المنادون عشاقٌ معاميدُ

إن يَشرَكونِىَ فى ليلى فلا رجَعَتْ جبالُ نجدٍ لهم صوتا ولا البيدُ
أغيرَ ليلاى نادوْا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الخُرَّدُ الغيدُ
إذا سمعت اسمَ ليلى ثُبت من خبَلِى وثابَ ما صَرَعتْ منى العناقيدُ
كسا النداء اسمُها حسنا وحبَّبَه حتى كأن اسمَها البشرى أو العيد
ليلى ! لعلىَ مجنونٌ يُخيَّلُ لى ؟ لا الحىُّ نادوْا على ليلى ولا نُودوا

« ابن عوف »

لا تكتئبْ وتعالَ يا قيسُ استرحْ
مما تكابد في الهوى وتلاقى

« قيس »

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتى
أم أنت من سحر الصبابة راقِ؟

« ابن عوف »

بل من رُواتكَ قيسُ من زمنٍ مضى
لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

« قيس »

قل للخليفة يابنَ عوفٍ فى غدٍ منذا أباح له دمَ العشاق ؟
هدَرتْ حكومتهُ دمى فتحرَّشتْ بدمٍ على سيف الجفُون مُراق

« ابن عوف »

أرَضِيتنى عند الخليفةِ شافعا ؟ يا قيس

« قيس : فى أنفة »

لا والواحدِ الخلاق

بل عند ليلى فامض فاشفعْ لي لدى
ليـــلى وناشِدْ قلبَها أشواقي
جِئْها فذكِّرْها العهودَ وحِفظَها
واذكرْ لها عهدي وصِفْ ميثاقي
لَيلى إذا هي أقبلتْ حَقَنتْ دمي
كرما وفكَّتْ يا أميرُ وَثاقي

« ابن عوف »

الآنَ قيسُ اذهبْ فبدِّلْ حلَّةً
وترَدَّ غيرَ ثيابِكَ الأخـــلاق
فالصبحَ تدخلُ حيَّ ليلى قيسُ في
ركْـــبي وبين بطـانتي ورفاقي

« قيس : الى زياد »

أسمعتَ ما قال الأميرُ ؟ زيادُ ، طِرْ
نحو الحمى بجَنـاحي المشتـاق
إذهبْ وسلْ أمي أعزَّ ملابسي
من كل شـاميٍّ وكلِّ عراقي
واذكرْ لها فضلَ الأمير ، ولم تزَلْ
نِعَمُ الأمـير قلائدَ الأعنـاق

« يسير زياد نحو الحي بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل »

سكرا لصُنعِكَ يا أميرُ ودُمتَ مَقصودَ الرحابْ

عجّلْ أمير

« ابن عوف ضاحكا »

بل انتظرْ أنسيتَ ياقيسُ الثيابْ ؟

« قيس »

مَنْ مُبلغٌ أمي الحزينةَ أن عقلي اليومَ ثابْ ؟

ومَن البشيرُ اليكِ ياليلى بقيسٍ في الركابْ ؟

اليومَ أهلا بالحياة ومرحباً بكَ ياشبابْ !

ستار

الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تبدو فى يسارها طائفة من مضارب بنى عامر ممتدة الى ماوراء »
« اليسار على سفح جبل التوباد — خباء مضروب الى يمين هذه الطائفة من المضارب »
« كأنه نهاية خيام الحى — على اليمين أشجار بان يقف فى ظلها ابن عوف »
« وحاشيته وقيس وزياد »

« ابن عوف »

تراءى الحىُّ للرَّكْبِ   وأشرفْنا على الشِّعبِ
أفِقْ قيسُ أما فى رؤ   يه الخيْمات ما يُصبى ؟
ألا تهتفُ بالشكوى   الى ليلى وبالعتْبِ

« قيس »

ديارَ الحى من ليلى   سلامٌ من شَجٍ صَبِّ
على الحى على الدار   على ليلى على الحب
عدا الركبُ على طيبٍ   كريح المندل الرَّطب
فيا ليلى عسى اليوم   أبلُّ الشوقَ بالقرب
عسى الخِطْبةُ لا تنزلُ   فى ناديكِ كالخطب

عساهم لا يقولون فتى مشترَكُ اللب
ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقى سوى ذنبى
يقولون بها غنّي لقد غنّيتُ من كربى
سلى تُربَكِ كم مرّغت خـدّىّ على التُّرب
وكم جُـدتُ عَلى الرمل ولم أبخَلْ على العشب
بدمعٍ مثل دمعِ الثُّـكلِ مغروفٍ من القلب

« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

« ابن عوف »

قيسُ انتبهْ قيس

« قيس »

مَن المنادى ؟

« ابن عوف »

الحىُّ فى السلاح سَدَّ الوادى
وأنت قيسُ بعد حينٍ غاد على خصوم لُـدُدٍ شِـداد
فالقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لا تَلْقهم مُضيّعَ الرشـاد

« قيس : متطلعا كذلك »

أتُبصِرُ يابنَ عوفٍ حىَّ ليلى تَدجّج فى السلاح ولا تراها ؟
فما لى لا أُحقّقُ غيرَ ليـلى وإن كُثْر السوادُ لدى حماها
لقد ألقىَ هوى ليـلى حجابا على عينى فلستُ أرى سواها
و بغّضتِ النصيحَ إلىّ ليلى وسـدّ مسامعى عنه هواها

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعقعة »
« سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئا فشيئا »

أرى حيّ ليلى فى السلاح ولا أرى ... سلاحا كهجر العامرية ماضيا
دمى اليومَ مهدورٌ لليلى وأهلِها ... فداء لليلى مُهدَراتٌ دمائيا
لى اللهُ! ماذا منك يا ليل طاف بى ... وما ذلك الساقى وما ذا سقانيا ؟
دعونى وما عندى لليلى أقولُه ... لليلى وأستنشي الذى عندها ليا
أهيمُ فأستعدى نهارى على الجوى ... وأقبعُ ليلى أستجيرُ القوافيا
(فما أشرفُ الأيفاعَ الاصبابةً ... ولا أُنشدُ الأشعارَ الا تداويا)
إذا الناسُ شطرَ البيت ولّوا وجوههم تلمستُ ركنىْ بيتها فى صلاتيا
(أُصلّى فما أدرى إذا ما ذكرتُها ... أثِنْتَين صلّيتُ الضُحى أم ثمانيا)
توارتْ وراء الجَمْع ليلى فخانها ... فمٌ كابتسام الصبح يأبى التواريا
وطيبٌ به خُصّتْ حوى الطيبَ كلّه ... فمِنْهُ الأقاحى أو فمنْهُ الفواغيا
فأحسستُ من فرْعى لساقىّ هزّةً ... كأن عياناً منكِ لاقى عيانيا
دعونا وما يبقى إذا ما فنيتُمو ... فوالله ما شىءٌ خلا الحبَّ باقيا
مشى الحبُ فى ليلى وفىّ من الصِّبا ... ودبّ الهوى فى شاء ليلى وشائيا
وإنى وليلى للأواخر فى غدٍ ... لشُغْلٌ كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه »
« زياد ــ تسمع أصوات الحى من قريب »

« ابن عوف »

زيادُ أدركْه أدرِكْ ... إنى أرى الداء عادَهْ
لقد تضاءل قيسٌ ... واصفرّ مثلَ الجراده !

وليس قيسٌ بمُلقٍ إلا إليــــك قِياده
الآن أسعى لقيسٍ سـعيا أخافُ فسادَه
فمِـلْ بنـا وبقيسٍ حـــتى يُصيبَ رشادَه

« يحملون قيسا ويختفون به وراء شجر »
« البان ، وتظهر طلائع الحى من اليسار وعلى »
« رأسها المهدى ومازل ، وكلهم شاكى السلاح »

« المهدى »

يا قومُ إن البغْىَ شرٌّ مركَبُهْ والخـيرُ فى جانب من يُجَنِّبُهْ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلَّ موكبُهْ وإن قيساً فى الرَّكاب يصحبُهْ
جاء يرومُ صِهرَكم ويَخْطُبُهْ وقد علِمتمْ كيف ساء مذهبُـه
وكيف طال بابنتى تشبُّبُهْ

« صـــوت »

كِلْه الى سـيوفنا تؤدِّبُهْ لقـد وجـدناه وكنا نَرقُبُهْ

« المهدى »

لا ، دمُ قيسٍ دمُنا لا نقرَبُهْ يكفيه منا أننـا نُخَيِّبُهْ
ونَصرِفُ الأميرَ عما يطلبُهْ

« صوت آخر »

شيخَ الحـــى لاتضعُـفِ ولا تردَّدْ وقـــف
ذُدْ عن عقيـلة الحـى وامنعْ حيـاضَ الشرَفِ
لاتُصـــغِ للشافع فى قيـس ولا المستعطِفِ
ليس ابنُ عوْفٍ فى الذى سعى له بالمنصِـــف

أبا لأمـــير بعد ما أجار قيسا تحتفى ؟
لَا تخشَ بأسَـــه ومن رجـــاله لاتخف
نحن كعثمانَ وليـــلى بيننا كالمُصحَف

« يظهر ابن عوف وحاشيته من »
« وراء الشجر ومعهم زياد »

« ابن عوف »

عِمْ أبا ليـــلى صباحًا

« المهدى »

عِمْ صباحًا يابنَ عَوْف

« ابن عوف »

قل لهم يُلقُوا السلاحا ليس ذا مَوْطِنَ خوف

« صوت من الحى »

يابنَ عوفٍ ياأمـيرْ ليس ذا شأنَ الوُلاةِ
كيف تَحمى وتُجيرْ مُستبيحَ الحُرُماتِ ؟

« ابن عوف »

عامِـرُ يا أجاوِدَ البِطـــاحِ وأسمَـحَ الناس بُطونَ راحِ
مـــالى وللسيوف والرماحِ ؟ ضيفُ أنا وما من السَّماحِ
رَدُك وجهَ الضيف بالسلاح ماجئتُكم ياقومُ للكفـاحِ
بل جئتُ للتوفيق والإصلاحِ

« تحدث ضجة فى جانب الحى وتصايح وتهامس »
« ثم يلقى كثير منهم السلاح ويغمد السيوف »

« صوت من الحى »

يا أبا ليلى بليلى جُدْ لقيسٍ بالحياةِ
إنه شاعرُ نجدٍ ونَجِىُّ الظّبيات

« صوت آخر »

قيسٌ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلا لذَمٍّ
نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم
هبوه جُنّ بليلى ليس الغرامُ بجُرم

« منازل : حيث يستقبل الجمين خطيبا »

إن قيساً معشرَ الحى أخٌ وابنُ عمٍ أفمنه تبرأونْ ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً شاعرُ البيد الذى لا يُجارَى أفأنتم منكِرونْ ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً سيّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ

إن قيساً قد بنى المجدَ لكم ولنجدٍ أبقيسٍ تكفرون ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذن ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ

إن قيسا كاملٌ فى عقله أو آنستم على قيسَ الجنون ؟

« أصوات »

لا وربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذن ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون

أنا لم أعدِلْ بقيسٍ شاعرا لا ولا أنتم بقيسٍ تعدِلون

« أصوات »

لاوربِّ البيت

« منازل »

أصغُوا لى إذن ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون

أنا فى وُدى وإعجابى به لايدانينى الرواةُ المعجبون

شعرُه يبقى ويفنى غيرُه ليس كلُّ الشعر ترويه القرون

شعرُ قيس عبقرىٌّ خالدٌ ليته لم يتخلَّله المجُون

ولو ان المتجنى شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
رُبَّ شعرٍ قال فى ليلى ، به هتف البدْوُ وضجَّ الحاضرون
إننى أخشى عليكم عارَه رُبَّ عارٍ لبس تمحوه السّنونْ
ضجرتْ ليلى وضجّت أمُّها وأبوها وتأذّى الأقربون
وغدا كلُّ فتى من عامرٍ حين يلقى النّاس ، محنِىَّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ماقلت

« منازل »

إذن ما بالُكم لم تثوروا ، مالكم لا تغضبون ؟
هو ذا قيسٌ مع الوالى أتى يطأُ الحىَّ وأنتم تنظرون
وأبو ليلى امرُؤٌ أدرى له رِقّةَ القلب وأخشى أن يلين
بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم ومن الحىِّ بليلى يخرجون
آن يا قومُ لكم أن تعلموا أن قيساً هتك الخدرَ المصون
قيسُ لم يترك لليلى حُرمةً ما الذى أنتم بقيسٍ فاعلون ؟

« صوت »

ما جنٌّ لابدّ من تأديبه

« صوت آخر »

إن بالسَّوْط يُرَبىَّ الماجنون

« صوت »

نأخذُ الحيَّ عليه

« آخر »

ولنقفْ دون ليلى وحماها كالحصون

« منازل »

حلّل السلطان بالأمس لكم دمَ قيسٍ ما الذى تنتظرون ؟

« صوت »

حلّل السلطان بالأمس لنا دمَه

« أصوات أخرى »

إنا بقيسٍ فاتكون

« ضجيج واندفاع »

« صوت »

مُنازِ يابنَ العم ما هذا الخبرْ ؟ رفعتَ قيساً لجملتَه القمرْ
والآن أغريتَ بقتله الزُّمَرْ كفعل جزار اليهود بالبقر
برّأها من العيوب وعَقَرْ !

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

« قائل »

إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ

وخطيب

« يسأل أحدهم »

ليت شعرى من يكونْ ؟

« آخر »

أو أعمى أنت هذا بشرُ

« آخر »

هل يحسن الخُطبة بشرٌ ويُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

« بشر »

قف مناز اسمع سمعتَ الرعد من جانبىْ صاعقةٍ فيها المَنون
وسمعتَ الذئب فى جوْز الفَلا وسمعتَ الليثَ فى جوف العرين
أخطيبٌ أنت أم خطبٌ وإن لم تَهُن والخطبُ أحيانا يَهُون

« منازل صائحا »

بشر . . .

« بشر »

قف !

« منازل »

مالك يا بشرُ ولى ؟
إن حربَ الأهل والصحب جُنون

« بشر »

لِمْ إذن حاربتَ قيساً لم تصن
حرمةَ ابن العم أو حقَّ الخدَين؟

« منازل »

قلتُ بشرُ الحق

« بشر »

خلّ الحق ما

أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقيسٍ حاسدٌ منطوى الصدر على الحقد المَهين

كلما حدّثتَ عنه عامراً قرأتْ في وجهك الداء الدفين

ترسلُ الزفرةَ تتلو أختَها وتَفُشُّ الصدرَ من حين لحين

يا منازِ يا بن عمّى أصغ لى أنت دونٌ أنت دون أنت دون !

« منازل »

دعونى

« بشر من المنبر »

دعونى فلا بدّ لى

« رجل »

أتاتك

« بشر »

لا بد أن أقتلَهْ

« منازل »

دعونى

« بشر »

دعونى

« رجل »

دعوه اتركوه

« آخر »

ومن كتَّفَ النذلَ أو كبّله :

« منازل »

دعونى

« رجل »

دعوه

« آخر »

كلا البطلين

يقولُ الوعيدَ ولن يفعله

« بشر »

دعونى

« رجل »

تقدَّمْ

« منازل »

دعوني

« رجل »

انطلق

« بشر »

دعونيَ

« رجل »

جئْه

« منازل »

دعوني

« رجل »

امش لهْ

« آخر »

تنحَّوْا وخلُّوا سبيلَها ولا تخشَوْا الوقعة المقبلهْ

« بشر »

منازلُ في عقــــله كاملهْ

« منازل »

وعقلك يا بشرُ ما أكملهْ

بشر

أنزو على الحيّ نَزْوَ الديوك ونقفزُ كالأكبُش المرسلهْ
وتَفلَقُ رأسي كرُمانة وأفلقُ رأسك كالحنظلهْ
فماذا يردُّ عليك العويلُ وماذا انتفاعيَ بالولولهْ ؟

« زياد »

منازلُ كنت كثير الكلام ووالله ماقلتَ الا الكذبْ

« صوت »

أتزعمُه كاذباً يا زيادُ ، وقد ذاد عن حُرمات العربْ ؟

« زياد »

رويدَك لا تنخدِع يا فتى ولا تأخذ الأمرَ دونَ السببْ
فلم يبغِ الا خداعَ الجموع وجلْبَ الظنون وخلْقَ الرِّيبْ
وأثّر فيكم وفى آخرين وأفرغ فيكم سُمومَ الرُّقُبْ

« صوت »

منازلُ دافعَ عن سُنَّةٍ مُعظّمةٍ من قديم الحِقب

« زياد »

تأمل منازلُ سُخْطَ الجموع وجهلَك ماذا عليهم جلَبْ !
أجل قد غضبتَ ولكنما لنفسك ليس لليلى الغضب
تحضُّ على قتل قيسَ الرجالَ لتحظى بليلى إذا ماذهب

« أصوات »

يُريدُ ليحظى بليلى ؟

« زياد »

نعم !

« صوت »

تكلمْ

« صوت آخر »

أينْ

« ثالث »

إن هذا عجب !

« زياد »

سلوه ألمْ يكُ يَغشَى النَّدِيَّ ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب ؟

« صوت يخاطب المهدى »

إذن كان يخطبُ ليلى ؟

« المهدى »

نعم !

« صوت »

إذن قد تجنّى

« صوت آخر »

إذن قد كذَب !

« زياد »

منازلُ قل لهمو كم ضرعـــت لليلى وكم أعرضتْ لم تُجِبْ

« صوت »

منـازلُ اخدعْ وغُشَّ غيرى

« آخر »

قد جازَ الا علىّ كِذْبُكْ !

« ثالث »

ما أنتَ إلا جـوٍ شـقىٌّ تحبُّ ليـلى ولا تُحِبُّكْ !

« تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال »

« فى ركن قصى من أركان المسرح يتحدثون »

« الأول »

قــد اختلف الحيُّ فى أمر قيـسٍ
وليـلى فكلٌّ له مـذهبُ
وأنت الى أيِّ رأيــ تميـلُ
وأيَّ الفريقـــين تستصْوِبُ

« الثانى »

إذا صدقت نظرتى فى الأمور ولى نظرةٌ قلما تكـذبُ
منـــازلُ غادٍ على خيبةٍ وقيسٌ على فضله أخْيب
وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ غريبٌ له فيكمو مأرب

« الأول »

غريب ؟

« الثانى »

أجل من نواحى ثقيف

« الأول »

ومن ذاك ؟

« الثانى »

وردُ

« الأول »

وما يطلب ؟

« الثالث »

رأيناه فى الحى يمشى الحياء وقيـــل أتى عامرا يخطُب

« الأول »

وليلى ابنةُ الشيخ مارأيُها أما من حسابٍ لها يُحسب ؟

« الثانى »

أراها وإن لم تَخطَّ الشبابَ عجوزاً على الرأى لا تُغلَب
تصونُ القديمَ وترعى الرميمَ وتُعطى التقاليدَ ماتوجب
وبالجاهلية إعجابُها إذا قل بالسلف المعجَبُ
ومن سُنَّة البيدنقضُ الأكُفِّ من العاشقين اذا شبَّبوا
فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحدث عنه ويُستغرب
وإن رضيَتْ وردَ بعلا لها وقيسُ الأحبُّ لها الأقرب
فينا طالما التمست مهربا وأرضُ ثقيفٍ هى المهرب

« منازل »

بنى عامرٍ لا تُضيعوا الحُلومَ فإن الأناة بكم أجملُ
هبوا لىَ آذانكم إننى أجدُّ وصاحبُكم يَهزِلُ
خطبتُ وأخطبُ ليلى غدا وما لىَ يا قومُ لا أفعلُ
وقد تُعرِضُ اليومَ ليلى فلا أضيقُ ، عسى فى غدٍ تُقبِلُ
فما قيسُ أجدرُ منى بها ولا هو خيرٌ ولا أفضل

« زياد »

إليك منازلُ ! لا تَزْدَرِنْ بقيسٍ قد اختلف المنزلُ !
ولا يستوى الشاعرُ العبقرىُّ ومن هو من باقلٍ أبقل

« منازل »

وما أنت ؟ بيِّنْ لنا يازياد

« زياد ــ ممسكا بذراع منازل »

ستعلم منيّ ما تجهل

هلُمَّ مُنازِ ، هلمَّ الصراعْ ! وودِّعْ ضلوعَك وانْعَ الذراعْ

« منازل »

خلِّ زيادُ خلِّ عن ذراعى

« زياد »

سألتَ ما أنت ؟ فأصغِ ، راعِ

إنى أنا ممُزِّقُ الأضلاع !

« ثم يجره من ذراعه ويمضى به الى خارج المسرح »

« صوت »

ما ذا يكون يا ترى ؟

« آخر »

هيّوْا نرى هيوا نرى

« آخر وهم يتدافعون »

زيادُ غـــيرُ هازلِ

« آخر »

نوحوا على منازلِ

« آخر »

حمامةٌ وبازى !

« آخر »

هلكتَ يامنازِ !

« آخر من بعيد »

إهرب من البرازِ

« يخلو المسرح الآن إلا من المهدى وابن عوف »
« ونصيب ثم نسمع صرخة من وراء الشجر »

« مهدى »

ما بقيسٍ يابنَ عوف ؟

« ابن عوف »

إنه مغشّى عليه

« مهدى »

قيسُ لا بأسَ عليك كبّروا فى أذُنيْه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سُدًى كبّروا ما أُذْنُ قيسٍ مفيقةٌ وإن كبروا فيها أذانَ بلالِ
ولكن على ليلى يُفيقُ وشبهها إذا ما بدتْ ليلى بشكلِ غزالِ
ويصحو على ليلى إذا رُدِّدَ اسمُها وراء بُيوتٍ أو وراء رِحالِ

« المهدى »

دَمُ الوُدِّ والقُربَى وإن كان ظالماً عزيزٌ علينا أن نراه يسيل

وإنى لإنسانٌ وإنى لوالدٌ ولى مذهبٌ فى الوالدين جميل
فرفقا بقيس يا أميرُ ونَحِّه بعيدا لعل الشرَّ عنه يزولُ

« ابن عوف »

أناةً أبا ليلى وحِلما ولا يَكنْ عليك لطغيان الظنون سبيل
رددتم ركابى واتهمتم زيارتى وأجلبَ فِتيانٌ وضجَّ كهول
تأملْ تجدْ جمْعا مَغيظا وكثرةً تصولُ وماتدرى علامَ تصول !
رءوسٌ تنزَّى الشرُّ فيها وراءها نفوسُ ذئابٍ مالهن عقول
تَطَلَّبُ أن يُلقى اليها بجُثَّةٍ على غيرِ جوعٍ أو يُساقَ قتيل
نواظرُ ما يأتى به اليومُ من دمٍ وإن لم يُساورْها صدًى وغليل
نزلتُ فلم أُكرَمْ فهل أنت متْبِعى وقومُك نارَ الطَّرد حين أميل؟
أبَيْتُم علىَّ القولَ قبل استماعه فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لى أبا ليلى بناديكَ وقفةٌ فإن الذى قد جئتُ فيه جليل
وما أنا مُرْءُ السوء أورجُلُ الأذى ولكنْ سفيرٌ خيِّرٌ ورسول
ولم أتخذْ جاهَ الأمور ذريعةً ألا إنما جاهُ الأمور يزول

« المهدى »

بقيتم بخيرٍ يا وُلاةَ أميةٍ ولا زال يقوى رُكنُكم ويطول

«مشيرا الى باب الخباء»

هنا مجلسٌ نأوى اليه لعلنى أقولُ صوابا أو عساك تقول
وثَمَّ ترى ليلى وتسمعُ قولَها وليلى لها رأىٌ يُساقُ جميل

فسلْها عسى أن نهتدي ما جوابُها　　　إباءٌ وردٌّ أو رضى وقبــول

« يهم ابن عوف بخلع نعليه »

« المهدى »

أتخلعُ نعليك لا يابنَ عوف　　　نَشَدْتُك بالله لاتفعلِ
أتمشى الى منزلى حافيا　　　فديتُك، من أنا؟ ما منزلى؟

« ابن عوف »

خلعتُها وانتعلْتُ الترابَ　　　الى خَيْمة السيّدِ المفضلِ

« نصيب : متدخلا »

دعهْ يامهدىُّ يفعل　　　إنما يَرمِى لمعنى
كالحسيْنِ بنِ علىٍّ　　　هو بالعشــاقِ يُعنَى
الحسينُ انتعل التربَ　　　الى والد لُبنَى
فـرآه حـافـيـا فى　　　ساحـة الـدار فـجُـنَّـا
قال لا أملك يابنَ　　　المصطفى بنتًا ولا ابنا
أنت فى الدار أمــيرٌ　　　فبما شئتَ فمُـــرنا

« لنفسه »

يادهر دُرْ بما تشا　　　ويا حوادثُ اهزلى !
ويا وظيفةُ اعزُبى　　　ويا جرايةُ ارحلى
يبغى ابنُ عوفٍ أن يكو　　　نَ كالحسيْنِ بنِ على !

« يدخلان وينادى المهدى : »

هوالضيفُ ياليلَ هاتى الرُّطبْ　　　وهاتى الشّواءَ وهاتى الحَلَبْ

وهاتى من الشهد ما يُشتهى ومن سَمنَة الحىّ ما يُطّلَبْ
فما هو ضيفٌ ككلّ الضيو ف ولكن أميرٌ كريمُ الحَسَبْ

« ليلى من وراء حجاب »

أبى ألفَ لبيّْك !

« ابن عوف »

لا بل قفى فما بى ظَمأٌ ولا بى سغَبْ
وأعلَمُ أن القِرى دِينُكم وأن أباكِ جوادُ العربْ
ولكن طعامىَ

« المهدى »

ماذا ؟ اقترِحْ

« ابن عوف »

طعامُ الرسول بلوغُ الأرَبْ

« المهدى »

إذن قفى ليلى اقرُبى

« تظهر ليلي من وراء الستر »

تقدّمى ورحّبى
حلّ ابنُ عوفٍ دارَنا

« ليلى »

أكرِمْ به وأحبِبْ !
قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيِّب

« ابن عوف »

أهـــلاً بليـلى بالجمـالِ بالحِجـــى بالأدبِ
عشتِ وقيساً فلقـــد نوّهـتما بالعــــرب

« ليلى – بين الخجل والغضب »

أتقْرِنُ قيساً بنـا يا أميرُ ؟

« ابن عوف »

ولِمْ لا وقد جئتُ من أجْلِهِ
ومَنْ أنا حتى أضُمَّ القلوبَ وأعطفَ شكلاً على شكلِهِ
لقـدْ جمعَ الحبُّ رُوحيْـكما وما زالَ يجمعُ في حبلِهِ

« ليلى : في استحياء »

أجلْ يا أميرُ عرَفتُ الهوى

« ابن عوف »

فهلاّ عطَفْتِ على أهـله ؟

« يلتفت الى المهدى »

أبا العامريّـةِ قلبُ الفتـاةِ يقـول وينطِقُ عن نُبْـله
فأصـــغِ له وترفّقْ به ولا يسْعَ ظُـلمُكَ فى قتـــله

« المهدى »

أأظلم ليلى ؟ معاذَ الحنان ! متى جـار شيخٌ على طفـله ؟
هو الحكْمُ ياليلَ ماتحكمين خُذى فى الخطاب وفى فصله

« ليلى »

أقيساً تريد ؟

« ابن عوف »

نعم

« ليلى »

إنه ... مُنَى القلب أو مُنتهَى شُغله
ولكن أترضى حجابى يذالُ ... وتمشى الظنونُ على سدْله
ويمشى أبى فيَغضُّ الجبينَ ... وينظرُ فى الأرض من ذلّه
يدارى لأجلى فضولَ الشيوخ ... ويقتلُنى الغمُّ من أجله
يميناً لقيتُ الأمرَّيْنِ من ... حماقة قيسٍ ومن جهله
فُضحتُ به فى شِعابِ الحجازِ ... وفى حَزْنِ نجدٍ وفى سهله
فخذْ قيسُ ياسيدى فى حماك

« فى حياء وإباء »

وألقِ الأمانَ على رَحْلِهِ
ولا يفتكِرْ ساعةً بالزواج ... ولو كان مَرْوانُ من رُسْلِهِ

« ابن عوف »

إذن لن تقبلى قيساً ... ولن تَرضَيْ به بعلا
إذن أخفقَ مسعاىَ ... وخابَ القصدُ ياليلى

« ليلى »

على أنك مشكورٌ ... ولا أنسى لك الفضلا

وأوصيكَ بقيسَ الخيرَ لا زلتَ له أهلا
لقد يُعوِزُه حامٍ فكنْه أيها المولى

« تلتفت الى أبيها وكأنما تحاول »
« أن تحبس فى عينها دموعا »

أبى كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى ؟ ما يبتغى ؟

« المهدى »

جاء يخطُبُ

« ابن عوف »

ومن وردُ ياليلى وهل تعرفينه ؟

« ليلى »

فتى من ثقيفٍ خالصُ القلب طيّبُ

أتى خاطباً بعد افتضاحى بغيره وعارى ، أهذا يابن عوفٍ يُخيِّبُ ؟

أبى : أين وردُ الآن ؟

« المهدى »

عند قرابةٍ من الحىّ نسّموه اليهم ورحّبوا

فإن شئتِ أرسلنا اليه

« ليلى »

ابعثْ اذْعُهُ وجئْنا بقاضى نجدٍ اليوم يكتب

« ابن عوف »

تجاوزتِ ليلى غايةَ السُّخْط فاذكرى عواقبَ رأىٍ قد رأيتِ سخيفِ

« ليلى : متهكمة »

أكنتُ ابنَ عوفٍ غيرَ أنثى ضعيفةٍ
تناهتْ لرأى فى الأمور ضعيف

« ابن عوف »

أرى وقفتى يا ليلَ كانت شريفةً ولكنْ جزائى كان غيرَ شريفِ

« ليلى »

أنظِّفُ ثوبى يا أميرُ فطالما ظهرتُ به فى الحىِّ غيرَ نظيف

« ابن عوف »

لئن كنتِ يا ليلى بوردٍ قريرةً فإنى على قيسٍ لجدُّ أسيف

« ثم يخاطب أباها »

ألآن بحفظ الله ياسيد الحمى
لقد طال لُبثى عندكم ووقوفى
ووُفِّقت يا ليلى

« ليلى »

لقد كنتَ سيدى حليفاً لقيسٍ، هل تكونُ حليفى!

« ابن عوف »

سألتِ محالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافى لا لورد ثَقيف !

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »
« المهدى الى ماوراء شجر البان »

« ليلى »

ربّاهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان من … شأن الأمير الأرْيَحِىّ وشانى ؟
فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً … فيه وكنت قليلةَ الاحسان
فزعمتُ قيساً نالنى بمَساءةٍ … ورمى حجابى أو أذال صِيانى
والنفسُ تعلَمُ أن قيساً قد بنى … مجدى وقيسٌ للمكارم بان
لولا قصائده التى نوّهن بى … فى البيد ما علِمَ الزمان مكانى
مجدٌ غداً يُطوَى ويفنَى أهله … وقصيد قيسٍ فىّ ليس بفان
مالى غضِبتُ فضاع أمرى من يدى … والأمرُ يخرجُ من يد الغضبان
قالوا انظرى ماتحكمين فليتنى … أبصرتُ رشدى أوملكتُ عِنانى
مازلتُ أهذِى بالوساوس ساعةً … حتى قتلت اثنين بالهذيان
وكأننى مأمورةٌ وكأنما … قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى
قدّرتُ أشياء وقدّر غيرها … حظٌّ يخُطُّ مصايرَ الانسان

ستار

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني ثقيف ، في قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت طائفة منهم »
« للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا في الفلوات ، وبينهم شاب منهم »
« في شكل إنسي جميل الثياب يرتدي الحرير من فرعه إلى قدمه ، وعلى رأسه »
« عقالان من الحرير المحلى بالذهب، هو الأموي شيطان قيس- الجميع ينشدون»
« ويرقصون »

« نشيد الجن »

هذا الأصيلُ كالذَّهبْ   يسيلُ بالمرأى العجبْ
على الوهادِ والكُثُبْ

الرقصُ يبعثُ الطربْ   هلمَّ يا جنَّ العربْ
هلمَّ رقصةَ اللَّهبْ   إذا مشىَ على الحطبْ
نحن بنو جهنَّما   نغلي كما تغلي دَمَا
نثور في الأرضِ كما   ثارَ أبونا في السما
نحن بنو الجبارِ   العلَمِ المنارِ

إبليسَ بِكرِ النار يا عزَّ من لهُ انتمى
نحن الرُّعـودُ القاصفهْ نحن الرياحُ العـاصفه
والظلمـاتُ الزاحـفَه عرمرَماً عرمرَما
لنـا وما لنا صُـوَرْ نرى ونسمعُ البشر
ولا يرَوْنَ من حضَرَ منا ومن تـكلما
نقول حينَ نصطدمْ بســادةٍ أو بخَدَم
صمم صمم صمم.صمم عمىً عمىً عمىً عمَى

« هبيد »

فيمَ اجتمعْنا ههُنا ؟ يا عضرَفُوتُ ما الخبر ؟

« عضرفوت »

لا أدْرِ ... تلك ضجةٌ حضرتُها فيمن حضَرْ
فسل أخاك عَسَراً

« هبيد »

ماذا هناك يا عسَرْ ؟

« عسر »

نحن مسوقونَ الى ما ليسَ ندرِى كالبقرْ

« الأموى »

بنى الجنِّ فى أرضِكم عابرٌ من الإنسِ يرسُفُ فى ضُرِّهِ
فغـالوا بهِ واعلموا أنه فتىٌّ نبَّهَ الشعْرُ من قدرِه

« هبيد »

وأينَ تُرَى هــو ؟

« آخر »

ماذا يكون

« الأموى »

وماذا يهمُّك من أمره

ألم تعلموا أن لى صاحبا من الإنس أحكُمُ فى شعرِه

« هبيد »

أجل أنت تُوحِى له ما يقولُ وتقذفُ ما شئت فى فــكرِه

« الأموى »

إذن فاعلموا أنه عاشـــق تمَلأَّت البيدُ من ذكره

« عاصف »

وأعلم أن الهوى واحــد حوى المستهامِيْن فى أسْره

وأن التى ســحرت قلبَه مدلَّهةُ القلبِ من سحره

« الأموى »

وانى لأكفُلُ ليـــلى له وأصرِفُها عن هـوى غـيرِه

سَهِرْتُ على طُهر ليلى الزمانَ ولم أغمِض العينَ عن طُهرِه

صرَفتُ عن الحب حتى الزواجَ وما قدَّسَ اللهُ من سِره

ولو أنَّ عينى تَشُقُّ القبورَ سهِرْت على الحبِّ فى قبره !

« عضرفوت »

ومن يكون

« الأموي »

قيس

« عضرفوت »

من قيس

« عاصف »

وهـــل يخفى القمرْ !

الشاعـرُ الذى سـحر والساحر الذى شَعَـــر
حَنْجَرَةٌ لنـــا وترْ منهـــا وللإنس وتر

« هبيد »

وما لنـــا يا عضرفوتُ ولِفتيـــان البشرْ ؟
وما لقِينـــا منهمو ومن أبيهم غـــيرَ شر !

« عضرفوت »

بنى الجنّ اسمعوا أبِكم زكامٌ

« جني »

ولِمْ ؟

« عضرفوت »

نَتَنتْ لعمرِكُمو الجواء

« آخر »

وما فى الجو ؟

« عضرفوت »

ريحُ آدميّ

ففيه نَتانةٌ وله ذَكاه

إذا البشرىُّ مرَّ علىّ يوماً فقد مرّت علىّ الخُنْفُساه

« جنى »

أجل بعداوة البَشَرِ ابتُلينا وطال بها التبرّمُ والَعناء

مضى بالكبر إبليسٌ أبونا وكلٌّ تراثِ آدمَ كبرياء

يَعيب رجالُهم فيقال عبنا وتَدْفِنُ عارَها فينا النساء

وان عَجزَ المطبب قال داء من الجنِّى ليس له دواء

وان قَفَزَت صغارهمو فزلّت فنا معشرَ الجنِّ البلاء

وخفنا من أذاهم فاحتجبنا فما عصم الحجاب ولا اختفاء

وكم متعوذٍ بالله منا تعوذ الأرضُ منه والسماء !

« عضرفوت »

وقد نشكو من الناس التجنى وننسى ما جناه الأنبياء

« جنى »

أرُسْلُ الله أيضاً من عِدانا ؟

« عضرفوت »

أجل هم فى عداوتنا سَواء

بنى فخماً سليمانُ وضخماً ولولا الجنُّ ما نهضَ البناء
بنينا تدمرَ الكبرى بأيدٍ فهلْ تدرونَ ما كان الجزاء ؟

« جى »

وما كان الجزاء ؟

« آخرون »

أينْ !

« عضرفوت »

عذابٌ

وسجن ما لمدّته انقضاء !

فتحتَ الماء

« جى »

تحتَ الماء ؟

« عضرفوت »

عانٍ

عليه طلاسم وعليه ماء !

وفى جوف القماقم لو علمتم

« آخرون »

وما ذا فى القماقم ؟

« عضرفوت »

أبرياء !

« جنى »

ومن ذا زجَّهُم فيها ؟

« عضرفوت »

أميرٌ

علينا لا يُرَدُّ له قضاء

نبيٌّ فهو عدلٌ حيثُ يَقضِى

ومَلْكٌ فهو يفعلُ ما يشاء !

« عاصف »

قيس يا قومُ منكمو ليس قيسٌ من البشر

« جنى »

قيس منا وإنما فى بنى عامرٍ ظهر

« آخر »

إننى قد رأيتُه يتفلّى على الشجر

« ثالث »

وسمِعناهُ قد عوى عَوَّةَ الجنِّ واستتر

« رابع »

أنا أيضاً رأيته رَكِبَ الظبىَ فى السفر

« عاصف ــ متطلعا »

تعالَوْا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث ينظر »

« جنى »

ماذا ؟

« آخر »

عجيبٌ

« عضرفوت »

نرى شبحاً يُدحرِجه الفضاء

أقيسٌ ذا ؟

« عاصف »

نعم هو فاستعدوا فقد وجب التحفزُ واللقاء

« هبيد لجنى آخر »

تأمّلْ قيساً المُضنَى تجدْه من الذَوَبان أصبح كالخيالِ

« الآخر »

لقد ضلّ الطريقَ أما تراهُ يُصفّق باليمين وبالشّمال ؟

وقد قَلَبَ الثيابَ عليه نَهْجاً على عاداتِهم عند الضلال

« يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون »

سلامٌ مَلِكَ الحبِّ وسلطانَ المُحبينا

وأهلا وعلى الرحبِ لقد شُرِّفَ وادينا

أتى الجنُّ من الوادى يُحيّـــــونكَ بالورد
حدا ركبَهم الحـــــادى الى ناديك من بُعْدِ

« يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال »

رَب الى أين انتهت بىَ السُّرى وأىَّ وادٍ أنزلَتنى ياتُرى
عساىَ فى الشامِ لعلّى جزْتُه أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
وهــذه المُسوخُ حولى جِنّةٌ أم عملُ الوهمِ وتهويلُ الكَرى
لا، أناصاحٍ

« يتحسس جسمه »

هذه رِجلى وذى يدى وتلك مُقلتى يقظَى ترَى
ولِمَ لا أُومِنُ بالجن وأنْ تكون للجنّة كالناسِ قُرى؟
لا أدّعى معرفــةً بعــالَمٍ ظاهرُه أكثرُ منه ما اختفى

« يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع »

تلك منَ الجنِّ لعمرى شِرذِمَهْ وهـــــذه خيلهمو المُسَوَّمَهْ
نعامــة كالفرَس المُطهَّمَهْ وأرنبٌ مُسْرَجَةٌ ومُلجَمــه
وقُنفُذٌ وظَبيةٌ وشَيْهمه

ياعجباً كلَّ العجبْ ! الجنُّ منى عن كَثَبْ
ســودٌ دقاقٌ فى العيونِ كالدُّخانِ فى الحطب
يخرجُ من أفواهها ومن عيــونِهــا اللهب
من كل مَن جال بقَرْ نيه وصـــال بالذَنب

« الجان »

نَبِيَّ الحبِّ لا تَخش أذًى أو شِرَّةً منا
عَطفتْ الطيرَ والوحشا فلِمْ لا تَعطِفُ الجِنا ؟
وسَلْ حسّان والأعشى وشيطانَيْهما عنا

« الأموى »

تركتُ ورائى الشامَ لم أنتفعْ به ولا هو من شوقى القديم شفانى
وعدتُ الى نجدٍ أقاسى صبابتى ووجدى كأنى مابَرحتُ مكانى
تركتُك ليلى فانفجرتِ لياليا مؤلفةَ الأشكالِ جِدَّ حِسان

فلم يَخْلُ سيْرى منك يوماً ولا السُرى
ولم يخلُ من تمثالِكِ القمران
على كل أرض من هواكِ سوارحٌ
ملأنَ سبيلى أو ملكن عنانى

(وأجهشتُ للتوْباد حين رأيتهُ وكبر للرحمنِ حين رآنى)
(وأذريْتُ دمعَ العينِ لما عرَفْته ونادى بأعلى صوتِهِ فدعانى)

« يدنو منه قيس ويتأمله »

« قيس : لنفسه »

يا ويحَ عينى ما ترى ؟ وويحَ أُذْنى ما تَعى !
وأين عقلى ؟ غاب عنى اليومَ أو عقلى معى ؟
الشعر لى مُذ قلته من شفتى لم يُسمَع

من ذا الذى أوْحَى به لذا الغلام المُدَّعى ؟

« يقترب من الشاب ويأخذ فى انتقاده »

عقــــالان يمانيّانِ منْ وَشْيٍ وعِقيانِ
يُضيئان كلَمْحِ الشمـــس فى جلدة ثعبان
وأين الشَفَقُ الأحـــمَرُ من مطْرَفِكَ القانى ؟
وقــد تقرُب فى الروْ عقٍ من أملاك غسّان
وقد تبلُغُ فى الشعــر الى رقــةِ حسّان
فمــا شأنك ياهــذا ؟

« الأموي »

وما يَعنيكَ مِن شــانى ؟

« قيس »

أرى سارقَ أشــعارٍ جــريئاً ما له ثانٍ
فقــد يُسطَى على بيتٍ وقــد يُسرَق بيتانِ
ولا يَنتحِل الإنسان أبيــــاتاً لإنسان
وما أنشَدْتَ من شــعرٍ فمن صنعى وإحسانى
ولم أهتفْ به بعــدُ ولم تَسمَعْه أُذنان
فمَن أنت ومِن أين أتتْ أُذْنُك الجانى ؟

« الأموى »

أنا الملقى عليك الشعـرَ مِن آنٍ الى آن
أنا الهاجس والشيطان

« قيس »

لا ، لا ، لستَ شيْطانى

« ثم يناجى نفسه »

أجلْ سمِعتُ باسم شيطانى ولكن لم أرَه
أبى وأمى حدّثانى فى الليالى خبرَه

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألستَ أنت الأمويّ ؟

« الأموى »

لا تخَفْ أن تذكرَه

« قيس »

ما أنت إلا صورةٌ فى عصبى مُصوّره
وعبثٌ لو كان عقلى حاضرا لأنكره

« قيس — وهو ينكت الأرض بعود »

ويحى أقيسٌ واحد أم نحن قيسان هنا ؟
وأيُّنا الشاعر هذا الأمويُّ أم أنا ؟
أم الذى بى وبه من عَبَثِ السحر بنا ؟
أم أنا مجنون علىّ حبُّ ليلى قد جنى

« الأموى »

قيس

« قيس »

لبيكَ قيس

« الأموى »

ما أنا قيس

« قيس »

من إذَن ؟

« الأموى »

قلتُ إنّني شيطانُهْ

« قيس »

قيس من آدمٍ فما أنت منه

« الأموى »

أنا من قيس عامرٍ وجـدانُهْ

« قيس »

أنت وجدانىَ ؟ استعذتُ بربى منك

« الأموى »

لا تستعذ به جلَّ شانُهْ !

هكذا شاء : كلُّ شاعرِ قومٍ عبقريِّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحاً بوجهه ومطرقاً »

يا عجَبا أصبحَ بالجـــنِّ لســـانِى يعمرُ !

وصرتُ ينْهَى ماردٌ على فمِي ويأمــرُ
ما للسانِي لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟
يا ليت شعري كيف لا يخرُجُ منــه الشرَرُ ؟

« الأموى ـ واضعا يده على كتف قيس »

عــلامَ قيس فيم أنــــت مُطرِقٌ مفكّرٌ ؟
فى خبرى ؟

« قيس »

أجل وما صدقْتَ فيما تُخبرُ
ليــس لســانى ماردًا إنـ لســـانى بشَرُ

« الأموى »

قلِ وحدك الشعرَ إذنْ !

« قيس »

تظنُّنى لا أقدِرُ ؟

« الأموى »

جرِّب إذَنـ قلْ أرِنا يا قيسُ كيف تَشْعُرُ !

« قيس »

وما تُحبُّ ؟

« الأموى »

قريةُ الجنّ وهـــــذا المنظرُ
أليــــس فيها أنت راءٍ قيسُ ما يؤثّر ؟

« قيس »

إسمع إذن يا أمويُّ !

« الأموى »

إننى أنتظر

« قيس »

وجوهٌ تَصوَّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمال فى مطارح البصر تزخَرُ ،
وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عَبْقَرْ !

« الأموى ضاحكا »

قـه قـه ! تعالَوْا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الجن »

« قيس فى غضب »

قه قه . . أمِنّى تسخَرُ ؟

« الأموى »

ما هكذا ياشاعرَ الـــبيدِ البيوتُ تُكْسرُ

« جنى آخر »

إنك لا تَنْظِمُ يا قيس ولكنْ تنثُرُ !

« الأموى »

مالك قيسُ مُفْحَماً هذا لعمرى الحَصَرُ !
لا يُفحَمُ الشاعرُ لكن يُفحم الشُّوَيْعِرُ

مالك كالعُودِ الذى أدبرَ عنـــه الوتَرُ ؟
مـا للقوافى الآنساتِ منـكَ قيسُ تنفرُ ؟
كيف ترى لسانَكَ الا آن

« قيس »

عليـه حجرُ !

أنتَ على مشـــاعرى وشعرىـَ المسيْطِرُ !
إن غبت غاب خاطرى وإن حضرتَ يحضُرُ

« الأموى »

الآن لا تُنكرُ نِى قيسُ وكنت تُنكِـــر !
عجِبْتَ كيف تختفى الجنُّ وكيـــف تظهرُ
ياقيسُ هـــذا عالمٌ طِينتُه التجـــبُّرُ
تطغَـى على رائدهـا صحْـــراؤه وتغمرُ
وغـاية المُمعِن فى نظـامِهِ التحـــيُّرُ
مهما علِمت عنـه فالذى جهِلْتَ أكـــثرُ !

« قيس »

يا أخَـا الجنِّ لئن كنتَ أخاً لى وخليلا
أنا فى أعمـاءِ أرض لا أرى فيهـا السبيلا

« الأموى »

أين تبغِي قيس ؟

« قيس »

ليلى كن الى ليلى الدليلا

« الأموى »

مِلْ يميناً يا أبا المهدىّ ثم امشِ قليلا
تجد المنزلَ والماءَ الذى يشفى العليلا

« ينطلق قيس آخذاً يمينه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بني ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل ـ ورد مضطجع »
« على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفاقه ـ يقترب قيس من الخباء مناجيا نفسه »

« قيس »

إن قلبي لمخبرى أن هاتيكَ دارُها
أنا بالطائف الذى قرّ فيه قرارها
فى ثقيف تنقلى وثقيف ديارها
ما لساقى جرَّرْتُها فتعابى انجرارُها
ولقلبى يقول لى قد تدانى مزارُها
كيف لا أهتدى لليلَى وفى القلب نارها

لیت لیــــلای نُبِّئتْ أننی الیومَ جارها

« یتبین وردا وصاحبـه »

عجبٌ ! هُدیت الدارَ بعد ضلالة ما كان شیطانی علیّ كذوبا
هــذی منازلها وذلك بعلها بعثَتْ الیّ دیارُ لیلی الطّیبا
هذا غریمی وردُ أشقر كاسمه أتراه ألبس جلدَه مقلوبا !
ما باله افترش الأدیم كأنه بغلٌ یُعفِّر فی التراب جنوبا !

« رفیق ورد »

ورد أری من المدَی القریبِ شخصاً یدبُّ نحونا كالذیب
علی خُطاه خَشیةُ المُریبِ

« ورد »

لِمْ لاتقولُ حیرةُ الغریب
لعلَّه ابنُ سبیلٍ یمـــرُّ بالحی مَرّا
إنی أراه سقیما یجرُّ ساقیْه جــرا

« ینهض من رقدته قلقاً »

« الرفیق »

عرفتَ مَن هو ؟

« ورد »

قیسٌ به الغـرامُ أضرّا

« الرفيق »

قيس ؟

« ورد »

أجل

« الرفيق »

كيف أفضَى إليك ؟ كيف تجرّا

« ورد »

دعنى وقيساً وشأنى لعـــل فى الأمر سرّا

« ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس »

« قيس »

أهذا أنت وردبنى ثَقيفٍ ؟

«ورد»

نعم والوردُ ينبتُ فى رباها

« قيس »

ولِمْ سُمّيتَ وردا لم تُلَقّبْ بقُلّامِ العشيرة أو غَضاها!

« ورد ـــ فى سكون وحلم »

وما ضرّ الورودَ وما عليهـا ؟

إذا المزكومُ لم يَطعَمْ شـــذاها

« قيس »

(بربِّكِ هل ضممتَ إليك ليلى
قُبَيْلَ الصبح أو قَبَّلْتَ فاها ؟)
(وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلى ..
رفيفَ الأُقحُوانَةِ فى نداها ؟)

« ورد ــ بعد فترة سكون »

نعم ولا ياقيس

« قيس »

بل لا بدَّ من لا أو نعمْ

« ورد »

هبْها نعمْ ياقيسُ هل | مع الحلال من تُهَمْ ؟
المرْءُ لا يُسأل : هل | قبَّلَ أهله ؟ وكم ؟
أجل لقد قبَّلْتُها | من رأسها الى القدم

« قيس غاضبا »

تلك لعمرى قُبلةُ الحُمَّى | بلاءٌ وسقمْ !
أو قُبلةُ الذئبِ إذا الذ | ئبُ على الشاة جَثَمْ

« يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه »

قلبى يقول لىَ : لا ! | يا صِدْقَهُ فيما زعم !

« ورد »

إذن تعالَ قيسُ واسمعْ فى أناةٍ وكرمْ

لا تجعلنَّ الغضبَ الـــجائرَ بيننا الحكَمْ
إسمع حـــديثى إنه ما خطَّ مثلَه القـــلم
وسِرُّه لا الأهـــلُ يد رون به ولا الخدَم
أنا الذى ظُلِمتُ قيـــس ما أنا الذى ظَلَمْ
أليَّـــةً وما علىّ لك يا قيـــس قسَمْ
كم مرَّتِ الليـــلةُ بى والليلتان لم أنم
منذُ حوت دارىَ ليـــلى ما خلوْتُ من ندَم
كانت إطافتى بها كالوثنىِّ بالصنَّم
وربمـا جئتُ فرا شَها فخانتنى القـــدم
كأنها لى مَحْرَمٌ وليس بيننا رَحِـم
شعرُك ياقيسُ جنى علىّ هـذا واجترَم
هيبّتهـــا فامتنعتْ كأنها صيدُ الحرَمْ
وهَبتُها للحبّ والشـــعرِ وقيسٍ والألم

« قيس »

ولكن تعالَ سَرِىَّ ثقيفٍ أَبِنْ لىَ مالم تُبيِّنْ تعالَ
تقولُ لَقيتَ بشعرى الشقاء وجرّ عليك بيانى الوبالا
لقـد قلتَ قولا فأوْجزتَه فبالله إلا شرحت المقالا

« ورد »

إذن . أُصغِ قيس

« قيس »

قل الصدقَ وردُ

« ورد »

وهل كان لى الصدقُ إلا خلالا

فلولاك ما اخترتُ إلا ثقيفاً ولم أُلق للعامريّات بالا
ذهبتُ بشعرك منذ الشبابِ أُغنّى القِصار وأروى الطِّوالا
أرى بين ألفاظِه ظِلَّ ليلى وألمحُ بين القوافى الخيالا
فلما رُدِدْتَ وقيل القصائد والعشقُ بين المحبَّيْنِ حالا
خرجتُ الى حيّها خاطبا ولم أدَّخِرْ دون مسعاىَ مالا
بنيْتُ بهـــــا فتهيَّبتُها وأىُّ امرىءٍ هاب قبلى الحلالا
فشعرُك يا قيسُ أصلُ البلاء لقيتُ به وبليلى الضلالا
كساها جمـــــالا فملَّقتُها فلما التقينا كساها جلالا
إذا جئتُها لأنالَ الحقوقَ نهتنى فَدَاستُها أن أُنالا

أمَسِّكَ أبا المهدى !

« يستحيل كلامه الى همس ، إذ تبدو ليلى على باب الخباء »

أُنظرْ هذه ليلى علينا طلعتْ من الخبا

« ثم ينادى بصوت متهدج »

ليلى تعالىْ أسرعى ، قيسُ أتى ليلى هناكِ ، مَنْ تحبّين هنا

« قيس »

أمازحٌ يا وردُ قل لى أنت أم تَسخَرُ منى أم تُرَى تَهزَا بنا ؟

« ورد »

بل قلتُ جِدًّا لم أقلْ مُهازلا

« قيس — هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعْها لاتُجشِّمْها الخُطا

« ورد — وليلى تقترب »

إسمعْ أبا المهدىّ همسَ خطوها كأنه وَطْءُ الغزال فى الحصا

دعوتُ فاهتمّتْ ولو لم أدْعُها لوَجَدتْ ريحَك من أقصى مدى

قيسُ تثبّتْ واستَعِدَّ ، هى ذى أتتْ ، فلا يذهبْ بلُبِّك اللقا

الآن أمضى لسبيلى

« قيس »

بل أقِمْ إلبثْ أعنِّى ، إننى خُرتُ قُوَى

« ورد »

قيسُ أرى الموْقف لا يجمعُنا أنت حبيبُ القلب، والزوجُ أنا

يا لَكما منى ويالى منكما ! نحن الثلاثةُ ارتطمنا بالقضا

« ينصرف وتقبل ليلى على قيس »

« قيس »

ليلاى ، ليلى القلب

« ليلى »

قيس مالى دارتْ بى الأرضُ وساءحالى ؟

« قيس »

فداكِ ليلى مهجتى ومالى ... من السقَّام ومن الهزالِ
تعالىْ اشكى لى النوى تعالِى ... ألقِى ذراعيْكِ على خيالِ

« تصافحه بشوق »

« ليلى »

أحقٌ حبيبَ القلب أنت بجانبى ... أحلمٌ سرى أم نحن منتبهان ؟
أبعد تراب المهد من أرض عامرٍ ... بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان ؟

« قيس »

حنانيْكِ ليلى ، ما لخلٍّ وخلِّه ... من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكلُّ بلاد قرَّبتْ منك منزلى ... وكلُّ مكانٍ أنت فيه مكانى

« ليلى »

فمالى أرى خدَّيْك بالدمع بُلِّلا ... أمِنْ فرَحٍ عيناكَ تبتدران

« قيس »

فداؤكِ ليلى الروحُ من شرِّ حادثٍ ... رماكِ بهذا السقْم والذَّوبان

« ليلى »

ترانى إذن مهزولةً قيس ؟ حبذا ... هزالى ومَن كان الهزالَ كسانى

« قيس »

هو الفكرُ ليلى، فيمن الفكر ؟

« ليلى »

فى الذى تجنَّى

« قيس »

كفانى مالقيتُ كفانى

« ليلى »

أأدركتَ أن السهمَ ياقيسُ واحدٌ وأنّا كلينْا للهوى هدفان ؟

كلانا قيسُ مَذبوحٌ قتيلُ الأبِ والأمِّ
طعينان بسكِّينٍ من العادة والوهم
لقد زُوِّجتُ ممّن لم يكن ذوْقى ولا طَعْمى
ومن يكبُرُ عن سنّى ومن يصغُرُ عن علمى
غريبٌ لا من الحىِّ ولا من وَلد العمِّ
ولا ثروتُه تَربِى على مال أبى الجَمِّ
فنحن اليومَ فى بيت على ضِدَّيْن مُنضَمِّ
هو السجنُ وقد لا ينطوى السجنُ على ظلم
هو القبرْ حوى مَيْتين جارْين على الرّغم
شتيتيْن وإن لم يَبْعُدِ العظْمُ من العَظم
فان القربَ بالرُّوحِ وليس القربُ بالجسم

« قيس »

تعاليْ نعِشْ ياليلَ فى ظل قَفْرَةٍ من البيد لم تُنقَل بها قدمان

تعاليْ الى وادٍ خَلِيٍّ وجَدْولٍ ورنّةِ عُصفورٍ وأَيْكَةِ بان

تعالى الى ذكرى الصِّباوجنونه وأحلام عيشٍ منْ دَدٍ وأمان

فكم قُبلة ياليلَ فى مَيْعَة الصِّبا وقبلَ الهوى ليست بذات معان

أخذْنا وأعطيْنا إذ البَهْمُ ترتعى وإذ نحن خلف البَهْم مستتران

ولم نكُ ندرى يومَ ذلك ماالهوى ولا ما يعودُ القلبَ من خفقان

مُنَى النفس ليلى قرّبى فاكِ من فمى كما لفّ مِنقاريْهما غَردان

نَذُقْ قُبلةً لايعرفُ البؤسَ بعدها ولا السُّقمَ رُوحانا ولا الجسدان

فكلُّ نعيم فى الحيـاة وغبطة على شفتينا حين تلتقيـان

ويخفقُ صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلبٌ فى الجوانح ثان

« تنفر ليلى »

« ليلى »

وكيف ؟

« قيس »

ولِمْ لا ؟

« ليلى »

لستَ ياقيسُ فاعلاً ولا لى بمـا تدعو إليـه يدان

« قيس »

أتعصِيننى يا ليلَ ؟

« ليلى »

لم أعصِ آمرى ولكنّ صوتاً فى الضمير نهانى

وورد يا قيس ؟ وردٌ ما حفَلتَ به
لقد ذهلتَ فلم تجعلْ له شانا

« قيس : غاضبا »

تعنين زوجكِ ياليلى

« ليلى : منكسة رأسها »

نعم

« قيس »

ومتى أحببتِ وردا ؟ تُرى أحببتِهِ الآنا !

« ليلى »

فيمَ انفجارُكَ ؟

« قيس »

من كيدٍ فُجِئْتُ به

« ليلى »

إنى أراك أبا المهدى غيرانا
وردٌ هو الزوجُ ، فاعلمْ قيسُ أن له
حقًا علىّ أؤديه وسلطانا

« قيس »

إذن تحابيتما ؟

« ليلى »

بل أنت تظلمنى فما أحبَّ سواكَ القلبُ إنسانا

ولستُ بارحةً من داره أبدا
حتى يُسرِّحنى فضلا و إحسانا
نحن الحرائرَ إن مال الزمانُ بنا
لم نشكُ الا إلى الرحمن بلوانا

« قيس »

بل تذهبين معى !

« ليلى »

لا ، لا أخونُ له عهداً ، فما حادعن عهدى ولا خانا
فتًى كنبْع الصفا لم يختلفْ خلقًا
ولا تلوّنَ كالفتيان ألوانا

« قيس : متهكماً »

أراكِ فى حبِّ وردٍ جِدَّ صادقةٍ
وكان حبُّكِ لى زوراً و بهتانا

« ليلى »

قيس !

« قيس : صارخاً »

اتركينى بلادُ الله واسعةٌ ! غداً أبدّلُ أحبابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى »

« ليلى »

العقلَ ياقيس !

« قيس »

لا خَلِّى الرداءَ دعى

« ثم يفلت منها ويندفع الى سبيله »
« تاركا اياها باكية فى هيئة استعطاف »
« ليلى »

وارحمتاه لقيسٍ عاد ما كانا!

واهاً لقيسٍ وآهِ ما صنعا ؟ آ كثَرَ قيسٌ بلواى والوجعا.

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

« عفراء »

لبّيْك سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا .

« ليلى »

لقد سمعتِ الحديث كيف إذن

صبرى على ما جرى وما وقعا؟

قلتُ لقيس مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالاً له ولا سمِعا

وقيسُ ذو جِنَّةٍ وإن زعموا جنونَه مدَّعًى ومصطنعا

تحير الناسُ فى جنون فتىً لا عقلَ الا بشعره ولِعا

واللهِ لو جاء فى محاسنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ مامنعا

فوردُ يا عفرَ لا كِفاءَ له مروءةً فى الرجال أو ورعا
آه من من السقّم

« عفراء »

ألفَ عافيةٍ

« ليلى »

آه من الحادثات

« عفراء »

ألفَ لعَا

« ليلى »

أنا عُذريّةُ الهوى أحملُ العبْ ء وإن ناءَ بالصبابة جهدى
المحبّات ما بكيْن كدمعى فى الليالى ولا أرقن كسُهدى
ويح قيسٍ وويحَ لى أى ثارٍ للمقادير عند قيسٍ وعندى
أتعب الحىّ داء قيسٍ ودائى وتعايى الدواء كُهّانَ نجد
لا الحواميمُ تصرفُ الجنّ عنا حين تُتلى ولا رُقى السحر تُجدى
أبقيسٍ وبى هوى عبقرىٌّ يَسلُبُ العقلَ من ذويه ويُردى
علَّةُ البيد من قديمٍ وداء ضاعَ فيه الرُّقى وحار المُفَدّى
ما سلاحاه حين يقتلُ إلا من عفافٍ ومن وفاء بعهد
لم تعذَّبْ بالحب عذراء قبلى كعذابى ولن تُعذَّبَ بعدى

« عفراء »

هي عذراء ؟ ربيَ اشهدْ !

« ليلى »

أجلْ عذراء حتى يضمنى ركنُ لحدى

« عفراء »

والذى أنتِ تحتَه ؟

« ليلى »

تحت بعلٍ غيرِ ذى جَفوةٍ ولا مستبدّ

راعنى اللومُ من جميع النواحى فتواريْتُ فى مُروءةِ « ورد »

« يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

ربِّ ماذا سمعت ؟ ليلى شكورٌ لك نفسى الفِداء يابنتَ « مهدى »

« ليلى »

ورد

« ورد »

ليلى

« ليلى »

رُحماكَ وردُ وعفوا

كنتُ أخفى الجوى فأصبحتُ أُبدى

« ورد »

ما بليــلى ؟ ماذا أثاركِ ليــلى ؟ هدِّئى روْعَكِ المُفزَّعَ هدِّى

« ليلى »

الداء يا وردُ فىّ مجتهـد ملتهِمٌ هيكلى وما شبِعا

أصبحتُ لا أشـتهى الطعامَ ولا

يَحمَدُ جنبي الىّ مضطجَعـــــا

قلبى من اليأس حين حلّ به أُحسّ يا وردُ أنه انصدعا

لم يحملِ اليأسَ ساعةً ولقد كان بما حمّلوه مضطلِعا

المتمنى بالعيش منتفِـــعٌ ولن ترى يائساً به انتفعا

القدرُ اليومَ والقضـــاء على

حربكَ قيس وحربىَ اجتمعـا

ســـتـــار

الفصل الخامس

«مقابر على سفح جبل التوباد فى طريق عام على مقربة من حى بنى عامر يبدو»
« من بينها قبر جديد مازال أشخاص من الحى يهيلون عليه التراب ويضعون »
« الأحجار، ومن حوله كثير من رجال الحى وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدى »
« وورد وكلهم باك أو حزين ــ يبدأ المشيعون فى الانصراف وهم يعزون المهدى »
« ويصافحونه واحداً بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

« معز »

إنا لله أبا ليلى

« آخر »

صبرٌ أبا ليلى جميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »
« فيسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

«السار»

قبرُ مَنْ يا صبى ؟

« الصبى »

قبرُها يا أبى

« المـار »

إمرأةٌ ؟

« الصبي »

نعم

« المـار »

ومَن تكونُ ؟

« الصبي مشيرا الى المهـدى »

بنتُ ذا الرجـلْ

لَيلى ابنــةُ المهدِى ألستَ من نجـدِ ؟

« صبي آخر »

أجلْ قد دُفنتْ ليلى وما جفَّ لهـا لَحَدُ

وذا الشيخ أبو ليلى وذا صاحبُها وردُ

هنـا الوالدُ والزوجُ

« المار »

وقيسٌ !

« الصبي »

لم يجىءْ بعدُ

« يقترب الرجل من المهدى فيعزيه »

« المسار »

مَهـدىءْ أجملْ جزعا

« معز »

يا أبا ليـلى جمالَكْ

« آخر »

عزاء أبا ليـــــلى

« آخر »

عزاءً أبا ليـلى

« آخر »

صبرٌ أبا ليلى جميل

« صديق من أصدقاء ورد هامسا إليه »

لقد أحسنتَ ياوردُ ... وما للناس إحسان
يُعزّون أبا ليـلى ... وما عزّاك إنسان
بل انظُرْ ترَهم أقسى ... عليك اليوم ما كانوا
على الأوجُه بغضاء ... وفى الأعيُن عُدوان

« ورد »

مهلاً أخى وانظُرْ الى النـــــاس بعين مُنصفِ
هم يأخـذون مابدا ... ويتركون ماخفِى

ظنُّ الجماعات فىَّ سوءٌ ورأيُهم فىَّ ما أصابا
يرَوْن أنى عدُوُّ قيسٍ أخذتُ ليلى منه اغتصابا
وزدتُ نفسيْهما شقاءً وزدتُ قلبيْهما عذابا
ليسألِ الناس قبر ليلى فإن فى قبرها الجوابا

« يلتفت الى المهدى بعد أن يعزيه آخر معز »

تجمّلْ أبا ليلى

« المهدى — مصالحا إياه »

تجمّلت طاقتى ولستُ بخوّارٍ قليل التجلُّدِ
حَملْتُ فُضولَ الناس ياوردُ حِقْبةً إذا قمتُ من باغٍ عثرتُ بمعتدِ
يَعيثون فى عرضى فمن كل معولٍ ومن كل مِقراضٍ ومن كل مبردِ
وهذا يحيّينى ويقطعُ فرْوتى وهذا يُفدّينى ويهدمُ سؤددى
وياوردُ لو لم تُرْخِ ستراً على ابنتى لظلّتْ بعرضٍ فى البوادى مُبدّدِ

حَفظتَ ابنتى حفظ الشقيق ومرّضتْ
ببيتك تمريض الصغير الممهّدِ
وصيّرت ليلى فى حماكَ وخدرها كعذراءِ ديرٍ أو كدُمْية معبدِ
لقد صنتها ياوردُ فاذهبْ فما أنا بناسٍ لك المعروف أو جاحد اليدِ
وليلى فتاةٌ حُرةٌ بنتُ حرّةٍ أحبتْ غلامًا سيدا وابنَ سيّدِ

وأعلمُ أنى كنتُ حربَ هواهُما وكنتُ معَ الواشى وعَوْنَ المفنّد

« يلتفت الى القبر باكيا »

بظل الله ياليلى

« ورد »

وفى بحبوحة الخُـلْدِ

وهذا نَجدُ ياليـلى فنامى فى ثرى نجدِ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »
« الغريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأمية وسعد »

« الغريض »

دنا الحىُّ يابن سَعيدٍ وثَمّ

« ابن سعيد »

وما ثَمّ ؟

« الغريض »

أُنظر يُجبْـك النظرْ

« ابن سعيد »

قبورٌ ؟

« الغريض »

أجل عارضتْنا القبور وعمّـا قليل نُجيزُ الحُفَرْ

« ابن سعيد »

وهل نحن إلا على حفْرَةٍ هى الأرضُ أوهى قبر البشر

محجّبةٌ بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضَر
غريضُ : بصُرت بقبرٍ جديد

« الغريض »

وماذا سوى الموت في ذا الحفَرْ ؟

« ابن سعيد »

أخٌ كان يملأُ أمسِ الهواء ويحيا الحياةَ ويجري العُمُرْ
نزيلٌ لعمري غريبُ الغِطاء
غريبُ الوطاء غريبُ الحُجَرْ
لدى منزلٍ كبيوتِ الكراء مرارا خلا ومراراً عمَرْ
يزارُ كثيراً فدون الكثير فغِبّاً فيُنسى كأن لم يزرْ
وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجَرَ
فيامَيْتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ
وحيّاكَ في الفترات المطر
وأمسٍ كعادٍ وإن كان منك
لطيفَ الخيال قريبَ الصُّوَر
لقد نفض الليلُ منك اليدين
وأدرك فيك النهارُ الوطَر
وأمسيتَ تحت لواء التراب
قهرتَ القضاء ودنتَ القدر

تلفّتْ وراءكَ أين الغرورُ وأين السرورُ وأين الأشَرْ
وأين مَعالِمُ عُرْسِ الحياة وأين سنا ليـله المزدَهِر
وأين شبابٌ كحُلْمِ العروسِ
ضَحوكُ العشِيّاتِ طَلْقُ البُكَر
وأين العداواتُ من سافرٍ مُبينٍ ومن كاشحٍ مُستتر
وأين المودّاتُ من صُحبةٍ كنحلٍ يَحُمْنَ وأنت الزَّهَر
قليلون عندامتنارِع القِطافِ كثيرون عند رجاء الثمر
وكم مَن سَقيتَ بشَهْدِ الوداد فلم يَجْزِ الا بصـابِ الإِبَر
فذُقْ سِــــنةً لا ككلِّ السِّنات
ونَمْ ليـــــلةً ما لها من سَحَر
وقُل للصديقِ طوَيْنَا الحديثَ
وقلْ للعدوِّ دَفنَّا الخـــــبر
وهيّىءْ مكانيهما فى التراب فإن ركابهما مُنتظَر

« سعد »

أميةُ ماذا ترى فى الغريض؟

« أمية »

وماذا أرى فى أميرِ الطربْ؟

« سعد »

لقد علم الناسُ أن الغريضَ
مُغَنِّى الحِجازِ وشادى العربْ
ولكن...

« أمية »

وماذا وراء « ولكن ؟ » فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيَب

« سعد »

أمىَّ اخفِضِ الصوتَ لا يسمعَنَّ

فيغضبَ فهو قريبُ الغضب

وأُذْنُ المغنى تُحسُّ النسيمَ

وتسمعُ فى الكأسِ رقصَ الحبَب

أميةُ إنى أخافُ الغَريضَ وإن التَّطيُّرَ بى قد ذهب

« أمية »

وأين ترى الشؤمَ حولَ الغريض

وكيف ؟

« سعد »

رُويدكَ تدرِ السبب

أليس الغريضُ يَهيجُ البكاء

فلو رام دمعَ العروسِ انسكب

ترعرع فى بيئةِ النائحاتِ وعلّمنه الندّبَ حتى ندَبْ

ينوحُ بيثربَ آلَ الرسولِ

ويُذكِى مآتمَ أهلِ الحسَبْ

« أمية »

وأينَ يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ
وأيّ بلاء علينا جلَبْ
وما هو الا مُغنّى الحياةِ بناحيتيها الأسى والطرب

« سعد »

ولكننا قاصدو عامرٍ لنقضىَ حقًّا لقيسٍ وجب
ونسألَ عن عاشقٍ فى الديارِ
طويلِ البلاء ثقيل الوَصَبْ
ومن زار بالنائحات المريضَ
وأهلَ المريضِ أضاع الأدب

« يتهيأ الغريض للغناء »

هو ذا هاج شجْوُه هو ذا يُرسلُ النغَمْ
هاتفٌ من نُواحِهِ رنَّ فى القاعِ والأكَمْ
هو فى كلِّ خاطرٍ وفؤادٍ صَدَى الألم

« أنشودة الغريض »

وادىَ الموتِ سلامُ وسقَى القاعَ الغمامُ
السماء القُدْسُ مِحرابُكَ والأرضُ الحرامُ

أنتَ فى الصَّمتِ مُبينٌ ومن الصَّمتِ كلامُ
لم يَمتْ أهلُك لكن غشيَ الليلُ فناموا
غُيَّبٌ لم ندر ما صاروا ولا أين أقاموا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الأنشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على »
« أثر اختفائهم ، قيس وزياد »

« قيس »

جبلَ التَّوْباد حيّاك الحيا وسقى اللهُ صبانا ورعى
فيكَ ناغيْنا الهوى فى مهده ورضَعْناه فكنتَ المُرضِعا
وحَدوْنا الشمسَ فى مغرِبها وبكَرْنا فسبقنا المَطلَعا
وعلى سفحك عشنا زمنا ورعينا غنمَ الأهل معا

هذه الرَّبوةُ كانت ملعبًا لشبابينا وكانت مَرْتعا
كم بنيْنا من حصاها أربُعًا وانثنينا فمحونا الأربُعا
وخططْنا فى نقا الرمل فلم تحفَظِ الريحُ ولا الرملُ وعى
لم تزَلْ ليلى بعينى طفلةً لم تزِد عن أمسِ إلا إصبَعا
ما لأحجارِكَ صُمًّا كلما هاج بى الشوقُ أبتْ أن تسمعا
كلما جئتُكَ راجعتُ الصِّبا فأبتْ أيامُهُ أن ترجعا
قد يهونُ العمرُ إلا ساعةً وتهونُ الأرضُ إلا مَوْضعا

« يظهر بشر قادما الى المقبرة من ناحية الحى »

« بشر »

عـــــزاءٌ قيسُ !

« قيس »

مَنْ ؟ بشرٌ ؟

« بشر »

أجلْ

« قيس »

فيمنْ تُعزّينى ؟

أنا الميّتُ يا بشرُ وإن أخّرَ تكفينى

« يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس »
« وحرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

« بشر »

يجهَلُ قيسٌ موتَها ولم أخَلْ أن يجهلَهْ
ويْحَ له وويْحَ لى ! ماذا عسى أقولُ لهْ
إن الحبيبَ نعيُهُ الى المحب معُضلهْ
إنى أخاف إن أنا خبرّْتُهُ أن أقتُلَه

« قيس »

بشرُ

« بشر »

لَبّيك قيسُ

« قيس »

من أين يابشرُ ؟

« بشر »

من الحيّ

« قيس »

ماحوادثُ عامرٍ ؟

كيف أمي يابشر ؟

« بشر »

برّحها الشوق

« قيس »

وأهلي . .

« بشر »

حنينهم متكاثر

« قيس »

ولِداتي من فتيةٍ وعذارى ؟

« بشر »

كلُّهم شيّقٌ لعهدك ذاكر

« قيس »

كيف بيتٌ لنا بمدرَجةِ الريح
وناد على النجوم وسامِر ؟

والنخيلاتُ كيف خلفتَها بشر ؟

« بشر »

كما هن باسقاتٌ نواضر

« قيس »

ومِهارى التى تركتُ صِغاراً ؟

« بشر »

كبِرت قيسُ فهى جُردٌ ضوامر

« قيس »

عزّتِ البيدُ ، تُنبتُ السابقَ الفذَّ
وتأتى بفارس وبشاعر !

« يضطرب بشر »

ويح بشرٍ ماذا به ؟

« بشر »

قيس !

« قيس »

بشرٌ !

أنت فى نفسكَ الخفيَّةِ ثائر

تشبُّ الحزنَ والبكى نبَراتٌ

لك كانت كضاحكات المزاهر

« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربِّ ماذا أُجيب ؟ لاشىءَ ياقيس ..

« قيس »

بل الحزنُ فى مُحيّاك ظاهر

ولقد راعنى لك اليوم جِدٌّ

من خليعِ العِذار بالأمسِ سادِرِ

« تغرورق عينا بشر بالدموع »

ماجرى؟ ماالذى أثارك يابنَ العم؟

ماهذه الدموعُ البوادر ؟

« بشر »

قيس لا شىءَ

« قيس »

بل كتمتَ جليلاً

هذه وَجمةُ النعِىِّ المحاذر !

« بشر »

قيس . .

« قيس »

لا ، لا تَجِمْ ولا تُخفِ شيئا
أنا يابشرُ بالفجيعةِ شاعر

خُلِجتْ قبل نلتقى عينىَ اليسرى
وريعَ الفؤادُ روْعةَ طائر

« بشر »

أعفِنى ! أعفِنى ! بربك ما أنت
على ما أقولُه لك قادر !

« قيس »

أماتت ؟

« بشر »

أجل قضتْ أمسِ . .

« قيس — وهو يغمى عليه »

والِيلاه !

« بشر »

لله — ما أشدَّ المقادر !

« يمضى بشر فى سبيله »

« زياد ـ مقتربا من قيس »

هو مغمى عليه ربّ أيصحو ؟ هل لهذا العذاب يارب آخر ؟

« يصحو قيس »

« زياد »

تباركت يارب قيس أفاق ؟ صحت عينه وصحا المسمع !
رجعت لنا قيس

« قيس »

هيهات هيهات !
من كان فى النزع لا يرجع

لقد بقيت خفقة فى السراج سيلفظها ثم لا يسطع
زياد غدا يلتقى الموجعون وموعدنا ذلك البلقع !

« يشير الى المقابر »

عرفت القبور بعرف الرياح ودل على نفسه الموضع
كثكلى تلمس قبر ابنها الى القبر من نفسها تدفع
هداها خيال ابنها فاهتدت وليلى الخيال الذى أتبع
لنا الله يا قلب ! ليلاك لا تجيب وليلاى لا تسمع !
فجعنا بليلى ولم نك نحسب يا قلب أنا بها نفجع

« يقترب الى القبر باكيا فيكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أعينى هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا أدمع !
هنا جسم ليلى هنا رسمها هنا رمقى فى الثرى المودع

هنا فمُ ليلى الزَّكىُّ الضحو … كُ يكادُ وراء البلى يلمعُ
هنا سِحرُ جفنٍ عفّاه الترابُ … وكان الرُّقى فيه لا تنفع
هنا من شبابى كتابٌ طواه … وليس بناشره البَلْقع
هنا الحادثاتُ ، هنا الأمل الحلوُ يالجيلَ ، والألمُ المُمتع
طريدَ المقادير هل مَن يُجيرُ … كَ منها سوى الموتِ أو يمنع ؟
تَذلُّ الحياةُ لسلطانها … وللموت سلطانُها يخضعُ
طَريدَ الحياةِ ألا تستقِرُّ … ألا تستريحُ ، ألا تهجَع ؟
بَلى قد بلغتَ الى مفزَعٍ … وهذا الترابُ هو المَفزَع

« يظهر الأموى شيطانه من بعيد ويناديه »

« الأموى »

قيسُ

« قيس »

مَن الهاتفُ من … نادَى الشريدَ المُطَّرحْ

« الأموى »

أنا الذى أوْحى اليكَ … حُبَّ ليلى واقترحْ

« قيس »

إذهبْ وإن لم أدْرِ رُوحٌ أنت أم أنت شبَحْ
إذهبْ فلستَ صالحاً … وأىُّ شيطانٍ صَلَحْ
كنتَ قرينَ السوء لى … وكنتَ شرَّ من نَصَحْ

لولاك ما بُحتُ بما خدّش ليلى وجرَح
كأنه في عِرضها زيتٌ على الثوب سرَح

« الأموى »

أفقْ قيسُ

« قيس »

سِرْ خلّنى يا خيال ومَنْ بالخيال لمن لم ينَمْ

« الأموى »

حنانيْكَ قيسُ أقِلَّ العتابَ ولا تسكبنَّ دموعَ الندمْ
تفرّدْتَ بالألم العبقرىِّ وأنبغُ ما فى الحياة الألم
مُريبك يا قيسُ فوق التراب وأنت مع النجمِ فوق التُّهَم
أخذتَ سبيلك نحو الخلود وليس الخلودُ سبيلَ الأُمَم
قُم اهتِف بليلى وشبّبْ بها وخلِّ التقاليدَ وانسَ الحُرَم
وطِرْ فى الهواء طليقَ الجناح وسرْ فى الأديم طليقَ القدم
فلو أنصفَ الناسُ خَلّوْكَ كما كتَرْكِ الوفود حَمامَ الحرَمْ
قُم ابسُطْ جناحك فوق القِفار وطِرْ فى الوهاد ، وقَعْ فى الأكم
وأترِعْ من الوتر العبقرىِّ سَماءَ القصور وأرضَ الخيَم
وألِّفْ على الحب شتىّ القلوب وأرسلْ سرَّ الجمال النغم
تغَنَّ بليلى وبُحْ بالغرام وبُثَّ الصبابةَ واشكُ السقَم
فلا خيرَ فى الحب حتى يذيعَ ولا خيرَ فى الزهر حتى ينِمْ

« قيس »

أقوم ؟ .... هات قدَما

أقول ؟ .... أعطنى فما

أما ترانى هيكلاً محطَّماً مُهدَّما !

« يختفى الشيطان ويستمر قيس »

يارَبَّ قيس هل نعيتُ وهل جرتْ كأسٌ تدورُ على النفوس مَشاعُ

أوْ لا فما بالى أنوء بهيكل للموت فيه وللحياة صِراع؟

اليومَ آذننا القضاء بحكمه ما لى ولا لك يا حياةُ دفاع

راجعت فى الموت الحياةَ وعادنى فى النزْع يا ليلى اليك نِزاع

كيف الوَداعُ من الحياة ولم يُتَحْ لىَ منك يا ليلى الغداةَ وَداع

هيهات لم تعدِمْ شذاكِ قرارة حولى ولم يَعدِمْ سناكِ يَفاع

وعلى سماء البيد منكِ بشاشةٌ وعلى رمال البيد منكِ شُعاع

وكأنَ كل ضبابةٍ دونَ الضحى قسَماتُ وجهك دونهن قناع

« يمر به ظبي سارح فيتأمله قليلا ويناجيه »

يا ظبى بكَّ من افتداكَ بماله

إذ أنت عانٍ تُشترَى وتُباع

وأباح طفلك ماءَه وطعامَه إذ هنَّ عَطْشَى بالفلاة جياع

يا قاعُ كن نعشى وكن كفَنى وكن

قــبرى وقُمْ فى مأتمى يا قاع

واجمعْ لتشييعى الظِّباءَ ، ومَنْ رأى
مَيْتاً بأسراب الظباء يُشَاع
أتُرى أموتُ كما حييت مُشرَّداً
لا الأهلُ من حولى ولا الأتباعُ
وأبيتُ وحدى لا الوحوشُ أوانسٌ
حولى هناك ولا الظباء رِتاع؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »
« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعا باكياً »

« زياد »

قيسُ لا بأسَ عليكْ أنا ذا بين يديْكْ

« قيس »

نفسُ اطمئنى الآن لستُ وحدى
قد حضر الذى يَخُطُّ لحدى
ويُرشِدُ الحىَّ الىّ بَعدى زيادُ أنتَ المُشفِقُ المُفَدّى
لم أنفرِدْ إلا رُئيتَ عندى

« يتبين شبح ابن ذريح »

زيادُ ما ذاكَ منذا يبكى وراءَ الضريحِ
إنى أغارُ على القبر من غريبِ الجُروحِ

« زياد »

لا تخشَ يا قيسُ منـه فإنه ابنُ ذَريحِ

« ابن ذريح »

يا ليلَ قبرُكِ ربوةُ الخُلْدِ نفحَ النعيمُ بها ثرى نجدِ
فى كل ناحيةٍ أرى مَلَكاً يتنفسون تنفُّسَ الورد
لبسوا الجُمانَ الرَّطْبَ أجنحةً
وتناثروا كتناثُرِ العِقـد
وتقابلوا فعلى تحيّتهم مِسْكُ السلام وعَنبرُ الرد
وكأن نجواهم وسُبحتَهم
صَوْبُ الغمامة أو صَدَى الرعد

نفحاتُ طيبٍ ههنا وهنا ما للرياض بهن من عهد
يا قيسُ صبرا ههنا ملَكٌ ذَبْحُ الصبابة مُشْهَدُ الوجد
أصحُ انتبهْ واطرَحْ بعينك فى بَهَجِ السماءِ وحُسْنِ ما تبدى

« قيس »

أين السماء وأين مُحْتَضَرٌ طلَعتْ عليه الأرضُ باللَّحْد
السهدُ عذّبنى وذى سنةٌ أجِدُ الشفاءَ بها من السُّهد
ولقد أقولُ لمن يُبَشِّرُنى بالخُلد ما أنا داخلٌ وحدى
لو أن ليلى فى النعيم معى أو في الجحيم تساويا عندى

ليلى النعيمُ وقد ظفِرت بها فاليوم نرقُدُ فى ثرى نجد
إنى أحبُّ وإن شقِيتُ به وطنى وأوثِرهُ على الخُلد

« يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر »

« الصوت »

قيس

« قيس »

مَن الصوتُ ويحى أبى سِحرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

زيادُ اسمعْ وأصغِ يابِشرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

سمعتُ اسمى يلفظُه القبرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

تناديني من قبرها باسمى
لبّيكِ ياليلى بالروح والجسم

« يدخل فى دور الاحتضار الأخير »

هل أسا الموتُ جِراحينا وهل قرّب الدارَ وهل لمّ الشتاتْ ؟

« أصوات »

قيس ، ليلى

« قيس »

رَنّةٌ فى أُذُنى ردّدتْ قيسَ وليلى الفلَواتْ

نحن فى الدنيا وإن لم تَرنا لم تمُتْ ليلى ولا المجنونُ ماتْ

ستار الختام

أميرة الأندلس

تمهيد

زمن الرواية : عصر ملوك الطوائف .

مكان الرواية : أشبيلية ، أغمات .

أشخاص الرواية :

المعتمد بن عباد ، ملك أشبيلية .

الرميكية ، الملكة .

العبادية ، أم المعتمد .

بثينة ، بنته .

القاضي ابن أدهم ، قاضي القضاة .

الأمير حريز ، من أبطال الأندلس .

الأمير بولس ، شقيق ملك الأسبان .

أبو الحسن ، تاجر بأشبيلية .

حسون ، ابنه .

ابن حيون	،	من الأدباء .
أبو القاسم	،	من الأدباء .
مقلاص	،	مضحك الملك .
لؤلؤ جوهر	،	من حجاب الملك .
ابن شاليب	،	رسول ملك الأسبان .
الباز بن الأشهب	،	لص شهير .
أمراء		
جند		

مقـــدمة

جرت حوادثُ هذه القصـة فى زمنٍ كان قطعة من ليل الملمات . أخذت الأندلسَ فى جنحها الحالك ثم تركته نظْمًا منحلا وركنًا مضمَحِلا ، وشمسا من دول الإسلام سقُمت فألح عليها السقْم فاحتضرت ، فكانت لها فى الغرب هدّة وكانت عليها فى الشرق ضجة . وخلال تلك القطعة من ليل الملمات كان الأندلُس تحت ملوك الطوائف ، وكان هؤلاء الملوكُ على شرفِ بيوتِهم وتميز شخصياتهم ونبوغهم فى كل علمٍ وأدب أصحابَ بذخٍ وترف وأخدانَ صبْوة وخلاعةٍ ، لا حظَّ لهم من همة الملك ولا نصيب من مراشد السلطان . و إنك لتعجب من انغماسهم فى اللذات ونسيانهم لذكرِ العواقب ، وهم أتعبُ خلقِ الله وأكثَرُ الملوك ركوبًا للغرَر ، واستهدافا للخطر ، ومشيا على الحبائل والحفر ، فأما فى داخل دويْلاتهم فكيد وائتمار ، وفتنة نومها غِرار ، وسيفها فى الغِمد قليل القرار ، حتى لا تكاد الشمس تطلع إلا على ملِكٍ

مخلوع ولا تغرب إلا على ملكٍ مقتول؛ وأما فى الخارج فكنتَ ترى هؤلاء الملوكَ بين نارين تتواعدان، وبين سيلين يتهدران : فملك الأسبان الفونس يتجنّى ويعتدى، ويضرب الجزية ويفرض الإتاوات، ويبعث لأخذ الأموال جباةً أهلَ غِلْظة وقِحَة؛ وصاحبُ مُرّاكش يوسفُ بن تاشفين هو وقوّاده ووزراؤه مشغوفون بالأندلس يمطرونه الرسل والرسائل إلى قضاته وفقهائه، مهيئين بذلك لفتح بنَوْا عليه الرجاء وعلقوا به الآمال . وكان ملوكُ الطوائف يخافون جارهم هذا المسلّحَ المتوثّبَ سلطانَ المغرب ويرجونه فكان تملقهم له لا ينقطع ، وكانت الأموال تحمل إليه فى صورة المعونة، وكانت الرِّشى تقدّم لوزرائه ورؤساء دولته فى صورة الهدايا والألطاف ؛ وكل هذا المال إنما كان يجمع من المكوس والمغارم ! فتخيّل كيف كان بؤس الرعية ، وتأمل كيف تذهب معالم البلاد بين عبثِ الفرد وغفلة الجماعة ... ولقد كان على قرطبة وهى حاضرة الملك أن تحمل شطر هذا البلاء فلم تلبثْ أن انحطت عن ذلك المكان العالى الذى كانت فيه دار الخلافة ومطلع القصرين الدمشق[(١)] والرصافة فصارت كرسىّ إقليم وقاعدةَ دويْلة وعرش ملك صغير يؤدّى الجزية ولا يُحس لها ذلة ولا هوانا .

---

(١) قصور الخلفاء الأول من بنى أمية فى قرطبة .

الفصل الأول

المنظر الأول

« مقصورة من مقاصير البديع "قصر المعتمد بن عباد" فى اشبيلية »
« و إلى يمينها مصلى و فى مؤخرها ستار كبير يحجب . وقد وقف على »
« بابها جوهر حاجب بن عباد ولؤلؤ ساقيه ومقلاص مضحكه »

جوهر [إلى لؤلؤ] : كيفَ وجدتَ وجه الملِك اليومَ يالؤلؤ ؟

لؤلؤ : كسنَّتِه، يفيض من البَشاشةِ والبِشْر .

جوهر : بل أنت واهم يالؤلؤ ! إن وجه الملك تغير فى هذه الأيام و بدا عليه التغضن وأثّرت فيه الهمومُ أثرَها الظاهرَ المبين.

مقلاص : كان الله عونَ الملِك، إنه ليحمل من همومِ الملْك وأكدارِ السياسةِ ماتنوء به الجبال، لعن الله السياسة وقبّح الوِلاية، ولا جعل لى من أشغالها نصيبا .

جوهر [يضرب بيده على حدبة مقلاص] : وأىّ نصيب كنت تؤمِّل من أمور الدولة يا مقلاص حتى سألتَ الله أن يحرمك منه ؟

مقلاص [ملتفتا] : دعنى من هذيانك يا جوهر وانظر : هذه الأميرةُ

أقبلتْ كأنها البدرُ فى الليـلةِ الظلماء أو كأنها الظبىُ يتخطر على الحصباء .

[تدخل الأميرة بثينة]

بثينــة : يا بشراىَ ما هذا الحظُّ العظيم ، أصدقائى الثلاثةُ ههنا ، يجمعهـم باب الملك : جوهر حاجب الملك ، ولؤلؤ ساقى الملك ، ومقلاص .

مقلاص [مقاطعا] : مقلاص المهرجُ الساقِطُ والمضحِكُ الوضيع .

الأميرة [بثينة] : لا تقــلْ هــذا يا مقلاص ! ولكن قل نديمُ الملك ، وصديقُ ابنته بثينة .

مقلاص : أنا مقلاص المهرجُ صـديقُكِ أنتِ يا أميرة اشبيلية ، بل يا مليكة الأندلس ، بل يا شريكة الشمسِ فى عرشِ الوجود ؟ !

الأمـيرة : أعرفتَ الآن مكانك ؟

مقلاص : عرفته يا سيدتى و إنى به لمزهوٌّ فخور .

الأمـيرة : إذاً فاعلم أيضـا أن هـذا الحاجب جوهر قد يأذن على الملكِ لرجالٍ يكره لقاءهم ويغُمّه رؤيتُهم وسماعُهم .

مقلاص : أمّا أنا يا سيدتى فما وقفتُ على باب الملكِ مرة إلا حجبتُ عنه الفِكرَ والغمّ .

الأمـيرة : وهذا الساقى يا مقلاص .

مقلاص : هـذا السـاقى يا مولاتى يقبض كل يوم من دماغ الملك

شعاعا ، ولولا أنّ دِماغه الشريف كالشمس التى لا تنفَد أشِعَّتُها لكان اليوم جُمْجُمَةً لا عقل فيها كأكثرِ هذه الرءوسِ التى نراها فى الطرقات .

الأميرة : وأما أنتَ يا مقلاص فتسقِى الملك كلَّ ساعةٍ من رحيق مَزْحِك ودُعابتِك ما يملؤه غِبْطة وعافية وسرورا .

جوهر [مقاطعا — متدخلا] : لقد استأثرتَ يا نديم المِلِك ويا صديقَ الأميرةِ .

مقلاص [مغضبا] : بالرغِم من أنفِك !

جوهر : لقد آستأثرتَ يا مقلاصُ بحديثِ الأميرةِ فتنحَّ ساعةً واترك لنا فَضْلة من الشهد .

جوهر [للأميرة] : مولاتى ، سيدتى ، بثينة أيةَ وحشةٍ خلَّفْتِ فى القصرِ يا مولاتى .

الأميرة : أو أبدًا تبالغ ؟

جوهر : كلا يا مولاتى ! هى كلمةٌ طافتْ بالقصرِ منذ افتقدناكِ هذا الدهرَ الطويل

الأميرة : أتعُدُّ الثلاثةَ الأيام دهرًا يا جوهر ؟ ألم أقل لك إنك تبالغ كثيرا ، لِمَ لمْ تسألنى يا جوهر أين كنت؟

جوهر : أعلم أنكِ كنتِ فى قرطبةَ يا مولاتى .

الأميرة [وتبتسم ابتسامة سخر] : أجل كنتُ فى مُلْكنا الجديد يا جوهر .

جوهر : وكيف وجدته ؟

الأميرة : العنوانُ قبّة ، والكتّاب حَبّة .

جوهر : أرجو ألا يكون غرامُ الأميرةِ بأشبيلية وطنِها الغالى ومهدِها العزيزِ قد أنساها ذِكر الفضلِ لقرطبةَ دارةِ الملكِ الأولى ومهدِ الفتح والعمران و ...

الأميرة : أجل . وسماءِ الرعودِ والعواصفِ ووَكْرِ الفتنِ والقلاقلِ... آهٍ من قرطبة وبلاءاتها يا جوهر ، وويل على أخى الظافر من هذه الولايةِ الحمراءِ التى لم يُقلّدها أميرٌ الا قتل أو عزل... عرشٌ يضطرب تحت كلّ جالس ، وتاجٌ لا يستقر على رأسِ كلِّ لابس .

مقلاص : مولاتى !

الأميرة : مقلاص . أشبيليةُ وأبى وأنت كانتْ ذكراكم ملءَ خاطرى فى قرطبةَ ، هل من دُعابةٍ جديدةٍ يامقلاص تُنسيني ماالقيتُ من الغم والكدر على تلك العاصمةِ الثانيةِ لملكنا السعيد .

مقلاص : لا تقولى هذا يامولاتى فيَغضبَ القرطُبيون ؛ انهم لا يُقدِّمون على مدينتِهم حاضرةً من حواضرِ الدنيا ولو كانت دمشقَ أو بغدادَ فكيف يرضون أن تكون الثانيةَ لأشبيلية وما مدينتنا فى زعمِهم الا بلدُ الخلاعةِ والمجون .

الأميرة [ضاحكة] : وأين قرطبةُ منا الآن ، وأين القرطبيون يامقلاص

و بيننا و بينهم سَفَرٌ شاقّ طو يل؟ تُرى من علّمك كلَّ هذا الحرص ومن أين لك كل هذا الدهاء !

مقلاص : هى الأيامُ يا أميرتى . هى الأيام . وهذا السيفُ ماذا ... كنتِ تصنعين به يا مولاتى ؟

الأميرة : كنتُ أتقى بهِ عوادى الفُجاءات .

مقلاص : وهذا اللثام ؟

الأميرة : كنت أذود به عنى العيونَ والظنونَ فى بلدٍ ضيقِ الصدْرِ مُبَلّدِ العقلِ، شتان بينه و بين أشبيلية ذاتِ العقلِ الواسع والصدرِ الرحيب .

الأميرة [لجوهر] : لقد نسِيتُ يا جوهر ذكر وَاجبٍ كان علىّ أن أُقدّمه قبلَ كل شىء .

جوهر : وما ذاك يا سيدتى ؟

الأميرة : السؤالُ عن الملِك .

جوهر : هو يا مولاتى بخير . أبدًا يسألُ عنكِ .

الأميرة : وأين هو الآن ؟

جوهر : هو فى الصلاةِ يا سيدتى .

الأميرة [تطرق فى تأثر ثم تقول] : يا ويحَ أبى لقد نظرت اليه وهو فى قصرِ السوسانِ الضيق الصغيرِ بقرطبةَ فوجدتُه كئيبا متململا كأنَّ تلك السقوفَ المنخفِضَةَ لم تكن تليق برأسِه العالِى وكأن

تلك الحجراتِ الضيقة لم تُصنع لعينه السامية الطامحة . وكأنما كان يَرى الزهراء أولى بأن تُقلّه . وأجدر بأن تُظله . وهناك دنوتُ حتى صرتُ خلفه بحيث أسمعه ولا يرانى . فسمعته يقول وكان وحده فى الحجرة مطلا من نافذةٍ يلقى نظرَه على قُرطبةَ .

جوهر [باهتمام] : وماذا كان يقول يا مولاتى ؟

الأميرة : كان يقول : قرطبة ... مُلْك جديد أُضيفَ الى ملكِ أشبيلية ؛ ما أصغر المضاف والمضاف اليه . أنظر ابنَ عباد الى العرشِ كيف صغر ، والى الصولجان كيف قَصُر ، والى الملكِ كيف اختُصِر ، وتأمل مكان الحكم فى قرطبة كيف سُدّ اليوم بالمعتمد ، ومجلسَ الناصرِ كيف شُغل بابن عباد .

جوهر : نحن بانتظار القاضى ابنِ أدهم يا مولاتى .

مقلاص [متداخلا] : لعله هذه الكركبة التى تتدحرج من بعيد منحدرةً الينا .

الأميرة [مستضحكة لجوهر] : استقبل أنتَ يا جوهر القاضى وأدخله على أبى فإن قضاة الأندلس لا يستأذن لهم على ملوكه .

الأميرة [ثم لمقلاص] : وأنت يا مقلاص . أعرفتَ أنى وجدتُه .

مقلاص : وما ذاك يا مولاتى ومن هو ؟

الاميرة : أنسيت يا مقلاص حين تقولُ لأبى بمَسْمع منى إن الزوجَ الكفءَ لبثينة لم يُخلق بعد لا فى الأندلس ولا فى غيره .

مقلاص : لا لم أنس يا مولاتى . قلتُ هذا ولا أزال أُعيدُه .

الأمـيرة : إذاً فاعلم أن الزوجَ الذى يَصلح لى قد خُلِق .

مقلاص : ومن ذاك ؟ ما آسمه وأين هو الآن ؟

الأمـيرة : كل هذا تعلمه بعد حينٍ يا مقلاص . تعالَ معى الآن،
اتبعْنِى ودعْ جوهر ولؤلؤ يستقبلان القاضى الجليل ...

الأميرة [الى جوهر] : فى حفظ الله يا جوهر .

الأميرة [الى لؤلؤ] : فى حفظه يا لؤلؤ .

جوهر ولؤلؤ معا : فى ذمة اللهِ وكلاءتِه يا مولاتى .

الأمـيرة : لا تَنسيا أن تذكرانى عند الملك وأنى رهنُ إشارتِه .

[تخرج الأميرة مع مقلاص] .

جـوهر : أشكر الله أن أخّر مجىءَ القاضِى .

لـؤلـؤ : كذلك كنتُ أحدّث نفسى وأخشى على مولاتى فى زيها
هذا من عين الشيخ ولسانه .

[يظهــر الملك]

المـلك : هل جاء القاضى ابنُ أدهم يا جوهر ؟

جـوهر : أجل يا مولاى رأيتُه فى ساحةِ القصرِ .

لـؤلـؤ : وقد عادت الأميرةُ من قرطبةَ يا مولاى .

المـلك : أوعادت الآن ؟

لـؤلـؤ : أجل يا مولاى .

المـلك : أهى بخير؟

لـؤلـؤ : يأتم عافيةٍ يا مولاى .

المـلك : إذا انتهى ابن أدهم من زيارتهِ فأتِ بها إلىّ .

لـؤلـؤ : أمرُك يا مولاى .

[يخرج لؤلؤ] .

المـلك : وعليـك يا جوهر أن تَستقبِل ابنَ أدهم وتأتينى فى أوفرِ بشاشةٍ وتعظيم .

[يخرج جوهر ثم يرجع يتقدّم القاضى]
[ابن أدهم وينادى من باب الحجرة]

جوهر [مناديا من الباب] : القاضى ابنُ أدهم .

القاضى : السلام على الملك ورحمة الله و بركاته .

المـلك : وعليكم السلامُ أيها القاضى ومقدم الخير، فقد علمتُ أنك كنتَ نزيل المغرب فى الأيامِ الأخيرةِ وكنتَ به ضيفا على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

القاضى : هو ذاك يا مولاى .

المـلك : فكيف الحوادثُ والأحوالُ هناك ؟

القاضى : عنـدى من ذلك الشيءُ الكثير وسأذكره فى مجلسٍ تالٍ يامر به الملك ولا أذكر الآن إلا رسالة حمّلنيها الأمير سِيرى بن أبى بكر .

المـلك : وما هى أيها القاضى ؟

القاضى : أو يعرف الملك الأميرَ سِيرى ؟

الملك : كيف لا أعرفه ! هو كافلُ الدولةِ المغربيةِ وكبيرُ وزراء السلطان وقائدُ جيوشهِ الأكبر . وما يبتغِي منى الأميرُ أيها القاضى ؟

القاضى : إنه يخطب إليك الأميرةَ بثينة .

الملك : ألشخصه يخطبها أم لواحدٍ من أولاده فهم فيما أعلم كُثْرٌ وأصغرهم فيما أذكر يوافق ميلادُه ميلادَ بثينة .

القاضى : بل يخطُبها لنفسه أيها الملك .

الملك : إن هذا عجيبٌ أَيها القاضى ... ... وما كان جوابُك ؟

القاضى : قلتُ له إن الملكَ ابنَ عباد يذهب ببنته بثينة كلَّ مذهبٍ ولا أظنّ قلبَه يطاوعه على تزويجها فى الغُربةِ وإخراجها الى بلادٍ بعيدة .

الملك : أحسنتَ أيها القاضى . فما هذا زواج ... إنْ هذا إلا قبرٌ أخطُّه بيدى لبثينة . على أنى مُحضِر إليك بثينةَ لتحدّثها وتسمعَ منها .

الملك [الى جوهر] : جوهر . جئنا بالأميرة يا جوهر .

[يختفى جوهر لحظة ثم يعود بالأميرة]

الأميرة : أبى !

الملك : بنيتِي !

الأميرة : أطلبتَنِي يا أبى ؟

الملك : تعالىْ بثينةُ حيّي عمكِ القاضى ابن أدهم .

الأميرة : السلام عليك يا مولانا القاضى ورحمة اللهِ وبركاته .

القاضى : وعليكِ السلام يا بنتَ أكرمِ الملوك . تعالىْ خذى مجلسِك بين أبيكِ وعمك .

الملك : مع من عدتِ من قرطبة ؟

الأميرة : مع لِثامى وجوادى .

الملك : وكيف وجدتِ قرطبة ؟

الأميرة : وجدتُ طرقاتِها تموج بالفقهاءِ يعرفهم الناظر بزِيِّهم فذكرتُ عندئذٍ شُهرة هذا البلدِ بالفتنةِ والتشغيبِ وجرأة أهلهِ على أمرائِهم وحكامهم وأشفقتُ منه على أخى الظافر ، وإن كنتُ واثقةً بحزمهِ وعزْمهِ .

القاضى : ومن أنباكِ أيتها الأميرةُ أن الفِتْنة والشَّغَب يجيئانِ من ناحيةِ الفقهاء ؟

الأميرة : لم يبق سِرًّا يا سيدى القاضى أن الفقهاء يُعلّقون سَعادةَ الأندلسِ وخلاصَه بإلقائه فى أحضان جيرانِه سلاطين المغرب .

القاضى : وأنتِ يا بنتَ ملوكِ المسلمين ، أما تجدين ما يطلبُه الفقهاءُ فى قرطبةَ أجدى على الأندلسِ من بقائِه على الحالِ التى هو فيها مُشرِفا على التّلَفِ والضياع ؟

الأميرة : لا يا سيدى القاضى ليس فى الحق أن يَغتصبَ جماعة من المسلمين أوطانَ جماعةٍ غيرِهم من المسلمين فإن الوطنَ هو كالبيتِ فى قداسته وكالضيعةِ فى حرمتِها .

الملك [متدخلا فى الحديث] : لقد بعثتُ يابثينة فى طلبك لغير هذا الشأن وفى أمرٍ ذى بال وإنى أترك للقاضى التحدثَ معكِ فيه .

الأميرة [ملتفتة الى القاضى] :

تكلمْ ياعمُّ فكلى إصغاء ؟

القاضى : لقد خطبكِ الى أبيك رجل من عظماء الإسلام فى هذا الوقت هو الأمير سيرى بن أبى بكر وزيرُ الدولة المغربية .

الأميرة : أفارغ هو أم مشغول يا سيدى القاضى ؟

القاضى [فى حيرة] : بل له من الأزواج ثلاثٌ وستكونين الرابعةَ وستكونين المدلّلة الممهّدةَ من بين أزواجه .

الأميرة [فى غضب] : إنك يا سيدى القاضى تدعونى الى خُطةٍ لا أنا مضطرة فأحمل النفس الكارهة على قبولها ولا الأمير ابنُ أبى بكر معطل البيتِ من الربةِ الصالحةِ فيتشبثَ بها ويُصر عليها، بل تلك خطة لم أجد أبوىَّ عليها ولم آلف رؤية مثلِها فى حياةِ أسرتى : فهذا أبى جعلنى الله فداءه لم يتخذ على أمى ضرّة ولم يكسر قلبها بالشريكةِ فى قلبه فجاءت بنا أولاد أعيان، نجتمع فى جناح الأبوة ولا نفترق فى عاطفةِ الأمومة، ولو شاء أبى لكان له كنظرائه الملوكِ والأمراءِ نساءٌ كثير ولكان له منهن بنو العلات تحسبهم إخوة وهم أنصاف إخوةٍ من كل دَجاجةٍ بيضة ومن كل شاةٍ حمل .

القاضي[متلطفا] : شهد الله لقد أحسنتِ يا ابنتي . ولكن مصلحةُ الملك أنسيتِها ونصرةُ الوالد أغفلتِ عنها . وسلامةُ الأندلس أأهملتِ شأنها ؟

الأميرة : لا يا سيدي القاضي كلُّ ذلك في المحل الأولِ من نفسي واهتمامي ولكننا مختلفان في النظر فأنت ترى أن الأندلس لا ينهض من كبوتِه إلا اذا مدّ السلطان اليه يده وأنا أتخيلها يدَ الذئبِ يمدّها الى الحملِ ، وأنتَ يا سيدي القاضي قد أخذك اليأس في أمر الأندلسِ وأنا كلي رجاء ولا أستبعد أن تتهيأ لأبي ، وهو كهف الأندلس وملاذه ، الفرصةُ لجمْع الكلمةِ وضربِ الأفرنج ضربة تُريح العربَ منهم السنين الطِوال وأنتَ تعلم أن تاريخ الأندلس مفعَم بالفجاءات السعيدةِ من هذا الطِراز .

القاضي : يُريد الله بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسرَ ، ولقد رددتُ عنك أيتها الأميرة وعن أبيكِ الملك وأحسب أني أحسنتُ الردّ .

الملك : كل الإحسان أيها القاضي .

القاضي : الآن لم يبق إلا أن أنصرف .

الملك : مشيّعا بحفظِ الله ورعايته .

[ينصرف القاضي ويشيعه الملك]

الملك [للقاضي] : كيف تجدُ بثينة يا ابنَ أدهم ؟

القاضى : بورك لك فيها وبورك للأندلس فى عقيلته ! إنى أجدها روح الوالد وأرى عليها طبعة الزمن وحضارة الجيل .

[يعود الملك ومعه مقلاص بعد أن يودع القاضى]

الملك : أعلمت يامقلاص؟ أسمعت أن سيرى ابن أبى بكر يخطب الىَّ بثينة ؟

مقلاص [ملتفتا الى بثينة بصوت خافت] : أهذا الذى وجدته ياسيدتى ؟ انى لا أهنيك بتيس المغرب .

الأميرة : لا يامقلاص إن الذى وجدتُهُ هو غزال الأندلس لا تيس المغرب .

الملك : خبرينى يابثينة ماذا وجدت فى قرطبة .

الأميرة : حال من القذارة نتنزه عن مثله أشبيلية .

الملك : هذا من توالى الفتنة والاضطراب على الناس حتى شُغلوا عن تنظيف مدينتهم التى كانت المثال المحتذى بين المدن نظافة ونظاما ... ثم ماذا ؟

الأميرة : راعتنى قصورها المهجورة الموحشة كأنها الأطلال .

الملك : هذا من انقراض الوارثين أو ضيق نعمتهم عن سكنى الدور الواسعة وصغر أقدارهم عن نزول المنازل الرفيعة .

[يظهر على بثينة التأثر والاغتمام] .

الملك : ماذا غمك يا بثينةُ ؟

الأميرة : تذكرتُ يا أبى قصورنا بجزعت ، قلتُ : الزاهى ترى

ما نصيبه، والتاجُ ما ذا غداً يصيبه، والبديعُ ما يكون مصيره، والمؤنس هل توحش مقاصيره ؟

الملك : بنيتي خلي عنك هذه المواجسَ، ولا تحملي على الشباب الهمومَ والهمّ فإنه لم يخلق لهما . إصرفي الشبابَ الى الضحكِ والغِبطة فإنهما طبيعته وديدنه . ألا نعود لحديث قرطبة . خبريني كيف وجدتِ أسواقها ؟

الأميره : دون أسواقِ أشبيلية حركة ونشاطا إلا سوقَ الكتب فلا أحسب بغدادَ أقامت مثلها، دخلتُها ياأبي فلبثتُ فيها ساعة أتأمل ما يقع في جوانبها وأشهد النداء على نفائس الكتب وذخائرِ المخطوطات، وهي في أيدي الناس يقلّبونها في اعتناءٍ وإشفاقٍ كأنها كرائم الحجارةِ في أسواق الجوهر .

الملك : وهل كنتِ تهتمين بكتابٍ هناك ؟

الأميره : أجل ياأبي . نُودِيَ على رسالة المنجم الضبيّ، التي سماها : هل القمر مسكون ، وكنتُ سمعتُ بها وكنتُ أريد إحرازَها فسرني الظفرُ بها، وكان بالقربِ مني فتى حسنُ الهيئةِ ظريفُ الثيابِ هو لا شك من بني البيوتات، وكان ينازعني الرغبة في الرسالةِ فلم يزل يزيد فيها وأنا أحرجه فأزيد حتى بلّغها الى خمسِ مائة دينار فقبضتُ يدي فرجع اليه المنادى فأخذَ المالَ وناوله الرسالة .

الملك : لا أظنّ حرص الشابّ على الرسالة إلا للباهاة، ولكي يقال عنده خزانة كتب حوتْ كل ثمينٍ ونادرٍ حتى رسالةَ المنجم الضبيِّ فإن الشهرةَ فى قرطبة من قديم الزمان أن يتنافس الناس فى اتخاذِ الخزائنِ للكتب حتى الذين لا علم لهم بما فيها .

الأميرة : ظلمتَ ياأبى غريمى الشابّ فقد كنتُ ألحظ عليه الحرص على الرسالة والسعيَ لإحرازِها حتى ما بقى فى نفسى شك أن الفتى من أهلِ المعرفةِ والاطلاع .

الملك : وكيف هو يابثينة : ما شكله؟ ماصفته ؟

الأميرة : شاب يناهز الثلاثين ، جميل وقور يشبهك يا أبى أو كأنه أخى الظافر وما كان أعظمَ أدبَه ومروءتَه فانه حين غلبنى على الرسالة بادر فقال : أيها الفتى الملثم ! إن كان اعتناؤك بهذه الرسالةِ شديدا كما رأيتُ فعرّفنى بموضع إقامتك وأنا أستصنع منها نسخة وأبعثُ بها اليك . فشكرتُ واعتذرتُ بكثرةِ أسفارى فى الأندلسِ فانطلق شديدَ الفرح بما نال وكان جواده بانتظارِه فاعتلاه فواللهِ يا أبى ما رأيتُ قط بعدَك و بعد أخى الظافر أرشقَ وثُو با على جوادٍ ولا أحسنَ قياما فى صهْوةٍ من غريمى الشاب .

الملك [مبتسما وهو يضع يده على كتفها] : أخشى يا بثينة أن يكون غريمُك الشاب أعرفَ بتصيدِ القلوبِ منه باعتلاءِ الجياد .

مقلاص : الآن عرفته هو فتى السوق، هو فتى الرسالة .

[يدخل لؤلؤ و يقول] :

الجماعة يتواردون على مجلس الشراب أيها الملك فانظر ماذا تأمر ؟

بثينة : وأنا أيضا ذاهبة لبعض شأنى إن أذنت .

الملك : فى كلاءة الله يا بثينة .

[تخرج بثينة] .

المنظر الثانى

« ترفع الستار الخلفية عن مجلس شراب الى جانبه ستر مسدل »

« وفى وسطه مائدة حولها الملك وجماعة من حاشيته وتطل »

« هــذه المنظرة على الوادى الكبير حيث للــملك زورق » .

المــــلك : ما عندكَ من الشراب لأصحابنا يالؤلؤ ؟

لـؤلـؤ : خمورُ مالِقة وزبيبِ أشبيلية .

المــــلك : وماذا هيأتَ لهم من نقْلٍ وطعام ؟

لـؤلـؤ : الجوزُ واللوزُ من وادى الطلْح .

الملك [يرفع عقيرته ويغنى] : الجوزُ اللوزُ ياربَّ الفوز .

أحد الحاضرين [الى جاره] : هــذا لحنُ الملك الذى يحبه ويهتِف به حتى فى الحمام .

مقــلاص : ولحنى أيها الملك أتسمعه ؟

المــــلك : قل . هاتِ يا مقلاص .

مقلاص [يغنى] : الجوزُ اللوزُ بوادى الحوز (١) .

المــــلك : مرحى ! مرحى ! .

---

(١) متنزه مشهور بالأندلس .

الحاضرون جميعا : مرحى ! مرحى ! .

الملك [لمقلاص] : تعالَ قِفْ خلفي يا مقلاص وقم عند رأسي .

مقلاص : ها أنا قائم عند رأسك الشريف هل أفلّيه ؟

الملك : تأدّبْ يا وَقاح. القُمَّلُ لا يوجدُ في رءوس الملوك .

مقلاص : ما أدري يا مولاي ولكني أعلم أن القُمَّل يوجد في لبدةِ الأسد وأنت أسد الأندلس الذي يعنو له الملوك .

الملك : لله ما أمرَّ لسانَك وما أحلاه . فهو كَمِشرطِ الجراحِ الماهرِ جمعَ مرارةَ القطعِ وحلاوةَ الشفاء .

الملك [الى لؤلؤ] : ثم ماذا يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كلُّ ما لذَّ وطابَ من السمك . بعضُه مجلوبٌ من بحرِ الزقاق . وبعضٌ من صيدِ الوادي الكبير .

الملك [يتغنى] : الجوزُ اللوزُ يا ربَّ الفوز .

الملك [الى وزيره ابن سعيد] : ماذا يقولون في المدينةِ يابنَ سعيد ؟

الوزير : لا حديثَ اليومَ لأهلِ أشبيلية الا تلك النكبةُ التي حلَّتْ بأبي الحسنِ التاجر .

الملك : واهًا لأبي الحسن . ووَيحَ الأندلس ما أعظَمَ مصيبتَهُ في تاجرِه العاملِ الموفَّقِ الأمين .

الملك [الى ابن سعيد] : وكيف وقعتِ الكارثةُ يابنَ سعيد ؟

الوزير : كانتْ لأبي الحسنِ التاجر في لُجَجِ البحارِ ثلاثُ بوارج

وهى، الزُّهرة، والثريا ، والجوزاء ، خرجتِ الزهرةُ الى الاسكندرية تحمل اليها مقدارا عظيما من الزيت الأشبيلى فأخذها عاصفٌ فتفرقتْ فى الطريق . وأقلعتِ الثريا بعد ذلك بأيامٍ مشحونةً بالمتاجرِ المتنوعة الى ثغور الأندلس فصادفها أسطولٌ للفرنجة كان يتجوّل على الشواطئ فأخذها مَغْنَمًا باردا . وكانتِ الجوزاءُ قد سبقتْ أختيْها الى عَرضِ البحرِ تقصِد سواحِلَ المغرب محمَّلةً الشيءَ الكثيرَ من مصنوعاتِ الأندلسِ ومتاجرِه فشبّتْ فيها النار فأعيا إطفاؤها فسقطتْ شعلةً فى الماء .

الملك : ويح لأبى الحسن ويح ! !

الوزير : إن أبا الحسن أيها الملك شيخ كبير قد فرغ من الدنيا وفرغتِ الدنيا منه ، فمصيبتُه أقصرُ عمرًا وأهونُ وقعًا من مصيبةِ ابنهِ الواحدِ وولدِه النابهِ الشاب حسون .

الملك : قد ذكر لى اسمه وسمعتُ الثناء عليه من كثيرٍ من الناس .

الوزير : وإنه لكما نعتوه لك أيها الملك وفوق ما نعتوه : شابٌّ جميلٌ وقورٌ جرىءٌ ، وافرُ القِسْطِ من العلمِ والأدبِ ، تعلّم لغةَ الإسبانِ حتى أجادها حديثاً وكتابةً يجرى بها لسانه كما يجرى بها قلمُه .

الملك : إن شابا هذا شأنه وهذه همته فى الحياة لا يترك نبوغه

سدّى ولا يوكَلُ الى اليأس القاتل، بل يجمُلُ بنا أن نأخذَ بيدِه فنُهوِّن عليه عثرةَ أبيه البرئ .

الجماعة [يتهامسون] : ما هذا السِتر ؟

آخر [همسا] : تُرى ماذا يُخفِى هذا السِتر ؟

ثالث [همسا] : ماذا خبأ لنا الملِك وراءَه ؟

الملك : فيم تتهامسون؟ لعلكم تذكرون الستر . إشربوا الآن ما بدا لكم واطربوا، وأما الستر فستعلمون نبأه بعد حين . لقد وزعتُ عليكم من أيامٍ وفدَ النصارى من نُبلاءِ الاسبان فماذا صنعتم بهم وكيف كانت أنصبتكم ؟

الملك [ملتفتا الى وزيره دانى] .

الوزير دانى : كانتْ حِصّتى يا مولاى أطيبَ الحِصص، فضيفى شابٌّ نبيلٌ طروبٌ لطيفُ الأذُنِ، مولعٌ بالقيثارةِ لا يضعُها من يدِه وله عليها ضربٌ يأخذ بالألباب .

الملك [متبسما] : يسأل آخر من الجلساء . وأنت يابن الصائغ كيف ضيفك ؟

ابن الصائغ : أنا أقل الإخوانِ حظا أيها الملك، فضيفِى رجلٌ كهلٌ قِسّيسٌ يقطع الليلَ بالصلاةِ وتلاوةِ الانجيل .

الملك : بل لعلك أعظمُ الجماعةِ حظا ولا تدرى .

ثالث من الجلساء [مخاطبا الملك] : أما أنا أيها الملك فقد ابتليتُ برجلٍ شيخٍ شرّيب خمرٍ لا يرويه فى اليومِ دنٌّ ولا دنان . فاذا

كان قبل كل طعامٍ قدّمتُ له زبيبي أشبيلية فأقبل يعبه عبا كما يقع الظمآن على المـاءِ الزلال؛ وقد شرِبَ من خمرِ مالقة فى ثلاثِ ليـالٍ أقامها عنـدى ما يكفينى أنا شهرا وأنا الذى يعرف الملِك وَلعِى بالخمرِ المـالقى .

المـلك : وأنت يا لؤلؤ كيف ضيفُك وما حاله ؟

لـؤلـؤ : إنه شاب يا مولاى خفيفُ الظل والروح . مولعٌ بالرقص وأنا أتلقى عليه كل ليـلةٍ دروسا فى الرقصِ الأسبانى حتى كدتُ أحسنه .

المـلك : وأنتَ يا مقلاص . كيف ضيفُك وماذا يصنع معك ؟

مقلاص : ضيفِى يا مولاى رجلٌ كهلٌ بادنٌ ضخمُ الجثـةِ كالخنزيرِ المتدلى البطنِ من تراكبِ الشحمِ واللحمِ اذا جاء فى البيتِ وراح ارتجتِ الجُدرانُ واهتزّ ما على الرفوفِ من آنيـةٍ . واذا نام خرج الغَطيط والنخير من حلقِهِ ومن أنفِه ومن كل موضع فيه ولو نام فى جبانةٍ لأيقظ غطيطُه الأموات .

المـلك : وكيف طعامُه يا مقلاص؟ وما أحبُّ الألوانِ اليه؟ .

مقلاص : هو يا مولاى مجنون المعـدةِ بالإوزّ . له كل صباحٍ على الريقِ إوزّة وغداؤه إوزّة وعشاؤه ...

الحضور جميعا : إوزّة .

الملك [ملتفتا لوزيره دانى] : وماعندك أنتَ يا دانى مما يقولون فى المدينة؟

دانى : يتهامسون فى المدينةِ بأن الفتنة قد تحركت شياطينها فى قرطبة

وأن القــادرَ صاحبَ طُلَيْطُــلَةَ يسعى لأخذها من ولدِك
الأميرِ الظافر، وأنه يستعين فى دسه وكيدِه وتدبيرِه بالبطل
حُريز وصاحبه ابن طولون .

المــــلك: الولاياتُ يا دَانى نَحلايا النحل فيهـا العسل وفيها الأسل
وأنا واثقٌ بحزمِ الظافرِ وعزمه والله يفعل بعد ذلك مايشاء
إن ضيوفَكُمُ النبلاءَ أيها الأصحاب سيكونون هنا بعد ساعةٍ .

الملك [الى جوهر] : وأنت يا جوهر انظر . أين الجنديان ؟

جــوهر : بالباب يا مولاى .

المــــلك: أدخلْهما .

[يدخل الجنديان]

الملك [الى الجنديين] : أين الكلب؟ ! أجئتما به ؟

الجنديان : هو بالبابِ يامولاى يرسُفُ فى قيودِه .

المــــلك : أدخلاه .

[يدخل ابن شاليب اليهودى يجر قيوده]

ابن شاليب : التحية والإجلال للملك .

المــــلك : تحية لا نتقبلها من رجلٍ شتمنا بالأمسِ بمسمع من رجالِنا
وأعواننـا .

ابن شاليب : معاذا الله أيها الملك : ما شتمتُ ولا تهجمتُ ولا نسيتُ
أنى نزيل هـذه المملكة ، يجبُ علىّ لصاحِبهـا التوقـيرُ
والإكـبار .

الملك: بل أنت تكذبُ يابنَ شاليب .

ابن شاليب: على رِسلك أيها الملك ، أنسيتَ أن ورائى مِلكا عظيما يسألُ عن أمرِى وأنا سفيرُه عندك ورسولُه اليك، وقد يغضبُ لى إن أنتَ نلتني بسوء .

الملك: فان كان السفير وَقَاحًا قليلَ الأدب ؟

ابن شاليب: هذا كثير أيها الملك فاجعل للإهانةِ حدًا ولا تنسَ لى مكانى.

الملك: ستعلم مكانَك بعدَ قليل .

[الى ابن وهب]

أعِد يابن وهبٍ على هـذا الكلبِ ما فهت به حين عرضتَ عليه مال الجزية .

ابن وهب: لقد همَّ يا مولاى برد المـالِ معتلًا بسـوءِ العيارِ ونُقصانِ الإتاوةِ عن السنةِ المـاضية وقال: بلغ سيدَك أنه لا يحول الحول حتى آتى فآخذ عينيْه .

ابن شاليب: هذا كذبٌ واختلاق .

الملك: بل أنتَ الكذّاب . فما أنا بالملك الذى يَكذب عليه وزراؤه وأعوانه . وما شرفُ الأندلسِ وجلالُهُ إلا عدلُ قضاته وقلّة شاهدِ الزورِ فيه .

ابن شاليب [يمرغ خديه على البساط و يقول] : ألا تعفو أيها الملك الكريم . فهم يقولون إن العفو شيمتكم معشر العرب .

الملك : إلا ما مسّ الشرفَ والكرامة .

ابن شاليب : أتقتلني أيها الملك من أجل كلمةٍ سبق بها لساني وأعماني الغضبُ فلم أزِنها ولم أقدر عواقبَها .

الملك : عجبا يا وزير ألفونس ... أنت تزِن القناطيرَ المقنطرةَ من الذهبِ والفضة فلا يفلِتُ من حسابك بُرادةُ مِثقال . ثم لا تحسن أن تزِن كلمةً تخرج من فيك ! ...

ابن شاليب : أعفُ عني واستبقِني أيها الملك وأنا أشترِي منك حياتي بوزنِ جسمي ذهبا .

الملك : لا واللهِ ولا بثقلِه لآلئَ ويواقيت وأنا أعلم أن وراءَك ملِكا عظيما هو عبد المال . أما أنا يا ابن شاليب فعبد الله .

الملك [للجنديين] : أيها الجنديان خذا هذا المجرم فأمضيا أمري فيه .

[الجنديان ينقضان على ابن شاليب فيأخذانه الى ما وراء الستر المسدل]

الحاجب [يدخل] : نبلاءُ الأسبان بالباب يا مولاي .

الملك : يدخلون .

كبير النبلاء : التحياتُ للملك .

الملك : مرحبًا بضيوفِنا النبلاء . تفضلوا وخذوا مجلسكم واطرحوا الكلفة .

كبير النبلاء : شكرا يا مولاي ؛ هذه الحفاوةُ بالضيفِ لا تستغرب من ملكِ العربِ الكريم .

الملك : تعالَ اجلس بجانبي أيها النبيل .

[يجلس كبير الأسبان حيث أشار الملك
يطوف لؤلؤ على القادمين بالشراب و بالنقل]

لؤلؤ : ماذا تَشتَهى من الشراب ؟

كبيرالأسبان : ما دمنا فى أشبيلية يا فتى الملك فإنى لا أقدم على زبيبها الصافى المعطرِ شيئا .

أحد الحاشية [فى أذن جاره] : انظر السكير يا أخى كيف تجاهل خمر مالِقه وكيف نسِى أنه أنفد ذخيرتى منها فى ثلاث ليالٍ أقامها عندى .

[ضجة وشراب وأحاديث همس]

الملك [الى لؤلؤ] : دلنا يا لؤلؤ على ضيفك الرقّاص .

لؤلؤ [يشير الى أحدهم] : هو هذا النبيل يا مولاى .

الملك [الى الاسبانى] : إن فَتاىَ لؤلؤ أيها النبيل مغتبطٌ بما تعلّم عليك من أصول الرقص .

الأسبانى : وأنا يا مولاى ما رأيتُ أسرعَ خاطراً ولا أرشقَ حركاتٍ ولا أحسنَ حِفْظا لما يلقى عليه فى فنون الرقص من صاحبِى لؤلؤ .

الملك : إن مطربى هذا ابنَ حزم يحسن الضربَ على القيثارة . وقد تعلّم فى صغَرِه الكثيرَ من ألحانكم ونغماتِ رقصكم .

الملك [الى لؤلؤ] : فلْيرقصْ لؤلؤ على إيقاعِه .

الملك [الى الاسبانى] : وأنت ترسم له أيها النبيل النغْمة التى تصلح للرقصة .

[لؤلؤ وصاحبه الاسبانى يرقصان و يعزف لهما ابن حزم ... و يصفق لهما الملك والجماعة ثم يجلس الثلاثة بين الاستحسان والاعجاب]

الملك [فى جد الى جليسه الاسبانى] : أيها الضيفُ النبيل . أمر يَشْغَلُ بالى ويهتمُّ به أصحابى وينتظرون حكمى فيه . وقد رأيتُ أن أنتهزَ فرصة الأنس بحضوركم لأسيرَ على ضوْءِ رأيك فى تصريفه .

النبيل الأسبانى : ليس أحبُّ الىّ أيها الملك ولا أزيدَ فى شرفى من مشورةٍ خالصةٍ نافعةٍ ألقيها الى جلالتك .

الملك : إذن فاعلم أيها الضيفُ النبيل أن أحدَ جيراننا الملوكِ أوفد إلىّ رسولا فى مهمةٍ معلومةٍ فنسى الرسول مكانى حتى سبّنى بمسمع من رجالى وأوعد وتهدّد . فما الذى يقضى به عُرْفُكم على رجل هذا فعله .

النبيل الاسبانى : مثل هذا جزاؤه القتل يا مولاى .

الملك [إلى النبلاء] : أسمعتم يا معشرَ النبلاء .

النبلاء : سمعنا أيها الملك وقد أفتى كبيرنا وهو العدل والصواب .

الملك : إذن فانظروا .

الملك [ثم لأحد الجند] : أيها الجندىُّ ارفع هذا الستر .

[يرفع الستر عن جثة ابن شاليب جثة هامدة معلقة على عود]

الجماعة صائحين : ابن شاليب ؟

الملـك : هذا صاحبكم ابن شاليب قدرمانى أنا ووزيرى هذا ابن
وهبٍ بتزويرِ العيار والغش فى الميزانِ وقال لرجالى وأعوانى :
بلّغوا سيدكم أنى آتٍ فى العام القابل فآخذ عينيه من رأسه .

أحد الجماعة مستنكرا : وما ذنبنا نحن أيها الملك حتى عاقبْتنا بهذا المنظر؟

الملـك : لقد تردّدتُ بين أن أقتلَه بأعينكم وبين أن أَعرِضَه عليكم
وهو كما ترون جثة بلا روح ولكنى وجدت فى الرأى
الثانى تخفيفا على ضيوفى فعمِلْت به .

[ثم ينهض الملك علامة الاذن فى الانصراف ويختلط بهم وهو يشيعهم]

الملـك : انقلوا أيها النبلاء إلى الملك ألفونس ما سمعتم ، وصِفُوا له
ما رأيتم ، وتحدّثوا به فى طولِ بلادِكم وعرضِها ليعلم الناس
هناك أن الأسد العربى لا يُشتَم فى عرينِه وأنه لو غلِب
على غابتِه حتى لم يبق له منها إلا قاب شبرٍ من الأرض
لما استطاعتْ قوى الإنس والجن أن تنفذ إلى كرامته
من قابِ هذا الشبر .

[ينسل النبلاء الاسبان من المنظره وهم يجرون سيقانهم جرا من الرعب]

الملك [إلى حاشيته] : الآن يا نبلاءَ العرب نطوى هذا البساط ويبقى

هذان الجنديان حتى إذا خلت منا المنظرة رفعا الستر عن جثةِ ابن شاليِب ليعلم أهل أشبيلية كيف يحل العقابُ بمن يجترئ على شرفِ أميرِهم الذى هو شرفهم الرفيع .

المنظر الثالث

« الملك نشوان ، ومعه مضحكه مقلاص يدنو من زورق »
« على الوادى الكبير فيثب فيه و يقول ... ... »

الملك : أنظر يا مقلاص إلى هذا الزورق ما ألطفه ، صدق القول : كلُّ صغيرٍ لطيف .

مقلاص : إلا وظيفتى فى قصرك فإنها لا لطيفة ولا شريفة ، وإن هذا الزورقَ قد ينقلبُ فيأخذ شكل النعشِ ولن يكون النعشُ لطيفا أبدا .

الملك : هبه انقلب يا مقلاص فصار نعشا ، أليس النعشُ مركبَ كل حى وإن طالتْ سلامته ؟

مقلاص : أما أنا فيعفينى الملك .

الملك : لا يا مقلاص — لا أعفيك ولا أحسبك تدعنى أسير فى لُجة النهر وحدى وأنا كما ترانى نشوان .

مقلاص : وإن كان ولا بد أيها الملك فإنى أقترح .

الملك : وما تقترح ؟

مقلاص : أن أكون أنا المجدِّف وحدى .

الملك : ولماذا ؟

مقلاص : الأمر بيّن ! التيار مجنون ، والسكر مجنون ، وأنت سلطان وكل سلطان مجنون ، وهذا الزورق خشبة لاعقل لها فهو أيضا مجنون ؛ وإنى أربأ بحياتى أيها الملك أن أجمع عليها مجانين أربعة .

الملك [مستضحكا] : لا يكون إلا ما اقترحتَ يا مقلاص تعالَ اركبْ وجدِّفْ وحدكَ واتركْ لى أنا الدفةَ .

مقلاص : أما هذا فنعم . وإنى أرجو أن تكون دفةُ هذا المركبِ الصغيرِ أحسنَ مصيرا فى يديْك من دفةِ المملكة .

الملك [مستضحكا] : تعال ثِب ، هاتِ يدَك .

[مقلاص ينزل الى الزورق و يأخذ المجدافين] .

الملك : أنظر يا مقلاص وراءك إنى أرى قاربا يندفع نحونا مسرعا كأنه حوتٌ مطاردٌ مذعور .

مقلاص : هو ذا قد دنا منا يا مولاى فأَحسنْ مسك الدفة واجتنب الصدمة وأنا أذوده عنا بمجدافى هذا وأضربه ضرْبةً تقذفُ به الى الشاطئ الآخرِ من النهرِ .

الملك : إياك أن تفعلَ ، بل أسره فلا بدّ لنا أن نؤدّب هذا الشاب المغرور فإنى أرى الملاّحَ فتى كريمَ الهيئةِ فهو لا شك من أبناء أعيان أشبيلية .

[يصطدم الزورقان و يظهر مقلاص ارتباكا وجبنا فيقبض الملك على الزورق المهاجم بيد قوية و يقول لمقلاص] :

الملك : إقذف الآن به إن استطعتَ الى الشاطئ الآخرِ من النهرِ
[ثم يلتفت الى الشاب الملاح و يقول] : مكانكَ أيها الغلام الوَقَاح ، ما هذه الجرأة على التيار وعلى شبابك هذا الغض النضير . وما غرك بالملك حتى قربتَ عودك من عودِه تريد أن تأخذ عليه الطريق .

الملاح : مولاى . إن الرعيَّة يهفون . و إن الملوك يعفون ، وزورق إنما اندفع بقوة التيار القاهر فوافق مرورَ مركبك المحروس فكان ما كان مما أعتذِر الى الملك منه .

الملك [بصوت منخفض] : ويح أذنى ما ذا تسمع ؟ هذا الصوتُ أعرِفُه !
[ثم يلتفت الى الملاح قائلا] : قد عرَّفناك أيها الفتى من نحن فعرِّفنا بنفسِك .

[يرفع الملاح قناعه]

الملك [صائحا] . بثينة ؟

الأميرة [الملاح] : أجل أيها الملك ابنتك وأَمَتُك بثينة .

الملك : عجبا أأنتِ هنا بين العَبَبِ والتيار وعلى هذا العود الذى يشفِق أبوكِ من ركوبه وأبوكِ من تعلمين أشجعُ العرب قلْباً .

الأميرة : ولِمَ لا تكونُ ابنة الملكِ شجاعةَ القلبِ مثلَه إن الأسد لا يلِد إلا اللَّباة .

الملك [يهدأ غضبه] : ومن أين مجيئك الساعةَ يا بثينة ؟

الأميرة : من الموضع الذى أحبُّه كما أحبُّ الحجرة التى ولدتُ فيها ، ومن ناحيةِ السرْحةِ التى أحنُّ لها كحنينى للقاصيرِ التى ضمتنى طفلة ممهدة ، ومن بُقعةٍ مباركةٍ وقفتِ السعادة بك فى ظلها على أمى الرميكية فرأيتَهـا فأحببتَها أولَ وهلة . ولم تكن إلا غسَّالةً مغمورةً فتزوجتهـا فرفعتَها أعلى ذُرى الشرف ومن هذا الزواج الموفّق السعيد ولدتُ أنا لأب قصّر الآباء عن برّه وملكٍ جل عن النظراء والأمثال . أليس ذلك المكان الذى هو مهد حبكما الأول من حقه أن يُحَنَّ اليه أحيانا بل من حقهِ أن يُحج آنا فآنا .

الملك [متأثرا] : بنفسى ورُوحى أنتِ يا بثينة . لقد عظَّمْتِ المهدَ وقضيتِ الحقَّ والآن ألا ترجعين الى القصر بسلامٍ فلا أحسب القصر إلا قائما لغيبتكِ على ساقٍ حتى لكأنى بأمكِ تسأل عن أمركِ و بجدّتك أشغلُ وأشدُّ قلقا .

الأميرة : لقد كنتُ يا مولاى فى طريق الى القصر لولا هذا الاتفاق السعيد الذى صدم عودى بعودِك والآن إذْ أمرتَ فإنى أنطلق فى سبيلى وأستودعك الله يا مولاى .

الملك : إذهبى يا بنيتى فى كلاءةِ الله و إياكِ والمجازفةَ فيما تفعلين فإن الحياةَ أعزّ وأنفسُ من أن تُعرّض للتهلكة وأنهاكِ عن

الخروج بعد اليوم إلا مصحوبةً بلؤلؤ أو جوهر فإنهما لا يألوانك خدمة وحراسة .

الأميرة: لا يكون يا مولاى إلا كما أشرت .

[تندفع بثينة بالزورق وتغادر الملك — وقد أطرق مليا إلى أن بدا لمقلاص أن ينبهه من هذه السنة]

مقلاص : مولاى إن الشط قريبٌ و إن الأرضَ أصلحُ مجلسا لمثل ما أنتَ فيه من الهم والتفكير .

الملك : كيف رأيتَ بثينة وكيف وجدتَ جرأتها يا مقلاص ؟

مقلاص : تلك اللّباة من هذا الأسد يا مولاى .

الملك : ما كل جرىء فطن ، وهذه الفتاة جمعت الحجا والشجاعة . إنها تعلم أنى رجل رقيق القلب مجيب العاطفة وتعلم كذلك أن شيئا من النفور قد دخلنى نحو أمها منذ حين فانظر كيف تحيَّلَتْ حتى ذكَّرتنى العهدَ القديم . فوالله ما أنا الساعةَ بأقلّ حبا للرميكية ولا عطفا عليها منى منذ عشرين سنة . جدِّفْ يا مقلاص جدف . سبحانك اللهم جعلتَ الولد سفير المودّة والرحمة بين الوالدين .

[يندفع الزورق]

الملك [يتغنى] : الجوزُ اللوزُ يارب النوز .

مقلاص [يجيب] : الجوزُ اللوز بوادى الحوز .

ستار

الفصل الثانى

« خان التيمى فى أشبيليه حيث صفت الموائد والأرائك وجلس اليها »
« قوم يتحدثون ويحتسون الشراب . ابن حيون منفرد وحده الى مائدة »
« وأبو القاسم قادم عليه من باب الخان . حريز يجلس الى مائدة أخرى »
« وأمام ابن حيون . ورجال هنا وهناك يلعبون النرد والشطرنج »
« أو يطالعون بعض الرسائل ... ... »

أبو القاسم : ابنَ حيون ؟ ما أطيبَ هذا اللقاء .

ابن حيون : سيدى أبو القاسم يامرحبا يامرحبا ها هنا صُفَّةٌ لينة ومجلس كريم فلو جلسنا ساعة نتحدث . أزائرى أنتَ أبا القاسم أم جئتَ الخانَ فى شأنٍ يعنيك .

أبو القاسم : بل إياك قصدتُ يابن حيون . وإن الشوْقَ اليك لشديد .

ابن حيون : شوقٌ بعضُه من بعضٍ يا أبا القاسم ولكنْ من أنباك أنى مقيم بخان التيمىّ .

أبو القاسم : لقد عرفناك كالرواد الرحّل . لا تُرى الا فى خانٍ أوعند دوارسِ الأحجار .

ابن حيون : الخانُ والسوقُ يا أبا القاسم مدرستان من مدارسِ الحياة ينتفع بهما الرجلُ الأريب ... ألستُ فى هذا الخانِ كل يومٍ أبدل أهلا بأهلٍ وجيرانا بجيران وأستعرضُ صوراً متحرّكة مِن الخلائق كلما احتجبتْ صورة خلفتها صورة ... وكيف حال أشبيلية يا أبا القاسم وهل من حوادثَ هناك ؟

أبو القاسم : الحالُ إن لم يصلحها الله فمالهـا من صلاح . والحوادثُ يابن حيون نتوالى ولا نتولّى واليومُ مغبر والغدُ مكفَهِر .

ابن حيون : وابنُ عباد فى غوايته مستمر !

أبو القاسم : خل ابنَ عباد يا أخى لاتجرِ ذكره بسوءٍ فانه السيفُ الذى يرجوه العرب . والحِصنُ الذى يحتمون غداً فيه .

ابن حيون : لم تُنصِفْ يا أبا القـاسم . طبعتَ للعـربِ مِن الخشب سيفا وبنيتَ لهم من الشفير الهائر حصنا .

أبو القاسم : إتق الله يابن حيون ... بعضَ هـذا البغى ... للمعتمِد من المحاسنِ ما ينطى على مساويه . أجهِلتَ إحسانه على أهل العلمِ وعَطْفهُ على أهل الأدبِ ؟ أجهِلتَ كيف يربى أولادَه تربية لم نعرِفها من الأمراء والملوك؟ أجهِلتَ كيف يعامل الرميكيةَ زوجته الفاضلة معاملة تحسدها عليها عقائل الأندلس؟

ابن حيون : آه يا أبا القاسم من ههنا دائى وههنا ثارى عند صاحبك ابن عباد .

أبو القاسم : يَاعجبا كل العجب . ما هذا الثأر ما حديثه ؟

ابن حيون : اسمعْ أبا القاسم وأنصفنى .

أبو القاسم : تكلم يا بنَ حيون فكلىّ مسامع .

ابن حيون : كنتُ فى صدر شبابى صيادا شابا مليحا رأسُ مالى شبكة وقِـوام معيشتِي سمكة ، وكانت تختلف إلى المواضع التى أختلِف اليها من النهرِ للصيدِ وابتغاء الرزق صبية غسّالة حلوةُ الدلالِ بارعةُ الجمالِ كأن حديثها السحرُ الحـلال . فانعقـدتْ بيننا ألفة وكانتْ لنـا مجالس على المـاءِ كأنها أعراسُ النهرِ ولقاءاتٌ على الوادى الكبير كأنها أعيادُ الدهرِ ؛ أحببتُ الصبيّة وأحبّتنِي وتكلمنـا فى الزواج وشرعنا نأخذ له أهْبته .

أبو القاسم [مقاطعا] : و بينما أنتما على ذلك طلع عليكما من النهر فُلْكٌ عليه شارةُ الملك ، يحمل ملكا شابا جميلا فنَظَر الصبيّةَ فراعهُ حسنُها وكلمها فأعجبه أدبها . وارتجلت الشعرَ بين أذنيه فبلغ إعجابه بها الغايةَ فتزوجها من يومه فملأتْ قصورَه غِبْطة و بهجة وولدتْ له الشموسَ والأقمار . هذا حديث الرميكية يابنَ حيون وهـذا خبرُ زواجِها يعلمه كل من فى الأندلس و يتناقلونه بالإعجابِ و يتحـدّثون أن بنتَ الشعْبِ نزلتْ قصورَ الملكِ من أولِ يومٍ نُزولَ الأقمارِ فى هالاتِها ، وأنها

من عشرين عاما الى اليوم قدوةُ عقائلِ الأندلس والمثال الأعلى بين أميراتِه وملِكاته ؟ .

ابن حيون : وما كان ذنبي يا أبا القاسم حين احتقرتْ حُبِّي واستهانتْ بِخطبتِي؟! وكيف تريد مني بعد ذلك أن أكون لصاحبِك المعتمد من المخلصين .

أبوالقاسم : هبِ الأمرَ كان معكوسا يابنَ حيون، وهب الفلك الذى وقف يومئذٍ بكما كان يحمل ملكةً شابة فاتنة الجمالِ بيمينها الجاه وفى شمالها المـال فنظرتْك فأحبتْك ودعتْك لتبنِيَ بها وتشاطرهَا عزة الملكِ وثراءَ المـالِ — أتُراك كنتَ تُعرض عن الملكةِ وفاء بعهدِ الغسّالة . لا والله يابنَ حيون ما كنتَ فاعلا ذلك . وهـذا ما فعلتْ الرميكية . رأتْ ملكا كبيرا وشـبابا نضيرا وفضلا وأدبا غزيرا فخلتْ نفسها من ذلك الودادِ وفضلتْ أصيدَ على صياد . عرفتَ يابن حيون أن ذنب الرميكية ليس بالعظيم كما توهمْتَ . بقى المعتمد وأنا لا أجدُه اقترفَ اليـك ذنباً أو أراد لك ضُرا بل أنا أقسم لو علِم ابنُ عباد يومئذٍ بما كان بينكما من الحب وما صرمْتُما اليه من الِخطبةِ ووشْكِ الزواج لأخذكما فى كنفه وتكفلتْ لكما نعمتُـه بالزواجِ ونفقتِه، وبالبيتِ وجهازه وبالضيْعةِ التى تُغل عليكما وتبقى بعدكما على الأولاد .

[ابن حيون مطرقا] :

أبوالقاسم : ابنَ حيون . مالك مطرقا لا تنبِس . ما بالُ عينيك تمتلئان
استرحْ يا أخى للبكاء واسكبْ دموعَ الندم .

ابن‌حيون : الآن استرحتُ يا أبا القاسم وانطرح عن صدرى أتونٌ
من الحِقدِ حملتهُ عشرين عامًا حتى حنى الظهرَ وأكلَ
الصدرَ وأدنى من القبر .

أبوالقاسم : مسكينٌ أنتَ ابنَ حيون إن حقدَ عشرين عاما لو جمع
وقذِف به فى جهنم لكان لها منه وقودٌ لا ينفد .

ابن‌حيون : لقد شفيتنى أبا القاسم من ضلالى القديم فأرشدنى كيف
أعتذر الى الرميكية عن سوءِ ظننتُ وبغيض أسررتُ
وأعلنتُ وكيف أُكفِّر عما سلف منى فى ذاتِ المعتمدِ من
جهرِ السوءِ وهمسه .

أبوالقاسم : يغفر الله لك يابن حيون إن الحقد ما خرج من قلب
إلا دخلته الرحمة وإنى لأرجو أن ستُحبّ صاحبيك
وترحمهما وتحسن اليهما كلما وجدتَ الى الإحسانِ سبيلا .

| يطوف قيم الخان على الجالسين حتى يقف به الطواف |
| على المائدة التى جلس اليها حريز وابن لا طون |

قيم الخان : لعلّ السيدينْ قد وجدا الراحة فى هذا الخانِ الصغيرِ ببنائه
الكبيرِ بأقدارِ روّاده ونزلائه ؟

حريز : ومن السيد ؟

ابن لاطون : هذا الأديبُ التميمى صاحبُ الخان وقيّمه .

قيم الخان : لعلى أيها السيدان بحضرةِ الأمير حريز أسد الأندلس وصديقه ابنِ لاطون نمِر الجزيرة .

ابن لاطون : هو ذاك يا أخا تميم . هذا الأميرُ حريز بطلُ الأندلُس وواحده وأنا ابن لاطون خادمُه وكاتبُ ديوانه .

قيم الخان : يا طيبَ هذه الزيارة وما أعظمَ شرفى بها ، لقد مر بنا أيها الأمير منذ ساعةٍ ركبان حدثونا العجب عن ذلك السباق الذى أقامه ملك الفرنجة ألفونس فى معسكرِه إكرامًا لك وحفاوةً بك وخبرونا كيف احتلْتَ على الطاغيةِ فمرقتَ من ذلك الجيش الجرار ناجيا بجوادِك الصاعقة وظافرا بالأميرِ بطرس شقيق الطاغية .

حريز : وكلاهما الساعةَ تحت سقْف خانك هذا . ففى بعضِ غرَفه بطرس أمير الأسبان يأخذ قسطه من الراحة . وفى الإسطبل الصاعقة أمير الجياد يُعلف ويستجم .

قيم الخان : يافرحا ياشرفا . أخو الطاغية أسيرٌ فى خانى نبأٌ والله عظيم لا تطلع شمس الغد حتى ينتشرَ فى الأندلس فتشتغلِ الدنيا بالتميمى ويهتم بخانه الناس .

حريز : والصاعقة أمير الجياد أنسيتَه يارجل؟ إن اسطبلك لَيتيه بهِ على مغانى الفرنجة وقصورِهم فاذهبْ فمر رجالك أن يعتنوا

به وليأتوا بما كان عليه من الأمتعةِ والأسباب فيضعوا ذلك كله فى هذه الزاوية من الخان .

قيم الخان : سيكونُ ما أمرتَ ياسيدى .

[يخرج الأمير بطرس من غرفة الخان]

[فينهض حريز وابن لاطون حفاوة به]

الأمير حريز : الأمير بطرس ؟ لعلك أخذتَ قسطك من الراحة .

الأمير بطرس : أجل قد استرحتُ يا حريز والآن خبرنى ما أنتَ صانع بى لقد أصابت الحُبالة فما أنتَ صانعٌ بالصيد .

حريز : إنها أيها الأمير حُبالةٌ كريم . .

بطرس : ولكنى على كل حال أسيرُك ياحريز .

حريز : أجل ولكنك الحاكم فى الأسر .

بطرس : لم تنصف أخى الملك ياحريز . اطمأن إليك فخدعته ووثِق بك وخنتَه وأطلق لك جوادَك الصاعقةَ وأسرتَ أخاه .

حريز : نحن فى حربٍ معكم أيها الأمير والحرب لا تُسأل عما تفعل وأنا صاحبُ حصنٍ للعرب يحاصره أخوك وفى الحصن أبطالٌ لا يعرفون الخوفَ ولكنهم بَشرٌ يعرفونَ الجوع . ومنهم المرأة والصغير والشيخ الفانى الكبير، وحصنى يوشك أن يسقط بعد طولِ الحصارِ وضيقه .

بطرس : إذن يهمك أن يخرج النساء والأطفال والشيوخ من الحصن .

حـــريز : أراك فهمتَ أيها الأمير .

بطــرس : إذن فاعلم ياحريز أنك إن خلّيتَ الآن سبيلى فرجعتُ الليلةَ
إلى معسكرى وقــومى فإنه لا يُصبح الصبحُ حتى يطلق
سراحُ كل من فى حصن رباح وينالهم من برأخى وعطفه
ما ينسيهم جراحَهم ولا ينزَع من رجالك سلاحُهم بل تُترك
للأسد أظفارُها .

حــريز : هذا ما أبغى أيها الأمير .

بطــرس : وأىّ الأقسام تريد أن أعطيك عليه ؟

حــريز : إن الرجلَ الشريفَ كلمتُه قسَمٌ وإشارته يمين ؛ فأنا أكتفى
بما سمعتُ من وعدِك فانطلق الآن محروسا بعناية الله وعد
لأخيك الملك فبلغه تحيتى وإجلالى وخبره بأن ربحى من
ذلك السباق كان عظيما فقــد غنمتُ صحبةَ أخيه الأمير
النبيل الكريم وغنمتُ أيضا خلاص رجالى فى الحصن .
وخرجتُ فوق ذلك من الميدان بكنوز طُلَيْطُلَةَ وجواهرِ
ملوكها بنى ذى النون .

الأمير بطرس : كنوز طليطلة؟ خرجتَ بها بين عين الجيش وأذنه ؛ يالك
من داهيةٍ عتيد . أكانتْ هذه الكنوز معكَ حين أتيتَ
للمعسكر ؟

حريز [ضاحكا] : كلا أيها الأمير بل كانتْ فى طليطلة وفى خزائن ملوكها

بنى ذى النون وإنما احتلتُ حتى حملتْ إلىّ مع الصاعقة
إذ أمر أخوك الملك أن يذهب الى المدينة المحصورة من
رجاله ورجالى من يأتى بالصاعقة .

بطرس : عجبا . لقد رأيتُ الصاعقة حين جئ به من طليطلة فلم
أرَ عليه شيئا من الأحمال والأثقال فهل كان يحمل فى بطنه
الكنوز ؟

حريز [ضاحكا] : ولم لا تقول إنها كانتْ على ظهره أيها الأمير ... ...
(مناديا) يا تميمىّ .

التميمى : مولاى .

حريز : إدفع الى الأميرِ جوادَه قيصر وشيِّعه بفارسين من أشد
رجالك يرافقانه حتى يبلغ خطوط الفرنجة .

بطرس : فى حفظ اللهِ يا حريز .

حريز : بذمةِ الله أيها الأمير .

[يخرج حريز مشيعا الأمير بطرس الى باب الخان
ويعود فيجلس على مائدة مع ابن لاطون]

ابن لاطون [يسأل حريز همسا] : لقد ذكرتَ أيها المولى كنوزَ طليطلة
للأمير الأسبانى فأين هى منا الآن ؟

حريز : هى معنا يابن لاطون بين أعيننا وفى خفارةِ سيفينا ولكنك
لا تراها ولا يقع فى وهم واهمٍ بأى موضع هى من الخان .

[يسمع من خارج الخان مناد ينادى متغنيا]

المنادى : أنا ذا طاهٍ أتاكم من شريش بقطائف

من يذقْ حـلواىَ يبرز لحـريزٍ غـيرَ خائف

حـريز : لِله ما ألذَّ الصوتَ وما أحسنَ الشعر .

ابن لاطون : وإنا نرجو ألا تكونَ القطائف دونَهما لذةً وجوْدة .

[حريز متجها الى باب الخان]

حـريز : تعـالَ يا صاحبَ القطائف . أتعرف أيها الرجل حُريزًا الذى أشدتَ بذكرِه فيما أنشدت ؟

البائع : أو تجهله أنتَ كائنًا من كنتَ وهو عنترةُ البيد وحيْـدرةُ الحِمى ونادرة الزمان ؛ أعرِفُه بأمسِه ويومِه كما يعرفه سائر النـاس .

حـريز : وكيف صفتُه ؟

البائع : رجل عِمْلاقٌ أشمٌّ طويلُ الساعدينِ عبْلٌ شَمَرْدَل .

حـريز : كفى يا شريشى كفى إكشفْ عن بضاعتـك لنرى أينَ المنادَى عليه من النداء .

[البائع يعرض الصينية مكشوفة]

صوت من الحاضرين : تعالى الله ما أشهى .

صوت آخر : تعالى الله ما أطيبَ .

حـريز : بكَمْ تبيعُنى هذه الصينيةَ يارجل .

البائع : كل ما أعطيتَ مقبول أيها السيدُ الكريم .

حريز [ويلق اليه صرة دنانير] : خذْ هذه الصرَّةَ مباركًا لك فيها .

البائع : ولكُمْ فى القطائف أيها الطاعِمُ الكريم .

حريز [للحاضرين] : تعالوا أيها الإخوان نتقاسمْ هـذه اللقمَة الطيبة . تفضلوا . أقبلوا . ذوقوا معنا من هذا اللون الذى ذاعتْ شهرتُه فى البلاد حتى قيل إنّ من دخل الأندلسَ ولم يذقْ من مجبناتِ شريش فما عرف من متاع الأندلس شيئا .

أحد الحاضرين : إن لهذه القطائف لَطيبا يسكِر من بعيد .

[الجميـع يأكلون]

أحـدهم : ما ألذ .

ثان : ما أطيب .

حريز [وهو يأكل ملتفتا الى ابن حيون] : ما بالُ الأديب لا يجيبُ الدعوةَ .

ابن حيون : إنى صائم أيها الأمير .

حـريز : تقبَّل الله منكَ وإن أنتَ لم تَقبلْ منَّا .

أحد الحاضرين [على المائدة وهو يأكل] : هـذه المـائدةُ جمعتْ العلَفَ والشرفَ . فوالله ما كان أحدكم يحلم أن يؤاكل أسدَ الأندلس .

آخـر : حق إن هذا لهو الشرفُ العظيم .

[يفرغون من الأكل]

حـريز : يا ألله ماهذا الدوار ؟ ! ابن لاطو ... .

ابن لاطون : وأنا أيضا كأنى داخل فى غيبو ... ... بة .

رجل [لصاحبه] : كيف تجد الدنيا فى عينك ياضبِّى ؟

الضبي : مظلمةٌ صاعدةٌ نازلةٌ .

الرجــل : وأنا أيضا أجد الدذ ... ... يا .

أبوالقاسم : لقد رُجمتَ بصيامك يابنَ حيون فانى أظنّ القطائف طبِخَتْ بالبنج وأخذتْ تصرع ... نى .

ابن حيون [مذعورا] : ياويح للجماعة غودروا صرعى وويح لك أباالقاسم سقطتَ سليبَ العقلِ والحرَاك .

[يظهر صاحب القطائف و يصفر فيدخل جماعة من اللصوص] .

ابن حيون [وقد امتلأ المكان باللصوص] : ياألله! امتلأ المكان باللصوص . الآن تبينت أن القطائف كانت مصيدة لم يعصِمْنى منها إلا الصيام .

ثم لنفسه [همسا] : تناومْ يابن حيون "و يتناوم على مقعده" .

صاحب القطائف : يا أصحابَ الباز . غدا يتحدّثُ الأندلس أن صاحبكم صرعَ الأسـد وأخذ الصاعقة من فارسِه الجبار وقد خصصْت نفسى بأمير الخيل الصاعقة فهو حصتى من غنائم اليوم وما سواه فهو لكم تقتسمونه بينكم فدونكم الجيوب ففتشوها وعليكم بالحقائب فانبشوها وخذوا أثاثَ الخان وعُروضه، كل ما خفّتْ زِنته وعظُمتْ قيمتُه .

أحد اللصوص : ولكنّ الصاعقة عريان لا سرْج عليه أيها الزعيم .

البازى : بجياد الأندلس جميعا هو كاسيًا كان أو عريانا .

لص آخر : لقد لمحتُ أيها الزعيم فى زوايا الاسطبل سرجًا محلى بالذهب والفضـــة .

الباز : أو أنتم تاركون لى السرْجَ المذهّبَ المفضّضَ أيها الأصحاب؟

اللصوص : نحن وما نملك للزعيم .

الباز اللص : إذن فاسبقْنى يا شهابُ فضع السرجَ المذهبَ على الصاعقة وانتظرنى هناك .

[يأخذ اللصوص فى السلب والنهب و ينسلون واحدا إثر واحد بما حوت أيديهم و يبقى رجل منهم فينحنى على سرج عاطل يتأمله و يظن ابن حيون المكان قد خلا فيستوى فى مجلسه و يقع نظر اللص عليه فيرمى السرج العاطل عليه قائلا ...]

أحد اللصوص [لابن حيون و يرمى عليه السرج العاطل] : خذْ يا شيخَ السوء هذه الخشبَة لعل فيها العوضَ عما أفاتك الصيامُ من القطائف .

[و يخرج اللص] :

ابن حيون [لنفسه] : شلّتْ يدُ اللص ، لقد قذف السرْج بقوة حتى كسرهُ ولو أصابنى به لتركنى جثةً بلا روح ، يا لله . تُرى أىُّ شىء فى فروج هذا السرج .

[يدنو منه و يمسك به ثم يتأمله و يدس فيه يده]

ربِّ ما هذا الحصى ؟ أى مجنون يملأ سرجه بهذه الأحجار ... !

[ثم يستخرج عددا من الأحجار البارقة و يقلبها بين يديه مذهولا قائلا] :

لآلئ ! يواقيت ! أبا القاسم قم فانظر إن الذى حشا

رأسَكَ بالعِلْمِ والفِقه قد حشا رُدْنى باللآلئ واليواقيت .

[ثم لنفسه] يا ابن حيون أين يُذهبُ بك ؟ هذا كنزُ ملِك عظيم من أقيال الروم جدّ به الحرصُ وخاف امتدادَ الفتنة الى كنزه ، فاختار له هذا السرج البالى وفى نفسه أن يصونَه أو يموتَ دونه فأخلفَ الدهرُ ظنونَه .

[يجمع اللآلئ بين الدهشة والاضطراب و يقول] :

ابن حيون [و ينظر الى اللآلئ] : لآلئ ! يواقيت ! ماس ! زمرد ! رباه هذا عجل الذهب ، هذا هو معبودُ الناسِ بعدَك هذا هو المـال .

ســتــار

الفصل الثالث

« بستان أمام دار أبي الحسن . الى يمينه باب الدار ومن ورائه شاطئ »
« الوادى الكبير — أبو الحسن جالس فى هــذه الساحة وبين يديه »
« تابع له هو (ســعيد) وجماعة بالقرب منه من السماسرة يتهامسون »

ابوالحسن : ما هــذا ؟ ما أرى ؟ إنى لا أعرف هذه الوجوه ؛ فمن الرجالُ يا سعيد وما يبتغون ؟

ســـعيد : هــذه الوجوه تحومُ على الدارِ منذ حينٍ يا مولاى وتسألُ عن أجزائهــا وتستفهمُ عن مشتملاتها ؛ وتتحــدثُ عن المكتبةِ خاصة وما عسى تضم من نفائسِ الأسفار .

أبو الحسن [رافعا وجهه الى السماء] : لطفكَ اللهم ! لقد لهجَ الناس بالنكبةِ واشتغلوا بالمنكوب ، وما أولع الناسَ بالناس .

[ثم الى الرجال] : أيها الرجال تعالَوا فان كنتم ضيوفًا فيامرحبًا بكم ، وإن كانتْ لكم حاجاتٌ تريدون قضاءَها فهاتوا اذكروا .

احــدهم : إيذن لى يا ســيدى التاجر أن أصارحَك القولَ فليس

مركزك بسر ، والدار معروضة لا محالة ، فلنبعها اليوم ، فقد تغبن جدا فى الغد .

أبو الحسن : أتشفق على الدار أن يكسد سوقها فى غد ؟ أم تشفق على نفسك أن يكون السمسار غيرك ؟ ... بكم قومتم الدار أيها الوسيط المجتهد ؟ وأى ثمن تعطون ؟

أحدهم : عندى المشترى لها بخمسين ألف دينار يا سيدى التاجر . تحمل اليك فى الصباح إن قبلت .

أبو الحسن [الى الثانى] : وأنت فماذا عندك ؟

الثانى من السماسرة : عندى الراغب الذى يزيد خمسة آلاف دينار .

أبو الحسن [مشيرا الى الثالث] : وهذا الثالث الآخر . ماذا عنده ؟

الثالث : عندى أيها السيد أن صديقا لك لا أسميه يريد أن يشترى مكتبتك بالثمن الربيح فهل أنت بائع ؟

أبو الحسن [فى غضب] : والمكتبة أيضا أخذوا يتحدثون فى شرائها ! ووسادتى وفرش نومى أما لها عندك من طالب أيها الرجل ؟ أعزب عنى ! أعزب وخذ صاحبيك معك وانطلقوا . إن النكبة لم تبلغ بعد تمامها ولم نبلغ معها الى اليأس .

[يقترب شيخ عربيب الثياب ملتفتا الى الرجال الثلاثة قائلا]

[المغربى الشيخ] : تلك والله وقاحة !

أحد السماسرة : عجلتَ فيها يا وجهَ النحْس !

[ينصرف السماسرة] .

أبو الحسن [يناجى نفسه] : ظهرَ فيكِ السمسارُ يادار ! اللهم أنتَ أعطيتَ وأنتَ أخذتَ وأنتَ تعلم أنى لستُ التاجرَ اللّص ولا المحتال ، فألطف بى فيما قضيتَ وأعِن ولدى حسوناً على ما يواجِه من فِرار النعمةِ وانتقالِ الأيام [ثم يشعر براحة و يقبل على الشيخ المغربى قائلا] : وأنت يا شيخَ البربر ماوراءَك ؟

المغربى : أنا زائر ياسيدى التاجر . وربما كلمتك فى شأنٍ يكون فيه ارتياحك ورضاك .

أبو الحسن : مرحبا بالزائر . تعالَ يا سيدى نتحدثْ على هذا الفضاء الطلق ، وفى ظل هذا الروضِ الكريم [يسيران قليلا ثم يجلسان] .

المغربى : أنا يا سيدى التاجر رجلٌ من أغنياءِ المغرب . حبّبَ الله إلىَّ السياحةَ فى أرضِه . أجوبُ مذ كنتُ البر وأرفعُ شِراعَ البحر . الى أن دفعتنى الأسفارُ منذ أيامٍ الى مدينتِكم هذه أشبيلية الغنّاء وكنتُ سمعتُ عنها وقرأتُ الشيءَ الكثير . فلما نزلتها ودخلتُ فى مواضعِها وخرجتُ ملأتْ نفسى وشغَلتْ خاطرى . فاعتزمتُ أن أجعلَها قرارى ومُلقى عصاىَ فى رِحلةِ الأيام .

أبو الحسن : ما أسعد أشبيلية يا سيدى بابنها الجديد البار .

المغربى : مهلا ياسيدى التاجر وخذ الحديثَ الى آخره ، لم يبقَ

فى نفسى من هوى الأسفارِ إلا جولةٌ أجولها فيما وراء هذا الأندلُس من ممالكَ للفرنجة وديار . فاذا كتبَ الله لىَ السلامة، أتيتُ هذه المدينةَ فاتخذتُها وطناً وديارا .

التاجر أبو الحسن : مشيّعا بالسلامةِ والكرامة .

المغربى : ولكنى مزمِعٌ سفراً شاقا بعيدا . وما يدرى المسافر ما وراء الغربةِ من الفُجاءاتِ، وما تدرى نفْسٌ بأى أرض تموت، ومعى يا سيدى من كريم الجوهرِ ونادرِه ما أخشى عليه السّرقة أو الضّياع وأنا منقطعُ الوارثِ لا أهلَ ينتظروننى ولا ولد، ولقد مررتُ بدارِك هذه مرارا فكنتُ كلما زدتها تأملا زادتْنى بهجةً وروعةً . حتى حدثتنِى النفسُ بشرائها .

أبو الحسن [فى غضب] : أأنتَ أيضا ياسيدى أتيتَ تساومُنى فى الدار !

المغربى : دعنى أستتِمّ يا أبا الحسن فإنى جاد! ما أنا بالمساومِ ولا بالرجلِ الذى يلتمس الفوائدَ لنفسه من مصائبِ الناس، ولكنى جئتُ أخطبُ اليك الدارَ وأَجعلُ مهرَها ما أُقَدِّرُ أنا لا ما تقدرُ أنتَ ولا الناس .

أبو الحسن : ماذا تريدُ ياسيدى؟ بيِّن! صرِّحْ! إنى لا أفهمُ ما تقول!

الشيخ المغربى [ويخرج عقد لؤلؤ من كمه] : هذا عقدٌ من كبيرِ اللؤلؤِ وخالصه قيمتُه زُهاء المائةِ ألفِ دينار خذْه ياسيدى ثمنا لدارك

وأبقَ فيها وأحرسها لى حراسة القيِّم الرفيق . فإن لقيتُك سالمـا بعد ثلاثةِ شهورٍ تمضى من يومنا هذا نزلتُ فى دارِى ؛ وإن مضتْ هذه المدة ولم أعد ، بقيتْ عليك الدار مباركًا لك فيها ولوَلدِك .

أبو الحسن : ولكن يا سيدى هذا الثمنُ كثيرٌ جدا لدار يشتغل بها الآن السمسارُ والدلّال .

المغـربى : بربك أيها السـيد لا تُعرِض عن خيرٍ ساقه الله اليك ولا تقِف لأهلِ المروءات فى سبيلهم ولا تستنكرْ على رجلٍ قد زاد مالُه حتى ما يدرى ما يصنعُ به أن يُعين بفضـلةٍ منه كريمًا مثلكَ طالمـا آسى الجروحَ وأقالَ عثراتِ الكرامِ فأجِز الصفقة يا سيدى أجزْها .

أبو الحسن [ينظر الى العقد قائلا] : أمائةُ ألفِ دينار ؟

المغـربى : أجل يا سيدى فى أقل تقدير .

[أبو الحسن يأخذ العقد ويتأمله ويقلبه وفى هـذه اللحظة يرسو شراع فتنزل منه بثينة متنكرة فى ثياب شاب ومعها جوهر ولؤلؤ]

أبو الحسن : ماذا أرى ؟ ماهذا الشراع ؟ مَن الفتْيةُ ياترى ؟ إيذن لى أيها الزائرُ الكريم وانتظرنى فإنى عائد اليك من فوْرى .

[يتجه أبو الحسن نحو القادمين من الشراع . المغربى يزيل تنكره فاذا هو ابن حيون . حسـون يلمح ابن حيون من داخل الكشك فيناديه من وراء مجلسه] .

حســون : تعالَ يابنَ حيون ألاعبْكَ الشطْرنج .

ابن حيون : لبيْك ياسيدى حسون .

[ويدخل ابن حيون الى حسون عند اقتراب أبى الحسن من القادمين يسارع اليه ابن غصــين ولؤلؤ وجوهر] .

ابن غصين (بثينة) : السلامُ عليكم ياعمّ .

أبوالحسن : وعليكُم السلامُ يابنىّ .

ابن غصين : لمن ياعمّ هذا القصرُ المنيفُ وهذه الربوةُ الغناء ؟

أبوالحسن : هذا الكوخُ يابنى لخادِمكم أبى الحسن التاجر .

ابن غصين : تسـمّى غرفةَ الفِـردوْس كوخا ! هذا منتهى التواضـع ياسيدى التاجر .

أبوالحسن : ومن السيّد ؟

ابن غصين : ولدُك ابنُ غُصين من أبناء أعيان قرطبة، وهذان جوهر ولؤلؤ صاحباى ورفيقا سفرى .

أبوالحسن : مرحبا مرحبا بشباب قرطبَة النـابهْ . إنى أرى الدار قد أعجبتكم يابنىّ وإنه ليسرُّنى ويشرِّفُ قدرى أن تدخلوا فتقضوا ساعة معْ ولدى حسون فإنى أرى عليكم الفضـلَ والأدبَ والمجادَة ، وحسون لا يصاحبُ ولا يجالسُ إلا أهلَ الفضـلِ والنُّبلِ ، فتفضـلوا أيها الأدباء وشرِّفوا أخاكم بزوْرة وأنتم واجدون عند حســون كل ما يشتهى

النشءُ المثقَّف ، ففي خزانته ما قدُم وما حدُث من آلات الطربِ حتى عود زرْياب .

جوهر [يصيح] : عودُ زِرْياب ؟

أبوالحسن : أجل يابنى ذلك العودُ الذى على أوتارِه كان عوّاد الأندلُس يُسمِع الخلفاءَ ما توحِى اليه الجن من روائع الألحان وتجدون كذلك عند حسون مكتبةً لم يُجمع مثلُها فى البلاد . قد حوتْ الذخائرَ فى كل علم وفنّ .

ابن غصين : وكيف ولعُ فتاك ياسيدى بعلم الفلكَ ؟

أبوالحسن : أشد الولع يابنىّ وقد جمع الكثيرَ من نفائس المخطوطاتِ فيه وفى أولها رسائل المنجم الضبيّ .

ابن غصين : المنجم الضبي ؟

أبوالحسن : أجل يابنىّ وأذكر أنه من شهرين أو أكثرَ أو أقلّ ، قد انتهت الى حسون رسالةٌ مما وضع الضبي فدخلَه من ذلك فرحٌ يشبه الجنون .

ابن غصين [لنفسه] : رسالة للضبي من شهرين أو أكثر أو أقل ؟ ! بشراك ياقلب إنه هو ، وبشراكِ ياعين ستكتحلين به الساعة [ثم الى أبى الحسن] لقد شُقْتنا الى ولدك الفاضل أيها السيد فأين من يستأذن لنا عليه ؟ .

أبوالحسن : يامرحبا ! يامرحبا ! ما أعظم حظ حسون . إتبعون ياسادة اتبعون ، فإنى دليلكم الى ناديه ، وإنى أرجو أن

سيُعجبكم ، إن حسون شابٌّ قد ألقى اللهُ عليه محبة للناس .

[أبو الحسن مع ابن غصين ورفاقه يقفون أمام
كشك حسون . ابن غصين يلحظ لعبة الشطرنج] .

أبوالحسن [لابن غصين] : هو ذا حسون ياسيدى يلعب الشطْرنجَ
مع صديقٍ لنا قديم كريم لاتخلو منه الدارُ ساعة .

[أبو الحسن ينادى ابنه] .

أبوالحسن : حسون يا ولدى .

حسون : لبيْك .

أبوالحسن : هذا ابن غصين من نبلاءِ فتيان قُرطبةَ ومعه صاحباه ورفيقا
سفرِه يريدون أن يجتمعوا بك ساعة .

حسون : يامرحبا ! يامرحبا ! أهلا وسهلا بالسادة .

أبوالحسن : لقد جمعتُك بضيفانِك الكرام ياحسون والآن أتركُكُم
فى حراسةِ الله لأعود الى زائرِى المغربى فإنه بانتظارِى
وأخافُ أن يأخذه القلَق .

[أبو الحسن يرجع يفتش عن المغربى فلا يجده] .

أبوالحسن : يالله . أين الشيخ ؟ أين ذهب [مناديا] سعيد .

الخادم : لبيك يامولاى .

أبوالحسن : ماصنع الله بالشيخ المغرِبى الذى كان ههنا منذ لحظة ؟

سعيد : لا أدرى أين ذهب يامولاى .

أبوالحسن [ينظر فى يده وكان قد نسى فيها عِقدَ اللؤلؤ] .

أبوالحسن [لنفسه] : ويْحِى ما ذا أرى ! هذا عقدُ اللؤلؤ فى يدِى نسيتُه

فيها يانجلا ! ماذا يقولُ الرجلُ عنّى ؟

ابن حيون [من داخل الكشك] : سيدى أبا الحسن لقد لمحتُ زائرك المغربى خارجا من الدارِ يُهَرول فعبثًا تبحثُ عنه .

[حسون مع ابن غصين ورفاقه وابن حيون] .

ابن غصين [لنفسه] : إلهى . صدقنى القلب ما حدث وقلّما تكذب القلوب ، هذا هو شاب قرطبة الذى لم يخل منه القلب دقة [ثم الى حسون] الآن صَدَقتنى الذاكرةُ فنحن ياسيدى قد تعارفْنا قبل اليوم .

حسون : وأين كان ذلك ؟ وكيف نلت هذا الشرف ؟

ابن غصين : فى سوق الكتب بقرطبة من نحو شهرين أو أقلّ أو أكثرَ .

حسون : لله ما أعظمَ حظّى . أنتَ والله ياسيدى ذلك الفتى الملثّم الذى نازعتُه رسالةَ الضبيّ ونازعَنيها حتى غلبتُه عليها . نعم أنتَ هو ، وهذا صوته ، وهذه شمائله ، فكيف اهتديتَ الى كوخى أيها السيد العزيز ؟ يامرحبا ! يامرحبا ! جعلها الله بيننا صداقة الدهر .

ابن غصين : ولكن أنتَ ياسيدى تلاعبُ صاحبَك الشِطرنج وأخشى أن أقطعَ عليكما لذّة اللعب .

حسون : لا ياسيدى هذه لذة نجدها فى كل وقت وأما لقاؤكم والأنس بكم فلذةُ الدهر وخلسةُ الأيام . تفضلوا ياسادة .

ابن غصين [لجوهر همسا] : إجتهد ياجوهر أن تلاعبَ هذا الشيخَ وتشغَله حتى يخلو لى وجه حسون .

ابن غصين [الى لؤلؤ] : وأنتَ يالؤلؤ إذا أخذا فى اللعِب فقمْ عند رأسيْهِما ولا تدعْهما حتى أهمّ بالانصراف .

جوهر [الى ابن حيون] : أتأذن ياسيدى أن أحلّ محلّ السيد حسون فى ملاعبتِك .

ابن حيون : تفضل ياسيدى خذ مكان حَسون وأرخْنى من قُدرته العجيبة على الظفر بالملاعبين ، ومن حظّه الذى هو أعجبُ من قدرته .

ابن حيون [الى لؤلؤ] : وأنتَ ياسيدى أتحبُّ أن تكونَ من النُّظّارة ؟

لؤلؤ : ياحبذا لو أذنتَ ياسيدى .

[يتأبط ابن غصين ذراع حسون و يبتعدان ناحية] .

ابن غصين : أحقٌّ أننا التقْينا ياحسون ؟

حسون : أجل ! وكنا نظن ألا نلتق .

ابن غصين : عنايةٌ ولطفٌ وتوفيقُ أقدارٍ لأقدار .

حسون : وقديما جمع الله الشتيتين ، وطوى الأرض للبعيدينْ [يجلسان] .

ابن غصين : أتذكر يا حسون قرطبةَ وسوقَ الكتُب ؟

حسون : أجل وأذكر رِسالة الضبي وكيف كنا نتنافسُ فيها ، وكيف غلبتُك عليها .

ابن غصين [مبتسما] : وأين هى الآن يا أخى ؟

حسون : هى هاهنا يابن غصين بالقربِ منك وفى متناوَل يدك ، إن شئتَ انتقلنا الى المكتبة فأخذتَها .

ابن غصين : لا يا أخى بل دَعْها فى موضِعها من خزانتك فإنها عندك فى الحفظ والصوْن وكأنها عندى ، ويكفينى نظرة ألقيها على الرسالة من حينٍ لحين كلما جئتُ دارك زائرة .

حسون [فى دهش] : زائرة ؟

ابن غصين [لنفسه] : ويحَ لسانى قد عثَر وكشف السرَّ القدر ! .

حسون [مبتسما] : كيف تأنثتَ أخى؟ ما أنتَ الفتى الذكر؟ أما كفاك هذا الصوتُ الساحر الرَّنة اللذيذُ النَّبرة حتى جمعتَ اليه أنوثةَ اللفظ ولينَ الكلام ؟

ابن غصين [فى تلجلج وغضب] : عثرةُ لسانٍ يا شاب فمُرّ عليها مرّ الكرام .

حسون : وما أثارك يا أخى وليس فيما قلتُ ما يُغضب ؟

ابن غصين : لنطوِ هذا الحديثَ ولنرجعْ لما كنّا فيه ... أما يسرّك يا حسون أن أخلق لزيارتك العِلل والأسبابَ وأن أجعلَ رسالة الضبي سلّمًا الى دارِك كلما اشتقتُ اليك ؟

حسون : كلُّ السرور يابن غصين، أنا واحدُ أبى لم أعرِفْ عاطفةَ الأخوّة ولم أجدْ لها حنانا ولا رقةً ويخيَّلُ إلىّ منذ عرفتُك أن قلبي يفيض منها وأن وجدانى بها مترَع؛ فهل ترضانى أخا لك شقيقا برّا بك شفيقا ؟

ابن غصين [ويتنهد] : يا مرحبا وإن كنتَ حللتَ من قلبي محل أخي الظافر من أوّل يوم .

حسون : ويح أذني ما أسمع ؟ وما أنتَ من الظافرِ يابن غصين ؟ وما الظافرُ منك ؟

ابن غصين [ويتلجلج في الجواب] : عثرةٌ أخرى ، ويحَ لساني اختلَّ عصبُه واختلط عضَلُه ، إغفر لى هذه أيضا وأنسها يا حسون .

[وكان ابن غصين ينظر الى رباط بذراع حسون فوثب فى الحديث وقال :]

ابن غصين : وقى الله ذراعَكَ بيمينه يا أخى ، ما هذا المِنديل؟ ما وراءه؟

حسون ؟ جُرحٌ اندملَ أكثرُه وبقِيَ أثرُه .

ابن غصين : بعُدَ عنك الشرُّ يا أخى ، من جرحَك ؟

حسون : هذا واحد من جراح لم يكن يُرجى أن أقومَ منها لو لم تُلقِ عليها العناية يدها الآسية الشافية .

ابن غصين : بالله إلا حدّثتنى حديثك . أطَلَعَ عليك اللصوصُ يا أخى فى مكان خالٍ من النـاس فأبليْتَ فيهـم وأبلوْا فيـك ؟ أفاجأتْكَ عِصابة البـاز بنِ الأشهب فجرحتَ رِجالهـا وجرحوك ؟

حسون : لا يا سـيدى إن القتالَ الذى شهدتُ أعظمُ شأنا وأنبلُ أقرانا مما ذهبتْ اليه ظنونُك .

ابن غصين : وما خبره وأين كان وكيف ؟

حسون : كان ذلك فى قرطبة .

ابن غصين : قبلَ تلاقينا فى سوق الكتب أو بعدَه ؟

حسون : بل بعد ذلك بأسابيعَ وكنتُ نزيلا على بعض خانات المدينة فكان من عجائب القدر أنى اكتشفت مؤامرة تدبر فى الخان لاغتيال الأمير الظافر وإزالة إمارته عن قرطبة وكان شيطان الفتنة ورأسُ أفعاها هو الأمير حريز بطل الأندلس المشهور فما اطلعتُ على سر المؤامرة وخطط أصحابها حتى ثار ثائرى وغضبتُ لوطنى ولقومى فانسللتُ من الخان ليلا وركبتُ جوادا كان معدّا ليركبَه بوقُ الثورةِ والفتنةِ فعدوتُ حتى أتيتُ قصرَ السوسان فنبهتُ الأميرَ وحاشيتَه وحرسَه ولم أكن الى تلك الساعة رأيتُ الظافر وجها لوجه ولا حضرتُ له مجلسا وتأهبَ الجميع للقتال وما لَبِثَ الثوارُ أن طلعوا علينا آتين من نواحى المدينة يقودهم بطل الأندلس حريز فتلقيناهم بصدورٍ قد رحّبَتْ بالموتِ ونفوسٍ قد هشّت اليه وذكرنا إذ ذاك الوطنَ وحقّه وأشبيلية ومنّتها فى الأعناق فحملنا حملةً تحيد عنها الجبال . وكان الظافرُ طيب الله ثراه .

ابن غصين [منزعجا] : حدّثنى يا سيدى عن الظافر، قل لى كيف قاتل ؟ وكيف قتله الغادرون ؟

حسون : تسألنى عن الظافر كيف قاتل ؟ سلْ حريزا عنه فهو ينبئك أنه الأسد .

ابن غصين : وأين كنتَ من الأمير فى ساعة البأس يا سيدى ؟

حسون : كنتُ حوْله أحمى ظهرَه و يشدّ سيفى سيفَه الى أن ناءتْ به جراحاتُه فسقط عن جواده وكنتُ أنا أيضا قد أُثخِنْتُ بالجروح فسقطتُ الى جنبه حتى اذا أفقتُ من غشيتى نظرتُ حولى فرأيتُ عند رأس الظافر هذا الصديقَ الذى تراه يلاعب صاحبك الشطرنج الآن .

ابن غصين : وما اسمه يا سيدى ؟

حسون : ابن حيون وهو من رجال العلم والأدب .

ابن غصين : وماذا كان من اهتمامه بالقتيل ؟

حسون : طبَعَ على جبينِه قُبلة و بكاه ورحّم ثم ألقى عليه رداءَه .

[ابن غصين يدخل فى الاغماء]

حسون : ما هــذا ؟ ماذا أرى ؟ ما أصابك يا أخى ؟ ما لعينيْـك تغمضان ؟ وما بال رأسِك يميل ؟ ويحى ماذا جنيتُ على الشاب ؟

قد كان عن حديث الظافر لى غِنىً. ربّ أصاحٍ أنا أم حالم ؟

[وعند ما يميل ابن غصين فى الاغماءة تقع القلنسوة]

حسون : هذه ضفائر فتاة قد هوتْ عنها القلنسوة فانسدلتْ كجنح الليل على جبينٍ كغرّةِ الصباح . أيها الملكَ الكريم لقد عبثتَ بى إذ كنت تتنكر وتترجل فاعبث اليوم بقلبى ما بدا لك

فقـد دبَّ لك الهوى فيـه، إن شئتَ فتنكر، و إن شئت
فاظهر فلأكتمنّ حديثَك ولأقدّسنّ سرّ هواك أن يذاع،
ويلاه إن الإغماءَة قد طالتْ . ابن حيون ... ابن حيون .

ابن حيون : لبيك يا سيدى .

حسـون : أنا فى حاجةٍ إليْك تعالَ وحدَك أسرِعْ .

[يحضر ابن حيون]

حسـون : ابنَ حيون أنظر ما ذا ترى لقد أُغمِى على ابن غصين
فاذا الظبيُ مهاةٌ واذا البَدْر يابنَ حيونَ شمس .

ابن حيون [بعد تأمل عميق] : يا لغرائبِ القدر هذا الوجه عرفته وعشِقته
قبل عشرين عاما من هذه الأيام وقد لقِيتُ بعِشقه الدواهى .

حسون [مندهشا] : قبل عشرين عامًا من هذه الأيام! أهازلٌ أنتَ يا عمّ؟

ابن حيون : بل جادّ كل الجـدّ يابن أخى . اسمع حسون هـذه بنتُ
الرميكية . هذه أختُ الظافر . هذه بنت ابنِ عباد .

ستـــــار

الفصل الرابع

« بإحدى مقاصير قصر الزاهي »

« العبادية والدة الملك ابن عباد مع بثينة »

العبادية : لقد علمتُ يا بثينةُ ما كان من زيارتك لدار التاجر أبي الحسن وجلوسك ساعة مع ولده حسون، وأنكِ كنتِ في زي الغلامِ وكان معكِ لؤلؤ وجوهر .

بثينة : ومن خبّركِ الخبرَ ياجدّة ؟

العبادية : عينٌ من الحب وكلتها بكِ ترعى خُطاكِ وتحرُس حركاتك وسكناتِك وإن كنتُ عظيمةَ الثقة بنفسكِ الأبيّة العالية وخُلقكِ الفاضل الشريف .

بثينة : أنتِ إذن يا جدّة كالمنصورِ بنِ أبي عامرٍ لكِ في كل نادٍ عين، وفي كل سامرٍ أذُن .

العبادية : لا بل أنا عجوزٌ يا بثينةُ والعجائزُ يتلمسنَ الأخبار ، وأنا أرملُ ملكٍ وأُمُّ ملكٍ يتجسس لي من لم أندبْه للتجسس ويجيئني بالأخبارِ من لم أزوّد . ومهما يكن من الأمرِ

يا بثينة فلا تنسىْ أننا ما أرخينا لكِ الحبلَ إلا ونحن نعلم أنكِ الفرسُ النجيبةُ التى إذا أُرخىَ لها الرسنُ لم يُخشَ لما جِمَاح ولا شُرود .

بثينـــة : جعلنى الله عند ظنكم يا جدّة . وببّغاؤكِ "نادر" يا جدّة أنسيتِه ؟

العبادية : كيف أنساه يا بثينة وقد كان لدىّ كريما وكان سيدَ الطير وكان أخفَّها ظلا وأبينَها حكاية ونقْلا .

بثينـــة : أتذكرين يا جدّة كيف أشفقتِ عليه فلم ترضَىْ أن يُنْزَع من ريش جناحيه كما يَصنع الناس بالطيرِ الكريم فيأمنون طيرانه وفراره ، وإنما اكتفيتِ بوضع حَلْقةٍ صغيرة من الذهب فى رجلِه اليمنى تمنعه من النهوض وتقيده وإن كان فى الظاهرِ حرا يتنقلُ فى نواحِى القصر .

العبادية [مندهشة] : وماذا أخطر ببّغائى نادر على بالكِ يا بثينة وماذا تريدين بذكر الحلْقة .

بثينـــة : أريد أن أقولَ لكِ يا جدّة إن حالى كحالِ المرحوم نادر . قيدتمونى بجوهرٍ ولؤلؤ ومقلاص وبالعيون والأرصاد ثم زعمتم أنى حرّةٌ طليقةٌ أفعلُ ما أشاء .

العبادية [مبتسمة] : ولكن لا أظن حلقةَ الذهب تُثقل رجْلكِ يا بثينة فانى أرى خدمَ أبيك الملك لا يقصرون فى صحبتِك عن

خدمةٍ ولا طاعة . على أن كل هذا لا يهمُّنى إنما يهمُّنى
أن أعلمَ رأيكِ فى الشاب وكيف وجدته . وهل هو على
جانبٍ من الفضلِ والعقل يتميز به عن اللِّدَاتِ ويسمو به
على الأتراب ؟

بثينة : أما هذا ياجدّة فنعم، حسون فتى جمُّ العلم غزيرُ الأدبِ
عظيم الحظ من الفنون جميعا الى ما وهب له الله من
الشجاعةِ التى لايضارعه فيها اليوم إلا أبى الملك وإلا شابٌّ
كان زينَ الشباب، طاح بالأمسِ شهيد الكرامة والواجب .

العبادية : أو أبدًا تذكرين الظافر يا بثينة، دعيه يا ابنتى فى أعراسِ
نعيمه بين شبابِ الجنة، خبّرينى هل فى شبانِ أمراءِ الديارِ
اليوم من هو الكفء لأميرةِ الأندلسِ وعروسه ؟

بثينة [فى حياء] : هبى الكفءَ موجودًا حاضرًا يا جدّة . أهذا وقتُ
الفكرِ فى زواجى والاهتمامِ بهِ وأنتِ ترينَ الحوادثَ يجدّ
جِدّها والأمورَ تسوء مصايرُها . مسكينٌ أبى الملك أصبح
لا يدرى من أين يتلقى البلاء : المغاربة وسلطانهم
ابن تاشفين يطلعون من البحر، والأسبان وعاهلهم ألفونس
يزحفون من البر، والملك بينهما كالصيدِ المطارَدِ من جانبيه،
إن تلفّت عن يمينه قُتِل، وإن تلفّتَ عن شماله أُكِل،
والأندلس فى هذه الأثناء كالأسدِ الواقعِ فى الحفرة إن سكن

لم ينفعه ، وإن تحرك لم يرفعه ، وحدةٌ ممزقة ، وكلمة متفرقة ، وآمال بالعدو معلّقة .

العبادية : إن بناتِ الملوك إذا بلغْنَ الى مثلِ سِنك يابثينة كان الزواج أزكى بسترهن وأليقَ بجلالهن ، وأما ما ذكرتِ من إظلام الجو وجهامةِ الحوادثِ ، فتلك حال اختلفتْ علينا بها السنون حتى ألِفناها وقد تصير الى الأردأ الأسوأ . وقد يبعثُ الله برياحِ اللطفِ فتعصمُ السفينةَ من الصخرةِ وتقيها كارثةَ الاصطدام . بثينة ! بنيتي أنا الجدّة ولدتُك مرتين إستريحى الىّ بسرك وبوحى الىّ بمكنونه فلن تجدى أرحبَ بسرك ولا أرحم لكِ من هذا الصدر . خبريني يا بثينةُ أتعرفين بين أبناء سرَوَاتِ أشبيلية اليوم فتى يُتوسم فيه الخيرُ ويُرْجى فى أمرِه الصلاح ، ويقول الناس عنه : فلان كفء لبناتِ الملوك ؟ بثينة . لقد مررتِ باسم حسون مرا ولم تصفيه لى . فما شكله ... وما أوصافه ؟

بثينة : هو يا جدّةُ شابٌ فى أواخر العقد الثالث من عمرِه ، رشيقُ القامة فى طولٍ ، أسمرُ اللون فاحمُ الشعرِ جَعْدُه ، ساحرُ النظْرة ، اذا تبَسّم جذبَ ، واذا تكلم خلبَ .

العبادية [مبتسمة] : هو إذن فتى جميلٌ يا بثينة ؟

بثينة : جدا وخفيفُ الظل فوقَ ذلك .

العبادية [بعد إطراق] : ولكن ... ...

[فأجفلت الفتاة ولاحظت الجدّة ذلك] .

العبادية : لا تغضبي يا بثينة فليس وراء « ولكن » شيء أقوله يحط من شأن حسون وينزل به عن مرتبة الفتيان الأمجاد . بل كل ما هناك أن النـاس يتحدثون اليوم فى همسهم عن نكبة نزلتْ بالتاجر أبى الحسن فذهبتْ بمعظم مالهِ .

بثينـــة : وما يَعيبُه من هذا يا جدّة ؟ أليس أبو الحسن تاجرا ، والتجارة جزرٌ ومدّ ، وحرْمان وجدّ ، ونحس وسعْد ، فكم من تاجرٍ بمنزلةِ أبى الحسن قد نُكب فذهبَ عنـه كلُّ شيء الا الخلُق ، ثم لم تمضِ مدّة من الشهورِ أو الأعوام حتى سمعَ الناسُ وتحدّثوا أن التاجرَ فلانا المنكوبَ تغلبَ بالخلُقِ على نكبتِه فعاد دولابُ تجارتِه كأمسٍ عظيمَ الحركة عميمَ البركة ، ومثلُ أبى الحسن فى خُلُقِه وأمانتِه وشرفِ اسمِـه فى الأسواقِ لا يبعدُ أن يقومَ من هـذهِ السقْطة ورجلاهُ فى عافية .

بثينة [صاغية ثم قائلة] : ... أسمعتِ يا جدّة .

العبادية : أجل ! سمعتُ تنفُّساً .

بثينـــة : تُرى من الطارق ؟

[يدخل عليهما الملك] .

الملـــك : صفْحا يا أمّ وعذرا يابثينة اذا كدرتُ عليكما الخلوةَ وقطعتُ

عليكما الحديثَ فوالله ما دفعني اليكما الساعةَ إلا همٌّ سارٍ وشاغل جليل .

العبادية : لا بأس عليك يا بنيّ ، وعافاك الله أيها الملكُ ، تفضلْ ، اجلِس .

بثينة : خذْ مكانَك بيْننا يا أبتِ واسترحْ الينا من همومِك ، فهاهنا الرحمةُ قد بسطتْ جناحيْها : هاهنا الأم والبنت .

[الملك يضع جبينه على كتف بثينة باكيا] .

بثينة [باكية] : ... هوّن عليك يا أبتِ وتجملْ أيها الملك فقبْلك لم تَبْكِ الآساد ، ولا اشتكتِ الأطواد ، ولا ضاقَ البحرُ عن الأعاصيرِ الشداد . تحدّثْ الينا يا أبتِ ولا تيأسْ من روْحِ الله . وعليك بهذه الجدّة الشفيقةِ والأم البرّةِ فائتمنْها على سرك .

الملك : الملك ألفونس منذ سقطتْ طُلَيْطُلة وقضاها الله له أصبح لا يعرفُ لى منزلةً ولا يألونى تحقيرًا و إهانة و يطلب المالَ باستكلابٍ وشرهٍ والبلادَ باستطالة ولؤم؛ ومن عجيب أمرِه أنه يغضبُ من جهة فيصخبُ و يتهدد، و يلينُ من أخرى فيلومني على الاستغاثة بيوسف بن تاشفين واستنجاد جنوده ، و يدّعى الطاغيةُ أنه أوفى لى منه عهدًا وذمة وأصفى صداقة ومودّة ، وأنى إن حالفت سلطان

المغرب كانت محالفةَ الذئبِ للحَمَل، وأن بربر المغرب اذا دخلوا الأندلس طغَوْا فى البلاد وهدموا بنيان الحضارة فيها، ومن نكد الدنيا أن تَصْدُق فينا نبوءة هذا الناصح الغاشّ فقد طمِع ضيفُنا ابن تاشفين فى ملكنا وسلطاننا وتطلعتْ نفسُه الى خيراتنا وأرزاقنا، واستنصرناه على ألفونس فاذا نحن الآن نخشى منه بطشَ النصير، واذا أشبيلية قد تضمّنت منى ومنه العجب، النمر فى قصرٍ هناك وراء الضفة يجتمع به أعدائى وأعداء الأندلس من أبنائه الأندلسيين وصغارِ العقول من الفقهاءِ ومن يلتفُّ عليهم، وهؤلاء يحسنون له البقاء فى الأندلس واغتنام الفرصة لضمه الى سلطنته، ويقيمون عنده الحجج على فسادِ ملوكِ الطوائف ويجعلونَنى الهدف الأوّلَ، وهنا فى هذا القصر أسد مقلّم الأظفار مغلوبٌ على العرين وحيدٌ من الأنصارِ والأعوان.

الحاجب : شيخٌ يُدعى ابنَ حيون بالباب يا مولاى.

بثينة : أدخله يا أبى وبالغ فى إكرامه فقد سلَفَ للرجل إحسانٌ إلينا لا ينبغى لنا أن ننساه أبد الدهر.

الملك : أدخله أيها الحاجب ... [يخرج الحاجب من الباب] خبرينى يا بثينة ما إحسان ابن حيون إلينا ؟

بثينـــة : لقد حدّثنى من لا أشك فى صدق روايته أن هذا الرجل صلى على أخى الظافر وبكاه وألقى عليه رداءه .

[يدخل ابن حيون فتسدل العبادية وبثينة كلتاهما على وجهها القناع] .

ابن حيون : السلام على الملك ورحمة الله .

الملــك : وعليكم السلام أيها الولىّ الشفيق الحميم .

ابن حيون : لو أذِن لى الملك فى خلوة [وقد رأى السيدتين] .

الملــك : لاتخْشَ شيئا يابن حيون ، فهذه العبادية ، أمى وهذه بثينة بنتى ، فحديثُك لن يساق إلا الىّ ، وسرُّك لن يجاوزَ أذُنى .

ابن حيون : أيها الملك . نحن اليوم أخوف ما كنا على هذه الأوطان ، وفى مثـل ما نحن فيـه تجبُ على الأمةِ النصيحةُ للملك ، وقـد انتهى الى أذنىّ من بعض الفقهـاء والمختلفين الى ضيفِك هذا يوسفَ بنِ تاشفين أنه أصبح يرى نفسَه أحقَّ بهذا الملك منكَ وقد رأيتُ رأياً فان أذِن الملك رفعتُه اليه .

الملــك : وماذا رأيتَ يا أديبَ الأندلس ؟

ابن حيون : إعلم أيهـا الملك أن هـذا الضيفَ الذى نصرتَه ونصرَك وحالفتَه وحالفك وقاتلتَ معـه قتالا يبقى حديثَ الدهرِ هو أهل لأن يغـدركَ وفى غدرِك ضياعُ الأندلس جميعا ووقوعه فى قبضته البربرية الغاشمة ، وقديمـا كان هـذا سلوكه مع غيرِ واحدٍ من أمراء المغرب فنزعَ منهم ملكَهم

وسلطانَهم وشرَّدهم فى الصحارى والقفار، فلا تفوتنَّك يا مولاى خُطة الحزْم والعزْم فى أمرِ هذا النَّمر ذى العمامة والمِسبَحة .

الملك : وماذا تنصح لى أن أصنع ؟

ابن حيون : ألا توطئَ الأرْقم سريرَك ، وأن تقطعَ السيفَ قبل أن يقطعَك، وأن تقبِض من فوْرك على ضيفِك هذا فتسجنَه ولا تطلِقَه حتى يأمر جنودَه بمغادرةِ الأندلس برِّه وبحره، ثم يحرس أسطولُك البحرَ من كل سفينةٍ مغربية تجرى فيه ، فاذا تمَّ لك ذلك أخذتَ على ابن تاشفين الأقسامَ ألا يعودَ الى الأندلس بعدها أبدا . وخذْ منه الرهائنَ فإن نفسَ الرجل أعزُّ عليه من ملك الأندلس والمغرب مجتمعين؛ وله أعداءٌ ببلاده يخشى تحرُّكهم وانتقاضَهم ويخافُ أن ينتهزوا الفرصةَ للاستيلاء على مُلكه ...

العبادية : أيها المتكلمُ المحسنُ والناصح الصادقُ لم يخفَ علىَّ مكانُ مشُورتِك ولكنها خُطة أوّلها لؤمٌ وآخرها شؤم؛ فان الملك أكرمُ وأعظمُ من أن يغدر ضيفَه أو يخونَ جارَه أو أن يحفرَ الحفْرَة لمن أقالَ عثْرته .

الملك [لابن حيون وقد رآه يضطرب] : لا تُرَعْ أيها الرجلُ الصادقُ فقد كنا حين نُبئْنا بوصولِك نخوضُ فى هذا الحديث وكان رأيى

كرأيك وأما ابنتى بثينة فلم تكن أبدتْ رأيها بعد .

بثينــة : مولاى . كِلا الصوتين نبرةُ حق . ونصــيحةُ صِــدق ، إلا أننى أميل إلى الأخذ برأى الأديب ابن حيون .

المـلك : بورك فيكِ يا عقيلةَ الأندلس . مثْل هذا السمو فى الرأى وهــذا الحرص على حقيقةِ الملك لا يستغربان من بناتِ الملوك المنشّآت بين أعباءِ الدولة ومهامّ السلطان .

العبادية [معترضة] : ونحنُ بنات الشعبِ ألا يقام لِرأينا وزْن ياَمولاى ؟

الملك [مبتسما] : أنتنّ تلِدْنَ الأجسامَ الصــحيحةَ والقــلوبَ الجريئةَ وتُحسِنَّ تدبيرَ البيوتِ ولكن لا تَصلُحْنَ لسياسة الممالك .

الملك [لابن حيون] : لو تيقنتُ يا بنَ حيون أن جمهورَ شبانِ الأندلس يشاطرونكَ أنتَ وبثينةَ الرأىَ لمــا تأخرتُ ساعةً عن العملِ بمــا تُشيرانِ به علىّ .

[يدخل مقلاص] .

المـلك : كيف قضيْتَ ليلتك عنــد ضيفِنا أميرِ المسلمينَ يوسفَ ابن تاشفين ؟

مقلاص : كانَتْ ليلتى يا مولاى ونحن، كما تعلم، فى آذار وفى إبانِ القمــر طويلةً مظلمةً باردةً لم أُضحِك فيها الســلطان مرة ولكن بكيتُ مرارًا ولم أجلبْ له السرورَ ولكن جلبتُ لنفسى الغمّ .

الملك [متعجبا] : ما هذا الخبرُ يا مقلاص ؟

مقلاص : وُجِدتُ يا مولاى بحضرةِ أميرِ المسلمين لا يفهــمُ كلامَ العربِ وعنــد رأسِه ترجمان من كتّابه يفسرله كل مانقوله معشرَ العــرب فى مجلســه ويشرح لكلٍ منا ما يشرِّفه به السلطان من الخطاب .

المــلك : ثم ما ذا ؟

مقلاص : رأيتُ هنــاك يا مولاى مــلوكَ الأندلسِ وُقــوفاً ببــاب السلطان متنافسِين فى إذنهِ .

الملك [ملتفتا الى زائره قائلا] : أسمعتَ يا بن حيون ... ؟ أعرفْتَ ... ثم ما ذا يا مقلاص ؟

مقلاص : ورأيتُ ثَمَّ فقــهاءَ الأندلسِ بعمائمهــم المكبَّرة وجُبَبِهــم الموسعةِ يتمسحون بالأعتاب .

المــلك : أسمعتَ يابنَ حيون ! أعرفتَ ؟

المــلك : ثم ما ذا يا مقلاص ؟ قل لنا كيف وجدتَ السلطان .

مقلاص : بوٌّ عليه طيلسان وبُومَةٌ فى يدها صولجان .

المــلك : وما ذا قال لك حين وقعتْ عينُه عليك ؟

مقلاص : أدخلتُ اليه يا مولاى فحقّقنى من رأسى لقدَمى ثم قال لى : أأنتَ الرجلُ الذى عمَــلُه إضحاكُ الملكِ بنِ عباد وتلهيــةُ أسرتِه ؟

الملك : فما كان جوابك ؟

مقلاص : قلتُ له أجل أيها السلطان أنا نديمُ الملكِ وسميرُه .

الملك : فماذا قال لك ؟

مقلاص : قال لى إذاً فاضحكنا نحن أيضا . عجِّل أضحكنا .

الملك : فماذا صنعتَ ؟

مقلاص : دخلنى خجلٌ شديد ووقفتُ ساعةً أنظرُ فى ثيابى ولم يفتحِ الله علىّ بشىءٍ يَضحكُ منه ضيفُك الكريم . فهممْتُ بأن أقبِضَ على السلطانِ بكلتا يدىّ وأقذِفَ به من النافذة .

الملك : وماذا منعك يا مقلاص ؟

مقلاص : سيفُه المعروضُ على حِجرِه والزبانيةُ القائمون عند رأسِه وبجانبيه كأنهم العفاريت ، إلا أن السلطانَ لحظ حرَجَ موقفى فأشارَ بإخراجى فحضرَ من رجاله من صرفَنى فى وقاحةٍ وإذلالٍ فخرجتُ وأنا لا أدرى فيمَ طلبَنِى الرجل . وأحمد الله على أن لم يجعلنى فى خدمةِ سلطانٍ مثلِه له وجهٌ كوجهِ الأسد لا يعرِفُ التبسمَ ولا البشاشةَ .

[مقلاص يريد أن ينقذ الملك من تأثره] .

مقلاص : لقد وجدتُ ضالتى يا مولاى .

الملك : وما ضالتك التى وجدتَ ؟ وهل عدتَ تهذى يا مقلاص ؟

مقلاص : لا يا مولاى ... ألا تذكر أنى كنتُ من الإعجاب بجمالِ

الأميرة بثينة وكمالِها وسموّ منزلِها بين عقائِل الشرق والغرب بحيثُ لا أعتقد أن بين فتيانِ الدنيا من هو أهل لأن يخطبها إليك .

الملك [مبتسما] : والآن هل وجدتَهُ يا مقلاص ... ومن تُرى يكون؟

مقلاص : فتى جرئ جميل رأيته يوم الزّلاقة يحمى ظهرك هو وحريزُ وابنُ لاطون فظل سحابةَ نهارِه معلناً بالسيف دونك حامياً لحوزتك حتى لقِيَ البطلان حريز وابن لاطون حتفَيْهما وحُمِل هو إلى داره مُثخناً بالجراح .

الملك : ومن الفتى يا مقلاص ؟

مقلاص : هو يا مولاى أجملُ فتيان الأندلس وأشجعُهم وهو الآن طريحُ الفِراش ما يزال يشكو من جراحِه .

الملك : ومن يكون ... ؟ وما اسمه ؟

مقلاص : هو حسون ابن التاجر أبى الحسن .

ابن حيون : لقد صدقَ فتاك يا مولاى فإنى كنتُ عند حسون الليلةَ البارحةَ أعودُه وقد أفاقَ من جراحِه وقصّ علىّ حديثَ بلائِه يوم الزّلاقة حين اشتدّ القتال بينك وبين الإفرنج فأخبرنى أنه رأى يومئذٍ جوادَك وقد ضعُفَ وخارَ من شدّة الجراح فقدّم لك الصاعقة : أميرَ الجيادِ، فركبتَهُ وكانَ تحت البازِ بن الأشهب لِصّ الأندلسِ فخرّ عنه قتيلا .

الملك [مندهشا] : أوكان البازُ بن الأشهبِ بجانبي يقاتِلُ معي أعداءَ البــلاد ؟

ابن حيون : نعم يا مولاي ، و يقول حسون إنه أبْلَى يومئذٍ بلاءً عظيما .

المــلك : يا لله . أيكون اللصوصُ أوفى للأندلس من أمرائه وفقهائِه ، وأبذلَ منهم للأرواحِ دونَ لوائه ... وأين حسون الآن ؟

ابن حيون : هو كما ذكرتُ لمولاي مايزال طريحَ الفراشِ ولكن لاخطرَ على حياته .

المــلك : الآن تذهبُ أنت ومقلاص فتنوبان عني في عيادته والسؤالِ عن أمرِه و إبلاغِه تحيتي وَشكري وما أُعِدُّ له من جَليل المكافأة .

بثينـــة : وأنا أيضا أبلغ حسونا تحيتي وشكري يا سيدي ابنَ حيون وأرجو أن يعلم أن أختَ الظافرِ لم تنْســهُ ساعةً وأنها قد جمعتْ له هذه الأزهارَ بيدِها فاحملْها اليه وقل له لوكنتُ الملك لبعثتُ له بالغارِ في الأزهار و بالصولجان مع الريحان .

[وفي هذه الأثناء يدخل جوهر]

جـوهر : مولاي . لقد وَقَع ما كنا نحاذِرُ وحلَّ بأشبيلية البلاء .

المعتمـد : البلاء ! تريد أن الصديقَ قد انقلبَ وأن الحليفَ قد عادَ حرْبا . هذا ما خِفتُ أن يكون وقد كان .

[يدخل لؤلؤ]

لؤلؤ : أغِثْ أيها الملك المدينةَ أدركْها فقد خلَّفتُها وجنودُ السلطان يتدفَّقون فيها كالسيل بعد ما اشتدّ ضغْطهم على باب الفرج وأقاموا ساعةً يدفعونه حتى ناءت به الكثرةُ فانفتح فنفذوا منه الى كل مكان فاْخرج يا مولاى فقاتِل حتى تَستنقِذَ الوطنَ أو تموتَ دونَه وإلا فالنجاءَ النجاءَ ! !

الملك [مغضبا] : تدعونى يا شابُّ للفِرار . هيهاتَ هيهاتْ . الأسَدُ لايهربُ ولا يخافُ الموتَ . [ملتفتا الى جوهر] خبرنى يا جوهر أين كان فتيانُ أشبيلية وأين هُم الآن .

جوهر : قَبَع الفِتْيانُ فى البيوتِ يا مولاى إلا مائة أو مادونَ المائةَ شهِدوا معك يوم الزّلاقة وتعلَّموا منك الكرَّ والإقدام واليومَ قد لبِسوا السلاحَ وخرجوا يلاقونَ الموتَ وهم بانتظارِك ليجعلوك اللواء الذى تَسيل نفوسُهم عليه .

الملك : يا بشراى مائةُ شاب وطّنوا النفسَ على الموتِ ؛ أما والله لو صدقتَ يا جوهر لكان لى من مائة قلبٍ مجتمعةٍ مؤتلفةٍ متواصيةٍ بالحق وبالموتِ قوّةٌ أرمى بها فى العُبابِ فيمّحى وأقذفُ بها على الجبال فتزول . البدارَ البدارَ ياجوهر إمضِ لوقتِك فضعْ بيدِك السرْجَ على الصاعقةِ والقَنِى به على الباب .

جوهر [بصوت عال] : أبشرى أشبيلية هـذا الليث قـد تحرك لنصرةِ العرين .

الملك : فى ذمةِ الله وفى حفظهِ يابنات المعتمد .

بثينة : فى درعٍ من وقايةِ الله يا أبى فإنى أراك أخذتَ سيْفَك ونسيتَ درعَك .

[المعتمد وهو منطلق والسيف مسلول فى يده ولا درع عليه]

الملك : إن يسلبِ القومُ العِدا مُلْكِى وتُسلِمْنِى الجموع
فالقلبُ بين ضلوعِه لم تُسلِم القلبَ الضلوع
قد رمتُ يوم نزالِهم ألا تحصّنِّى الدروع
وبرزتُ ليس سوى القميص على الحشا شىء دَفوع
ما سرتُ قط الى القتال وكان من أملى الرجوع
شيَمُ الألى أنا منهمُ والأصلُ تتبعهُ الفُروع

ستار

الفصل الخامس

المنظر الأول

« فى دار أبى الحسن ، فى غرفة حسون ، حسون »

« راقد على سريره مريضا وأبوه أبو الحسن داخل عليه »

أبو الحسن : قم يا حسون ، إنهض . إن العِناية بلغتْك مُناك . وشفَتْ بعودِك للحياةِ أباك .

[ينتفض حسون من رقدته جالسا]

أُوشكُ يابنى أن أهتدى لموضع بثينة فهل تساعدُنى وهل تخِفُّ معِى لعلنا نجدُ الكنزَ الضائعَ . ونَظفرُ بالأُمنِيَّـةِ المنشـودة .

حسون : ماذا حدثَ يا أبى ؟ ماذا رأيتَ أو سمِعتَ حتى امتلأتَ تفاؤلا واستبْشارا ؟

أبو الحسن : أتذكر يا بنىّ خاتمَ الزُّمرُّد الذى كانتْ تطوف علينا به فى سوق الجوهر سيدة كهْلة من وصائفِ القصر وهى

تبحث عن توأم للفص وتلتمسه فلا تجده ؟

حسون : نعم يا أبى! وأذكر أنها كانت تنسب الخاتم للأميرة بثينة وتصف رغبة الأميرة فى الحصول على فص يكون فى حجمه وصفاء لونه وسلامته من العيب ليكون لها من الجوهرتين قرطٌ عزيزُ المثال .

ابو الحسن : فاعلم إذن يابنىّ أننى كنتُ منذ حين فى سوقِ الجوهر فما راعنى إلا رجلٌ قوىٌّ من قواد المغاربة قد جعل يطوف على التجارِ يعرض عليهم حِلْية فأخذتْها عينى فاذا هى خاتمَ الأميرة بفصّه . فتريثتُ الى أن كفّ المساومون وكان آخر ثمن بُذل فى الخاتم ثلاث مائة دينار وكان التجار يقولون للرجل : لوجئتنا بصنوِ هذا الحجر لنقدناك فيهما الألف أو زدنا . وهناك أومأتُ الى الرجلِ أن يتبعنى فتبعنى . فانتبذتُ به ناحية وقلت له : أنا آخذ الخاتمَ بالثلاثِ مئة وأزيدُك عليها مئة إن أنتَ صدّقتنى الخبرَ عن مصدرِه وكيف وصلَ اليك ومن أى المعادنِ التقطته ؟ فانبسط الرجل وتهلل وقال : هذه الحلْية ياسيدى لجاريةٍ من قصرِ ابنِ عباد وقعتْ لى سبيّةً يوم هجومنا على أشبيلية ، فنقلتها إلى دارى فلم أجدْ عليها غير هذه الحلْية وكانت فى يدها فأخذتُها ، وأما الجارية فلم أجدْها مغْنمًا بل مغرمًا . فإنها سقيمة مُستسلِمة للأحزان

طعامُها قليـل ، ونومها غِرار ، ودمعها لا يرقأ حزنا على سادتهـا . ونحن لا نحب من النساءِ إلا القـويّاتِ الصحيحاتِ الأبدان . ولا أكتمك ياسيدى أنى بأمرِ الجاريةِ تعِبٌ ويُودّى لو تخلصتُ منها . فقلتُ له : خذِ الآنَ الأربعِ مِئـةِ دينار مباركًا لك فيهـا . واْعلمْ أننى طبيبٌ مولَعٌ بالمشاهدَةِ والتجريب ، كثيرُ الاعتناءِ بالمريض البائس فلو مضيتَ بى الى بيتِـك لعلّى أنظرُ الجـاريةَ ، فَأَعرِف علّتَهـا وأصِف لهـا دواءَها أو أخفف آلامَها . فقمْنا فمضـيْنا حتى انتهيْنا الى دارِه . وهنـاك أدخلَنى على الجاريةِ المريضـةِ فدنوتُ منهـا . وقلتُ لها : عوفيتِ يا جارية ولا خوفَ عليك إن شاء الله تعالى .

حسـون : والنُّونَةُ يا أبت ؟

أبوالحسن : رأيتُهـا ياحسون فوجدتُها فوْق ما كنتَ تصِفُ لى لطْفًا وجَمالا . والتفتُّ الى القائد البربرى فقلتُ له : أو تعطينى هـذه الصبيَّةَ أيضًا وأنا أُتمهـا لك خمسَ مِائة . فتهلل الرجل وارتاح وقال: خذها يا سيدى وأرحْنى منها وداوِها أنت فعساها تصِحّ على يديك فنقدتُه المـائة الخامسةَ وحملت الصبيَّة فوقَ ذراعى وخرجتُ بها فركبتُ جوادى وأركبتُها خلفى وانطلقتُ حتى بلغتُ الدار .

حسون [صائحا] : وأين هى يا أبتِ ؟ أتُراها هى بثُوتتها . ربى اجعلها هى ... وأين تركتَها يا أبى؟ وفى أى موْضعٍ من الدارِ؟

[يفتح باب غرفة مجاورة فاذا بثينة من وراء الباب . فيندفع اليها حسون صائحا ...] .

حسون : بثينة ! حبيبتى ! أميرتى .

بثينة : حسون ! أخى ! صديقى !

أبو الحسن [قاطعا عليهما لذة اللقاء والحديث] : الآن وقد جمعتُك يا أميرةُ بصديقِك وخادمِك حسون ، أستاذِنُ فى الخروج الى بعض شأنى ساعةً .

بثينة : لا ياعمّ ، بل ابقَ إلبثْ ، إن وجودَك معنا يَزيد الموقفَ بهْجة وطيبًا .

أبوالحسن : إن أذنتِ يا أميرة فإن احتجابى عنكما لن يطول .

حسون : بل ابق معنا يا أبى .

أبوالحسن : سأعود يابنى ، سأرجع [ويخرج أبو الحسن] .

حسون [الى بثينة] : ماذا أقول يا أميرتى ؟ وكيفَ القولُ فى هذه الساعة التى هى العمر ؟

بثينة : أنظر حسون كيف جعل الله هذا اللقاءَ الذى لم يكن فى الحُسبان عِوضًا لما فاتنَا من نعيم الحياةِ ومتاعِها ، حتى كدتُ أنسى ذلك الملكَ المنزوعَ والسلطانَ الذاهبَ ، وأسلو القصورَ وضجّتَها ، والدولةَ وأعراسها .

حســون : وأنا أيضا يابثينــة غفرتُ هفــواتِ الدهر لهــذه الساعة المحسنةِ الطيبة وإن لم أخلُ ولن أخلو ما عشتُ من تفجُّع للوطَنِ العزيز وتوجِّع لرزئه الجليل .

بثينة [متنهدة ، مكتئبة بعد انبساط] : آه من الدهر ماذا صنَع . لطف الله بِكِ يا أشبيلية فيما حلَّ عليكِ من قَضائِه ، وجعــلَ وطأةَ المغارِبة خفيفة عليكِ وعلى جاراتِك من حواضر الأندلس .

حسون [مطرقا متنهدا] : دهرٌ ببنيه يابثينةُ قُلَّب ، ودنيا تَرْتَجِلُ العجائب ، وملِك فى السماء يفعلُ بعباده على الأرضِ مايشاء ، ولكن ...

بثينــة حبيبتى أميرتى : أحقٌّ أننا التقيْنا فى يقْظَة أم نحنُ خيالان فى رؤْيا من الأحلام ؟ أتذكرين يا بثينةُ يوم السوق ؟ أتذكرين قُرْطبــةَ ؟ أتذكرين رسالَةَ الضحِّى لله ما كان أحلاكِ يومئذٍ وراءَ اللِّثام .

بثينـــة : وأنتَ يا حسون لله ما كان أجمَلَك وأكمَلك وكأنَّك يومئذٍ ملِك . كنتَ تنتقل فى السوق فتخرُج من مكتبةٍ وتدخُلُ غيرها وتدعُ كتابا وتأخُذ كتاباً والكتُبُ حلْية الشباب النابِهِ وجمال الفتُوةِ النابِغَة .

حســون : أتذكرين كلَّ ذلك يا بثينة ؟

بثينـــة : أجلْ كلُّ ما كانَ من حركاتِك وسكناتِك يومئذٍ ومن عباراتِك وإشــاراتِك ما يزالُ مُرتَسِماً فى ذهْنى لم تمحُه الشهورُ ولا أحسبُ الموْت يمحوه .

حسون [يمد يده الى ذقنها و يقول] : بحياتي نونة كالدرة المكنونه.

بثينة [في شيء من الغضب] : نحّ يدك يابن أبي الحسن لا تمدها الى ما لم تملك بعد .

حسون [في انكسار واستحياء] : اغفريها للحب وللشوق يا أميرة . شُلَّتْ يدي إن كنتُ أضمرتُ سوءا أو هممْتُ بريبة .

[يدخل أبو الحسن] .

حسون : أبي ! أبي لم تُبطئْ يا أبي .

ابوالحسن : كنتُ مشغولا يا بني بتهيئة طعامِ الأميرة .

بثينة : جزاكَ الله خيرا يا عمّ ومدّ لنا عمرك .

أبو الحسن [يأخذ مجلسه و يقول] : الحمد لله ياولديّ على هذا التلاقي الذي هو من توفيق الأقدار، فاليوم جمعكما هذا البيتُ على أثرِ الكارثة وفي أعقاب النكبةِ كما يجمع الشاطئُ الغريقَيْن سالمَيْنِ بالرمق من انكسارِ الفلْكِ ومن ثوْرة الريح وطغْيانِ الماء، لقد تعارفْتما بالأمسِ فنشأتْ بينكما الأُلفة وأنست الروحُ بالروح، وانعطفَ القلبُ على القلبِ وقديمًا يا أميرة صاهرتِ الملوكُ الرعيةَ وأبوكِ ، لَطفَ الله به وبنا جميعا فيما حل علينا من قضائِه وقدرِه، أسمحُ مَن سنَّ هذه السُّنةَ، فرفعَ على عرش أشبيلية امرأةً من رعاياه ، هي الرميكية خيرةُ الملكات، وأمُّ العقائل من البَنين والبناتِ .

بثينـــة : أراكَ ياعمُّ قـد بالغتَ فى مؤاساتى حتى أنكرتَ يدَ الدهر وما نالتْ منـا ، وإلا فأينَ أبى منِّى اليوم؟ وأين مِنْ أبى مُلكُهُ ؟ وهل نحنُ اليوم إلا سوقةٌ نَتَنصَّفُ .

أبوالحسن : هوِّنى عليك يا أمـيرةُ إن أباكِ لم يخلعْه قومُه ، ولكن خلعَـه المُغيرون ، فهو فى نفوسـنا معشرَ الأشبيليين حاضرُ الجلالةِ ماثلُ المهـابَة مرتسِمُ الكرامَة ؛ يومُه كأمسه وغدُه كيومِه وإن اختلفَ به اليوم والغدُ وتصرفتْ به الأيام ؛ وأنتِ أيتها الأميرة فمـا زلتِ بنتَ الملكِ المعتمد بن عباد ، فهل تَنْزلين الى القبولِ بابنى هذا حسون زوْجا .

حسـون : وخادما أمينا .

بثينـــة : هـذا كثيرٌ فى المجاملةِ والمواساةِ ياعمُّ ، إن حسونًا كفءٌ ويشهدُ الله أنى أحبُّـه وأجِلُّه ، وكأنى بأبى فى غيَابةِ سجْنه ينظرُاليه كما أنظرُه . ويشعُر نحوَه بمثل ما أشعُر . ولكنى ، كما علمْتَ ، مفجوعة : بأبٍ منكوبٍ ، ملكٍ معْزولٍ ، أُخذ فغُـلَّ ، ثم سُربل الذلَّ ، وبأمٍ ثكلى وإخوة قتْلَى ، وأخواتٍ أميراتٍ يتعـذبْن من الخلْع و يتكسبن من غَزْلِ أيديهن .

ـــــون : قـد قُلتِ حقا يا أمـيرةُ وأنا لا أتخيل الجميـعَ هناك إلا مشـغولين بكِ فوقَ منْفاهم . يفتِّشون عن مكانِك بعـين

حيّرها الدمعُ، ويد قصّرها العجزُ، وقدمٍ أعجزَها القيْد .

بثينـــة : إذًا فأنتَ ترى أنه ليس من الحق ولا من البر، أن أُوجَدَ ولا يعلَمون أنى وُجدتُ ، وأن أتزوّجَ ولا يعلمونَ كيف وَبِمن تزوّجْتُ . وماذا يقولون اذا همْ عَلِمُوا أنى اتخذت من مأتمهم عُرسا ! ؟

ابن حيون [يدخل و يقول بعد أن رأى بثينة ، مندهشا] : ســيدتى بثينة هنا ؟ الأميرةُ بخيرٍ ؟ ما أعظمَ منّتَك يارب .

[و يحاول تقبيل يد الأميرة فتمنعها منه] .

بثينـــة : لا تفعلْ ياعم . أهــلا بك يا بنَ حيون . وما أعظـــمَ سروري بِلقائِكَ .

أبوالحسن : أنظر ابن حيون نعمةَ الله علينا بهذا الكنْز الغالى الثمين .

حسون : أنظر ابنَ حيون كيف ردّ الله علىّ راحتى ورُوحى، وأعادَ لى الحياةَ والآمال .

ابن حيون : الحمد لله الذى جعلَك فى حفْظه وفى ذمّتِـه ، والذى ردّكِ الينا سالمةً ياسيدتى، والذى هو قادرٌ على أن يجمعك بأهلِكِ كأمسِ على جاهِ الأمورِ وفى ظلِ شاهقةِ القُصور .

بثينـــة : لقد رأينا ياعم كيف تنتقل الأمور، وعرفْنا كيف تُبَـدّلُ أهلَها القصور،وأصبحتُ لا أطمع من دهرى إلا بالعَيش فى ظل الأمنِ والخمول،و بين قلبٍ يحنو،ونفسٍ تعطف .

ابن حيون : طيبي إذن ياسيدتى نفْسا ، إن الذى تشتهين قد اجتمع لك ، فالأمن والسكون لا تعدمينهما فى جناح من هذه الدار ، أو فى جنّةٍ بعيدةٍ عن النّاس من جنّاتِ هذا الإقليم وإنى أشهَد أن هذا الفتى يُحبك وأنكِ ملءُ قلبِه وملءُ نفسِه ، فاقرنى ياسيدتى حياتَك بحياته تجدى حقيقةَ السعادةِ فى ظل الحبِّ المشتركِ الصحيح .

حسون : كان هذا حديثنا ياعم قبل حضورك ولكنْ لم نكن فرغْنا منه بعدُ . وقد رأتِ الأميرةُ براً بوالديْها وقضاءً لحقِّهمَا أن يكون زواجُنا بعيْن أبيها وسمْعه ، و بقبول أمِّها ورضاها . وكل زواج رَضيه الأبوانِ وارتاحا اليه سَبقتْ فيه البَركةُ وطافتْ به الرحمة .

ابن حيون : لقد رأيتم صوابا . واتفقتم على واجبٍ كان لا بدّ من قضائه . ولا أظنُّ هذا المقترَحَ لقى مِنكَ اعْتراضا يا أبا الحسن .

أبو الحسن : معاذَ الله يابنَ حيون ، ولكن ألا ترَى معى أن حسُّونا والأميرةَ محتاجان الى الراحةِ واستردادِ العافية .

ابن حيون : أما هذا فنعم ، ولِمَ لا يقْضى حسونُ والأميرةُ هذا الأسبوعَ فى هذهِ الدار حتى تثوبَ اليهما القوّةُ والعافية .

حسون [مقاطعا] : أتأذنُ لى يا أبى إن رأيتُ غيرَ رأيك ورأىِ ابنِ حيون ؟

أبوالحسن : تكلمْ يابنىّ فأنتَ حر .

ابن حيون : الكلامُ حر فى الأندلس ياحسونُ فتكلمْ .

حسون : أرى يا أبى أن نُسافِر من ليلتنا بل من ساعتِنا الى أغماتِ مَنفَى الملك .

أبوالحسن : نُسافِر ؟ نسافِر الساعة ؟ وأنتَ والأميرةُ على هذه الحال من الضعفِ والسقام ؟

حسون : أبى إنى ذكرت الوالدين المنكوبين نخيل الىّ أنهما على جمرٍ لا يهدأ من اللوعةِ لاحتجابِ الأميرةِ والشك المعذِّب فى مصيرها ، وليس ما ذكرتما أنتَ وابنُ حيون من ضَعْفى وضعفِ الأميرة وأثرِ السقمِ والهم فينا إلا حالًا لا يلبثُ الشبابُ أن يتغلّبَ عليه ، فالمروءةُ تأمُرنا جميعا ألا نؤخّر الرحيلَ ساعة إذ لا معنى للإسعافِ اذا هو لم يعجّل ولم يأتِ فى أوانِه .

ابن حيون : هو ذاك .

أبوالحسن : نعم الرأى .

الأميرة : ليكُنْ كما أشارَ حسون .

حسون : إذاً فهلُمّ أبى ، هلُمّ ابنَ حيون ، هلُمّى يا أميرة . الساعةَ نسافر فنقضِى الواجبَ .

الأميرة : ويقضى اللهُ ما يشاءُ .

[يدخل الغلمان الخدم صائحين]

الغلمان : سيدى أبا الحسن ، سيدى حسون ، سيدى ابن حيون
خُذوا حِذْركم أدرِكوا الدّارَ .

حسون : ما يُزعجكمْ أيها الغلمان . وماذا حوْل الدار . إنى أسمعُ
ضجة . أما تسمعُ يابن حَيون أما تسمعُ ضجةً يا أبى ؟

بثينة : حوْل الدارِ ضجة .

خادم من الغلمان : أولئك جنودُ المغاربة يا سيدى .

الثلاثة [بصوت واحد] : جنودُ المغاربة حول الدار ! ؟

الخادم : أجل أتوْا يسالوننَا عن بنْتِ الملك هل رأيناهَا وهل
آويناها وهم يقولون إنها دخلتِ الدار منذُ ساعةٍ وإنها
طريدةُ الأمير سيرى بن أبى بكر قائد جيش الفتح .

حسون مغضبا : بل قلْ جيش الفضْح يا غلاَم ، فقد باء الغادِرون
بفَضيحةِ الأبد .

بثينة : الآن فهمتُ يا حسون ، الآن أدركتُ ياعم أن سيرى
ابن أبى بكر كان قد خطبَنى الى أبى ، وكان رسُوله يومئذ
القاضى ابنَ أدهم ، فلا أبى أجابَ ، ولا أنا قبِلْت ، ولعله
تذكرنى اليوم فهو يريد أن يأخذنى عنْوة .

حسون : لا والله يا بنتَ الملك لا تسقطُ من رأسك شعْرةٌ وأنا
حىٌّ ساعدى معى وسيْفى بِيَدى مسلول .

[و بعد إطراق يستأنف و يقول]

لا بأس عليك يا أميرة، ولا علينا يا أبى من طلعة البربر
ولا من اجتماعهم بنا فى هذه الحجرة أو غيرها من الدار
ولا خوف علينا من فتشهم ونبشهم .

التاجر : وكيف يا حسون ؟ وماذا اعترمت أن تصنع لتدفع عنا
هذا البلاء ؟

حسون [بعد فكرة قصيرة] : إسمع يا أبى ! فى هذه الغرفة صندوق مملوء
من ثياب المغاربة وأسلحتهم فاتبعونى . أدخلوا من
فوركم فاخلعوا ثيابكم هذه وخذوا من الصندوق ما شئتم
من ثياب المغاربة وتزيوا بزى القوم ثم نخرج فنختلط
بهم أو ندعهم وسبيلهم ونأخذ سبيلا غيره .

ابن حيون : هو لاشك سبيل الفرار .

حسون [مبتسما] : هو ذاك يابن حيون : السرعة، السرعة [ثم ملتفتا الى
الأميرة] أدخلى يا أميرة، أسرعى، أسرعى لا يضيعن الوقت
فإن الجنود فى طلبنا .

[يدخل الأربعة الحجرة ثم يخرجون فى الزى
المغربى و يكون الجنود قد دخلوا وهم يقولون]

الجنود [داخل المنزل لبعضهم] : فتشوا، انبشوا .

الأربعة [خارجين قائلين] : فتشوا، انبشوا [و يكررون ذلك ثم ينسلون من المكان]

المنظر الثانى

« تحت أسوار السجن فى أغمات حيث ترى بثينة وحسون »

« وأبو الحسن وابن حيون على مقـربة من حارس السجن »

ابن حيون : ها نحنُ أولاءِ شارَفْنا أغمات، وهذه أيها الرِّفاق هى القلْعة التى شاءتِ الأقدارُ أن يسجَن فيها الملِك العظيم .

حسـون : يا لعجائبِ القـدرِ ! قريةٌ ظلّتِ القـرونَ الطوالَ مجهولةً مغمورةً أصبحتِ اليومَ تسافرُ اليها الظنونُ من كل مكان وتشتغلُ ممالكُ العرب بها و بنزيلها العظيم وتشرف الأسماعُ لمطالعِ قوافيه و ينتظر الرواةُ مايقول فيه الشعراءُ من كلماتِ التوجّعِ ونفثاتِ الحنينِ .

بثينة [بعد إطراق واستعبار] : يالقسوةِ القـدَر ! أهـذا قفصُ الأسـد يابنَ حيون ؟ أههنا منْفى الملائكِ من عقائل بَنى عبّـاد؟ تبًّا لك يابنَ تاشـفين . ماكان أبخلَ جاهَك على الكِرام ، وماكان أكثرَك فى القُيود على الأحرار .

ابن حيون : صهْ أيتها الأميرة فهذا السجّان ينظرُ الينا وقد يُدخِل الريبة

فى نفسه أن يسمعَ منك مثلَ هذا الكلام .

حسون : كفكفِى الدمعَ يابثينة وأقلِّى الجزعَ ولا تنسىْ أن وراء هذه الجُدران جروحا من الدهْرِ لم يبق لها بلسمٌ سواكِ . فكونى المفاجأةَ الشافِية وآطلعِى عليها بابتسامِك الحُلْوْ طلوعَ العافية .

السجان : مَنِ الرجال ؟ ما تبتغون ؟ متى كان حرمُ السجن موضعَ وقوف وهمْس ؟

حسون : نحنُ أيها السجان طائفة من آل الملك السجين وحاشيته، قد هزَّنا الشوقُ إلى زيارَته والسؤالِ عن أمرِه، فادخلْ فاستأذنْ لنا عليه .

السجان : أنسيتَ أيها الفتى أن هذه القلعةَ هي من السُّجونِ التى يُعيرها السلطانُ اهتمامَه فلا يدخُلها داخلٌ إلا بإذنه ولايخرجُ منها خارجٌ الا بإذنِه، فهل بأيديكم جوازٌ يبيح لكم زيارةَ السجين ؟

ابن حيون : أنتَ تعلم يا أخى أن مولانا السلطانَ يعطِف على أسيرِه الكريم .

السجان [متهكما] : كلُّ العطف ياسيدى .

ابن حيون : وأنتَ تعلم أن الملِك المُعتمِد قد رُخِّص له من أوّلِ يوم فى استصحابِ من يشاء من خواصهِ وذوى قرباه .

السجان : أعلمُ هذا أيها السيد .

ابن حيون : فكر إذن فى الأمرِ قليلا . فليس يضرُّك أن تُدخلنا إلى الملِك وتتركنا عنده ساعةً لعلنا نَشفى برؤيته وحديثِه الشوقَ والصبابةَ [و يلق للحارس صرة ويقول] ومعَ ذلكَ فإليك هـذه الصرَّة خذْها وبلِّغنا الأرَب .

السجان [وهو يضع الصرة فى كمه] : ما هذا أيها السيد ؟

ابن حيون : هذا . قد لمستَه بيدِك ، هذا قد سمِعْت رنينَه بأذُنِك ، هذا يا أخى هو الذهَبُ مفْتاحُ الأبوابِ كلِّها إلا بابَ الجنـة .

الحارس : هذا كثير يا سيدى .

ابن حيون : بل هو قليلٌ يا أخى . ولكَ مثلُه عنـد خروجِنا من حضرة الملك .

السجان : لقد سألتمونى أمراً صعبْا أيها السـيد ... ومع ذلك ... فما فى دخولكم من بأْس . تفضّلوا يا سادة أُدخلوا .

المنظر الثالث

« فى سجن أغمات حيث يرى ابن عباد بين أمه وزوجه وسائر أولاده »
« وحاشيته ، وقد شاعت آية البؤس والتعاسة فى وجوه الجميع ، اليوم »
« يوم عيد وقد جلس ابن عباد يتلق تحية العيد وكلهم صامت خاشع ... »

ابن عباد [مناجيا نفسه] :

فيما مضى كنتَ بالأعيادِ مسرورا
فساءك العيدُ فى "أغمات" مأسورا
ترى بنـاتك فى الأطمارِ جائعـةً
يَغزِلْنَ للناسِ، ما يملكنَ قِطْمـيرا
برزْنَ نحوَك للتسليم خاشـعةً
أبصارهُنّ حسـيرات مكاسـيرا
يطأْن فى الطين والأقدامُ حافيـةٌ
كأنهـا لم تطأْ مِسْـكا وكافـورا
من عاشَ بعدَك فى مُلك يُسَرُّ به
فإنمـا عاشَ بالأحلام مَغْـرورا

الرميكية[للملك] : الأميراتُ بين يديْك أيها الملِك أتيْن يهنِّئنَك بالعيد .

المــــلك : يامرْحبًا بهن ، ولا مرْحبا بالعيد ولا أهلا بهِ ...

عيــد ! بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيــد ؟ إذهبْ فأنتَ على

السجينِ حرام .

الملك[لنفسه] : لكن لا يابنَ عباد! بعضَ هذا الجزع ، وتجلدْ رحمةً بهذه

الحمائم الموثَقةِ ورفْقا بهذه الملائكة المسجونَة .

الملك [الى بناته] : العيد يا أخواتِ بثينة يوم يجمعُنا بأختِكُن .

إحدى الأميرات : والعيدُ أيضا أيهــا الملك يوم يرُد الله عليــك مُلْكك

فتدخلَ أشبيليةَ عليك التاجُ مُؤتلقا .

أميرةأخرى : بل العيــدُ يا أبي يوم تدخل الأندلسَ فتتنقَّلُ فى ربوعه

وممالِكه تنقُّلَ الشمس من دارٍ إلى دار .

المــــلك : تقبَّل الله منكنَّ يا عبّاديّات ورحَمنى .

إحدى الأميرات : هوّنْ عليك يا أبي فلم يدمْ فى النّعيم والبؤْس قوْم .

المــــلك : لقــد هوّن الصبرُ الحوادثَ عندى يابناته إلا حادثةً أصبحَ

القلبُ جريحا لا يقوى على حملِها .

الأمـــيرة : وما تلك يا أبتِ .

المــــلك : أختُك بثينــة واحتجابُها الذى طال . وانقطاعُ الأخبــارِ

عن مصيرِها .

الرميكيــة : لا تيأسْ من رحمةِ الله أيها الملكُ وانتظر فرَجا يأتى به من

فضله وكرمه فهذا قلبي يحدثني، وقلما كذبت قلوب الأمهات، أن بثينة قد وجدت وأنها بخير وأمان .

الملك [باكيا متضرعا] : اللهم اسمع من أمتك الرميكية وتقبل منها وأدخل علينا السرور ولو ساعة فإن عهدنا به عهد طويل .

[الأميرات يتهامسن]

الرميكية : ضجة ؟

أميرة : حركة !

أخرى : نقل أقدام !

الملك : أنظري يارميكية من الداخلون ؟ فإن عيني أصبحت لا تحقق الأشباح .

الرميكية : سلم الله عينيك يامولاي وأقرهما بلقاء بثينة .

[وفي هذه الأثناء يثب مقلاص إلى الباب ويرجع مع]
[القادمين يقبل ثوب الأميرة تارة قائلا ...] .

مقلاص : سيدتي بثينة! أميرتي، يامولاتي يافرحتا .

الملك : رب ما أرحمك ماذا أرى ؟ ماذا أسمع؟ ما هذا الطيب الذكي؟ إني أجد ريح بثينة .

الرميكية : بشراك ياقلب هذه فلذتك ردت إليك [وتلتفت إلى الملك] سيدي مليكي أنظر كيف استجاب الله لنا؟ هذه بثينة مقبلة .

الملك : أجل! أيتها الملكة أقبلت الدنيا وعاد الزمان .

إحدى الأميرات : بثينة ! أختى ! ما أعظمَ إحسانَك يارب .

الملك : بنيتى . بنيتى . تعالىْ املئى ذراعىّ كما كنتِ تختبئين فيهما طِفلة صغيرة .

[تطرح بثينة على صدر والدها وتقول] .

بثينة : أبى ، سيدى ، ملكى ، لا بأسَ عليك يا ملكَ العرب .

الملك : ولا عليكِ يا ابنتى ، ثِق بالله وأمِّلى وجهَه الكريم .

بثينة : الصبرُ منكَ تعلمناهُ يا ملكَ الصابرين .

الملك : والجدّةُ يا بثينة أنسيتها ؟ أما بِك اليها شوْق؟ أما لها منْك قُبْلة ؟

بثينة [وتقوم لجدتها] : جدتى ، سيدتى ، ملكتى : شهد اللهُ ماخلا القلبُ منك ساعة وما وُجِدتُ فى مَضيقٍ فذكرتُك إلا انقلبَ فضاء ولا أظن الله سبحانه وتعالى أنقذنى من البلاء وردّنى الى أسرتى ورد أسرتى الىّ إلا ببركة رِضاكِ أطال الله عمرَكِ يا جدة .

[ثم ترتمى بثينة فى أحضان العبادية جدّتها وهى محاطة بأخواتها الأميرات تقبلهن و يقبلنها حتى اشتدت اللوعة وأخذها أبواها بينهما وانتظمت من الأسرة الملكية حلقة . وهناك أقبل الملك على ابنته بالحديث فقال] .

الملك : خبريني كيف اختُطفتِ يا بثينة وما حديث اختفائك ؟ حدّثينى ليطمئن قلبى فقد كان احتجابُك فى غليانِ الفتنةِ ،

وعند احتدام الفِتن يُذال المصونُ ويهون العزيز وتقعُ الفُجاءات .

بثينة : ولكن الله سلّم يا أكرمَ الآباء .

الملك : حدثينا إذن حديثك يا بثينة .

بثينة : حديثى يا أبتِ عجيبٌ ، محزنٌ ، سارٌّ ، مبكٍ ، مضحكٌ ، حافلٌ بعجائب القدَرِ ومدهشاتِ القضاء .

الأميرات : حدّثينا إياهُ يا أختُ أسرعى .

الرميكية : قُصّى علينا يا بنتاه قِصّتك .

الملك : خبرينى الخبرَ يا بثينة .

بثينة : نظرتُ اليك يا أبى يومَ هجوم المغارِبة على أشبيلية فرأيتُك تقاتِلُ وحيداً قليلَ العونِ والمساعد وكأن أشبيليةَ تحتكَ العرينُ وكأنك الأسَدُ يحمى عرينَه شبرًا شبرًا ، فقلتُ فى نفسى : علامَ تعلّمتُ الضربَ بالسيف وعلامَ كنت أركضُ جيادَ الخيلِ فى سهولِ الأندلسِ وحُزونه إذا أنا لم أقضِ حقّ وطنى ولم أحمِ ظهرَ أبى فى هذا اليوم العصيب ، ثم جعلتُ على وجهى لِثاما وتقلدتُ سيفاً وامتطيتُ جوادا وخرجتُ من القصر فلحقتُ بك ، فلم أزل أقاتل بجانبك وأحامى عنك حتى امتدّتْ الىّ يد من حديد فاقتلعتنى من سرجى فأُغمى علىّ ثم انتبهتُ فاذا أنا فى دارِ رجل من قوّاد المغرب .

الملك [مغضبا] : وماذا لقِيتِ من المغربى الخشِن ؟

بثينـــة : لم ألقَ إلا خيرا يا أبى فقـد كان الرجل ديِّنا وتقيّا ، أخذَ ما علىّ من الحُلىّ .

المـــلك : يا له من دينٍ تقىّ .

بثينـــة : ... وتركنى فلبثتُ فى داره أياما طريحةَ الفِـراش لا أذوق طعاماً ولا أطعمُ رُقادا ، إلا ما كان من سَـكرات الحمّى ، الى أن سخّرت لى العناية هذا الشيخَ الجليل [وتشير الى أبى الحسن] فلم أدرِ كيف نُقلتُ الى داره وهى لا تقلُّ رِفْعة عن قديم دُورِنا ولا تقصر بَشاشة نعْمةٍ عن زائل قصورنا .

الملك [فى قلق وغضب ، مشيرا الى حسون] : وهذا الشابُّ من يكونُ يابثينة؟

بثينـــة : هــذا حسون ابنُ هذا الشـيخ الجليلِ التاجرِ أبى الحسن ، وله عنْـدنا أيادٍ يذكرُها مِثلُك فى الكرام فقــد قاتلَ الثوارَ فى قُرطبة مع أخى الظـافر رحمةُ الله عليه ، وأبلى فى وقْعـة الزّلاقة بلاءً كان له خطره وأثرُه فى ذلك الفتح المبين .

ابن حيون [متدخلا فى الحديث] : وقد جُرِحَ حسون يومئذٍ جُرحا بليغًا فحُملَ الى دارِه فـا بلَغها حتى بعثَ اليك أيهـا الملك بالصاعقة ذلك الجواد الأشقر فركبتَه والوطيسُ حامٍ والحربُ مجنونة فكان ميمونَ الناصية ، من صوتِه نصرتَ ، وفى ركابه غَلَبتَ وظهـــرتَ .

الملك [منكرا مهتا] : الصاعقة؟ فرس الباز بن الأشهب لِصِّ الأندلس؟

ابن حيون : أجل أيها الملك، وقد كان تحتك فى وقعة الدهر بين الفرنجة والمسلمين وكان رابع فرس قُدِّم لك يومئذ وأنت كلما هلك تحتك فرس ركبتَ غيره .

العبادية : أعرفتَ محدِّثك هذا يا مولاى ؟

الملك : كيف أجهله أو أنساه، هذا ابنُ حيون الذى زارنا فى أشبيلية ونصح لنا فلم نسمعْ منه، فالحمد لله الذى جمعنا به حتى نستأنف شكر إحسانه .

ابن حيون : أطال الله بقاءك يا مولاى وأعانك على هذه الشدة وردّك الى ديارك وردّ ديارك اليك .

الملك : وأنتَ ياحسون فقد ذُكر لى بلاؤك ووصفتَ عندى كثيرا بمحاسن الصفاتِ ومكارمِ الأخلاق .

حسون : مدّ الله حياتك يا مولاى وظلّلك برعايتهِ وأمانه .

بثينة : إيذن لى يا أبى أن أعترف فى مجلسك بأنى كنتُ فى بعض أيام تنكّرى أجتمعُ بهذا الشاب النبيل فلا أجدُ الا أدبًا حسنا، وعلما جمًّا، وخلُقا فاضلا، وشمائلَ قد لا توجد فى أبناءِ الملوك .

الملك : أتذكرين يا بثينة كيف كنتُ معكِ ضدّ القاضى ابنِ أدهم حين جاءنى يخطبكِ للأمير، سيرى بنِ أبى بكر .

بثينـــة : أذكر ذلك يا أبى ولا أنسى لك فضلك ما حييتُ .

المـــلك : إعلمى إذن يا بنية أن الأوان قد آن وأن الإسلام لا دير فيه ولا رهبانية، وأن السجن قد يحتملُه الطفلُ وقد يُطيقه الكهل ولكنه يرهقُ الشبابَ ويزهقه فلن نرضى لك أن تشاطرينا هذا المنزل الخَشِن وهذه العيشة الجافيةَ وإن قلبى ليحدِّثنى بأن ألفةً روحيّة قد انعقدَتْ بينـك وبين هـذا الشاب النبيل .

حسون [متدخلا] : أيأذن لى الملك إن عرضتُ أن قولَه الكريم إنمـا يُعرِبُ عما أكن لسيدتى الأميرةِ من الحبِّ والإجلال وإنى أجدُ أقصى التّشريف وغايةَ السـعادة أن يأذن لى الملك فى أن أخطبَ سيدتى بثينةَ اليه .

الملك [ملتفتا الى بثينة] : وأنتِ ماذا تقولين يا بثينة ؟

«الأميرة تغضى حياءً وتسكت»

المـــلك : منَ الصمْتِ كلام .

الملك [الى أبو الحسن] : وأنتَ يا أبا الحسن ماذا ترى ؟

ابوالحسن : ما يرى الملك أفضلُ . فيا شئتَ فمرْنا يا مولاى ؟

الملك [الى الرميكية] : والملِكةُ ما رأيُها ؟

الملـــكة : قد أمرتَ يامولاى بما فيــه الخيرُ جعله الله زَواجا مَقرونًا بالسعادةِ واليُمْن .

ابن حيون : أيأذنُ الملك لى أنا الآخر بالكلام ؟

الملك : تكلمْ يابن حيون فقد عرفتُ مودّتك وإخلاصك، وتبينتُ نُصحَك واهتمامَك، ولو لم يكن من احسانك إلىّ والى أسرتى إلا تجشمُ هذه الرحلة من أشبيلية الى أغمات لكفى فى باب المرُوءة والوفاء .

ابن حيون : لا شكرَ على واجبٍ يا مولاى . وقد طوّقتنى الساعةَ منّةً لا يَنزِعُها من عُنق الموتُ بما رسمتَ من بناءِ هذا الفتى الماجدِ الباسلِ بهذه الأميرة التى لم يلدِ الملوكُ أجملَ ولا أكملَ منها : والآن بقى لى ملتمسٌ أرجو أن يُجيبَنى الملكُ اليه .

الملك : اقترحْ يابن حيون تجد مَلبّيا مجيبا فيماتبلغه قدرةُ ملكٍ مخلوع .

[يخرج ابن حيون جرابا كان قد شده على وسطه ثم يفتحه و ينثره عند قدمى الملك فتنتثر اللآلىء واليواقيت] .

الملكة : جواهر !

الأميرات : لآلئ ! يواقيت !

مقلاص : يالك من كنزٍ ثمينٍ غالٍ .

الملك [وهو ينحنى على الكنز] : ومن أينَ لك يا بنَ حيون كلُّ هذا المالِ؟ لمثلُ هذا الكنز لا يكون إلا ذخيرةَ ملكٍ وابنِ مُلوك .

ابن حيون : هو كما تقول يا مولاى ، فهذا الكنزُ كان لملكٍ ووارث

ملوك، فساقته العناية إلىّ، واليوم قد هلك أصحابه و بادُوا فأصبح لى وحدي أتصرّف به كيف أشاءُ ، وبالأمس قوّمتُ هذه الجواهر بما يقربُ من ألفِ ألف دينار وأنا مقسّمٌ هذا المال ثلاثة أقسام : ثُلُثٌ تأخذه أنتَ يامولاى فتستعينُ بهِ على ما أنتَ فيه من الشدّة، وثلثٌ يأخذه حسون وزوجتُه فيعيشانِ به رغدا، والثُلُثُ الثالثُ يكون لى ولأبى الحسن التاجر هذا [مشيرا إلى أبى الحسن] نؤسسُ به تجارةً ونعقدُ بيننا شركة نتحدّى بها تجاراتِ الفرنجة فى الأندلس .

أبو الحسن : ... الله أكبرُ أنتَ واللهِ هو المغربى الذى دخل علىّ دارى وماكنت يومئذٍ إلا متنكرا مُحسِناً للتنكّر فأسوتَ جُرحى وحفظتَ علىّ دارى واستنقذتنى من عوادى البؤس والفاقة ، والآن تردُّ علىّ تجارتى وتشاطِرُنى كرائم مالِك، فبأى لسانٍ أؤدّى شكرَ إحسانِك .

ابن حيون : بل آشكُرِ الله يا أخى فإنى لم أعِنك بمالى ولكن أعتُك بماله ولا أجدُنى صنعتُ يومئذٍ إلا واجبا ولا قضيتُ إلا ديناً علىّ للصداقة القديمة وللوّد الصحيح .

الملك : لكن ما عساى أصنعُ يابن حيون بهذه الثّروة وأنا كما ترانى صيْد فى قيْد، وأسدٌ فى صفَد، وحىٌّ فى قبر، ودنيا فى شِبْر إنها لهِبة مشكورةٌ وإن كانتْ والحِرمانُ سواء .

ابن حيون : لقد أراحَ الله بالكَ من هــذه الناحيةِ يا مولاى وأذهَبَ عنْك الحزْن ... أما يسُرك يا مولاى أن تَنتقلَ من هــذه القلعةِ المظلمةِ الرطبة الى منزلٍ بظاهرِ المدينة جديدِ البناءِ حسنِ الأثاثِ تُحيــطُ به الأشجارُ من كل جانب ، فتنزِلَه وقد طرحتَ هذه القيود فتستقبل الرّاحة والحرّية وتَتمتعَ بالعُزلةِ التى هامَ بها العقلاءُ فى كل زمان .

المـــلك : ومن لى بهذا الذى تصفُ يابنَ حيون ؟

ابن حيون : بل هو أمرٌ قــد تمّ يا مولاى فقدْ فُرِغ من شرائه وتأثيثه وتهيئتِه لنزولِك به فى أهلِك وعيالك ، وأما النُّقْلة فغــدًا أو بعدَه إن شاءَ الله .

المـــلك : وابنُ تاشفين ... ؟

ابن حيون : هو الذى أمر أن يكون كلُّ ذلك وقد تذكر كلمتكَ المشهورةَ التى سارتْ مثلا فى فَم الأندلس : إذ سئلت أىّ المفزعيْن أحبُّ اليك : ملك الأسبان أم سـلطان المغرب فأجبتَ (رعْىُ الجمال ولا رعْىُ الخنازير) فأمر أن يحمل اليك فى المنْزلِ الجديدِ بعيران من نجائبِ إبلِهِ لترعاهما له فى خميــلةِ الدارِ الجـــديدة .

الملك [فى اطراق] : الآن تذكرتُ . لقد سئلتُ مرة فى مجلس الحكم إن كان لابدّ لى أن أخضعَ لسلطان أو أدينَ لملكٍ بالطاعة

فأى الملكين أفضل وأى السلطانين أختار : سلطان المغرب أم ملك الأسبان؟ فأجبتُ: (أرعى الجمال عند أمير المسلمين ولا أرعى الخنازير لملك الأسبان) وأظن أن عبارتى هذه نُقلتْ يومذاك إلى ابن تاشفين فأعجبْته ووجدَها شريفة.

بثينة : ولكن المكافأة كانت غيرَ شريفة يا أبى .

الملك : تريدين يا بثينة أن تقولى إنّ مروءة السلطان لم تزد على أن جعلَنى راعيًا لجماله بعد ما سلبَ نعْمتى واغتصبَ مُلْكى ونفانى أنا وأسرَتى فى أغمات .

الرميكية : هذا جهدُ الرجُلِ فى المروءة يا مولاى وهذه غايةُ كَرَمه فلا تكلفه فوقَ قُدرةِ باعه ولا تسألْه ما ليسَ فى طِباعه .

الملك [لابن حيون] : ولكن قل لى يابنَ حيون من أخذ لنا هذا التافهَ القليلَ من ذلك السلطان الشحيح ؟ ومن ذا الذى اجتهد لنا وصَنع كلّ هذا حتى غيَّر رأىَ السلطان وصرَفه عن العُنْف إلى اللُّطْف ؟

بثينة : هو لاشك ابنُ حيون يا مولاى .

ابن حيون: ما اجتهدتُ ولا صنعتُ شيئا ولكن المالَ صنَع . [ويشير الى الجواهر] .

الملك : سنذكر لك هذه الهمّة الكبرى يابنَ حيون .

بثينة : وتلك الهمّةُ الصغرى أتذكرها للسلطانِ يا مولاى، فقد تسمَّحَ فنقلَكَ من هذه القَلْعة إلى دار غيرها فى أغمات .

المـلك : [ويبتسم ابتسامة تهكم] : أعيشُ فيهـا حرًّا طليقا بيْن أربعـةِ جدران وأرعى لَه فيها الجمال .

بثينـة : أنتَ الذى رعيتَ لله فى أشبيليه قوما شيَّدوا حضارَة الإسلام وشعْبا عزيزا كريمًا طالمـا ناضلَ دونَ عرينه وصَبَرَ على عَداوةِ الفرنجة وتألُّبِهم عليهِ القرونَ الطوال .

ستار الختام

قمبيز

تمهيد

زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد

مكان الرواية : مصر [منفيس : عاصمة مصر .
صا الحجر : مقرّ البلاط .

فارس/سوس : عاصمة الفرس .

أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر .
بسامتيك : ابن أمازيس وولى العهد .
نفريت : ابنة أمازيس .
نتيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول .
قمبيز : ملك الفرس .
تاسو : حارس فرعون .
تتى : وصيفة الملكة نتيتاس .
فانيس : كان قائداً فى الجيش المصرى ثم التحق
بالجيش الفارسى .

رجال الوفد الفارسى .

رجال البلاط الفرعونى .

قواد ـ جند : من الفرس .

ساحر ـ راقصات ـ أقزام ،
نوب ـ حجاب ـ خدم } مصريون .

الفصل الأول

المنظر الأول

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيس الخاصة — »

« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك »

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو ها هنا ؟

تاسو : وهل أرى إلا هنا ؟

أحومُ حول صنمى وحول هذى القَدَمِ

نفريت [وتنظر إلى رجلها] :

حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشُّهْدِ والزُّبْدِ والنميرِ الصافى

ما بكِ يا نفريتُ ما هذا الأسى ؟

ما بالُ عينيكِ تريدانِ البكا ؟

نفريت : تسألنى ما بى ألم تعلم بما

جرى ويجرى من فجائع القضا

تاسو : ماذا جرى ؟ ماذا لقيتِ ملكتى
من القضاء؟ مُهْجتى لكِ الفِدا
نفريت : كيف لقد كان حسابى أننا بخطْبة الفُرْسِ تحطّمنا معا
تاسو : إذن فهذا الغمّ من جرّائها
وأنتِ تخشَيْنَ الرحيلَ والنوى
نفريت : وأنتَ يا تاسو ألم تحزنْ ؟
تاسو : أنا ! أحزنُ يا سلطانةَ الفُرْس أنا؟
لقد وددْتُ لو ملَكتِ كلَّ ما
دبّ على الأرض وطار فى السما
نفريت : وفُرْقتى تاسو ألم تحزنْ لها ؟
تاسو : ولِمْ وفى الفرس يكون الملتقى
نفريت : فى فارسٍ ! فى قصر زوجى نلتقى !
يا عجبا ماذا تقولُ يا فتى؟
تاسو : لِمَ لا أليسَ فى القصورِ سَعَة ؟ نحن هناكَ مثلُ ما نحن هنا
نفريت : هذا الغباءُ منكَ تاسو عجبٌ ليس المكانانِ على حدٍ سَوا
هنا أبى إذا بكَيْتُ رقّ لى وإن شفعتُ لكَ عنده عفا
تاسو : وثَمّ ؟
نفريت : وحشٌ فى إهاب بَشَرٍ يقتُلُ من يلقى
تاسو : أمون لجّنا !
وماذا اعتزمت ؟
نفريت : اعتزمت البقاء بمصرَ وفى ظلّ هذى الحُجَرْ

و بالقُرْب منكَ ومن والدىَّ ومن إخوتى وذوىَّ الأُخر
و بين وصيفاتىَ المُشْفِقاتِ ومن لاذ بى من بنات الأُسر

تاسو : ولكن تُرى كيف تجرى الأمورُ اذا علمتْ فارسٌ بالخبر
وقيل لقمبيزَ فرعونُ خالف وابنةُ فرعونَ لم تأتمر

نفريت : ليجر بما شاء تاسو القضاء ليجر بما شاء تاسو القَدَر
لتُخْسَفْ بقوم عليها البلادُ ليستأخرِ النيلُ أو ينفَجِرْ!
فأما أنا فسأبقى هنا و إن غَضِبَتْ فارسٌ والتتر
فما الفرسُ لى بالصحاب الكرام
ولا لىَ فى مُلْكهم من وَطَرْ

[تدخل الأميرة نتيتاس]

نفريت : من المُفاجى (نتيتا) ؟

نتيتاس : نفريتُ، تاسو سلامُ
نفريتُ أصغى لقولى فلى إليك كلامُ

نفريت : تكلمى واقتصدى

نتيتاس : ولم أزل مقتصده

نفريت : أتبتغى شامتةً

نتيتاس : لا بل أتيتُ مُسْعده
آمون قد مدّ إليك والى الوادى يده
وقد كفى مصرَ البلاء والخطوبَ المُرْعِده
وكفّ عن ربوعنا نارَ المجوس الموقَده

نفريت : وكيف بنتيناس ماذا ما الخبرْ ؟

كيف جرى غيرَ مجاريه القدَرْ ؟

تاسو : ما الأمر يا سيدتي !

نتيناس : وأيُّ شأنٍ فيه لكْ

إن الذي عندي لا يُقالُ إلا للملكْ

نفريت : عجّلي إذن . قابلي أبي . أسرعي الخطى . اذهبي اذهبي
واسأليه ما . شئتِ واطلبي

نتيناس : ما ذاك ما ذا تقوليـن فكّري يا نفرتُ
ما جئتُ أطلبُ مالًا ولا لهذا حضرتُ
ولا بشأنك يا بنتَ آمزيس افتكرتُ

نفريت : ففيمَ إذن جئتِ يانتيتاسُ وفي أي شأنٍ نقلتِ القدَمْ ؟

نتيتاس : أتيتُ لمصلحة الآخرين وجئتُ لشأنٍ جليلِ العِظَمْ
أتيتُ لأفدي بنفسي البلادَ وأدفعَ عن مصرَ شرَّ العجَمْ
فإنك إن ترفضي يزحفوا كزحف الذئاب ونحن الغنَمْ
فأين أبوك ؟

نفريت : تلاقينَـهُ هنالك في حجرات الصنَمْ

نتيتاس : سأمضي إليه

نفريت [بتهكم] اذهبي أفدي البلادَ

نتيتاس : نعم أنا أفدي بلادي نعم

[تخرج]

نفريت : يا ويحها قد ذهبتْ دعني تاسو واذهبِ

[يخرج تاسو] :

« يدخل فرعون الى غرفته الخاصة وهي حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب »
« الملون وفيها بضعة كراسى خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفى زواياها الأربع »
« تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أمازيس وابنه نفريت مقبلة عليه »

نفريت : سلامٌ ياضُحى الشمس ويا غُرّةَ آبيس
ويا حامىَ سايس ويا حارسَ منفيس

فرعون : سلامٌ شبهَ هاتور سلامٌ شبهَ إيزيس

نفريت : أبى بل نادنى يا بنـتَ فرعونَ أمازيس

فرعون : تعالىْ أقبلى يا بنـتَ فرعونَ أمازيس
وفى أىّ جليل أو صغيرٍ يا تُرَى جئتْ
تعالىْ يا ابْنَتى قولى سَلى فرعون ما شئتْ

نفريت : أبى كُنْ لى فقد أظلمت الدنيا بعينيَّا

فرعون : سأجْلُو ظُلمةَ الدنيا وأمحوها بكفيَّا

[تغرورق عيناها بالدموع]

بُنَيَّاه

نفريت : ربَّاه أبى

فرعون : ما للأميرة باكيَه ؟

هَلّا ادّخرتِ لمصْرعى هذى الدموع الغاليَه

نفريت : لا بل تعيشُ أبى وتبْـقَ فى ظلال العافيه
أبتِ تهيَّأ كلُّ شى ءٍ للنَّوى المُتَراميَه
فغدًا تضُمنىَ القصو رُ بل القبورُ الجافيه

في ألفِ جاريةٍ لقمبيزٍ هناكَ وجاريه
من كل مُرسَلةٍ هنا لكَ كالبهيمةِ ساليَه
فبأيِّ قلبٍ يا مليكُ تزفُّني للطاغيَهْ
أدركْ فتاتَك قد ضعُفتُ عن احتمالِ الداهيَه

[تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : مَن أرى؟ إنه لحظٌّ عظيمٌ نتتاسٌ بنت الفراعين عندي
نتيتاس : التَّحايَا لعرشِ مصرَ المُفدّى من أبي ساكنِ السماءِ وجدّي
فرعون : وسلامٌ الذي على عرشِ مصرٍ لا تؤدينه ؟
نتيتاس : وكيف أؤدّي؟
ليس بينَ ابنةٍ وساقِ أبيها غصةُ الموتِ من سلامٍ وردِّ
إن حقدي عليك دَيْنٌ وبِرٌّ ربّ لا يذهبِ العقوقُ بحقدي
فرعون : احملي الحقدَ لي أو اطّرحيه وتمنَّيْ عليَّ جاهي ورِفدي
اسألي تسألي أباكِ
نتيتاس : معاذ الـــلهِ فرعونُ ليس دنياكَ قصدي
فرعون : فيمَ قد جئتِني إذن ؟
نتيتاس : في حقوقٍ لدياري وواجبٍ نحوَ مَهدي
كلَّ عامٍ صبيةٌ من بنات الشـعبِ
تُختارُ للفداء فتفدي
تنزلُ النيلَ غيرَ عائفةٍ ما فيه للموتِ من حياضٍ ووِرْدِ

سمحتْ بالحياةِ فى غيرِ سأمٍ

وسخَتْ بالشباب فى غيرِ زُهدِ

تبتغى الخصْبَ والرخاءَ وتحتا ... لُ لعيشٍ بنعمةِ النيلِ رَغدِ

سقتِ الناسَ بعدَها لم تقُلْ قو ... لَ الأنانى: يهلك الناسُ بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريدينَ منا ... أن تكونى التى تزَفُّ وتُهدى

نتيتاس : تلك مدفوعةٌ يقدِّمُها الكُهَّانُ

لكننى تقدَّمتُ وحْدِى

[مستمرة] : جئتُ أفدى وطنى من ... سيفِ قمبيزَ ونارِه

جئتُ أفدى وطنى من ... دَنَسِ الفتحِ وعارِه

فرعون : ما ذا تقولين فيمَ جئتِ ؟ ... قمبيزُ؟ الفتحُ؟ مصر؟ فارسْ؟

نتيتاس : نفريتُ تأبى المسيرَ هبْ لى ... مكانَها منك يا أمازسْ

فرعون : أنتِ التى تذهبين ؟

نتيتاس : لم لا ؟

فرعون : هذا هو النُبلُ يا نتاتِسْ

بخٍ بخٍ ، بنتَ أخى

نتيتاس [فى آستنكار] : أنتَ يا قاتلُ ، عمِّى ؟ ؟

لا ... أبى يا أبى وأمى

فرعون : لا تدفعى نتيتَ بى ... ولا تَهيجى غضَبى

نتيتاس [كالمستهزئة] : تقتلُنى مثلَ أبى!

[تظهر نفريت بالباب]

فرعون : من ذا أذن ؟ نفريت ، هيا ادخلى — لا تقف الأقمارُ بالبابِ

نفريت : تحيــةُ الشمس لسارعِ أبى — تحيــةُ المعبـودِ آمونِ

فرعون : أتيت لوثق الأمر نفرتُ أقبلى
تعالىْ أُنشّقكِ الجليلَ تعالى

نفريت : أبى لا جليـلَ اليوم إلا مُصيبتى
فرعون : ولكنّها قــد آذنتْ بـزوال

نفريت : وكيف وأنّى ؟

فرعون : أنظـرى مَنْ بمجلسى — وأىُّ رسولٍ للسماء حيالى
إلهٌ لعَمرى فى قميص أميرةٍ — سعى لك يحبو عونه وسعى لى

نفريت : نتيتاسُ أختى ؟

نتيتاس [لنفسها] أختُها ما أصلَها — متى كان بيتى مجرمينَ وآلى

نفريت [لأبيها بعد أن سمعت جوابها] :
أبى ألهـذا تجمعُ اليومَ بيننا — وما لابْنَةِ المَلْكِ القديم ومالى

فرعون : لقــد بعثتْها الشمسُ من عرشِ مجدها
شعاعَ هـدى من حَيْرةٍ وضلالِ
تُزَفُّ إلى قمبيزَ فى موضع ابنتى
وفى موكبٍ من وَفدِه ورجالى

نفريت : نتيتاس

فرعون : قولى بنتَ فرعون

نتيتاس : أعْفِها

نفريت : ولِمْ

نتيتاس : ذاك عهدٌ يا أميرةُ خالى

فلا يستوى المُلكُ القشيبُ جلالُه

وآخرُ مخلوعُ الجلالةِ بالى

نفريت : أحقٌّ نتيتا ما رَوَى المَلِكُ

نتيتاس : ما رَوَى — أبوك صدَى صوتى ورجْعُ مقالى

نفريت : رويدًا نتيتاَ راجعى الرشدَ إنّما

تُضحّين يا أختى بأنفس غالى

تُضحّين بالدنيا الجميلة والصِّبا — وهذا الفضاءِ السافرِ المُتَلالى

أحقٌّ عقدتِ العزمَ ؟

نتيتاس : بعد رويّةٍ — وأقنعتُ نفسى بعدَ طول نضال

وَمالىَ لا أعطِى الحَياةَ إذا دعتْ — بلادى ، حياتى للبلادِ ومالى

ستار

المنظر الثانى

«حجرة عظيمة فى قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول»
«الملك أمازيس ، هنا وهناك فى الحجرة نفر من حاشية فرعون»

رئيس الوفد : لقــد جُلتمُ فى بلدةِ العجلِ جَوْلةً
وما بَرِحتْ بالزائرينَ عُجابُ
فكيف وجدتم قــوم فرعون ؟
قباذ : أمــةٌ
إذا هىَ قيستْ بالشعوبِ عُجــابُ
لهم مثلُ ما للأُســدِ بالجنسِ عِــزَّةٌ
ضوارى الفلا عندَ الأسودِ كلابُ
هُمُ الشهْبُ والناسُ الجنادلُ والحصى
وتِبرُ الــثَّرَى والعــالَمُون تُــرَابُ
وكلُّ الذى صاغوا مِنَ الفنِّ آيةٌ
وكلُّ الذى قالوا هُدًى وصَوابُ

الرئيس : خطبْنا اليهم أَمِيس بنتَ مليكهِم

فما كان إلا الاحتقارَ جوابُ

وأشفق أهلوها وقالوا حمامةٌ

دعاها الى الوَكْرِ السحيقِ عُقابُ

[ثم يعرض ببصره رجال القصر من المصريين.]

تأمّل (قباذُ) القومَ وانظر وجوهَهم

وجوهٌ عليها للهموم سَحابُ

ألستَ تراهُم كلّما نقلوا الخُطى

لهم جيئةٌ من ريبةٍ وذهابُ

قباذ : ولكنهم ما قصّروا عن ضيافة

طعامٌ ونُزْلٌ طيِّبٌ وشرابُ

ونحرٌ فِنيقٌ بأيدى سُقاتِها لها نفحةٌ مِسكيّةٌ وحبابُ

وماذا علينا أن تضيقَ وجوهُهم

إذا لم تَضِقْ ساحٌ لهم ورحابُ

«وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقا له»
«فى ناحية أخرى من الحجرة وكان عائدا هو أيضا من المدينة»

الرجل : زفيروس؛ من أينَ ؟

زفيروس : من جولةٍ بمنفيس

الأول : كيف وجدت البلدْ ؟

وكيف احتقارُهُمُ للغريبِ إذا قام فى شأنه أو قعد
وكيف عيونُهمُ حولَهُ إذا حملته احتمالَ الرمد
زفيروس : وجدتُ وجوهًا عليها النعيمُ ودُنيَا على جانبيها الرَّغَدْ
وسُوقًا تُفضّ وسوقا تُقامُ وخلقًا يروحُ وخلقًا يفد
وشعبًا على خُطةٍ فى الحياة ونَظْمٍ به فى الشعوب انفرد
ولم أرَ مثلَ صناعاتِهم سُمُوًّا وبُعدًا على المنتقد
ولا مثلَ أخلاقهم مبلغًا من الفضل أو من خلال الرَّشَد
إذا مرَّ يافعهم فى الطريق بشيخ تنحَّى له أو سجد
الأول : تباركتِ النارُ، كلتَ المديحَ لمصرَ جُزافًا ولم تقتصد
زفيروس : أخى ما الذى أنت ناعٍ علىَّ وما قلتُ إلا الذى أعتقد

الأول [مبتسما] :
لقد سحرتْ مِصرُ الفارسىَّ ويا طالما نفثتْ فى العُقَد
ولكنْ زفيروس كيفَ الجنودُ
وكيف الحديدُ وكيف الزَّرَدْ
وهل كنتَ تلقاهُمُ فى الطريق
وتنظُرُ أظفارَهم واللِّبَدْ

زفيروس : أخى ما رأيتُ بمصرَ الجنودَ ولم يأخذِ العينَ منهم أحد
سوى فتيةٍ من جنود القصورِ وضباطِها فى الثياب الجُدُدْ

يروحون في الخُوَذ اللامعات
ويغدون في الذهب المتَّقد

الأول : إذن هو مُلكٌ بلا حائطٍ رقيق الأواسي ضعيف العَمَد
خلا الوكرُ من صرخات العُقاب
ونامت عن الغاب عين الأسَدْ
أولئك لا في حماة الديارِ ولا في العديد ولا في العُدَدْ
طواويسُ في عرصات القصورِ
تروقُ تهاويلُها من شَهِد
ولا يُعجبنك سلمٌ يرفُّ وخيرٌ يفيضُ ومالٌ لُبَدْ
وآثارُ فنٍّ تروعُ العقولَ وأجسادُ موتى تعيشُ الأبد
فما أنتَ راءٍ سوى جنّة هي الخُلْدُ أو طيفُه في الخلد
يهُبُّ عليها غدًا عاصفٌ من الفرسِ أنّى تمشّى حصَدْ

ثالث منه خلا : صدقتَ أخا الفُرسِ قلتَ الصواب
غدًا يعصفُ الفُرسُ أو بعد غَدْ

أحدهم لآخر : أعلمتم ماذا يُرَدَّدُ في القصـــرِ وماذا يقالُ همسًا ووحْيا

الثاني : ما يقولون هاتِ قل

آخر : كيف صدتَ السرَّ في القصر كيف صدتَ النَّجِيَّا
هاتِ قل ما بأرض مصرَ عجيبٌ
مصرُ دنيا وسائرُ الأرض دُنيا

الأول : هم يقولون إن بنتَ أمازِيـ
سَ عروسَ المليك تأبَى المُضيّا

الثاني : هازلٌ أنتَ ؟

الأول : بل سمعتُ حديثًا إن يكُن مُفتَرًى فماذا عليّا؟

آخر : إنه يَهْذِى دعوهُ كاذبٌ لا تسمعوه
ما الذى زخرف

الثالث : ألق كذبةَ الأجيال فوهُ
يزعم المَلْكةَ نفريت ابنةَ الملكِ أمازِسْ
ترفُضُ السيرَ مع الوفدِ إلى أقطارِ فارسْ

آخر : ما خطبُه ما يدَّعى إمض بنا لا تسمع
يقول فرعونُ مِصرا لم يرض قمبيز صِهرا

الثاني : مَنْ أمازيس ما الأميرةُ ما مصـ
رُ أفى الأرض من بقمبيزَ يهزا

آخر : أهذا خبرٌ يُروى غبيٌّ أنتَ واللّـ
ـهِ أتحتَ القبةِ الزرقاءِ من يسخرُ بالشاهِ

الأول : اعزبوا ما لكم ولى قللوا الشتمَ والسَّخَرْ
ما الذى قد أتيتُه؟ ناقلُ الكفرِ ما كفر!
خبرٌ قيل قد يصحُّ وقد يكذبُ الخبرْ

أحدهم : يا صحبُ كيف تُرى تقضون ليلكمُ
وكيف نومكمُ فى هـذه الدار

آخـر : أمّا أنا فإذا استلقيتُ طوّفَ بى
شتّى الخيالاتِ من سحرٍ وسحّارِ
وأنت ؟

الأوّل : يغشى الكرى عينى فيصرفُهُ
عنها خيـالُ تمـاسيحٍ وأثوار
من التّوابيتِ حولى كلُّ منتقلٍ
بغـير رجـلٍ ولا ساقـيْنِ دوّار
يُجيلُ من خلفِها الأمواتُ أعينَهم
كأنها فى الدُّجَى أحداقُ أنمـارِ
ولا تزال بىَ الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بألغازٍ وأسرارِ

آخـر : أمّا أنا فإذا ما جئتُ مُضطجعى
عوّذتُ نفسىَ قبـلَ النوم بالنارِ
فلا يطوفُ من الأرواح بى شَبَحٌ
من خَيّرينَ وإن جلّوا وأشرار

آخـر : هيّا اسمعوا ماذا رأيتُ أمسِ

آخـر : ما ذاك ؟

الأوّل : صَـهْ تكلّـموا بهمسِ

رأيتُ عصفوراً برأسِ إنسِ أقبلَ حتى صار عند رأسي
فما ملكتُ عندَ ذاك حسِّي

آخـر : ثُمَّ ؟

الأول : صحـوتُ فوجدتُ نفسِي منطرحا أغط فوق كرسي

آخـر : وأنا

ثان : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعجَبا مما رأى صاحبكُم وأغربا
رأيتُ آبيسَ أتى مضاجعي فهـزَّها بقـرنهِ وقلّبَا
ثم رأيتُ

الثاني : ما رأيتَ ؟

الأول : حـدقا تقلّبَتْ فى الليل تحكي اللّهبا

آخـر : ثُمَّ ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارسٌ ؟ قلتُ نعم فقال لي لا مرحباً

آخر فى دهشة : يا عجبا . العجلُ قـد كلّمـه يـا عجـبـا

[يدخل تاسو حارس فرعون] :

تاسو : أيّها الوفـدُ سلامٌ لكُمُ بنتُ فرعونَ ستأتي بعدَ حينْ
تتلقّاكم بمـا يَزكُـو بكم من تحايا وتجيبُ الخاطبينْ

رئيس الوفد : أيهـا السّـيد تاسـو أدنُ منـا مرحبا بِكْ
غبتَ عنا زمنّا حتـى اغتممْنَا لغيابِكْ

لم تَسَلْ عنا ولم تبْعثْ رسولاً من صِحابِكْ

تاسو : يا كبير الوفد هذا العطفُ قد أثّر فِيّا
أنتَ لا تجهلُ مِن أنظمةِ الدِّيوانِ شيّا
شرَفُ الخدمةِ لا يجعلُ وفتى بيديّا

فارسى [لآخر بصوت منخفض] :
تاسُو ؟ ! ومن تاسُو؟

الآخر : فتًى في القصرِ مرموقٌ جميلْ
ندْمانُ فرعونٍ وصاحبُه وحارسُه النبيلْ
ويَميلُ فرعونٌ إليْه وبنتُه أيضًا تَميلْ

[حارسان يدخلان فيصيح أحدهما] :

الأول : الملكُ فرعونُ سارعْ
الثانى يردّد : الملكُ فرعونُ سارعْ

« يدخل الملك والأميرة نتيتاس وكبار الكهنة »
« المصريين فيجلس الملك والأميرة ويقف تاسو »
« وراء الملك » فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركاتُ السماءِ فرعونَ مصرَا
وسلامٌ من عاهلِ الأرضِ كِسرى
رُسلُ قمبيزَ نحن لم نألُ إحسا
نَكَ يومًا ولا اهتمامَك شكرَا

قـد خطبْنَـا إليـكَ زنبقَـةَ الوا
دِى وأعْلَى عقـائِلِ النيـلِ قـدرَا
نحمِـلُ الشامَ إن أردتَ صـداقًا
ونسوقُ العراقَ إن شئت مَهْـرَا
ونُزَجّى الكنُوزَ من قيِّـم اليـا
قـوتِ والـدُّرّ والزُّمُـرّدِ تـترَى
إنهـا فارسٌ وإنـا لنرجـو
أن سـترْضَى بهـا حليفًا وصِـهْرَا

فرعون أمازيس [إلى تاسو] :

قُـمْ أجِبْ عنِّىَ الدهاقينَ تاسُـو

تاسـو : سيدى من أكونُ! مولاىَ، عُذْرا

نتيتاس : أبتِى أعْفِـهِ

ثم إلى تاسو: مكانكَ تاسُـو أنا بالفصل فى مصيرىَ أحْرَى

نتيتاس [إلى الوفد الفارسى] :

مرحبًـا وفـدَ فارسٍ رسُـلَ قمبيزَ مرحبَـا
قـد تأخـرتُ عنكم وأطـلتُ التحجُّبَـا
ونَهَـانى مُطَبِّـبى فسـمعت المطبِّـبَا
خبَّأونى لـوَعْكَـةٍ ومن الـبردِ يُخْتَبَـا
لم يرَ النـاسُ صاحبًـا كـالعَـوافى مُحَبَّـبَا

رئيس الوفد: اشكرى الله يا ابنتى واذكرى فضل ما حبا
كم سألنا بجاهنا بالذى طمّاح النبا

أمازيس [إلى تاسو بصوت منخفض]:
ما لها تاسُ أطنبتْ ولذا الشيخ أطنبا
تركا خطبةَ الزوا ج وقاما ليخطُبا

نتيتاس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما]:
ما الذى ساء والدى من كلامى وأغضبا
ما لفرعونَ ساخطًا ولتاسو مُقطِّبا

فرعون [بصوت منخفض]:
اجعلى القصد يا ابنتى لك فى القول مذهبا

نتيتاس الوفد: قد دعوتم أبى لما يرفعُ البنتَ والأبا
إن فرعونَ كوكبٌ صاهرَ اليومَ كوكبا
اذكروا لى مُقامكم أترى كان طيبا
أيها الوفدُ قلّما صاهرتْ مصرُ أجنبا
مرحبًا وفدَ فارسٍ

الملك [بصوت منخفض]: شبعَ الوفدُ مرحبا

نتيتاس: أنا إن عشتُ شِدتُ للـنـارِ بيتًا مطنّبا
فى عيونِ الوهادِ مِنْ فارسٍ أو على الرُّبا
كلما لاحَ ضوؤه هزّتِ الأرضُ منكبا

رئيس الوفد: هلُمّى باركى يا نارُ على بنتِ الفراعين

وَيا فارسُ هاتوا الغـارْ   وجيئـوا بالرياحيـن
وحيُّـوا زوجةَ الجبّـارْ   على كل السلاطين

[ويثر الفرس الرياحين على الأميرة نتيتاس وهم يتغنون]

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قـم شاركْ   فرعونَ فى العُرسِ
تعـالَ طُـف باركْ   فى ملكةِ الفُـرس

*
* *

نَـحِّ الشـياطينَ   وانـفِ العـفـاريتَ
واحـرسْ بعينيْـك   موكبَ نفـريتَ

*
* *

آمونُ هيَّ اشـترك   فى عُرسِ بنتِ الملـك
وقُـم اليهـا كلِّلِ   بـراحتيْـكَ راسَـهـا
واشـهد بمصرَ واجتلِ   بفـارسٍ أعراسَهـا

ســتــار

المنظر الثالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الألوان المصنوعة من ورق »
« البردى وأغصان الزيتـون ، وصففت الأزهار ... والرياحين هنا »
« وهناك . وفى ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة ، »
« والعود ، والناى ، والدف . يموج المكان بأعضاء الوفد الفارسى »
« فى ملابسهم الفارسـية الفاخرة وبرجال الحاشـية وخدم القصر من »
« الحرس والكهنة كبارهم وصغارهم وفتيان النوبيين ، وقد وقف قهرمان »
« القصر يصرف الوصفاء والنـدل ويسخرهم فى شؤون الوليمة . وقد »
« مدّت الموائد الفخمة وجعلت عليها ألوان الطعام المختلفة من خراف »
« مشوية وباردة وبط صيد ، ومن سمك النيل ، ومن الحلوى بأنواعها ، »
« وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضـة »
« المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المـائدة فرعون أمازيس وبجانبيه »
« وأمامه كبار رجال الوفد الفارسى وعظماء رجال الكهنوت والدولة . »
« وينتشر الآخرون على جنبات المـائدة يتحادثون جماعات جمـاعات »

فارسى [لصاحبه] :

فيروزُ . أنظر ترى الخرافا   حُمرًا لطافًا على الخوان
ذا سمكُ النيل فى الأوانِى   كأنه مِعصَمُ الغـوانى
وأعينٌ تلك فى جُفـونٍ   أم ذلك البطُّ فى الجفانِ

فيروز : ذكرتَ كلًّا ولم تُرحِّبْ بخمر ساموسَ فى الدِّنانِ
وخمرِ فينيقيا المصفَّى كأنه ريقةُ الحسانِ
فيروز : وخمرِ مصيرفى قصيرفرعو ن
ثالث : تلك مجهولةُ المكانِ
الأول : فيروزُ ، دَعْنى خلِّنى الخمرُ ليستْ دَيْدَنِى
من خمرِ آثينا وسا موسَ ومصرَ أغْننى
الأكلُ يا فيروزُ شغـ ـلى وبه تفنُّنى
تشربُ والبطنُ خلِى ! يالَكَ من مُغفَّلِ !
كُلْ هَنِيْءً فيروزُ كُلِ
هذا الخوان قد كَمَلْ من كل جانبٍ حَمَلْ
هذا شوى هذا قَلِى
والبَط فى الأَطباقِ يطبَط فى الرقاقِ
من رأسهِ للأرجلِ
ثالث : وهذه الإوَزُّ رجْراجَةٌ تهتَزُّ
قد طُيِّبت بالتابلِ

فيروز [للأول] :
أخى كلانا قد صدَقْ فما لنا لا نتَّفِقْ
آكلُ ماتأكلُ من طعامِ ونحتسى معًا من المُدام
الثالث : هذا لعمرى مُحكَمُ الكلامِ

فرعون [الى رئيس الوفد] :

سيدى لو تقولُ لى كيفَ قمبيزُ والقدحْ

الرئيس : إن قمبيزَ سيدى ملكٌ كله مَرَحْ

ليس تخلُو قصورُه من سرورٍ ومن فرَحْ

فارسى آخر : لكن له شُغلٌ عن الـخمرِ بطُولِ غزوتهْ

فرعون : أينَ تُرى يشربُها

الفارسى : يشربها فى خوذته

كعبده ابنِ أمتِه

« ويخلع الفارسى خوذته ويصب فيها خمرا ويشرب »

« بعض صغار رجال الوفد الفارسى يتحادثون فيما بينهم »

أحدهم :

ليتَ شعرى فلستُ أدرى الى أىّ . بلاءٍ قمبيزُ يدفعُ فارسْ

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً وملكناه من عُبابٍ ويابسْ

اتسعنا من الفتوح

آخر : يقيناً غيرَ أنا لم نفتكر بالحارسْ

خَلِّ «مانى» عنك السياسة دَعْهَا

خَلِّ عنك الفضولَ خَلِّ الوساوسْ

إن شرقَ البلاد ضيعةُ قمبيـزَ وغربَ البلادِ حقلُ أمازسْ

سائسُ العالمين أسعدُ منه رجلٌ للحمار والبغل سائسْ

ثالث : انظر الحفلَ « بهارٌ » استخفّته الكؤوسْ

رابع : وفدُ قمبيزَ وهذا ... ملكُ مصرٍ آمزيسْ
ذهبُ الأرضِ عليهم ... غَرِقَتْ فيه الطقوسْ
ساسةُ الدنيا وكلٌّ ... غيرَهم فيها مَسوسْ

الثانى : خَلِّنا باللهِ من سا ... سَ ودعْنا مِن يسوس
لمْ تَظلَّ الدهرَ مَرْءو ... سِينَ والغيرُ الرئيس
لِمَ « مانى » لا أنا رذْ ... لٌ ولا أنتَ خسيس

الأوّل: كلُّ ما أعجبَ كسرَى ... فهو فى الفُرسِ نفيسْ
كلَّ حينٍ حاكمٌ يمـ ... ـشى علينا ويدوس
هكذا يختلفُ الحـ ... ـظُّ سعودٌ ونُحُوس
إنَّ بعضَ الناسِ أذنا ... بٌ لبعضٍ هُمْ رؤوس
منزِلُ الأُسدِ الصحارَى ... وعلى المرْعَى التيوس

الأوّل : لِمَ يا « مانى » يسُودُو ... نَ ونبقى لا نسود
ونُقادُ الدهرَ والآخـ ... ـرُ يا « مانى » يقود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا ... عاجزُ الرأيِ بليد
هذه الدنيا لِمَنْ ... يُقدِمُ فيها أو يُرِيد
سنّةُ الكونِ وما ... عن سنّةِ الكونِ تَحِيد

آخر : أنا يا « مانى » طموحٌ ... أنا لا أكتُمُ عنكَا
أنا فى الدنيا وفى زيـ ... ـنتِها أرغبُ منكَا
أنا أهوَى سعةَ العيـ ... ـشِ ولا أرضاهُ ضَنْكَا

الأول : إرضَ بما كان وما يكونُ أو فانْفَلِق
وهيّ نشربْ قَدَحَيْنِ أو فَهيّ انطلِق
أحدهم : ألقَدَحَا . ألقَدَحا الخمرُ تنفى التَّرَحا
قصرًا أرى أم فَلَكًا وشجرًا أم قُزَحا (١)
وغادةً تسق أمِ الظَّبْيَةَ أم شمس الضحى
وخوذا على رؤو س فارسٍ أم الرَّحَى
ألقَدَحَا . القَدَحا هاتوا الشعاعَ المُفرِحا
هاتِ السّنا هاتِ القَبَسْ هاتِ الشَّذا هاتِ النَّفَسْ
هاتِ سراجَ المهرجا ن هاتِ شمعةَ العُرُسْ
هاتِ ابنةَ الشعاعِ والظلِّ ابنةَ العَذْبِ السّلِسْ

أحدهم [لرئيس الوفد] :

مولاى ألقِ السمعَ وابعثِ النَّظَرْ
ما ذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهارًا » قد سَكِرْ
الأول : فتاكَ غنَّى وفتاىَ قد شَعَرْ

الرئيس : وما الذى ضَرّ ؟
الأول : صدقتَ لا ضَرَرْ

---

(١) قوس قزح

الرئيس : ونحن ما نصنع ؟

الأول : شُرب وسمر

الرئيس : ونحن أيضاً بَشَرٌ وهُم بشر
فليشربوا من هاهنا إلى السَّحَرْ

أحد الشبان : رئيسَ الوفدِ لا زلتَ لما يرفعُ تُختارُ
ولا ساواكَ دهقانٌ ولا داناكَ أسوارُ
وغالَى بكَ قمبيزُ وحلّت جسمَكَ النَّارُ

« يدخل وصيف من وصفاء القصر و بيده مومياء من الذهب »
« يعرضها على الضيفان ، ووراءه رجل يقول و يكرر ... »

المُوميا طُوفُوا بها واتعظوا بخطبها
لا تسألوا ما هي مَنْ ؟ نكرها طولُ الزّمنْ
هيَّا كلوا هيَّا اشربوا هيَّا اسمعوا هيَّا اطربُوا
تمتَّعوا بالفانيهْ قبلَ الحياة الثانيهْ
خذوا المُدامَ الصَّافِيهْ قبلَ انكسارِ الآنيهْ

فارسي لآخر : خورشيدُ هذا هو البلاءُ كلُّ أحاديثِهم فناء

خورشيد : روايةُ الموت حيث راحوا وقصةُ الموت حيث جاءُوا

[يقترب تاسو من نتيتاس فى ناحية أخرى من البهو و يقول]

تاسو : نتيتاسُ ألا كاسٌ ألا شكوى ألا عتْبُ
أيُنْسى فى سُويعاتٍ ويُطوى ذلكَ الحُبُّ

نتيتاس : دع الحبَّ فلم يُخلق له من لا له قلبُ

تاسو : وما ذنبي ؟

نتيتاس : لقد أحسنتَ لكن لى أنا الذنبُ

أنا أحبَبْتُ عابثًا سادرَ القلب جافيا
يَعشَقُ الجاهَ والغِنَى لا يحبُّ الغوانيا

[مستمرة] :

أنتَ كالنّعمةِ من قصرٍ لقصرِ
أنت كالنّحلةِ من زَهرٍ لزَهرِ

[مستمرة] :

باعَدَت الأخلاقُ ما بيننا أينَ أخُو العهدِ من الناكثِ
لعبتَ بى فيما مَضَى عابثًا
فالعبْ بغيرى اليومَ كالعابثِ
أقسمْتَ لى فاذهب فأقسم لها
فأنتَ أهلُ القسمِ الحانثِ
أحببْتَ بنتَ الحىّ حتى قضَى واليومَ أحببْتَ ابنةَ الوارثِ
كم مجلسٍ كان لنا ثالثٌ فيه وقد تَعْمَى عن الثالثِ

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيتاس : الحبُّ يا مدّعِى والحبُّ حربُ الظالمِ العائثِ

[يعرض عنها تاسو ويبتعد]

نتيتاس [لنفسها] :

مضى الغادرُ لم يَشْعُرْ بما حمّلَنى الغدرُ
ولا رَق له نابٌ على جُرحى ولا ظفرُ
تكلمتُ فلم يسمع وأنّى يسمعُ الصخرُ

لقد غامرتُ فى تاسو — وتاسو فى الهوى غمرُ
كم استشفيت بالسِّحْر — فما عافانِىَ السِّحرُ
وكم ناديْتُ آبائى — فما لبَّانِىَ النَّصرُ
وكم جئتُ إلى الصَّبرِ — فما آوانِىَ الصّبرُ
جزاءُ المُغرِضِ التَّيَّا — ه منك الصدُّ والكِبرُ
هَبِيهِ نبأت الدارُ — به أو نزحَ القبرُ
هَبِى معرفَةَ الغادِ — رِ لم يأْت بها الدهرُ
أقلِّى شُغُلَ الفكرِ — فقد أتعبَك الفكرُ
هَبِيهِ جزّت السِّنُّ — عليه ومشى العُمُرُ
فلم يَبْقَ له نَهْىٌ — على الغِيدِ ولا أمْرُ
ولم يبق له فى البَا — لِ تمثالٌ ولا ذِكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهى متنكرة فى زى »
« يونانى و يقول لرجل بجانبه ... ... »

المدعو : مَن المرأة ؟

الآخر : مَنْ ؟

الأول : تلكَ — تَرَاها مثلَ طاوُس
تَرَاها مع كاليَاس

الثانى : ومَنْ ؟

الأول : وارِث فانيس
أميرالجيش فى مَنْف — وأسوانَ وسايِيس

الثانى : أجلْ تلكَ التى تظهــــرُ فى أغربِ ملبوسِ
فهــذا الوجــهُ مصرىٌّ وهــذا الــزِّى سامُوسى

[رجل فارسى لآخر يدعى قباذ] :

الرجل : انظـر قبـاذُ ما ترَى ؟

قباذ : أحسنَ شيءٍ منظـرَا
حمامــةٌ تُطـارِحُ الـشـجوَ حماماً ذَكرَا
يا ليـتَ أذنى سمِعَتْ منَ الحديث ما جرَى

الأول : دعنِى من ذِكرِ الهوَى إننِى مُذْ كنتُ لم أعشقْ ولم أُعشَقِ

قباذ [فى تهكم] :

وأنتَ كالناسِ امرؤٌ عائِشٌ تلك لعمرِى عيشةُ الأحمقِ

الأول : قبــاذ قــد عرفتُــه ذلك تاســو الحـارسُ

قباذ : الحمــد لله علـى أنْ لم تحزهُ فارسُ
إذنْ لهـامَتْ كاعِبٌ بحبِّــــه وعانِسُ

[تاسو يقترب من نفريت] :

نفريت : تاسو هنا ؟ هاتِ اسقنا

تاسو : لبَّيْــكِ يا ذاتَ البهاءْ لبَّيْـكِ يا بنـتَ السماءْ
يا ليتـنِي كنتُ الرَّحيــــق وليتنِي كنتُ الإناءْ

[وينا ولها قدحا] :

نفريت : تاسُ ، مِنْ أينَ ومَنْ كنتَ من الغيد تُحدِّثْ؟

تاسو : كنتُ أُجامِلُ الضيو فَ وأُلَبِّي الملِكا

فعارضتني نيتا سُ في خلالٍ ذَلِكا

نفريت : وما الذى قلتَ لها تاسُ وما قالت لكا

تاسو : عادَت لذكرِ حبِّنا القديم وعَطفَتْ على الهوى الذَّميم

وطالَ العتابُ

نفريت : وطالَ السِّبابُ

تاسو : بحق الحبِّ نفريتُ أقِلِّي الشُّغلَ بالأُخرَى

ولا تُلقِي لناتيتا سَ لا بالًا ولا فكرا

غدًا تخلُو لنا مِصرُ غدًا يصفُو لنا القصرُ

غدًا ترحلُ لا أرجَعُها البرُّ ولا البحرُ

نفريت : مالكَ تاسُو ولها خَلِّ الفتاةَ خَلِّها

للّهِ ما أعظَمها عِندى وما أجَلَّها

قد أظهرَتْ أمسِ أمامِى فضلَها ونُبْلَها

تاسو : ما فعلَتْ ؟

نفريت : ما أنتَ مَنْ؟ يَقدُرُ تاسُ فعلَها

ألم تصبِر عن الوطنِ المُفَدَّى وتسمحْ بالدّيارِ و بالشبابِ

وترضَ بأن تُزَفَّ غدًا مكانِى إلى النمرِ الأميرِ على الذئابِ

تاسو : صهِ نفريتُ صهْ لا يسمعونا فتلقَى مِصرُ أنواعَ العذابِ

« فى ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان »
« صديقهما خوفو يقبل عليهما ثم القائد كالياس ... ... »

منا : أنظر أحامسُ

أحامس : ماذا؟

منا : فرعونَ بينَ صحابِهْ

أحامس : وما تَرَى من عجيبٍ؟ ماذا بفرعونَ ما بِه

منا : أنظر تجده إلهًا في عبقريّ ثيابِه

أحامس : لا تُلقِ بالًا إليه ولا إلى أذنابِه
غدًا يَصبُّ عليهم قمبيزُ سَوْطَ عذابِه

منا : أحامس ، استغفر لما قلته فالُ الشياطين ولا فالُكْ

أحامس : قد كنتَ مثلى يا منا ساخطا تلعنُ فرعون فما بالُكْ

[ثم مستمرًا] :
تأمَّلِ القصرَ مِنَا وانظره أرضًا وسَمَا
أنظر ترى الإغريق فيه هُمْ لفيفُ العُظَما
أنظر تجدهم كُلّهُمْ يلقّونَ العجما

منا : ماذا على فرعونَ إنْ رعاهمُ وقدّما
أليس للضيفِ على ضائفه أن يُكرَمَا

أحامس : وصاحبُ الدارِ إذنْ يموتُ جوعًا وظَمَا
وصاحبُ الدار إذنْ لا يتعدّى السُّلمَا

خوفو : ماذا أثار الصاحبيْن لِمْ وفيمَ اختصَما

أحامس : كنْ مُنْصفًا إنْ رُمتَ يا خـوفـو تكون الحـَكَما
تأمـَّلْ القصرَ خـوفو أفيـهِ من مصـرَ شيٌّ
أليَس فرعونُ فيـه كـأنَّـه أجنـبيٌّ
فأينَ حفـارُ مصرٍ وفنّـه العبـقـرىٌّ
والجيشُ خوفو

خـوفو : خـذ الحِذْ رَ يامِنَا يا أحامِسْ
كاليـاسُ آتٍ إلينـا

منـا : ومَنْ ؟

خـوفو : خليفة فانِسْ

أحامس : اليـومَ كالياسُ وأمسِ فانِسُ
احتـكرَ القيـادةَ الأبالِسُ

[ويقبل عليهم كالياس]

فرعون أمازيس [لتاسو] :

أينَ أقزامىَ ؟ إمضِ جِىءْ بأقـزامِىَ تاسُ

[يدخل الأقزام فى أزياء المهرجين ، فيقولون] :

تحيّـاتٌ لفـرعونَ سلامُ الشمسِ للملكِ
سـلامٌ قائدَ الخيْلِ سـلامٌ حامِىَ الفُلْكِ

قهرمان القصر [للأقزام] :

هلمُّوا رقصـةَ الحورِ إذا طُفْن بهـاتُورِ
سمـاءُ العـزِّ والنُّـورِ

أحد الأقزام : نحنُ القُزمُ أنصافُ ناسْ
ناسٌ وبالشِّبرِ تُقَاسْ

ثان : نحنُ الدمَى واللُّعَبْ بنا يتمُّ الطَّرَبْ

ثالث : هلُمُّوا رقصةَ الموتَى من الكهفِ إلى الكهْفِ
ودُورُوا كالتماثيل من الرفِّ إلى الرَّفِّ

آخر : ثِبي جُثث على الجَدث ثِبي ثِبي
حَبْوَ الصّغارْ على اليدِ والرُّكبِ
هيّا قِفي هيّا ازحَفِي هيّا العبي
هنا الطعامْ هيَّا كُلِي هنا الشَّرابْ هيَّا اشْرَبِي

آخر : تعالَ يا دهقانْ أرْقُصْ معي
وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطلعِ
واقتَبسا الأنوار من سارَعِ

الجميع : عِشْ يا ملك مع الزَّمَنْ
مُطَوِّقًا مِصرَ المِنَنْ
وذائدًا عن الوطَنْ

[ثم يكررون عش يا ملك وينصرفون]

فرعون أمازيس [إلى وجهاء الفرس] :

ياوُجهاءَ الفرس قالوا لكم مصرُ بلادُ السّحرِ والسّاحرِ
فربُّما سرَّكُم أنّني أجيئُكُم بالساحرِ القادرِ

وينادى : حوتيب

حوتيب : لبيكَ سارعْ

فرعون : تعالَ لَهُ الضيوفَا

حوتيب : سادتى إنى فى الكف وفى الجبهةِ أقرا

أنا أقرا لك حظًّا أنا أقرا لكَ عُمرَا

أنا الذى بسحرىَ المبينِ أستطلعُ المكتوبَ فى الجبين

فرعون [إلى تاسو] :

تاسُو اقتربْ

تاسو : لبيّكَ يا ساراعِ

فرعون : لِمْ أجلبُوا ما خَطْبُهم ما الدّاعى

[ضجة وهمس]

فرعون [مستمرا]:

وفيمَ هذا الهمْسُ والتداعى

تاسو : مولاىَ إن الوفْدَ فى ارتياعِ

تاسو [فى أذن الملك] :

انقلبتْ عصيُّهم أفاعِى

فرعون: يا لحتيْبَ من فتًى صناعِ

رئيس الوفد :

للّـه درُّ الساحرِ هذا من العباقرِ

حوتيب : أناةً وفدَ فارسَ لا تُراعُوا ولا تُحصُوا دُعاباتِى عليَّا

خُذُوا قضبانَكم وتأمّلُوها لقد عادتْ كما كانتْ عِصيًّا

فرعون : حوتيبُ قد سرَّ ضيو فى أن يروْا ويسمعوا

فزدهُمُ فعندك السحرُ الغريبُ الممتعُ

حوتيب : فرعون هذا شرفٌ يطيرُ بى ويرفعُ
أصنعُ ما كان ددَا الساحرُ قبلى يصنعُ

فرعون : وما الذى تصنعُ؟

حوتيب : جيئونى برأسٍ يقطعُ
فإننى أردُّه بجسمه وأُرجعُ
فمَنْ من الوفد برأ سه إلىّ يَدفعُ

رئيس الوفد [لرجاله] :

هل منكمُ يا معشرَ الفرسِ بَطلْ
عن رأسه لساحرِ النيل نَزَلْ

حوتيب : هاتوا الرءوس لا يخافنَّ أحدْ
فكلُّ رأسٍ سيُرَدُّ للجسدْ

أحدهم : رأسىَ غيرُ هيِّنِ

ثان : رأسى عمودُ بدنى

ثالث : رأسى لدىَّ غالى رأسىَ كلُّ مالى

فرعون : حوتيبُ ما من أحدِ هان عليه رأسُهُ
أنظر إليهم . كلهم عزّتْ عليه نفسُه .
خلِّ حُتيْبُ الناسَ واختَرْ غيرَهم للتجربه

حوتيب : مُرْهمْ إذن أن يُحضروا إوزَّةً أو أرنبه

فرعون [لتاسو] :

امضِ تاسو جئ حُتَيْبًا بإوزٍّ وأرَانب

«يخرج تاسو ثم يعود بيضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة»
«ويقول : شال هبد شال هبد لايعجز السحر أحد يا رأس عد الى الجسد»

الفرس : تعالتْ قدرةُ النارِ

المصريون : تعالَ الربُّ آمونُ

فرعون : هيّ حتيبُ امشِ مابينَ الصُّفُوف

وطالِع الجبْهاتِ واقرأ الكُفوف

حوتيب : برأسِ مَنْ أبدأُ مُرْنِيَ يا سارِعْ

فرعون [مبتسما وملتفتا لتاسو] :

برأسِ تاسُو إقرَا في جبينِه

وبيِّن المحجوبَ من شئُونِه

حوتيب [وهو يتأمل جبين تاسو] :

هــذا فتًى باطنُه جمادُ

ليس وراءَ رأسِه فؤادُ

رأسٌ عليه وَقف الجلّادُ

تاسو : إخسَأْ كذبتَ وضلَّ سحْرُكْ

فرعون : ورأسي ياحُتيب ألا تراهُ؟

حوتيب : جَبينُكَ أعفَى مولايَ منه

فرعون : تعالَ حُتيب

حوتيب : لا . هذا شديدٌ جبينُ الشمسِ تنبو العينُ عنه

يا عجبا ماذا أرى؟

فرعون : ماذا ترَى

حوتيب : دمٌ جرَى

فرعون : دَمِى أنا ؟

حوتيب : لا سيدى عُوفيتَ بل دَمُ الورَى

تاسو : إذن ليجر كالمطر ما هَمَّنا دَمُ البَشَر

إذا سلِمْتَ يا ملِكْ فليَهْلِكَنَّ مَن هلَكْ

كاهن لآخر [بصوت منخفض] :

إنّ هذا الغلامَ فيه قساوهْ

الآخر : قلتَ حقًّا وفيه أيضًا غباوَه

فرعون : وبعدُ ماذا ؟

حوتيب : حربٌ عوانُ يَشيبُ من هَوْلِها الزمانُ

فرعون : وهل أكونُ يا حُتيْبُ فيها

حوتيب : سِواكَ يا مولاىَ يَصْطَلِيها

فرعون : وابْنِى بسامًا يا حُتيبُ ما ترَى ؟

هل يَشهدُ الحربَ وهل يراها

حوتيب : سيدى ليتَ الأميرَ حاضرٌ أنا لا أقرأُ إلا فى الجبين

[قهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول] :

القهرمانة : قُمْنَ إلى اللهو يا عذارَى وخُذْنَ صنْجًا وخُذْنَ دُفّا

واهتِفْنَ بالشّعرِ والأغانى واقطعْنَ ليلَ الشبابِ قصفَا

+ + +

وأنشِدْنَ مع القومِ نشيدَ الملكِ العالى

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب]

النشيد : فرعونُ أنتَ الرَّفيعُ أنتَ العظيمُ الشّانِ

وأنتَ سدٌّ منيعُ من جارفِ الفيضانِ

+ + +

وأنتَ كالصّخرِ تحمِى من نكباتِ العواصفْ

مِن قاطعِ الطرقِ يأوِى إلى حِماكَ الخائفْ

+ + +

وأنتَ من صخرِ طيبه حِصنٌ مشيدُ الجدارِ

يُؤوَى إليكَ ويُلْجَا إلى طلوعِ النهارِ

+ + +

أنت اخضرارُ الرِّيفِ وأنتَ حُسنُ الرَّفيفِ

تـرُدُّ بطشَ القـوىِّ وفتكَهُ بالضعيفِ

« فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق »

« المدعون على إثره ولا يبقى إلا نتيتاس »

نتيتاس [لنفسها] :

أفيقِى بنتَ فرعونٍ فما يَزْكُو بكِ السّكْرُ

غـدًا تَذْرُو رياحُ الفر ... سِ من موتاكِ ما تذرُو
غدًا يُصبَغُ من شَطٍّ ... لشطٍّ بالـدَّمِ النهـرُ
غـدًا يُهتَـكُ عن أربا ... بِكِ المحـرابُ والستْرُ
فما تاسو وفتيانٌ ... كتَاسُـو فى الحِمى كثرُ
هـم النّحلُ وإن هابُوا ... لقـائى وأنا الـزهرُ
يموجون بساحاتى ... ويزْهو بهـمُ القصـرُ
ولكن بين جنبيَّ ... هوًى أولَى به مِصـرُ

ســتـار

الفصل الثانى

فى مدينة سوس الفارسية

« فى حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد »
« من الحرير المختلف الألوان، وقد زينت زواياها بالرياحين »
« الكريمة ، الملكة ووصيفتها تى فى الحجرة المذكورة ... ... »

الوصيفة تى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تباركَ الذى خلقْ أقولها ولا ملقْ
ذوائبٌ أمِ الدُّجَى ومفرِقٌ أم الفَلق ؟
غدائرٌ فى الكتفين أُسْدِلتْ وفى العُنُق
كأنها من الحرير الأسود الخيط شُقَق
لم يَخلُ جوُّ فارسٍ مُذ ضَمَّها من العبق

الملكة : ما تصنعين ياتِي

تى : أُصلحُ مولاتى

الملكة : لِمَنْ ؟

تى : للزوج يا سيدتى

الملكة : لنِمِر الفَرس الخشِنْ

تتى : هَبيـه ذئبًا مَلْكتى أو نِمرًا أو كَركَدن
أليسَ للأزواج تلبَسُ النساءُ ما حَسُنْ

الملكة [ملتفتة إلى وصيفتها تتى] :

قلتِ حقا تتى فإن على المرأة للزوج أن تكون أمينه
وعليها ألا تُقَصِّرَ بشرًا حيث تلقاه أو تُقَصِّرَ زينَه

تتى الوصيفة : بل تحلىّ مليكتي والبَسِى حُلَّةَ البهاءْ
وافتِنِى مَن بفارسٍ من رجالٍ ومن نساءْ
إن كسرَى وقومَه كلّهم فى الهوى سواءْ
أنتِ كالشمسِ فى الضحى فانشرى الحُسنَ والضياءْ
لا على القصرِ وحدَه بل على الأرضِ والسماءْ

الملكة : يا لكِ من وصيفةٍ مُمَلِّقَهْ
عارفةٍ بالجُمَلِ المُنَمَّقَهْ

الوصيفة : لقد وضعتُ ذهبًا فى البوتقَه
ولم أصف بالطيب إلا زَنبقَه
وقلتُ عن شمس النهارِ

الملكة : مُشرِقَه

« و يظهر على الملكة التفكير واشتغال البال بغتة »
« ثم تتغنى فى نفسها وهى مقبلة على المرآة تنظر فيها »

الملكة [في نفسها] :

يا ظالمًا أحبُّـــه جهد الهوى وإن غدرْ
ومن هجرتُ وطني لأجله حين هجرْ
قلبُـكَ لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حَجَرْ
لم يتنصّلْ مرةً مما جنى ولا اعتذرْ
جسمٌ كسلسالِ الصَّفا على فؤادٍ كالصّخرْ
وزَهَرٌ أنتَ وتلـــك النفسُ أفعى في الزَّهَرْ
لم تجن يا تاسُو علــىَّ إنما جنَى القَدَرْ
ذنبك لا يُغْفَر إلا أن قلبي قد غفَرْ
إن غبتَ عن عيني فأنـــتَ في سوانح الفِكَرْ
أراك كلما رأيـــتُ طائريْنِ في الشجَرْ
وكلما بدَتْ لىَ الشمسُ ولاح لى القمرْ
وكلما جئتُ الريا ضَ ووقفتُ بالغُدُرْ
وكلما ترنَّم الشَّادى وحرَّكَ الوتَرْ
وكلما دبَّتْ ورا ءَ الليل نسمةُ السَّحَرْ
ياليتَ شعرى كيفَ أنـــتَ ما تجيءُ ما تذَرْ
وكيف حُبك الجديـــدُ هل خَبا وهل كَبِرْ
وهل وَفيتَ أم غدر تَ بالعشيقات الأُخَرْ

الوصيفة : دَعِي النـاسيَ مولاتى وخلّيك من السّـالِي
ولا يخطُـرْ لكِ النّـاكـثُ للعهـد عـلى بالِ

نتيتاس : هبيـه ياتتَـا خانَ فمـالى لا أفى مـالِي
لـه خُلقٌ ولى خُلقٌ ولكنْ خُلُقِيَ العـالى

تـتى : هـوَ يا ملكتى مثـا لُ ولكنْ منَ الوَحَـلْ
كان يكفى لبُغضِهِ بعضُ ذاك الذى فعَـلْ

نتيتاس : أنا أفـديهِ ياتتَـا بحيـاتى وإن قتَـلْ

تـتى : لـو كان معشوقِى أنـا
نتيتـاس : ما الذى كان يُـلاقِى ؟
تـتى : آه لا أدرى

بالصّفعِ أجزيهِ وبالرّكْلِ أو
كنتُ أُريهِ النّجمَ فى الظّهر

نتيتاس : الحـبُّ فى ناحيـة وأنتِ ذى فى ناحيـةْ
ما هكذا الحبُّ تِتَـاّ ما الحـبُّ إلا التضـحيه

[تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة] :

يقول المستغيث : .
العفـوَ ياكسرَى الصـفحَ يا سـلطانْ
أخــوكَ والنـارِ ومجـيدهـا ماخانْ

الملكة : إسمعي يا تِتَا ألم يأتك الصو ... تُ ؟

تـتى [وتطل من نافذة] : ... أجَلْ ثَمّ ضَجّـةٌ وعَـويلُ

ثَمّ خيلٌ وشُرطةٌ وسلاحُ

الملكة : ... ليتَ شِعرِى مَن البرىء القتيلُ

تـتى: أقتيـلٌ يا بنتَ فرعونَ ؟

الملكة : لِـمْ لا ... ليس فى أرض فارسٍ مستحيلُ

يا تِتَـا نحنُ فى بـلدْ ... كـلُّ قلب بـه جَمَـدْ

الحىُّ فيـه رخيـصٌ ... والميْـتُ أرخَصُ منـه

هنا الميْتُ تُنفضُ منه الأكف ... وتنهى الشـرائعُ عن دفْنِـه

ويُطرَحُ ناحيـةً فى الفضاءِ ... على سَهْـلِهِ أو عـلى حَزنـه

تروحُ الحـداءُ على رأسـه ... وتغـدُو الذئابُ على بطنـه

تـتى: ويْحَهُــمْ ويْحَهُــمَ ... أمَا مِن النـاسِ هُـمُ؟

ذلّتْ وهـانَتْ أُمـةٌ ... ميْتُهـمُ لا يُكرَمُ

الملكة [وهى مطلة] :

تِتَـا هـذا هـو الحـارسْ ... وهـذا مَنْ تُحبينـا

كذوقك يا تِتَا لم يَعْلُ ذوقٌ ... أتمثـالٌ حبيبـك أم إلـهُ

تـتى: ولو فوق الإله يُحَبُّ شىءٌ ... ويُكرَمُ لم يكُنْ أحدًا سـواهُ

تأمَّلي كَتِفَيْــهِ تأمَّلي منْكَبَيْهِ كأنَّ صقرَيْنِ حطَّا فظلَّا شاربيْه

الملكة: انتظرى لابُدَّ لى أن أسأله

نـــتى: لا تفعلِي مالَكِ مولاتى ولَهْ

الملكة: يأيُّها الحارسُ

الحارس: لبَّيْـــك

الملكة: مَنْ يقتلون اليومَ فى السَّاحَةْ؟

الحارس: أختُ الملِكْ: أَتوسِيا

الملكة: أختُ الملِكْ؟

الحارس: أجــل هيَــا

اتُّهِمت بِبُرديا

نـــتى: مَــن برديا؟

الملكة: أخو الملكْ! يقطع فى الســـاحــة رأس بُرديــا

يا أسفا عاوده جنونُه

نتى الوصيفة [وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة]:

ما بِكِ مولاتىَ ما غمَّكِ ما هــذا الأسى؟

الملكة: لا شىءَ بى لقدْ وهمتِ يا نِتَا لا شىءَ لا

الوصيفة: بل أنتِ تكتمينَ غمًّا طافَ أوهمًّا سرى

هلا ذكرتِ أننا غريبتان ها هنا

أنت لىَ الأهلُ ولــكنى أنا لكِ الحمَى

وما على الغريب إن جاءَ الغريبَ فاشتكى

الملكة : صدقت يا تتا أنا وأنت فى الكرب سوا
قد اجتمعنا بعد قر ب الدار فى دار النوى
تتى : أين إذن تبسم كالصبح من فيك يرى
الملكة : لقد رأيت الهول والـ ـزول وما هد القوى
تتى : أضغاث أحلام وزو ر من تهاويل الكرى
الملكة : رأيت رؤيا يا تتا هل لك علم بالرؤى؟

الوصيفة [بعد تفكير] :

أجل تذكرت أجل عندى من ذاك شذا
قدكنت فى الصبا على أبى أقص ما أرى

الملكة : رأيتنى كأننى فى قصر آبائى بصا
الوصيفة : فى القصر من صا لحجر قصر الجلال والبها

الملكة : رميت عينى من الـ ـقصر إلى أقصى مدى
رأيت واديا كطو ل البيد أو عرض الفلا
أصفر من شعابه بنفسجى المنحنى
إحمر مثل قزح هناك واخضر هنا
رأيت ليثا أحمر الـ ـجلدة خشناً كالصفا
فاغر فيه عن نيو ب مثل مشروع القنا
انقض كالصخر على الـ ـوادى فأفنى فرنا
ونظر النيل وقد عب وماج وطغى

وخرجت منه التما سيحُ فُرادى وثُنَى
وأعْوَلت حتى لقد سدّ عويلُها الفضا
فعُقِرَ الليثُ فلا رِجْلًا رمى ولا يَدا
وقَرَّ فى مكانه كأنه بعضُ الدُّمَى

الوصيفة : ثمَّ ؟

الملكة : رأيتُ حنشًا ليسَ له مِصرُ ثَرَى
لم ترَ منفُ مثْلَه ولا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوْسٍ وكلُّ ذى عصا

وخرج الكهانُ يتلونَ الصلاة والرُّقَى

الوصيفة : وما الذى حلَّ به؟

الملكة : لم يُصبْ الوحشَ أذى

الوصيفة : حقّقْتِهِ سيدتى؟

الملكة : حقّقْتُه على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تُشيبُ أرْؤُسَ النَّشا
كأنه فانيسُ عينَيْنِ ووجهًا وقفا
حتى تعوَّذتُ بإيزيسَ وآبائى العُلى

الوصيفة : فانِيسُ مَنْ ؟

الملكة : نسِيتِيه ؟ كيف نَسيتِ يا تِيتَا

الخائنُ الذى إلى فارسَ من حينٍ أتَى

يَشِى بمصرَ وأخا فُ أن يكونَ بى وشَى

الوصيفة : ما صنعَ الثعبانُ مو لاتى

الملكة : من النهرِ دنا

وفحَّ ثُمَّ دَسَّ فى النهرلسانًا كاللَّظَى

فاحتجبَ النيلُ وعا دَ يَبَسًا ما كانَ ما

واحترقتْ مدائنٌ بالضفتَيْنِ وقُرَى

الوصيفة : والليثُ يا سيدتى؟

الملكة : بعد التهيُّبِ اجْترَا

مشى على الوادى فهلْ رأيتِ عاصفًا جَرَى؟

يقتَلِعُ اليابس والرَّ طبَ ويَفرِى ويَطَا

وكرَّ حتى غادرَ الوادىَ قاعًا صفصفا

هو ذا الحُلْمُ فما تفسيرُه نبِّئيني يا تِيتَا

الوصيفة [لنفسها مضطربة] : ماذا أقولُ؟

الوصيفة [للملكة] :

مَلْكتي لا تفزعى

الملكة : كيف تِيتَا كيف لا أفْزَعُ والحُلْمُ مَهولُ

يتفـدُ النيلُ ويذْوى شَـطُّهُ
وتَغولُ الأهلَ والأوطانَ غُولُ

الوصيفة : رؤياك ياسـيدتى من نفسها مـؤوّلَه
نالتكِ من عَشاءِ أمـسِ ثِقـلَةٌ ووبَـلَه

الملكة : ماذا أكلتُ مع قمـبيزَ وما قُـدِّم له؟

الوصيفة : كان العشاءُ ملكيّ مائـدةٌ محمَّـلَه
أكلتِ ياسـيدتى من أرنبٍ متبَّـلَه
ثم أكلتِ من حَمَـلْ وحَمَلُ الفُـرسِ جَمَـلْ

الملكة : ثمَّ ؟

الوصيفة : جاءوا بالطـيرِ فى الأطباقِ

الملكة : طيرُ مَنْ ؟

الوصيفة : طـيرُ فارسٍ والعـراقِ

الملكة : ثمَّ ماذا ؟

الوصيفة : ثم جاءوا بالسـمكْ
فرأيتُ الملكَ فى الأكل انهمَكْ

الملكة : ثم ماذا ؟

الوصيفة : لا أُعدُّ ماحضَرْ من لحومٍ وبقولٍ وخُضَرْ
ثم بالحَـلْوَى أتَوْا والفاكهه

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهـهْ

الملكة : خلَّطتِ تخليطَ العجوز يا تِتَا فما علاقةُ الطعام بالكرَى
الوصيفة : الأكلُ قبلَ النومِ ثِقلٌ وأذى وربَّما جاء بأضغاث الرُّؤَى

الملكة [لنفسها] :

عرفتُ الآنَ رؤياىَ وما خلَّطَ أحلامى
وقد يُغريك بالأكلِ طُهاةُ الفُرس والشام

[ثم الى تتا] : تِتَا أينَ كنتِ ؟

الوصيفة : وراءَ الخَدَمْ

الملكة : وكيف عَددتِ علىَّ اللُّقَمْ

الوصيفة : لبِثْتُ هناكَ فما من يدٍ تفوتُ علىَّ ولا مِن قَدَمْ
ولم يخفَ عنِّىَ كيدٌ يطوفُ ولا وحىُ لحظٍ ولا همسُ فَمْ
أخافُ القصورَ وأخشَى السمومَ وما منزلُ السُّمِّ إلا الدَّسَمْ

الملكة : يا لكِ من رفيقه محسنةٍ شفيقهْ
مرْحَى تِتَا كذا تِتَا فلتكنْ الصديقه

الوصيفة : سيدتى أخجلتِنى ليس بما جئتُ عَجَبْ
ما قمتُ يا سيدتى إلا ببعضِ ما وَجَبْ

الملكة : ولكن يا تِتَا ما أخطَرَ السُّم على بالِكْ
ولى فى فارس عامٌ فما فكَّرتُ فى ذلكْ

الوصيفة : أرى قمبيزَ والفرسَ بمولاتىَ قد جُنُّوا

ولولا ذاك لم يخْــلُ   من الشيم لهــا ذهنُ

الملــكة : ولِمْ لا نحـــذرُ الشمَّ   أما فى فارسٍ نحنُ

هنا الجلادُ والسيفُ   هنا السجّانُ والسجْنُ

الوصيفة : وماذا ضرَّ ما قلتِ   إذا لم يجنِ الجنُّ

الملــكة [بعد برهة تفكير] :

أرى قمبيزَ ذلَّ ورقّ طبعا   بربِّك هل رأيت عليه حبَّا

الوصيفة : أجلْ هو يقصرُ الخطوات مهلًا   وكان يمدُّها خطفًا ووثبَا

[ثم فى تلعثم وتردد] :

سأسألُ فاحلمى عـنى فإنى   أموتُ ولا أراك على غضبى

سؤالٌ ملكتى هل من جوابٍ

الملــكة :   أُدونَك يا نتــا شيءٌ يُخبَّــا

الوصيفة : زعمْنا أنْ قمبيزًا محبٌّ   فهل تجزينَه بالحبِّ حبّــا

الملــكة : أحبُّ أنا ؟ ضلَّ ما قد ظننْتِ   وإن خلت ظنَّك لم يكذبِ

الوصيفة : ولِمْ لا ؟ وقمبيزُ لا بالقبيح   ولا بالدميم ولا بالغبى

ولا هــو بالملكِ البربرى   ولا الوحش ذى النَّاب والمخلبِ

ولكن فتًى خيِّرٌ كالسحاب   وضيءُ البشاشة كالكوكبِ

يزينُ السريرَ إذا احتلّه   وإن سار كان حُلَى الموكبِ

الملكة : صدقت تتا هو زين الشباب إلـهُ القنـا قمـرُ الغيهـب
إذا غُلِبَتْ فى القتالِ الملوكُ وفى السِّـلمِ عزَّ فلم يُغْلَبِ
يُسيطِرُ كالشمسِ سلطانُه على مشرق الأرض والمغرب
ولكن متى يا تتـا دُلِّهَتْ بنـاتُ الفراعين بالأجْنَبِ

وما نلتقى فى جلالِ الجدودِ ولا فى العقيدةِ والمذهبِ
بَخٍ بَخٍ تتا ألف مرحى تتا

الوصيفة : حنانَيْك عفواً ولا تغضبى
لقد قلتُ حقًّا وماذا علىَّ إذا قَوْلَةُ الحقِّ لم تُعجبِ

« تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز ... ... »

قمبيز [يدخل وعليه أمارات الغضب] :
ماأرى من تتا؟ تتا أين مولا تُكِ فيمَ احتجابُها أين سارتْ
تتى [لنفسها]: ربِّ ماذا به وما هاج قمبيـــز وما بالُ نفسهِ اليوم ثارت
تتى [لقمبيز]: هى فى حجرة الملابس
قمبيز : لا بل هى قد جاءها النَّبا فتوارت
خـبِّرينى من أبوها أيـرياسُ أم أمازسْ
وبنفـريتَ تُسـمَّى أم تُسـمَّى بنتـاتس
إحذرى أن تكذبينى إحذرى سـلطانَ فارس
تـتى : سـيدى ما هـذه الأخـبار كسرى من رواها
سيدى كيف اتهمتم ملكة الفـرس النبيـله

قمبيز : سأريها كيف تنقا ... دُ وتأتى لى ضئيله
فى غدٍ تدخلُ مصراً ... بنتُ فرعونَ ذليله
وترى السيفَ مخُوفًا ... وترى النارَ مهوله
وترَى النيلَ دمًا والـ ... أرضَ جرْداءَ محُولَه
لا أناسٌ لا مواشٍ ... لا بناءٌ لا نخيله

الوصيفة : سيدى صبراً تجدْ عا ... قبةَ الصبرِ جميلَه
سيدى لا تُصْغِ إلا ... لسَجاياك النبيلَه

قمبيز : أنا لم أخلَق لبسطِ الـكَفِّ أستجدى بخيلَه
أنا للسّيف وللرُّمحِ وإخضاعِ القَبيلَه
لا نِتَا . لا . إنّ بالملكةِ كبراً ومخيلَه

[ثم بسخرية] :

أنا من تُرْبٍ خَسيسٍ ... وهى من أرضٍ جليلَه
أنا للطِّين سليلٌ ... وهى للشمسِ سليلَه

الملكة [وهى راجعة] :

ما الصوتُ مَنْ تُكلّمينَ يا نِتَا ؟

الوصيفة : سيدتى . سيدىَ الملكُ أتى

الملكة [ملتفتة] : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيفَ متَى ؟ ؟

[ثم ناهضة ومقبلة على الملك] :

الملكُ فى مقصورتِى يا مرحبا يا مرحبا

الملك [ويقبل على الملكة] :

سلامٌ ملكة الفُرس وبنتَ العليةِ الصِّيدِ

الملكة : سلامٌ سيدَ الأرض سلامٌ حيدَر البِيدِ

ومن دانَتْ له الدنيا وألقَتْ بالمقاليدِ

[ثم مستمرة] : لم أتعوَّدْ أن أرَى مولايَ عندى فى الضُّحَى

قمبيز : خالفتُ نظمَ عادتى وجئتُ فى شأنٍ دعَا

الملكة : مالَكَ كسرَى عابسًا مالى أراكَ مُغْضبا

الملك [ويصفق] :

أجل جِدُّ غضبانَ

الملكة : مِمَّ الغضَبْ ؟

الملك : رُويْدَكِ نفريتُ تدرى السَّبَبْ

الملكة [لنفسها] :

دعانِيَ باسمِىَ لم يَدْعُني كمأْلوفِ عادتِه باللَّقَبْ

تُرَى لم يزَلْ جاهلاً أننى أتيتُ لفارسَ باسْمٍ كَذِبْ

قمبيز [ملتفتا وراءه خارج الباب وينادى] :

فانيسُ . أقبِلْ أُدنُ جِىءْ

الملكة [لنفسها] :

فانيسُ ؟ لا . لا يدخُلِ

فانيسُ لا أجهلُهُ ليس لمصرَ بالولِى

عدوُّ قومِي وبلا دى كيف يُصفى الودَّ لِى

[ثم إلى قمبيز]: مولاى إنى ما فرغتُ بعدُ من تجمّلِي
فكيف أستقبل فى هذا اللباسِ المهمَلِ

[لنفسها] : يا ويلتاه ما أرادَ باصطحاب الرجلِ
إيزيسُ ما بالىَ أحسستُ بشرٍّ مقبلِ

الملك : مالَكِ يا مليكةُ لم تُرحِّبي وتَحفِلِي؟
مالَكِ أجفلت ؟

الملكة [مضطربة] : أنا ؟ لا سيدى لم أجفلِ

الملك : إذَنْ هَبِي الإذنَ لفانيسَ دَعِيه يدخل
الملكة : لا بأسَ فى أن أراه عندى إن كنتَ يا سيدى مُصرًّا
لكن أأُنسيتَ أن فانيسَ خانَ بالأمسِ عهدَ مصرَا
وفرَّ منها ولستُ أدرى ماذا دَعاه لأن يفرّا
وكان فى الجيش ذا مكانٍ وقادَ بَرًّا وقادَ بحرَا
قمبيز : لكنه اليومَ فى بلادى أجَلُّ مما ذكرتِ قدرَا
الملكة : وسوفَ يجزيكمُ جحودا كما جزى أهلَ مصرَ كُفرا
قمبيز : لقد أتانى بكلِّ سرٍّ عن مُلْكِ مصرٍ لم يُخفِ سِرًّا
حتى الذى تكتُمين عنِّي

[ثم ينادى] : فانيس
فانيس : مَلْكِي لبيّكَ عشرَا
[ثم هو يدخل] :
سلامُ الشمسِ من مصرَ سلامُ النارِ من فارسْ
على المَلْكةِ نفريتَ أو المَلْكِ نيتاتِسْ

الملكة [لنفسها] :
رمانِى النّـذلُ بالسّهـمِ
[ثم لفانيس] : سـلامٌ لكَ يا فانِسْ
ويا مَن هـو فى الفُـرسِ ومصـرَ القـائدُ الفـارسْ
وفى القصرين من سوسٍ وسايِسَ هـو الحـارسْ
فانيس : وماذا ضرّ يا بنتَ المـوالِى وإن تأبَى فيابنتَ الأعادِى
أجلْ مولاتِىَ الإغريقُ قومِى
أحِبُّهـمُ ويونانٌ بـلادِى
هجـرتُهما إلى مصرٍ صـبيًّا لكَسْبِ معيشةٍ وطِلابِ زَادِ
فصِدْتُ الرزقَ حتى صارَ عندى وجاوزَه إلى المجدِ اصطيادى
سهِرْتُ على اللواءِ بمصرَ جُهدِى وفرعونٌ وقـومُكِ فى رقادِ
الملكة : كذبتَ فلم تكن إلا مسودًا
فانيس : فسوَّدَنِى ذكائِى واجتهادى
الملكة : أجيرًا كنت عند أبِى وقومِى
فانيس : فولَّنِى نشاطِى واقتصادى
جعلتُ الأرضَ كالصحراءِ تحتِى وكنتُ الليثَ من وادٍ لوادِى
الملكة : أراكَ علىّ يا فانيسُ تجْرو أَجَرّأكَ المليكُ على عنادِى؟
ككلبٍ خلْفَ سيّدِه تجـرّا فواثَبَ رائحًا وسَطا بغادِى
فانيس : بدأتِ أميرةَ الوادِى بشتْمِى وما أنا يا ابْنةَ المقتولِ بادِى
لقـد عيّرتِنِى أنى غـريبٌ ولـوعٌ بالسـفار وبالرِّيادِ

الملكة : لقد هجمَ الوقاحُ على مكانى — وأخشى أن يصيرَ إلى التمادى
[ثم للملك] : مولاىَ قِفْ فانيسَ عند حدِّه — أو ردُّه لا تُلجِئنى لردِّه
علمتَ حقده على قومى فلا — تَدَعه ينفثُ فى سمِّ حقده
الملك : علامَ أُقصيه
الملكة : لأنه أتى — يَمشى بنا ويفترى كمهده
الملك : فانيسُ جاءَ ناقلاً مُبلِّغا — وليس ما جاءَ به من عنده
[ثم مستمرًا] :
أراكِ نفريتُ غيرَ منصفة — رُوَيدَ لا شىءَ يوجبُ الغضبا
كونى مكانى! ؟ ما كنتِ فاعلةً؟ — إذن قلبتِ الزمانَ فانقلبا
الملكة : لا سيدى إن للزمان يدًا — قد ضربتْ كفَّ كلِّ مَن ضربا
الملك : نفريتُ ثُرتِ على فَنيس وما حفظتِ ولاءَهُ
ونسيتِ خدمتَه بمصرَ وما ذكرتِ بلاءَهُ
الملكة : لا سيدى لا . نحِّه — أنا لا أطيقُ لقاءَهُ
[ثم مستمرة] :
ما بكَ مولاىَ ما أثارَكَ ما — أذكاكَ إنى أراكَ ملتهبا
قمبيز : أثارَنى منكِ أن كذبتِ وذا — فانيسُ قد جاءَ يفضحُ الكذبا
[ثم مستمرًا] :
هلمِّى الآنَ نفريتُ — هلمِّى يا نتيتاسُ
بأىِّ اسميكِ أدعوكِ
الملكة : — بهذا أو ذاكَ لا باسُ

فيا قمبيزُ لو دَانَتْ لَكَ الأيامُ والناسُ
فلنْ تستطيعَ أن تقهرَ نفساً حلَّها اليأسُ

قمبيز: أنتِ مملوءةٌ من اليأسِ مني

الملكة: أجلِ اليأسُ منكَ ملءُ ثيابي

فليكن

الملك: إنني سألت سؤالًا لم إذن هِبْتِني وهِبْتِ جوابي

كيف أدعوكِ يا عروسُ؟

الملكة: بما شئتَ بشرِّ الأسماءِ والألقابِ

بالذي أنتَ أهلُه من بَذاءٍ والذي أنتَ أهلُه من سِبابِ

الملك: أنتِ لم تُذنبي بل الذنبُ ذَنْبي

أنا قد شئتُ أن تكوني رِكابي

الملكة: ليس ما شئتَ أو أتيتَ غريباً

قد تكونُ المَها رِكابَ الذئابِ

الملك: احْذَري أيها الفتاةُ انفجاري

الملكة: انفجرْ ما بي انفجارُكَ ما بي

الملك: جئتِ ذنباً تُعاقَبينَ عليه كلُّ ذنبٍ رهينةٌ بالعقابِ

الوصيفة [بصوت منخفض]:

اكظمي الغيظَ يا أميرةُ

الملكة [وتشير إلى قمبيز]:

بل يخرجُ من مُجرتي ومن مِحرابي

الملك [لفانيس والوصيفة] :

انظُرَا واسمعَا تحاوِلُ أن أبـــــرحَ قصرى وأن أُفارِقَ بابى

الوصيفة [للملكة بصوت منخفض] :

راجِعِى الحلمَ ملْكتِى سايرِيه لا طفيهِ لِينِى له فى الخطابِ

لا تهيجى به الجنونَ فيطغى إنّــه آدمٌ بظُفْــرٍ ونابِ

فانيس [همسا] :

أَحْسِنِى الرّدّ ملْكتِى واحفظِينَا

إننــا ها هنــا ثلاثُ رقابِ

الملكة : خِفتَ فانيسُ من عذابِ نهارٍ

كيفَ عرّضتَ أنفُسًا للعذابِ

عجبٌ من خرابِ عمرِكَ تخشى

أنتَ من ساقَ أمّةً للخرابِ

الملك : بنتُ مَنْ أنتِ يا نتيتاسُ

الملكة : بنتُ الـشــمسِ بنتُ العواهِلِ الأربابِ

والِدِى فى السماءِ فهو إلهٌ

الملك : فلماذا مَرّغتِــهِ فى الترابِ

قد نبذتِ اسمَكِ الذى كان سمّا كِ وجُبْتِ البلادَ باسمٍ كِذابِ

[ثم مستمرا] : نتيتــاسُ تمــرّدْتِ فما أبقيْتِ لى صبرًا

وكلّمتُــكِ فى الذنبِ فما أبديْتِ لى عُذرًا

وما أجــرأَ ما كنتِ عـلى شتمِىَ ما أجرَا

فما غرَّكِ بالبأسِ وبالسلطانِ ما غرَّا

الوصيفة [بصوت منخفض] :
خُذى فى اللِّينِ مولاتِى

فانيس [همسا] : خُذى سيدتى الحذرَا
فقد تأخذُه النوبةُ حتى يَحْرقَ القصرَا

قبيز : دَعى العزّةَ بالجنس نتيتاسُ دَعِى الكبرَا
ولا تُلقِى على إحسانِى النسيانَ والكُفرَا
أما أحْبَبْتُكِ الحبَّ الذى أنتِ به أدرَى
وفضَّلتُكِ فى القصرِ على البيضاءِ والسمرَا
وقدَّمتكِ فى الأزواجِ قبلَ الأختِ من كسرَى

الملكة : لقد كنتَ وراءَ الحُبِّ تُخفِى النابَ والظفرَا
وما أفرحنى أنى تقدَّمتُ على الأسرَى
ولا أنكَ ترْعانِى وتنْسى النعجةَ الأخرَى

الملك : ملكةَ الفرسِ أمسِ

الملكة : واليوم

الملك : كلا لستِ أهلًا لصحبةِ المالكينَا

الملكة : أنا بنتُ الملوكِ أصلُح للمُلْكِ جدودى تملّكوا العالمينَا

الملك : قد خُدعتُ الشهورَ يا ابْنَةَ فرعونَ ولولا فنسُّ خدعتُ السنينَا

فانيس [لنفسه] :
أحمَدُ اللهَ قد نجوتُ برأسى وأمنْتُ المهوَّسَ المجنونَا

الملكة : ليس فانيسُ للأمانة أهلًا إن من خانَ لم يخفْ أن يخونا

الملك : ستَرَين العقابَ

الملكة : إنى تأهّبـــتُ فهاتِ العذابَ هاتِ المَنونا

الملك : لا . فما هنا العقابُ ولكن

الملكة : أينَ ؟

الملك : فى حيثُ شئتُ لم تسألينا

مصرُ أَوْلى بأن أحاسِبَ فيها وأُحلَّ العقـابَ بالخادعينا

فى غد تدخلينَ مصرَ مع الجيــــش

الملكة : أنا ؟ لا أرافقُ الغاصبينا

الملك : بل تسيرينَ تحت راية فانيــــسَ

وما تصحبـينَ إلا أمينـا

الملكة : سيدى

الوصيفة : مليكتى دَعى العنـفَ

الملك : ماذا ؟

الملكة : كيفَ لقّبْتَ بالأمين الخؤونا

فانيس [همسا] :

صانـعى أيّهـا الأمـيرة

الملكة : دَعْـنى

فانيس : اهْدَئى حاسنى عسى أن يلينا

وصيفة : مَلْكتى قال سيدى الملكُ الحــقَّ

الملكة : صَــهٍ أنت يا تتَــا تكذيبناَ

فانيس : سَــترَيْنَ النعيمَ تحتَ لوائى

الملكة : بل أرى البُؤسَ تحته والهُوناَ

الملك : وكأن الوجهين بانا من الوا دى

وزالا سهــولةً وحُــــزوناَ

أرسلُ السيلَ تارةً وأجيلُ الــســيفَ آناً وأشعلُ النارَ حينا

الملكة : عُدْ إلى الرُّشد ما جنتْ مصرُ يا قمـ

ـبيزُ ما ذنبُ أهلهــا الآمنينـَا

[ثم مستمرة] :

أمــيرَ الفُــرس قلنــا كلَّ شيء

ولم تقُــلِ الحقيقــةَ والصــواباَ

الملك : أعندكِ منهما شيءٌ ؟

الملكة : ولم لا

الملك : إذَنْ قوليهما و زِنى الخطاباَ

ذكرتِ الحربَ هل تخشينَ منها

الملكة : ولم لا وهى أجدرُ أن تُهاباَ

الملك : ولكنّا ملوكَ الفــرس نغشَى مخاوفَهــا ونجعلُهــا لعــاباَ

أراكِ هدأتِ نا تيتاسُ روعًا

فانيس : وكان الرّشدُ فارقَها فثــاباَ

الملكة : ذكرتَ مليكَ فارسَ حربَ مصرٍ وأنسيتَ المواثقَ والصِّعابا

سيَطْوِى الجيشُ نحوَ حياضِ مصرٍ
بحارَ الملحِ والّلجَجَ العِذابا
وأعْيَى الناسِ منشمرٌ لحربٍ توقَّعَ أن يُصيبَ ولا يُصابا
ودونَ النيل

الملك : ماذا دونَ مصرٍ؟

الملكة : يجوبُ الجيشُ صحراءَ يَبابا
ترَى تِيهًا تجُرُّ الخيلُ فيه قوائمَها وتنسحِبُ انسحابا
يَضِلُّ الجيشُ هديتَه عليه ويُظمئُه ويوردُه السَّرابا
ترى جَلَدَ الجمالِ عليه يَفْنَى وتحسَبُها من اللَّهثِ الكِلابا

الملك : لا تُراعى فما على الجيش بأسٌ كلُّ شيءٍ على الحدودِ تهيَّا
قد وجدنا الحرارَ في مصرَ والما ءَ ولم نَعدَمِ الرجالَ السُّقِيَّا
فانيس : واشترينا الخفيرَ بالمالِ والحا رسَ والحاميَ الأمينَ القويَّا

الملكة [لفانيس] :
كلُّ هذا فعلتَه أنتَ يا نَذ . لُ

فانيس : أجل ما أتيتُ أمرًا فريَّا
إن قمبيزَ بي حفيٌّ وفرعو نُ أمازيسُ لم يكن بي حَفِيَّا
الملكة : وابنُه ماجنَى عليك ومصرٌ؟
فانيس : جَنيا الطردَ والجحودَ عليَّا

أنا كالسيف لم يَصُنِّى كَمِىٌّ قد رمانى فاعتضتُ عنه كَمِيًّا

الملكة : وجحدتَ الذى طعمتَ من النعمة

فانيس : لا . ماطعمتُ من ذاك شيًّا

كنت كالسيف كلما كافئونى جعلوا السّمَّ لى طعامًا ورِيًّا

الملكة [إلى قبيز] :

وهبكَ بلغتَ يامولاىَ مصرًا

الملك : وماذا عندَ مصرَ

الملكة : تجىءُ غاباً

ترى أُسدَ القتالِ عليه شتَّى تقلَّدتِ الصوارمَ والحِراباَ

وثَمَّ ترى الفَيالِقَ من رُماةٍ تكادُ قِسيُّهم تَرِدُ السحاباَ

إذا نظروا على زادٍ غرابًا أصابُوا بينَ عيْنَيْه الغراباَ

الملك [يبتسم مستهزئا] :

رُماةٌ ؟

[ثم إلى فانيس والوصيفة] :

حدِّثوها كيفَ أرمى

وكيفَ أصيبُ فى السُّحبِ العُقاباَ

الملكة : أأنتَ بجمعهم نقّاشُ كسرَى

وأنتَ الموتُ حيثُ رَمَى أصاباَ

الملك : إذَنْ ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشًا

كَمَركُومِ الحصى يُخْطى الحساباَ

وأخشى أن يقولَ النـاسُ زوجى
غــداةَ ذهابِــه نسِىَ الإيابا

الملك [لفانيس] :

فانيسُ صفِّق و ناد يامعشــرَ القُـوّاد

[يدخل الحرّاس والقوّاد]

قمبـيز [للقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعالَ

ميــجا : لبَّيْــكَ رَبِّى لك التحيات والسجودُ

الملك [للملكة] :

يامَلْكةَ الفرسِ ذاكَ ميجا يعـلمُ مايحشُــدُ الوجـودُ
خريطــةُ الأرضِ فى يديه السفْنُ والخيـلُ والجنودُ

الملك [لميجا] : ميــجا تكلَّم ما حالُ مصرِ ما الجيشُ فى مصرَ ما الحدود

الملـكة : هاتِ ميجا قل تكلَّم

ميجا [فى اضطراب] : ملكَتِى

الملـكة : ما الذى تدرى عن الجيش المجيدْ

ميــجا : جيشُ مولاتىَ كالعهــدِ به كاملُ العُدَّةِ موفورُ العديدْ

الملك [فى غضب] :

هاتِ ما عندكَ من أخبـارِهِ
واخْشَ أن تَنقُص واحْذَرْ أن تَزيدْ

ميجا [مضطربا] :

يا إلهَ الفرسِ لا تبرَحْ فَمِى
وأَعِنِّى . كيف أبدِى وأُعيد

[ثم للملكة] :

إن وردَ السلمِ من كثرتِهِ نسيَتْ أظفارَها فيه الأسود
واختلافُ الجُندِ فيما بينَهُمْ أخذَ البأسَ وإن أبقى الحديد
أصبح الجيش

[ويسكت قليلا]

الملك [لميجا] : تكلَّم

الملكة : قل أَيْنَ

ميجا : كالقطيعِ اختلفتْ فيه الجلود

حُشِرَ اليونانُ فى رايتِه وتراغَى الزِّنجُ واندسَّ العبيد
وغدا كلُّ طريدٍ لم يجِدْ سبَبَ الرزقِ أتى الجيشَ يصيد

الملكة [لنفسها] : والخيلُ يا ميجا هناك ؟

ميجا : قليلةٌ فى جَيشِ مصرَ قليلةُ الفرسانِ

الملكة : أسفًا على الفتيانِ أينَ حماسُهم قتلَ النعيمُ حميَّةَ الفتيانِ

الملك [ملتفتا الى ميجا] :

مليكةُ الفرس ميجا قد اكتفَتْ ببيانِك
فخذ مرازبةَ الفرسِ وامْضِ ميجا لشانِك

نتيناس : قمبيزُ ما شئتَ فاصنع إنى أراك مُصرًّا
تُغيرُ أنتَ وتغزو ويحفظ الله مصرا

قمبيز : وفارسٌ يا ابنة النيل ما لفارسَ ذكرُ

نتيتاس : لا أيها الملك مالي ... في غير مهدى فكرُ

قمبيز : نتيتاسُ اسمعى أنتِ ... تُسيئين إلى مصرا

غدًا يهلِكُ أهلُوها ... وتُمسى تحتهم قبرا

نتيتاس : وقاها منكَ آمونُ ... ولا استطعتَ لها ضرّا

قمبيز : هذا التجنّي كثيرُ ... هذا لعمرى الغرورُ

لقد تحمّلَ صدرى ... ما لا تُطيقُ الصدورُ

[ثم مستمرا] : كفا عبثًا بسلطاني وبأسي ... كفى ما كان نا تيتاسُ منكِ

غدًا يتحدثُ الرُّكبانُ عني ... ويروى الناسُ مايروون عنك

كذبتِ عليّ يا ابنةَ أبرياسٍ ... حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

أنا قمبيز بنُ كسرى ... أنا جبار الوجودِ

وأنا النارُ أصولي ... وبنو النار جدودى

ويل فرعونَ ومصر ... من جنودى وبنودى

قمبيز [لنفسه] : رباهُ ويحى ويحَ لى ... رباهُ مالى لا أعى

رباهُ ناراهُ ما الذى أجدُ
كأنما النارُ فيّ تتقدُ

يا نارُ كوني لي ... أو رمازدُ كُنْ عوني

[ثم إلى نتيتاس] : انتظرى البطش ... يا بنتَ فرعون

أنا قمبيز بنُ كسرى | أنا وحشٌ أنا غولْ
لستُ بالعجل أبالى | وعلى النار أبولْ

قمبيز [لنفسه] : قد رجع الصفيرُ لى | يا ليته لم يرجع
ما بالُ عينى أظلمتْ | ما بالُ ساقى جمدتْ
أين الطبيبُ أزْدَشِرْ ؟

[ويغشاه الصرع]

الملكة [بعد أن يأتى الطبيب] :

هذا الطبيبُ قد حضرْ

[يدخل الطبيب و يطلب نقله]

الملكة [تدنو منه فى حنو وعطف وتقول] :

يا ويحَ زوجى ويحَه | هاجَ وعاده الصَّرَعْ
يا نارُ كونى حوله | أدرِكْهُ يا آمون رَع

[يخرجون به]

فانيس : ألان نتيتاسُ تعالَىْ إلى الهُدَى
تعالَىْ إلى الرأى الصوابِ تعالِى
نتيتاسُ أنتِ اليومَ ملكةُ فارِس
بلغتِ الذُّرا من سُؤْددٍ وجلالِ

الملكة : ولكنْ أبِى فانيسُ لاتنسَ ما أبى
وجَدِّى وأنى بنتُ أصيدَ عالِى

فانيس : ولكن ألم يخلعْ أباكِ أمازسٌ
ويفتِكْ به فى ثورةٍ وقتالِ
ويجلسْ على كرسىّ مصرَ مكانَه
ويخلُفُه فى جاهٍ أفادَ ومالِ

الملكة : أجلْ قد خُلِعنا مُلكَنا وتصرَّفتْ
بنا سوقةٌ من جُندنا وموالِى

فانيس : إذَنْ فدَعى قمبيزَ يثأرْ لزوجه
ويضربْ بيُمْنَى أو يُصبْ بشِمال
دعيهِ يعاقب سارقَ التاج مثلما
يُعاقَبُ فى منفيسَ لصُّ لآلِى

الملكة : تأمَّلْ وحقِّق من تخاطبُ يافتَى

فانيس : أخاطِبُ عقلًا من وراء جَمالِ
لقد قلتُ قولًا ليسَ يأباهُ عاقِلٌ
فلا تنظرينى واسمعى لمَقالى

الملكة : ولكن أمامى صورةٌ من خيانةٍ

فانيس : ومالَكِ يا بنتَ الملوكِ ومالِى

الملكة : وأنتِ نِتَا ماذا ترَيْنَ ؟

الوصيفة : خيانةٌ وأطماعَ فُؤادٍ ولُؤمَ رجالِ

الملكة : فديتُك من مصريّةٍ

الوصيفة : بل أنا الفِدَى لسيدتى من قدوةٍ ومثالِ

الملكة [لفانيس] :

أتسمعُ كلبَ الصـيد؟

فانيس : حمقاءُ غِرّةٌ وما لىَ أُلْقِى للحماقةِ بالِى

الملكة : عمّى لك يا فانيسُ وامشِ بلا عصًا

ودونَـ دليـلٍ فى رءوسِ جبالِ

فانيس : لكِ الشكرُ مولاتى

الملكة : لكَ الويلُ من فتًى فإنكَ من معنَى المروءة خالى

أأُوطِئُ خيلَ الفرسِ مهدى وملعبى

وتـربةَ آبـائى ومـنزِلَ آلِى

وأشعِلُ نارَ الفُرسِ فى أيكةِ الصّبا

وما بوأتْنى من رُبًى وظِـلالِ

وأغمدُ سيفَ الفُرسِ فى صدرِ أمةٍ

نمتْـنِي وتنمى أُسْـرتِى وعيـالِي

إذَنْ لا أوَى جَدّى السماء ولا أبى

ولا جَـلَّ عمّى أو تبـارَكَ خالِي

وأفضـلُ منى كـلُّ ذاتِ مُلاءةٍ

وراء حُقــولٍ أو وراءَ تـلالِ

تَهُشُّ على شاةٍ وتحمِلُ جَرَّةً
وتَمْشِى على الوادى بغيرِ نِعالِ

[يدخل قمبيز ثم الحاجب و يقول] :

إله الفُرس

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثَمَّ رُسْلٌ أتوا من مصرَ بالنَّبَأ العظيمِ

الملك : وما يقولون ؟

الحاجب : يقو لون أمازِيسُ هَلَكْ

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يقولون ابْنُهُ بساميتيك قد مَلَكْ

الملكة [لنفسها] :

مِصرُ ... ... رُسْلٌ ؟ ليتَ شعرى ما الخبرْ
وطَنِي يا رَبِّ لا مَسَّ بِشَرْ

قمبيز الملك [ملتفتا للملكة والوصيفة] :

يا مَلْكَةَ الفُرسِ أصْغِى ويا نِتَا هل سمعتِ
قد ماتَ فرعونُ مصر

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تعيشُ مِصرُ وتَبْقَى

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الأميرة تقربت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلق بنفسها فيه»

ويحى لقد أودَتْ بىَ الأنانيه
عِشتُ فما أحببْتُ إلا ذاتيه
ولا افتكرتُ بسوى لذّاتيه
حتى قذفتُ وطنى فى الهاويه
ألنيل . ألنيلُ بجنبى هاويه
أمواجُه تهتِفُ بى مناديه

+ + +

يا نيلُ يا قِوام كلِّ شئ
ومانحَ الحياةِ كلَّ حىّ
هىِّ اغسلِ الذنبَ العظيم هىّ

ثم تلق نفسها

المنظر الثانى

فى منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون »
« بغى قمبيز وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب »
« من جراء الفتح الفارسى — فى ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعـال يا (باطـا) قـل لى بالله
كيف ترى الحُكَمَا كيف ترى الظُّلما

باطـا : اِصغْ اِصغْ يا داذْ اسمع وكن عـونى
قمبـيز فى الظـلم بألف فرعون

[ثم لمجار]: وأنت يا مجـارْ ماذا تقـولينا

مجـار : آمونُ ذو المَنّ يبقى الفراعينا
الفُـرسُ فى مِصرَ طغيانُهم قد زادْ
هُمْ صلبـوا التمساحْ على ضِفاف الوادْ
وكلّفـوا العصفورْ يمشى مع الصيّاد

[تقبـل امرأة مصرية عجـوز]

فيقول أحدهم: وهـذه دوبـاره

آخـر: الشـيخةُ الـثرثاره

الأوّل: هلمّـي يا دوبـارا هاتي اذكري الأخبارا

دوباره: لا تسألوني ما الخبر مصرُ ترى اليومَ العِبَر

لكن صَهِ حذارِ لا يـدرينّ دارِي

عارضَني الساعةَ في طـريق

فتىً مليـحُ الحسنِ والـبريق

يسألها سائل: مِن الجنـود؟

العجوز: لا! من القوّادِ

عـالي المكان ظاهـرُ الميـلاد

آخـر: ومـا أتى ما فعـلا؟

العجوز: عانَقَـني وقبّـلا

الأوّل: وأينَ؟ فـوق فمِـك الدُّريِّ

آخـر: أو مِن على جبينِك البـدريّ

آخـر: أو فوق خدٍّ مثلِ روثِ البغلِ

الأوّل: أو فوق ذقنٍ مثلِ كعبِ النّعلِ

العجوز: أهـذه نجـدتُكم يا فتيـهْ

أهـكذا تُحمَى بمصرَ النِّسـوَه

يا أسفًا على القرونِ الخاليـه

يا أسفا على النفوسِ العاليَـه

[وتنصرف مغضبة مهرولة]

أحدهم [ويرى شخصا مقبلا]:

هذا أها، من أينَ جئـــــتَ ؟

ثانى : كيف أنتَ يا أهـا ؟

أهـا : من ضيعتى

الأول : وكيف هِى؟

أهـا : قـد لَقِيَتْ ما ساءَها

إوَزّى كلّــه طـاحَ وبَطّـى كلّــه طـارا

وأخــتى خُطفت مِـنى وزوجى جُـلّلتْ عارا

الجماعة : إذن لقـد آن أن نثُـور نَطْـرُد قمبيزَ والجنـودا

الغابُ فى شِقوةٍ وبُؤسٍ فما الذى يُمسك الأسودا

أحدالجماعة : خذوا حِذركم أقبل الطاغِيَه مع الوزراء وفى الحاشِـيَه

وذا السيّفُ فى يد جلّادِه يُسَلُّ على الأرْؤُس العاليَه

آخـر : تـلك مصائبٌ وقـدْ صُبّتْ على هـذا البـلَدْ

امضُوا بِنَـا امضوا بِنـا لاَ يسمَعْنَا أحَـــدْ

« ينصرف المصريون و يدخل قمبيز فى وزرائه وقواده »

« ثم يقبـل جنود يسوقون أسرى من النـوب ... »

قمبـيز : ماذا يَسُـوقُ الجنـودُ مِنَ الوجـوهُ السـودُ؟

هـذى عفاريتُ

وزير : لا . بل مـولاى هـذى قـرودُ

قبـيز : لكنّهم حيثُ دارتْ رَحَى القتـال أُسـودُ

بـلَوْتُهـم فى القتـالِ لـما حَـوَتْنـا الحـدودُ

قائـد : النـوبُ جُنـدُ بِسَـامَا

قائد آخر: بل هـم أشَـدُّ جنـوده

وأثبتُ الجيش يـومَ الـقتـالِ تحـتَ بنـودِه

قبـيز : ياجُنْدُ حُلّوا عن الأسرى وثاقَهـمُ

خلُّوا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقرانى

ويابنى النُّوبِ مُلْكى لن يضيقَ بكم

من شاءَ فليبقَ فى مُلْكى وسلطانى

والجيشُ دا رُكُمُ إنْ كان يُعجبُكُمْ

أن تَلْحقوا بمُشاتِى أو بفـرْسانى

الأسرى النوب :

يا بنِي النـوب هَـلُمّ رقصةَ الحربِ لكسرَى

سـيِّدُ الأرضِ عفَـا عـنّـا فما نحنُ بأسرَى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب و ينشدون »

النّـوبُ جيـلْ ، حُـرٌّ أصيـلْ ، يقضى الديـونْ

نحنُ الأسـوَدْ ، حُمْـر الجـلودْ ، حُمْـر العيـونْ

لنـا لِبَـدْ ، من الزَّرَدْ ، هى الحصـونْ
نغشَى القتـالْ ، ولا نُبـالْ ، طعمَ المنـونْ

نحن شعوبٌ وشِيَعْ وراءَ أسـوانَ نَقَع
عروشُنا من الجريدْ تيجانُنـا من الوَدَعْ

نحن قبيـلَ الشُّلُكِ فى العنجريبِ نَتَّكِى
والصيدَ نَهْوَى والقَنَص ونَطَّـلِي بالـوَدَكِ

للحربِ نمشِى الهـرولَه نبعثُ فيهـا الجلجلَه
ممزوجـةً بالـولـولَه

[وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول] :

قمبيز : زِه يا جُنودْ زِه يا أسودْ

[كبير النوب لخازن الملك] :

زِه زِه هاتِ النقودْ

[يدفع الخازن اليهم مالا فيأخذونه وينصرفون]

[يتراءى فرسان ثلاثة] :

قمبيز : مَن الغُبار ؟

وزير : رُسُـلُ

قمبيز : ما ذا إلينـا حَمَلُوا

قائد : وها همُـو ترَجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

قمبيز : ماذا وراء الرُّسُلِ

أحدهم : الدعوات للملك

قمبيز : ماذا لديكم ما الخبَرْ؟

أحدهم : حوادثٌ ذاتُ خطَرْ

قمبيز : حوادثٌ؟ قل أخا الهيجا تكلَّم

الرسول : بسامَتيكُ يا مولاىَ خانَا

الوزير الأكبر :

بَسامتيك خان ؟

الرسول : أجل أميرى

قمبيز : وكيف؟ وما أتى؟

الرسول : بقَضِّ الأمانَا

قمبيز : وما برهانُكم

الرسول : كُتُبٌ ورُسْل يُشيرُ بها القُرَى آناً فآنا

قمبيز : وهل وجدتْ دعايتُه سميعا وهل حلَّتْ من الوادى مكانا

الرسول : أجابت دعوةَ المخلوعِ مُدُنٌ ومدنٌ ما جعلنَ لذاكَ شانَا

قمبيز : وأينَ فرعونُ ابْنَمَا

الرسول : فى منف يغدو ويروح

حُرٌّ كما شئتَ له بين القصور والصُّروح

من معبد لمعبد ومن ضريح لضريح

وحولَه كُهَّانُ منفيس يحُثُّونَ المسُوح

وكلُّهم مُشيرُه

الوزير الأكبر : بئسَ المُشيرُ والنَّصوحْ

آخـر : من لم يكن كاهنًا فى مِصرَ أو مَلِكاً
ولا تراه لهــذا أو لِذَا تَبَعَا
فلا تقيسَنَّ فى هــذى البــلاد به
إلّا المــواشىَ والأحجـارَ والسَّلَمَا

قمبيز : وزرائى ودَهَاقِينِى انظروا انظروا ذلك فرعون «ابْسَمَا»

الوزير الأكبر :
يدفعُ القــوّادُ والجنــدُ بهِ وهو فى القيدِ يَجُرُّ الأدْهَمَا

قائـد : كادَ فرعونُ من استكباره أنْفُهُ يدفعُ فى أنف السما

[فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة و إباء واستكبار]

قمبيز : بسامتيــك

فرعون : قمبـــيز

قمبيز : أتدعــو باسمــه المَــلْكا

فرعون : غدًا تَفقدُكَ الفُرسُ ويخلو عرشُها منكا
ومُلْكٌ قد مضى عنّى سيمضى فى غدٍ عنكا

[قمبيز يدخل فى الغضب شيئا فشيئا] :

قمبيز : وهذا الفتح يا فرعو ن ؟

فرعون : عدوان و إجــرامُ
أما عنــدَك يا قمبيــــزُ للنكبةِ إكـرام

قمبيز : عفوتُ عنكَ أمسِ يـــا ابْسَاما فلم ترْعَ الوفَا

فرعون : يا عجبـا يا عجبَـا عبدٌ عن الربِّ عفَـا

قمبيز [هائجا] : خـذُوه بالخنـاجِر سُلُّوا لسانَ الفاجِر

فرعون [فى عظمة وصبر وثبات] :

هاتوا سيوفَ الفُرس هاتُوا القَنا

هاتوا المُدَى هاتوا حبالَ الحديــد

لا تحسَبُونى بشرًا بائدًا فرعونُ حىٌّ خالدٌ لا يبيدْ

قمبيز : إذن خذوه بعيــدًا صُبُّوا عليـه الحـديدًا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قمبيز ويقول له] :

القائد : مولاىَ تلك غضبةُ المقهورِ ونزوةُ الضرغامةِ المأســورِ

مولاىَ بالنارِ بقُدس النورِ اغفر لهذا الصارمِ المكسور

فإنه ضحيـــةُ الأمـــور

قمبيز [صائحا بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما] :

إذن رُدّوا الأسيرَ إلىّ رُدّوا فإنّا ما انتهينـا منـه بعـدُ

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قمبيز »

قمبيز : تعـالَ فــرعون ابْتَسِما تعـالَ مــنى ناحيــه

لقـد عفـوتُ مــرةً وقـد تكونُ الثانيــه

فرعون : لا مرحبًا أمس ولا الـــيومَ بعفــوِ الطاغيـه

قمبيز : تأمل هلْ لبستَ اليومَ ذلًّا وكنتَ تجرّ أمس الذيلَ تيها

فرعون : كذا الدنيا تُغيّريا ابنَ كسرى تخفّفْها إنهـا لا خيرَ فيهـا

وهبك قهرتنى أقهرتَ مصرًا

قمبيز : أجلْ ووضعت سيفى فى بنيها

وبعدَ غدٍ أطوّقها بنارٍ تطوفُ على البلادِ وما يليها
وتجعل من هياكِلها رَمادًا وتُنزلُ فى الأزقـةِ مُتْرَفيهـا
وتـدعَكُ فى ترابِ الذل أنفـا
يطولُ على النجـومِ ويزدريهـا

فرعون : رويدَك يابنَ كسرَى قف تمهّلْ
فعـادةُ مصـرَ تقهـرُ قاهريهـا

قمبيز : رويدَك أنت يا فرعونُ إنى
إذا حطّمتُ مصـرَ فمن يَقيهـا

أليستْ فارسٌ والأرضُ تحـتى
وأمرى فى الجَنـوبِ وفى الشّمالِ
وقد غطّتْ فضـاءَ الأرضِ خيـلى
وهبّتْ فى السهـولِ وفى الجبـالِ

فرعون : شمختَ بخيلك يا فارسىُّ فمـاذا صنعتَ بخيلِ القدرْ
تأمّل مكانى وما حـلّ بى ألم تتّعـظ بى ألم تزدجـرْ

قمبيز : ما أنت يا مخدوع
فرعون : فرعونُ ابنُما
قمبيز : بل أنت مأسـورٌ عليـك قيـودُ

وغدًا ينوبُ عن القصورِ ورحْبِها
سجنٌ يضيقُ ومنزلٌ مسدودُ
وتُدَسُّ فى الأجداثِ غيرَ محنَّطٍ
يلهو بهيكلِك البِلى والدُّودُ

فرعون : قمبيز

قمبيز : فرعونُ ابْسَمْ صلِّ ابتهل
واهتف لعلّ العجل عنك يذودُ
أنظر إلى أينَ انحططتَ

فرعون : كذبتَ لَمْ
ينحطَّ للشرفِ الرفيعِ عمودُ
إن الجواهرَ فى التراب جواهرٌ
والأسد فى قفص الحديد أسودُ

قمبيز : سنرى هلمّوا يا جنودُ أسيرَكم
عودُوا به من حيثُ جئتُم عودوا

قمبيز [مستمرا] :

وأينَ نفريتُ ٱبنةُ الكذّابِ قد آن أن ينالها عقابِي

الوزير الأكبر :

نفريتُ من مَخافة الحسابِ ألقتْ بنفسِها إلى العُبابِ
وذهبتْ

قمبيز [ويضحك ضحكة جونية] :

لكن بلا إياب

[تحضر نتيتاس وتقول] :

نتيتاس : قمبيزُ؟

قمبيز : نيتيتَاسُ ؟

نتيتاس : أجَلْ

قمبيز : وماذا أتَى بِكْ ؟

نتيتاس : أتيتُ أنقذُ قومى ومَوطنى من عذابِكْ

قمبيز : والزوجُ يا نتتاسُ ؟

نتيتاس : وأنقذُ الزوجَ أيضا

قمبيز [ساخرا] : ومِمَّ ؟

نتيتاس : من شدةِ البلاء وغضبِ الأرض والسماءِ

قمبيز [في غضب] :

إذهبي يابنتَ فرعونَ اذهبي

اعزُبى يا حيَّةَ النيل اعزُبى

فانيس : تأخرى سيدتى لا تعرضى لغضَبه

قمبيز : فانيسُ أنت ها هنا

فانيس : مولاىَ لى لم ينتبه

نتيتاس [متهكمة] : مولاكَ كم تخدعهُ

مولاكَ كم تسخَرُ به

قمبيز [الى قواده] : أحقٌّ هوَ بى يهزأ

[ثم الى فانيس] : أحقٌّ أنتَ بى تَسخَرْ

وفى الأحلام تبدو لى وهذا الوجه لى يظهرْ

وقد يصفرُّ كالليمو نِ أو يحمرُّ كالبنجر

[ويهجم عليه بالخنجر]

فانيس : أميرى سيّدى ملْكِى

قمبيز [ويطعنه بالخنجر] : أغِثْهُ أيها الخنْجَرْ

[ضجة فى صفوف المصريين]

أحدهم : قد هَلك الواشى

آخر : قد هلك الخائنْ

كافاه قمبيز شرَّ المكافاةِ

فانيس [بعد أن يضربه قمبيز بالخنجر] :

آهِ من الخنجرِ ما أحرَّهُ آهِ من الحِمام ما أمرَّهُ

[لقمبيز] : قمبيزُ شلّتْ يمينُكْ ولا أفاقَ جُنونُك

[لنفسه] : ويحى أرى عينى تَغيمُ وساعتى

تدنو وأشْعرُ بانقطاع فؤادى

الذنبُ لِى أنا قد نزحتُ لفارس

ومنحتُ مجنونًا هناك وِدادى

فانيسُ أنت نشأت جُنديا فمُتْ
كالجند والقَ مصارعَ القـوّادِ
سيانِ حينَ تُحطُّ فى جوف الثرى
مـوتُ الفِراش وموتةُ الجـلادِ
يا نفسُ لم أحمـلْ عليـك دَنيّـةً
لاقى المنيّـةَ بالضـمير الهـادى
يونانُ تغفـرُ لى وآلهـتى بهـا
سَهِـرتْ عيونُهـم على أولادى
قد خُنتُ مصرَ وخُنتُ ساداتى بها
لكننى ما خنتُ قـط بـلادى

أصوات [من جانب المصريين] :

فانيسُ لا عـلم لَهُ بمـا جَـرَى
قـد قتلـوا أولاده وما درى

[تظهر الجند يدفعون فتى فيقول قمبيز]

قمبيز : وهذا الفتى مَن ولِمْ سُقتموه إلىّ
جندى : فتًى فى النّواحى يَرُودْ
قمبيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُثـيرُ البـلاد
ويُغـرِى القُرَى باغتيالِ الجُنودْ
قمبيز : تنحّوْا به فاقطعوا رأسَه عساهُ لأمثالِها لا يعـودْ

نتيتاس [تسمع وهى متراجعة فجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول] :

ماذا رأيتُ وماذا سمعتُ ؟ مَن يدفعونا
مَن ذا إلى النار ساقوا مَن أوردُوه الأتونا
تاسُو؟ أجل هو تاسُو أتوا به المجنونا
قسا الجنودُ عليه والجُندُ لا يرحمونَا

ما بالُه عرف الوفاء وكيف ثابَ إلى الرّشاد
ربىّ . أأشفُعُ فيه؟ لا لا كيف أمنعهُ الجهادْ
لا . لن تحولَ شفاعتى بين الضّحيةِ والبلادْ

هذه ميتةُ عِزٍّ إمضِ تاسُو بسلامِ
قد صفحنا لك عن ذا ك التّجنّى والأثامِ
لا تمُت بالكاسِ والطّا سِ ولكن بالحُسامِ
سرَّنى أنك تقضِى للحِمَى حقَّ الذِّمامِ
وشفانى أنك الـذّا ئدُ عن مِصرَ الحامِى
زُلْ لتبقَى كودادى مُتْ لتحيا كغرامِى

[ثم تتراجع وتقول] :

والآن إلى طيبةِ والصعيدْ لحشر الدُّعاة وحشْد الجُنود
وقهرِ العدوِّ و إرغامه وقَذْفِ المُغيرِ وراء الحدودْ

[وتخرج]

[يستجمع تاسو و يقول ، وكأنما سمع ما قالت نتيتاس] :

عفت نتتاس فيا مرحبا بك اليوم يا موت من زائرِ

قمبيز [إلى وزرائه] :

ما الــرأى يا وزرائى فإننى لســتُ أدرى
ماذا بأبْنـاءِ مِصــرٍ من اختيـالٍ وكِبْرِ

قائــد : نحن بنـو الشيطان وهـم بنــو الإنسـان

ثانٍ : والناسُ من طينِ السِّكَكْ وهـم سُــلالةُ المَـلَكْ

قمبيز : أبىٌّ لعمرىَ فرعونُ مِصر ويُشبهــهُ قــومُه فى إباه
سأُدْعَكُ فى التربْ آنافَهم وأُلْصِقُ بالأرضِ تلك الجِباه

قائد : ســيِّدى لا تُبـد رِفقـا وامض فى الأعنـاق دقّاً

ثانٍ : واهـدِم الأبْراجَ هَـدْمًا واحرق الأجْرانَ حَرْقَا

ثالث : ودَعِ الــوادىَ قاعًا واحلق الشَّطَّينِ حَلْقـا

قائد رابع [عالى السن] :

ســيدى بـل ترَفّـق فهـــو بالقـادر ألْيَـق

قمبيز [يضحك ضحكة جنونية] :

خُـذُوا يا قادةَ الفُـرسِ أخاكُـم إنّـه جُنّـا

قائد : أميرى خَـرِفَ الشـيخ فلُمْـه أو لُــمِ السِّنّا

قمبيز [يغمد خنجره فى القائد الشيخ و يقول] :

خُذْ طعنــةً فيهـا الشِّفا تَصرِفُ عنـكَ الخـرَفَا

القائد [وهو يتلقى الطعنة] :

يا ويحَه قد عادَه الجُنون بل أنا حين هجْتَهُ المجنون

قمبير : وآبيسُ معبودُهم أين هُو؟

قائد : هو العجلُ

ثانٍ : وهو الذى ألَّهُوا

وزير : ثَوَى العجلُ فى حُجراتِ الجلالِ

قائد : وقَد نعَّمُوه وقد رَفَّهُوا

الثانى : وليس إلهاً ولكنّما على الشَّعب كهّانُه موّهُوا

أحد القائدين [لزميل له] :

هُمْ يعبدُونَ العجلَ يا أزْدشر

أزدشر : يالك من أحمق ثرثارِ

ونحن ؟

الأول : أَلنَّارُ إلهٌ لنا

أزدشر : ما الفرقُ بينَ العجلِ والنّارِ

الأول : أفيلسوفٌ أنتَ ؟

أزدشر : بل ملحدٌ

الأول : أنت ؟ إذن عِشْ وامضِ بالعارِ

ما كانت النارُ بمحتاجةٍ إلى قليل الدِّينِ كفّارِ

قبيز : وأين هو العجل ؟

قائد : فى قُبَّةٍ تليق لكسرى وآبائِه

قبيز [مغضبا مثيرا] :

أمسِكُوا الكلبَ خذُوه ، أدِّبُوه

ما أبِى العجلُ ، بل العجلُ أبوه

القـائد : الـويل لى جُنَّ

صديق له فى أذنه : ما جُنَّ إلَّاكا
فأنت ساوَيْتَ بالعجـل مولاكا

آخر له : أهكذا يا أحمقُ السلوكُ أهكذا يُخاطَبُ الملوكُ

[يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قمبيز]

قمبيز : والآن ماذا رأيتُمْ وما الـذى تُفْتُـونا
وما الذى نحنُ بالعجـل يا تُرَى صانعونا

قائد : يُصَبُّ كسرَى عليه من البـلاءِ فُنُونا

آخر : عَلِّقْهُ بين الأرض والسماءِ واتركُهُ للغرْبان والحِداءِ

آخر : إدْفِنْه فى الأرضِ حيًّا وهِلْ عليه التُّرابا

الأول : إذبحْه ذَبْحَ الخروفِ

الثانى : أخنُقْه خَنقَ الدَّجاجة

آخر [يتهكم] : إصْلِبه فوقَ عَمودِ من هيكلِ المعبودِ

وزير : إحرقْهُ يامولاىَ بالنارِ

قمبيز : إخْسَأ فهذا أعظمُ العارِ
ماذا يقولُ الناسُ عنا غدًا ألقوْا إلى النيرانِ بالفارِ
قد دنَّسُوها وهى معبودُهم من جُثَّةِ العجلِ بأقذارِ

[ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم] :

قائد : مولاىَ ما ذاك فارٌ بل ألفُ نارٍ وفارِ

آخر : يا سيّد الأرض أبشِرْ رأى الوزيرُ أصابا
غدًا يقولونَ بمَنْفِيسِ تغدت النارُ بآبِيسِ

قمبيز [مقتنعا ومقهقها] :

أجل غدًا يُقالُ في الأخبارِ العِجْلُ قد باتَ طعامَ النّارِ

[ثم يقبل على أبيس ويخاطبه] :

إلهَ النيلِ لِمْ تغضَبُ لِمْ تكسرُ جفنَيْكا
تأمّلْ شَبَحَ الموتِ ألمْ يبدُ لعينيْكا
وهذا خنجري الماضي نخُذه بينَ قرنيْكا

[ويطعنه ثم يتراجع خطوة ويقول] :

إلهي ما تَرَى عيني خيالاتٌ وأشباحُ
وقتْلَى قد غدوْا حولي وقتلى غيرهم راحُوا
وجَرْحَى جذَبوا ثوْبي وجرحَى غيرُهم صاحُوا

هذي عواقبُ بغْيِي هذا القصاصُ المُتَاحُ
لا بُدَّ من عدلِ يوم يرتَدُّ فيه السلاحُ

قائد : ويحَ لقمبيز
آخر : ويحَ لهُ جُنّا
الأول : مَن يُقتلُ اليومَ مَن الشّقِي مِنّا

قمبيز [مستمرا] :

هذا أخي يصيحُ بي وتلك أختي تنتحِبُ

وآخــرٌ يســأُلُــنى أينَ دَمى ؟ أينَ ؟ أجِبْ
قائد آخر : هــذا ضميرُه صَحــا هــذا ضميرُه انتَبَــهْ
حــتى رأى آثــامَــه ولــم يكُن لهــا أبَــهْ
آخر لنفسه : ثــارَ بــه ضمــيرُه

[ثم لزميل له همسا] :

وما الضــميرُ حيــدَرُ؟

حيدر [للزميل] :

ســريــرةٌ تنــدمُ أحــيــانًــا وحيــنًــا تــزجُــرُ
ويــرجــعُ النــاسُ لهــا إلا آمــرؤٌ لا يشــعُرُ

الأول [رستم لحيدر] :

وأينَ مــنزلُ الضـــمـــيرِ ؟

حيــدر : موضِــعٌ من الجسَــدْ
أنظُــرْ . هنا يا رستُمُ الـــقلبُ وها هنــا الكبِــدْ

[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله و إلى ما بينهما (المعدة)]

[ثم مستمرا] :

وها هنــا الضمــيرُ بيـــن القلب والكِبْدِ قعــدْ

رستم : هنــا الــدَّجــاجُ والحمـــامُ هــا هنا بــلا عَــددْ
حيــدر : والبَــطُّ أيضًــا والإوَزُّ والحمــارُ والــوتَــدْ
وكــلُّ ما تَسرِقُ أو تخطَفُ من هــذا البــلد
رستم : حيــدَرُ هــل يُختَرعُ الــضمــيرُ أو هــل يُــزْدَرَدْ
وهـــل لــه حوصــلةٌ وهــل له رجِــلٌ ويَــدْ

حيدر : يا أخى إنّ الضميرَ الـنّـفسُ أو بيتُ الشُّعورْ

وهو فيلٌ فى صدورٍ وهو فأرٌ فى صدورْ

وجبالٌ من حديدٍ أو جبالٌ من حريرْ

وسعيدُ الناسِ من لم يَشْكُ من وخزِ الضميرْ

قمبيز [يقوم هائجا وكأنما يفرّ من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيا ؟ ماذا بيا هـذا شقيق بُرديا

هـذا شقيق برديا وخنجرى فى صدرهِ

جئتَ أخى تجزى أخا كَ عن قبيح غدره

[ثم يزداد هياجا و يفرّ من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسةُ أختى ألا تصفحين أتوسةُ زوجى ألا تغفرين

[ثم ينظر يمينا و يسارا وهو كالمجنون و يقول] :

آهِ لِيَهْ آهِ لِيَهْ ما هذه الزّبانيَهْ

كتيبةٌ بموضعٍ وعسكرٌ فى ناحيَهْ

وأرؤسٌ بوهْدةٍ وأرجلٌ برابيَهْ

كلٌ يصيحُ رُدَّ رو حى رُدَّ لى دمائيَهْ

قمبيز [مع الأشباح] :

ويلى من الماضى ومن أشباحه

هذى خيالاتُ الزمانِ الخالى

عجبُ العجائبِ ويحَ لى ماذا أرى

شبحٌ . أجلْ شبحٌ وطيفُ خيال

شَبحٌ كالمَلَكِ الوا	فى لِعينَىَّ يلوحْ
شَبحٌ كالزنبقِ النا	عِم يَغْدو ويروحْ
ظَهرَ الحسنُ عليه	وسرى الطيبُ يفوحْ

تمثالُ نيتيتاسَ حول مذاهبى	أحِبْ بنيتيتاسَ والتمثالِ

ما بالُه ألقى علىَّ سكينةً	وأراحَ وِجدانى وأنعمَ بالى

زوجاه نيتيتاسُ ملْكةَ فارسٍ

مالِى حُرِمْتُ حنانَ قلبِك مالِى

يا ليتنى لم أسمع الواشى ولم

أخرج خِيالَك من قديم ضَلالى

قد ساءَ حالِى فى غيابِك فارجِعى

هيهاتَ بعدَكِ من يرقُّ لحالى

أأراكِ عندى والأمورُ رخيَّةٌ

وأراكِ عند شدائدِ الأهوال

باللهِ يا طيفَ الحبيبةِ قلْ لها	خلفْتُ قمبيزاً بأسوأ حال

صِفنى لها تعِساً كما شاهدتَنِى

قد عادنى صَرعى وجدَّ خَبالى

يا بنتَ مِصرَ ويا يتيمةَ تاجِها

عودى فِداؤكِ دُولتى ورجالى

[ثم مستمرا] : طابَ وِردُ الحِمامِ يا نفسُ هَيَّا
خنجرى خنجرى إلىّ إلَيَّا

[ويطعن نفسه بالخنجر ويقع]

جماعة من الفرس :

يا فُرسُ يا قومَ كسرى — النّازلينَ السّحابا
كسرى مضى للنارِ — شُقُّوا عليه الثيابا
وحَطّمُوا فى ثَراهُ — سيوفَكُم والحِرابا

[كبراء الفرس يتشاقون الثياب]

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيابَكْ — خُذ ثيابى
تعالَ خُذ قميصى — وأعطِنى قميصَكْ

[يمزق كلاهما قميص الآخر]

مصرى من الحاضرين [لآخر همسا] :

أنظر أخى الفُرسَ وماتابَهُمْ — شَقُّوا على المجنون أثوابَهُمْ

الكهان [لجماعة المصريين] :

يأيها المرضَى اسجدُوا — على دماءِ «آبيس»
ويا أصحاءُ انهلُوا — من دَمِهِ المقَدَّس
يا لشقاءِ جَسَدٍ — فى دمِهِ لم يُغْمَسِ

المصريون يتشاقون الثياب :

فارسي إلى آخر :

أنظُـرْ إلى أبنـاءِ مِصــــرَ فإنّ أمرَهُـمُ عُجابْ

أنظـر ألستَ تراهُـمُ شقُّوا على العجلِ الثيابْ

وزير فارسي [يخطب المصريين] :

أيّهـا الكُهّان من شتّى الرُّتَبْ

عَظُمَ الخطْبُ فمـا تُغْنِي الخُطَبْ

إن كسرى تغفِرُ النـارُ له

كان فى مَصرعِ آبيس السَّبَبْ

أيّهـا الشَّعبُ

مصرى لرفاقه : أميـلوا إسمعُـوا

كيف يُنْشِي المستبدّونَ الخُطَبْ

الوزير [مستمرا] :

قـد أتى قمبيزُ كسرَى ما أتَى

وهـو مدفوعٌ بسلطانِ الغَضَبْ

مصرى [لأخيه بصوت منخفض] :

ليتَـه بالَ عـلى نيرانِكم بَوْلَةً تُطفِي لظَاهَا واللَّهَبْ

الخطيب الوزير :

نحن لا نُسـألُ عـن فَعْلتِـه

قـد جَنَى الرأسُ فمـا ذَنْبُ الذَّنَبْ

أيّها الكُهّانُ قد حَلّ على ربِّكم آبيسَ مقدورٌ غَلَبْ

[ثم ملتفتا للشعب قائلا] :

مالي أرى من جانبِ الشَّعْبِ
بوادرَ الفتنةِ والشغبِ

قائد فارسي : ما أُغْضبَ الشّاة من الجزّارِ
حذارِ حلمَ فارسٍ حذارِ
لا تقِفُوا لسيْفِها والنّارِ

[تتفرق الجماعة هنا وهناك ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم]

أحدهم [لزميل له] :

ماذا جرَى ؟

زميله : أما ترَى؟ على الثّرَى هذا الدّمَا

آخر : آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِرْ ساءَ الخَبَرْ ما أشأمَا

الثاني : حامِي الحِمَى ما استَسْلمَا لكن سَما إلى السّمَا

آخر : لقد وهمتَ يا أخِي أفِقْ وراجعِ الرّشَدْ
أبِيسُ فارق الوتَدْ وسارَ رحلةَ الأبَدْ

الأول : ألعمَى يا أخِي العمَى اترك الأرضَ والدّمَا
وتأمّلْ معي السّمَا اتّخذَ الجوّ سُلّمَا
هو هذا تبَسّمَا وعلى الجمْعِ سَلّمَا
وإلى الخُلْدِ قد سَمَا

الثاني : عجِيبٌ شأنُ آبيس لآبيس جناحانِ
وهذا الرّيشُ من دُرٍّ وياقُوتٍ ومَرجانِ

وهـــذا هـــو يرعاك بعينيــه ويرعانــى

آخر [لزميلين له] :

أنظر «أنى» إسمع «فتّا» أبيس بالفرس سحر
جنّ قمبيز ولم يزل به حتى انتحر

شيوخ الكهان :

بوركت يا آبيس يا صاحب المجد
يا موضع التقديس ومنزل الحمد
سرّك فى منفيس وأنت فى الخلد

شبان الكهان :

أبيس سر للسماء وانزل مع الخالدين
وخل تلك الدماء تحاسب المعتدين
أنت سماء الجلال حمى الديار الأمين
القرن كالشمس طال وعز فى العالمين
يا صورة من فتاح ومن سناه المبين
هذا شعاع الصباح أم غرة فى الجبين

ستار الختام

مصرع كليوباترا

تمهيد

زمن الرواية : الأيام الأخيرة فى حياة كليوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة «أكتيوم» البحرية وانتحار كليوباترا .

مكانها : فى الإسكندرية وأرباضها .

أشخاصها :

(ا) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .

مارك أنطونيوس .

أكتافيوس قيصر .

قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .

زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حابى ..
ديون .. } مساعدو زينون .
ليسياس

هيـــلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حابى غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : رومانى فى معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه .

أولمبوس : طبيب رومانى فى بلاط كليوباترا .

أنشـــو : مضحك الملكة .

غانمـــيز : ساقيها .

حـــبرا : عرافها .

أيـــاس : شاديها .

أخيـــل : قائد الأسطول المصرى وربان أنطونياد سفينة كليوباترا .

بـــولا : شاعر .

أغا القصر

(حـ) النكرات المسرحية : جنود وقوّاد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

« فى مكتبة قصر كليوباترا ـ حابى وديون وليسياس جلوس إلى عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يومُنا فى أكتيُوما ذكرُه فى الأرض سارْ
إسألوا أسطولَ روما هل أذقناه الدَّمار !

* * *

أحرز الأسطولُ نصرا هزَّ أعطافَ الدّيار
شرفاً أسطولَ مصرا حُزْتَ غايات الفَخار

* * *

صارت الإسكندريه هى فى البحر المنار
ولهــا تاج البريه ولها عرش البحار

* * *

حابى : إسمع الشعبَ (دُيونُ) كيف يُوحون إليه
ملأ الجوَّ هُتافاً بحيــاتْى قاتليْــه

أثّر البهتانُ فيه وانطلى الزور عليه
يا له من بَبغّاء عقله فى أذنيه

ديون :

حابى ، سمعتُ كما سمعتَ وراعنى أن الرّميّة تحتفى بالرامى
هتفوا بمن شرب الطّلا فى تاجهم وأصار عرشَهمُ فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حابى :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتمس الهواء
وكان البحرُ كالميْت المُسجّى وكان الليلُ للميت الرداء

ديون :

نعم وهناك آنسنا سحابا وراء الليل جللت السماء
فقلت انظر ديونُ ترَ الجوارى يَطأنَ الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوائبَ لا دليلَ ولا حُداء
رَجَعْنَ رجوعَ قرصان أصابوا من الغزو الهزيمةَ والبلاء
فلم نسمعْ لملّاح هُتافاً يُبشرُ بالقدوم ولا نداء
ولم نَرَ فوق سارية سراجا ولا من ثَقْب نافذة ضياء

حابى : فماذا قلت ؟

ديون :

قلت ديونُ إنى   أرى الأسطولَ بالويْلات جاء
دخولُ الظافرين يكونُ صبحاً   ولا تُرجَى مواكبُهم مَساء
فلما أصبح الصبحُ انتبهنا   نَرى الأسطولَ أزْيَنَ ما تَراءى
تبرَّجَت البوارجُ بعد عُطْل   وهَزَّتْ فى ذوائبها اللواء
وردَّدَ فى المدينة أن روما   عفا أسطولُها ومضى هَباء
فضجّ الناسُ بالبُشْرَى وكدّوا   حناجرَهم هُتافاً أو دُعاء
هداك اللهُ من شَعب برىء   يُصَرِّفه الُمضَلِّلُ كيف شاء

ليسياس [هامساً لحابى] :   [تدخل هيلانة]

حابى ، صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ   وأقبلت بالطلعة الفتَّانهْ
تَنفَحُ كالزَّنبقة الغَيْسانهْ

حابى :

ليسياسُ ، أنهاك عن المجانهْ   هيلانةٌ فى القصر قَهْرمانهْ
لها وقارٌ ولها مكانهْ

هيلانه : سلام لك يا حابى

حابى :   سلام لك هيلانه

هيلانه : أمِرْتُ أن أقول للأمين   ستحضرُ المَلْكة بعد حين
فبلِّغ الأمرَ إلى زينون

حابى : سيدتى سأفعلُ أمرَكما ممتثلُ
هيلانه: تَقرننى بربَّتى ! ذلك ما لا أقبَل
حابى : هيلان ، أنت مَلْكتى وأنت وحدَك الملَكْ
هيلانه: بل كيلبترا وحدَها لم يَمْحُ شمسيْن الفَلَك
إن أنت لم تؤمنْ بها فلسْتَ لى ولستُ لك

[تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر فى هيئة تفكير واضطراب]

حابى : ذاتُ الجلالة سيدى قد آذنَتْنا بالزياره
زينون: هذه حجرتُها لا عدمَتْ طيبَ ريّاها ولا ضوءَ حُلاها
كل يوم تتجلى ساعة هاهنا كالشمس فى عز ضحاها
تدخلُ الدارَ فتنسى مُلكها بلقاء الكُتْبِ أو تنسى هواها
[محدثاً نفسه فى ركن قصى من أركان المكتبة] :
أما الشبابُ فقد بَعُد ذهب الشباب فلم يَعُد
ويحى أمن بعد السنيـ ن وقد مررن بلا عدد
أو بعد طول تجاربى ومكان علمى فى البلد
تَجنى الحسانُ علىَّ ما لم تَجْن قبلُ على أحد ؟

ديون [هامساً إلى زميله] :
حاب ، ليسياس ، أقسمُ أن زينونَ مغرَمُ

فضح الشيخَ حبُّه والهوى ليس يُكتم

ليسياس: بمَن الشيخُ مولَعٌ ليت شعرى متيَّم ؟

ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى ؟

حابى [ضاحكا] : كلُّ خاف سيُعلم

زينون [مستمراً فى حديث نفسه] :

مالى جننتُ فصرتُ أُتَّهم الشبابَ وأُضطهدْ

لم ألقَ رأساً فاحما إلا حَملتُ له الحسد

ووجدتُ لاعجَ غيرة بين الجوانح يتّقد

فكأنّ ظلمةَ شعره فى مُقلتىَّ هى الرَّمد

وكأنما سرَقت ذوا ئبُهُ شبابى المفتقَد

ولو ان لى ولداً فما ت لما بكيت على الولد

حذَراً وخوفاً أن يكو نَ بها تعلّق أو وجَد

شكٌّ يعذّب مهجتى إن الشّكّ فى كبَد

[يلتفت إلى حابى ويطيل إليه النظر ثم يناديه] :

حابى ، بنىّ

[يأتى إليه حابى]

قل ولا تُخْفِ علىّ ، هل تُحبْ ؟

حابى : أحب ! من قال ؟

زينون: سمعتُ

حابى : من روى لك الكذب ؟

زينون: بُـنىّ ، ليسَ بالفتى إذا أحبَّ من عَجب
مَن لم يُحبَّ لم يُؤدِّ للشبـاب ما وجب

حابى [متهكما] :

لكن أأدعى الهـوى وليس لى منـهُ سببْ ؟

زينون: حابى ، بُنىّ لا تَرُغْ منَ السؤال بل أجب
لولا الهوى لم تَكُ فى ظل الشباب تكتئب
ما بال بشْرك امحّـى ولونك الغضّ شحب ؟
والدمـوع من مآ قيـك تكاد تنسكب ؟

حابى [ساخراً] :

أفقْ زينونُ واصحُ من الغوانى أبعد الشيب تخدعُك النساء ؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلام علىّ عشقاً ؟

حابى : دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون: ومن أنباك ؟

حابى : أنت !

زينون وكيف ؟

حابى : تَهْــذى فتفضحك الوساوسُ والهُذَاء
كمحموم يبوح وليس يدرى تكشَّفُ عن سرائره الغطاء
أَبَعدَ العطفِ والإشفاق يشقى بصحبتك الشبابُ الأبرياء؟
فكلُّ فتى رَأيت زعمت صبًّا يُخامرُه من الرُّقطاء داء ؟
وما كَعَمَى الشيوخِ إذا أحبُّوا وليس وراء غَيْرتهم بلاء

زينون [لنفسه] :

إلهى قد فُضحتُ وضَلَّ شيبى وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

[لحابى] :

صدقتَ بُنىَّ بى داءٌ دخيلٌ وليس إلى الدواء لىَ اهتداء
علىَّ تلوَّت الأفعى ، فهلْ لى من الأفعى ونَكْزَتِها نَجَاء؟
أرى ولَهاً وأحسبُهُ جنوناً كسانيهِ على الكِبَرِ القضاء

حابى : وتُعطَى حين تَلقاها ابتساماً وأنطنيوسُ يُعْطَى ما يشاء
صباحُهما مُغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبَل المساء
أترضى أن يكون سريرُ مصر قوائمهُ الدعارةُ والبغَاء ؟
أتهدمُ أمةً لتَشيدَ فرداً على أنقاضها ؟ بئس البناء!

أبى ، شيخى ، اجترأت عليك فاصفح
فلم أك أجترى لولا الوفاء

لقد آن التكاشفُ والتَّواصى ... بما توحى الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنَّا ... جنود الحق يجمعنا لواء
شبابٌ نحن يعوِزُنا شيوخ ... بهم فى المدلهمَّةِ يُستضاء

زينون: كفى ، إنى نفضتُ يدىّ منها ... ومُزِّقَ عن بصيرتىَ الغشاء
حابى : أبى زينونُ قد بُحتُ ... من السر بمكنونى
وما غيرُك زينون ... على السر بمأمون
[يشير إلى ديون وليسياس] :
أخى ، هذا أثينىٌّ ... وخِلِّى ذاك مَقْدونى
كِلا الخِلَّين للحق ... كما أدْعوه يدعونى
كلا الخلَّين ذو جَدٍّ ... بأرض النيل مدفون
فليْسا فى هوى مصر ... وفى طاعتها دونى
فدينا الوطنَ الغالىَ ... بالجنس وبالدين
ولم نصبر على حكم ... لروميَّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ... ولسنا حزب أنطُون
ولا نخضَعُ للبأس ... ولا نُخْدع باللين

ولم يَبقَ على الوُدِّ لروما غيرُ زينون

زينون: معاذ الله ، عُدُّونى من العصبة عُدُّونى

كساك اللهُ يا روما لباسَ الذلّ والهُون

حابى : أبى ، أنت الطبيبُ وكُلّ داء له فى صَيْدليّتك الدواء

فَهيِّ لها ابن ساعته وعجِّلْ يُعَجَّلْ فى السماء لك الجزاء

لعل سمومَك الزُّعْفَ المواضى من الأفعى وفتنتها شفاء

[يدخل جندى من حرس الملكة معلنا قدومها]

الحارس : الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم] :

الملكهْ ! لا بَرِحَتْ مُمَلَّكهْ !

ودام مجدُ المملكهْ !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنتو مضحك الملكة وأغا القيصر]

الملكة: تحيّتى لأُمناء المكتبه وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه

زينون : سلام السّموات فى مجدها على رَبَّة التاج ذات الجلالْ

تمنيتُ رأسين لا واحداً إذا مسَّت الأرضَ هامُ الرجالْ

أطَاطئُ رأساً لمجد النبوغ وأخْفضُ رأساً لمجد الجمال

حابى . ديون . ليسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :

أنشو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيه عن رأسين رأسٌ فيه وجهان ؟

فحيناً هو مصرىٌّ وحيناً هو يُونَانى
وفى مجلس يوليوسَ وأنطونيوس رُومانى
وإن لاقى أغا القصر فنوبىٌّ وسودانى

[يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل]

الملكة: كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عَدِمنا بركاتِكْ
صلِّ من أجلى ولا تنـ ـسَ صغارى فى صلاتك

أنوبيس: رَبَّةَ النيل التَّحيا تُ الزَّكيَّاتُ لذاتِك
حَرَسَتْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومدّتْ فى حياتك

الملكة: هُوَ ذا ابنى قيصرونُ يَتَلقّ نفحاتِك

الكاهن [لنفسه]:

إيزيسُ كيف أُصلى على ابن يوليوسَ قيصرْ ؟
أبوه عال ولكنْ فرعونُ أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف فى أكتيوم]

الملكة [عابسة]:

كاهنَ المُلْكِ، سادتى، هل سمعتمْ رَنَّةَ الصوتِ فى جوانب قصرى؟

أنوبيس: هم رعايا مليكتى

الملكة: ليت شعرى

ألخيرٍ تجمَّعوا أم لشرٍّ ؟

شرميون:

الجماهيرُ يا مليكةُ بالشطِّ يموجون في حُبورٍ و بِشرِ

سَرّهم ما لقيت في أكتيومٍ من ظهورٍ على العدوِ ونصر

لا يقولون أو يُعيدون إلا نبأً بات في المدينة يسري

الملكة:

بالإفك الرجال ! ماذا أذاعوا كذبٌ ماروَوْا صُراحٌ لعَمري

أيَّ نصر لقيتُ حتى أقاموا ألسُنَ الناس في مديحي وشكري؟

ظَفر في فم الأمانيِّ حلو ليت منه لنا قُلامةَ ظُفْر

وغداً يعلمُ الحقيقة قومي ليس شيءٌ على الشعوب بسرِّ

شرميون:

ربّةَ التاج ذلك الصُّنع صُنعي أناوحدي وذلك المكرُ مَكري

كثرتْ أمس في الإياب الأقاويـ ـلُ وظَنَّ الظنونَ من ليس يَدري

فأذعتُ الذي أذعتُ عن النصـ ـرِ وأسمعتُ كلَّ كوخ وقصر

خفتُ في خاطري عليك الجماهيـ ـر وأشفقتُ من عدًى لك كُثْر

فاغفري جُرْأتي، فياربَّ ذنب يتعب العذر فيه مهّدْتِ عذري

الملكة:

شرميونُ، اهدئي فما أنت إلا مَلَكٌ صيغ من حنان وبِرّ

أنت لي خادمٌ ولكن كما أنا في المُلمّات أهلُ قُرْبى وصهر

إنما الخادمُ الوفيُّ من الأهـ ـل وأدنى في حال عسر ويسر

إسمعي الآنَ كيف كان بلائي … وانظري كيف في الشدائد صبري

أيها السادةُ اسمعوا خبرَ الحر … ب وأمرَ القتال فيها وأمري

واقتحامي العُبابَ والبحرُ يطغى … والجواري به على الدم تجري

بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ … عبقريٌّ يسيرُ في كل عصر

أخذتْ فيه كلُّ ذات شراع … أُهبةَ الحرب واستعدّتْ لشر

لاترى في المجال غيرَ سَبُوح … مقبل مدبر مكر مفرّ

وترى الفُلكَ في مُطاردة الفُلـ … ـك كنَسر أراد شرًّا بنسر

وتخال الدُّخانَ في جَنَبات الـ … ـجو جُنحاً من ظلمة الليل يسري

ودَوِيَّ الرياح في كل لُجّ … هزجَ الرعْد أو صياحَ الهزَبْر

وترى الماء . منه عودُ سرير … لغريق ، ومنهُ أحْناءُ قبر

يغسلُ الجُرحَ شرٌّ مَن غسَل الجر … حَ ويأسو من الحياة ويبْري

كنت في مركبي وبين جنودي … أَزِنُ الحربَ والأمور بفكري

قلت روما تصدّعت فترى شطـ … ـراً من القوم في عداوة شطر

بَطَلاها تقاسَما الفُلكَ والجيـ … ـشَ وشبًّا الوغى ببحر وبرّ

وإذا فرّقَ الرُّعاةَ اختلافٌ … علّموا هاربَ الذئاب التّجرّي

فتأملتُ حالتيّ مليّا … وتدبرت أمر صحوي وسكري

وتبينتُ أن روما إذا زا … لت عن البحر لم يَسُدْ فيه غيري

كنت فى عاصف، سللتُ شراعى منه فانسلّت البوارجُ إثْرى
خلصت من رَحى القتال وممّا يلحق السُّفْن من دمار وأسْر
فنسيتُ الهوى ونُصرة أنطو نيوسَ حتى غدرتُه شرّ غدر
علِمَ الله قد خذلتُ حبيبى وأبا صبيتى وعونى وذُخرى
والذى ضيّع العروشَ وضحّى فى سبيلى بألف قُطْر وقطر
موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه بنتَ مصرٍ وكنتُ مَلكةَ مصر

[ملتفتة إلى زينون] :

زينونُ . فصّلتُ الخبرْ عن القتال والسفرْ
وقلتُ عن إيابى وخُطة انسحابى
ماليس يعلمُ البلدْ ولا درى به أحدْ
فهل لديك الآنا مايَجلبُ السُّلوانا
من الأمالى المُسْليهْ والصحُف المُلْهِيَهْ

زينون: عندىَ يا مولاتى روائعُ الآيات
تسعون ألف سِفْر قد كُتبتْ بالتبر
من كل رَقٍّ عجبِ فى العلم أو فى الأدبِ
قيصرُ أنطونيو وهب لنا مناجمَ الذهبْ
وكلَّ غال مدّخرْ من الجواهر الأُخَرْ

أسلابه من حربه وطَعنــهِ وضـرْبه
هـديةٌ من قيـصر لبَـلدة الإسكندر

أنتو : إذا كانت الكتْبُ فى شرعكم نظيرَ الجواهر كُفْءَ النُّضارْ
فإنى الغنىُّ بدُرِّ القــواقـ ـع حين يُرصَّعُ تبر العُقار
وما الكتْبُ قوتى ولا منزلى فـا أنا سوسٌ ولا أنا فار

الملكة : حكيمٌ لعمرى على جهله ظريفُ الحديث لطيفُ الحوار

زينون [مغيظا] :

ولكنها حكمةُ السائمات وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَدَّى الشعورَ بحبِّ البقاء وخوف الدمار

أنتو : رويدك مولاىَ بعضَ السِّباب فليس السِّبابُ سبيلَ الكبار
سَهِرتَ الليلَ طـال فقطّعته بدَرْسٍ وأصبحت تفْنى النهار
وأقبلت بالكتب تطوى الطِّوالَ وتَنشُرُ فى إثرهنّ القصار
وزِدتَ على الأرض علمَ السماء كبارَ كواكبها والصغار
إذا ما نَفَقتَ ومات الحمارُ أبينك فرقٌ وبين الحمار ؟

زينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيده ؟

الملكة [ضاحكة] : واحـدةٌ بواحـده

أبى أُنوبيسُ ، أرجو

أنوبيس : بـل تَأمُرينَ مُطاعـهْ

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هـذا مُقـامُ صلاتى وهيكلى للضـراعهْ

ولى خطايا كثـيره لا تَبرَحُ البـالَ ساعه

فادخلْ وصـلِّ لأجلى فمنك تُرجَى الشَّفاعه

[يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابى وديون وليسياس]

ديون [متهكما] :

إسكندريةُ صرت رَفرَفَ معبد من كلِّ ناحيـة عليه سـتارُ

اختَصَّ آلهـةُ الجلال بسرّه وتفرَّدَ الكُهَّان والأحْبـار

ما خَطْبُهم حابى ، وماذا بَيَّتوا

ليسياس : ما هذه الألغاز والأسرار ؟

حابى :

أرأيتَ وقعةَ أُكتيوم وماجرى فيها وكيف تصرَّفَ المقدار!

ليسياس، إنك قد سمعت حديثَها كالسحر فى الآذان حين يُدار

تبدو الخيانةُ فيه وهى أمانةٌ ويُرى الثباتُ عليه وهو فرار

وعلمت كيف نجت وكيف انقض عن أنطونيُو أسطولُهـا الغـدَّار

ليبياس :

واليوم حابى، أين أنطونيو وما فعلت بفَلّ جيوشه الأقدار ؟
قل لى : أحيٌّ فى البلاد مشرَّدٌ هو أم له قـبرٌ بمصر يُزار ؟

حابى :

ليبياس ، تسألنى تجاهلَ عارف

ليبياس : بل جاهلٍ لم تأته الأخبار

حابى :

لم تأت حتى جاء فى آثارها للحبِّ أجنحةٌ بهن يُطار
ويقال بل أخذته تحت شراعها ونجا به فُلْكٌ لها مِصار
تجرى الرياحُ بما تشاءُ قلوعُه ويسيرُ فى طاعاته التيار
ويُقالُ غضبانٌ عليها عاتبٌ ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤاد مُثار
وعلى صفاء العاشقين سحابة وعلى سلام الصاحبيْن غُبار
آلَى وأقسم لا يُرى فى قصرها حتى يُقوَّمَ مجدُه المنهار
إن البلاء أجلُّ من ألاّ يُرَى

ديون : عجبٌ أتخفَى فى الهشيم النار؟

حابى :

أنطونيو منا بأقرب نُكْنة يدعو من الرومان من يختار
ويُعدُّ أُهبتَه ليوم حاسم فى البر يغسلُ عنه فيه العار
ويكون ميدانَ الرحى ومدارَها تلك التلالُ وهذه الأسوار

فهناك خاتمةُ الصِّراع وموقف إما الـدَّمارُ به وإما الغـار

[يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجابْ مالـــكةَ العالمـينْ
شعبُكِ لاقَى العـذابْ من عَبث الظالمـــينْ

***

يا من خفضنا الجباه لعـــزِّها ساجـدينْ
صُغنا إليك الصـلاهْ من أدمع النـادمينْ

ســـتـــار

المنظر الثانى

«فى إحدى غرف القصر الملكى ورحى الحرب دائرة بين أكتافيوس وأنطنيوس على أسوار الإسكندرية — حابى فى الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة»

هيلانة : أتدْخُل حابى مَقاصيرَها ؟ بلغتَ من الْجُرْأة المنتهى
ستعلمُ أمرَكَ ذاتُ الجلالـ ـة
حابى : بل أمرت أن ترانى هنـا
هيلانة : عجبت لهـا ولتدبيرها كذلك قد أمرتنى أنا
إذن هى تجمعنا يا جُحُودُ وتجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى
حابى : هيلانةُ خَلِّيك من ذكرها حديثُ الأفاعى طويل المدَى
هيلانة : رُويدَك حابى لقد أحسنَتْ فمالى أراك أسأتَ الجزَا ؟
حابى : هـلانةُ ، يا طيبَها خَلْوةً وإن قَلَّ فى ظلِّها المُلتقَى
تَعالىْ هلانةُ نُعطِ الغرامَ عنانَا الحديثِ ونَشْكُ الجوى
أنيلى يدىَّ يَديْك اللّتين نعيمىَ بينهما والشقـا
هَلمَّ هـلانةُ

هيلانة: حابى أراكَ بِكُنْهِ الأمور قليلَ الهُدَى
من القصر لا تَلتمسْ خَلْوةً وإن هو من كلّ حسّ خلا
سماء القصور لها أُذُنان وأرضُ القصور بعينْ ترى

حابى: هلانةُ لا تقطعى نَشْوَتى بقُرْبك أو حُلُمى باللّقا
أمهما تَخيّلتُ صفوَ الحياة خلقتِ على جانبيْه القَذَى؟

هيلانه: حنانَكَ حابىَّ لا تتهمْ ولا تَرمنى بعُقوق الهوى
ولُذْ بالأناة فإن الأناةَ صَديقُ الصّواب عدوُّ الخطا
فلو كنت وحدكَ شُغلَ الفؤاد لهان البلاء وقلَّ العنا
ولكن حقوقُ كلوباترة

حابى: وأىُّ حُقوق لها تُدَّعى

[تدخل كليوباترة]

كليوباترا: حُقوقُ الولاية ياذا الغلامُ حُقوقُ الرِّعاية ياذا الفتى
وصبرى عليك لأجل الفتاة

حابى [مأخوذاً] : إلهى لقد سمعتْ ما جرى

الملكة: وسدّى المسامعَ حُباً بها وأنت تُعينُ علىَّ العدا
وتُرسلُ فى العَرش هُجْرَ الكلام وتُخفى الحفيظةَ لى والقِلى
ولكنْ لتَنسَ الذى قد مضى فمثلُكَ تاب ومثلى عَفا

دع الذَّود عن مصرَ لى إننى   أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطع الفتْيةَ العابثين   أُسودَ الكلام نَعامَ الوَغى

[يدخل أنوبيس]

[إلى أنوبيس]

أبى : قد أتيت

أنوبيس : سلامٌ عليْكِ   شُعاعَ المدائن نورَ القرى

الملكة : أبى قد تَلاَقَى هنا العاشقان   وكان بتدبيرىَ الملتقى
فباركْ فتاتى وباركْ فتاكَ   وكفكفْ هواه إذا ماغلا

أنوبيس : حياتك حانى كنيسيَّةٌ   يشاكلُ أوَّلُها المنتهى
مقيَّدة باليقين القَنوع   وما أمرَ القلبُ أو ما نهى

الملكة : كزَهر المقاصير لم ينتفعْ   بطول الأديم وعرض الثرى

أنوبيس : وتحسبُ فى الكتب علم الحياة   وما منهُ فى الكتب إلاَّ شَذَا

حانى : لعلَّ كذى الشك فى حرصه   يَقيس الطريقَ ويُحصى الخُطا
أرى راكبَ الشك ملءَ المجال   طويل العنان بعيد المدَى
ولو شكَّكتْ فى السراج الفَراشُ   لكان سلاماً عليها السَّنا

أنوبيس : ولكن تَمرُّ على ما تراه   تُجاوِزُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ

[مشيراً إلى هيلانة]

كمولاتِه   طليق الإرادة حُرُّ الحِجَى

تمشّى على جَنَبات الحيــاة ... كما يتمشى شُـعاع الضُّـحى
يخوض الوحول ويغشى الحُلىّ ... ويأوى الحضيضَ ويعلو الذُّرا
ويخترقُ العَرَصات الفساَح ... وينفُذ من ضَيِّقات الكُوَى
ويرتعُ بين أنوف الأسود ... ويلعب بين عيون الظِّبــا .

الملكة: ولكنهُ طاهرٌ حيث طافَ ... نقيُّ الذُّيول عفيف الُخطا
أبى قد نسينا حديث القتال ... فمنذ الصباح تدور الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو ... بظهر المدينة رهن الوغى
هنالك يُقضى مصيرُ البلاد ... فإمـا البقـاء وإما الفنـا
ومن عجب كاد يمضى النهارُ ... وما من رسول ولا من نَبا

[يدخل جندى من جنود أنطونيو منهوكا يعلوه الغبار]

الجندى: سيدتى جئتُك بالأخبار ... لقد جرت بسعدك الجوارى
انتصرت جنودُنا الضَّوارى ... تحت لواء البطل المغْوَار
قيصرُ أنطونيو على آثارى

الملكة: يا فرحا ما أعْظمَ البشاره ! ... حلّت على أُكتافيو الخَساره
«وأكتيومُ» قد أخذنا ثاره ... خُذ يا رسولُ هذه البُشارهْ

[تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون: سيــدتى يا طــربا ... ســيدتى يا فــرحا !
دارتْ عــلى أكتافيُو ... وجيش أكتافيُو الرحى

هيلانه : مَلْكَتِى هـل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة: [منصتة] صـوت بـوق وهتـاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينيها]

هـو والله نشيدى والمغنُّون جنـودى
والخواريقُ التى تخـ ـفُقُ من بُعْد بنُـودى
ولـديْهـا فارسٌ مُلْـ ـتثم شاكى الحديد
يَتراءى فى عنـان الـ ـجَوِّ كالبُرْج المَشيـد
هو أنطنيـوسُ ذُخْرى وطَـريفى وتَليـدى

[إلى شرميون وهيلانه]

أيها البنتان هـذى ليلةُ العيـد السعيد
صَلِّيـا مثـلَ صَلاتى واسجُدا مثلَ سجُـودى

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة]

هو ذا أنطـونيـو من جانب الميناء أقْبَلْ
هيـكَلٌ يحمـله من صافنات الخيل هيـكل
الـرِّداءُ الأرْجُـوانىُّ على عطفيْه مُسبـل
مَبْسِمٌ يضحكُ من تحـ ـت جبين يتهـلَّل
هـو ذا يدنـو

شرميون : أتى والـله

هيلانة : مولاتى ترجَّل

الملكة [تبتدر الباب]

أيها البنتان هذى ليلةُ العيد السعيد

[أنوبيس هامساً لحابى] :

حابى، أحيط القصرُ بالذئاب وبى من السُّخط عليهم مابى

[للملكة] :

سيدتى تأذنُ فى انسحابى ؟ وتأذنين مَلْكتى لحابى

الملكة [ضاحكة] :

إلى الأفاعى ؟

أنوبيس : لا إلى المحراب

الملكة : رَأيكما فى المُكث والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة ماداً يديه]

أنطونيو : إلهتى !

الملكة : قيصرى !

أنطونيو : سلطانتى !

الملكة : ملكى !

أنطونيو: عندى لك اليومَ يادُنياى أخبارُ

الملكة : عَجِّلْ فديتُكَ

أنطونيو : لا ، لا بدَّ من ثمن

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطونيو : ما للمال مقدارُ

[يمد إليها جبينه فى ضراعة]

رُدِّى على هامتى الغارَ الذى سُلبتْ ... فقُبلةٌ منك تَعلوها هى الغارُ

[تقبله]

كليوباترا:

اليومَ تَعلمُ رُوما أن ضَرّتَها ... تُقلِّدُ الغارَ مَن تَهوَى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أن فارسَها ... جيش بمفرده فى الرَّوْع جَرّار

أنطونيوسيدى. هل نحن فى حُلُمٍ؟ ... أسالمٌ أنت ؟ لا أسرٌ ولا عار ؟

أنطونيو :

أسْرٌ؟ وَهمت كليوباترا أتَظْفَرُ بى ... أيدى الكماة وفى كفِّى أظفار

لو قلت قتلٌ لكان القولُ أشْبَهَ بى ... كأسُ المنايا على الأبطال دَوّار

الحربُ تَعلمُ والأيامُ تَشهدُ لى ... أنى شديدٌ على الأقران جبّار

لو كنت شاهدتى والحربُ جارفةٌ ... والصفُّ تحتى بعد الصفِّ ينهار

قد جُنَّ تحتى جوادى فهو عاصفةٌ ... وجُنَّ نَصْلى بكفى فهو إعصار

رأيت حملة صدق غيرَ كاذبة ... لا السَّيْلُ يَحملُها يوماً ولا النار

لما صَدمتُ جناحيْهم وقلبَهمُ ... عن الخيام ومن أوكارهم طاروا

وما وجَدتُ لأكتافيو وقادته ... ريحاً ، ولم أتبيّنْ أيّةً ساروا

ومالت الشمسُ أو كادتْ فراجَعَنى   شوقٌ إليك قديمُ الداء سَوَّار
حتى رَجَعتُ ولو أنى طَرَدتُهُمُ   لبات أكتافُ عندى وانقضى الثار

كليوباترا :

تركتَهم لغد ! هذى مجازفةٌ   غدٌ غيوبٌ وأسرارٌ وأقدار

[مخاطبة أوروس]

أوروسُ ، أنت بفنّ الـ   ـقتال أعلَمُ منّى
الحربُ فنُّك أورو   سُ والسياسةُ فنى
إن كان «مَرْكُ» إلها   فأنت فى الحرب جنّى
فكنْ بحقّك عونى   وقلْ لقيصرَ عنى
إن المنى لم تُقصّرْ   بل قَصَّرَ المتمنى
فلو صَبَرتم قليلا   وسِرتُم فى تأنى
أرحتُمونى وروما   من الخصام المعنّى

أوروس: سيدتى لم تقصدى   لمَّا عذلت سيدى
عَجَّلت فى الحُكم على   مالم تَرَى وتَشهدى
لقد حَملنا حملة   كمثلها لم يُعهَد
استنفدتْ بأسَ القنا   وقُوَّةَ المُهَنَّد
فكان لا بد لنا   نرجى القتال للغد

أنطونيو : كلوباترا دعينا من تجنّيك كلوباترا
أتبكين على الصبر وقوم حُرموا الصبرا ؟
وبى من صبرك الواهى جراح الأمس لم تبرا
لقد مَنَّيْتُ أسطولى لدى أسطولك النصرا
حليف كنت أرجو أن سأشتدُّ به أزْرا
فَعَبَّا تحت أعلامـ ـك حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحينْ وقد كنتُ أنا النَّسرا
وأجرَى الفُلْكَ أكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا بها تَقتحمُ الجمرا
كلانا مارَس الحربَ وعانى الكرَّ والفرَّا
فلما آذنتْنا الحر ب بالمعركة الكبرى
تَسلَّلتِ بأسطولك من غمرتها الحرَّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفاً وقال الناسُ بل غدرا
ولو كان لهم قلب كقلبى التمسوا العذرا

كليوباترا: أنطونيوسُ مَلِكى أنطونيوسُ سيِّدى
ليس العُبوسُ سُنَّةً لوجهك الطَّلْقِ النَّدى
ولستَ من يغضبُ فى ليل الشَّراب والدَّد

ولست للكأس على شاربها بالمفسد
قلبك كنزُ الحب وال‍ ـرحمة والتودُّد
وكم حَقَدتَ ثم أص‍ ـبحتَ كأن لم تحقد
ألستَ بالأمس وأم‍ ـس لفتنة لم تبعُد
وَهبتَ لى جريرتى والصفحُ نصف السُّؤدد
فَاطْوِ معى حوادث ال‍ ـأمس ولا تُجَدِّد
وامض معى فى لَذَّة ال‍ ـيوم ودَعْ هَمَّ الغد

أنطونيو : كلوباترا بحبِّكِ من التأنيب خَلِّينا
لقد سُقتُ وقُوَّادى إليك النَّصْر فاجزينا
مُرى بالكاس والطاس وبالنَّدمان يَسقينا
وبالقَصف وبالعزف وحُذّاق المُغنِّينا
وما طُيِّب ألواناً وما طاب رياحينا
وقولى الشعر عُلْوِيّا كما كنت تقولينا
وأوحيه إلى شادي‍ ـك يُلقيه فيُشجينا
غداً نستأنفُ الحرب ونطويها ميادينا

أنشو : ونَغشاها مَخامير ونلقاها مجانينا

كليوباترا: مُرْ بما شئتَ قيصرُ وأشِر كيف تأمرُ

لكَ قصري وما حوى الـ   ـقصرُ كلٌّ مسخَّرُ
ليس شيءٌ وإن غلا   عن حبيب يؤخَّر
لتكونَنَّ ليلةً   آخرَ الدهر تُذكرُ
لا نُبالي إذا صفتْ   بعدها ما يُكدِّر
تحلُمُ الحُلْمَ لستَ تـد   ـري بماذا يُفسَّر

[لوصفائها ووصيفاتها] :

البدارَ البدارَ يا وُصفائي   ووصيفاتيَ البدارَ البدارا
قيصرٌ قيصرٌ هو الآمرُ النا   هي على القصر فليكنْ ما أشارا
هو يبغي وليمةً فاصنعوها   وانسقوها كما اشتهى واختارا
أطلعوا هذه الشموعَ شُموساً   تَذَرُ الليلَ بالعشيِّ نهارا
وأعدُّوا الخوانَ قد حُمِّل الألـ   ـوان شتَّى وجُلِّلَ الأزهارا
واجمعوا بالمُدام شمْلَ النَّدامَى   وأديروا الكؤوس والأوتارا
واجعلوها وليمةً وبساطاً   يتبارى خلاعةً ووقارا
مصرُ إن أولمتْ سمتْ بالأغاني   درجات وأسمت الأشعارا
لا تَسيروا على ولائم روما   سَرَفاً في الفُسوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العقـ   ـل وجَرَّتْ على الحضارة عارا
ولقد تجعلُ النِّمارَ نَدامَا   ها وأُسْدَ العرينةِ السُّمَّارا

قائد روماني [لزميله غاضباً] :

أتسمعُ ما تقول عَدوٌّ روما قد اجترأتْ على روما البَغيُّ
أتحت لوائها وبجانبيها يخوضُ الحربَ من روما كَميٌّ ؟

الآخر :

غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ عقاباً في البلاد له دَوِيٌّ

الأول [لأنطونيوس في عتب وغضب] :

أميرىَ أنطونيو أفي الحق أننا نَبيتُ سكارى والعدو مُبيِّتُ ؟

[ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائد] :

ألا إنه ليلٌ له ما وراءه غرامُك حيٌّ فيه والمجدُ ميِّت

ستار

الفصل الثانى

«فى حجرة الولائم بالقصر الملكى ، حيث ترى كليوباترا ووصيفتاها هيلانة»
«وشرميون ،وأنطنيوس،وأوروس،وبضعة من القواد الرومان،وأولمبوس»
«طبيب الملكة، وأنشو مضحكها، وغانميز ساقيها،وحاجب يعلن أسماء القادمين»

أنطونيو: قياماً نَشرب الخمرا   على حُبِّ كلوباترا

كليوباترا: على حُبك أنطونيو   على الجيش على مصرا

قائد رومانى : على روما

كليوباترا: دَعوا روما   ولا تُجروا لها ذِكْرا

فما أنطونيو منها   وإن كان ابنَها البِكْرا

ولكنْ تحت أعلامى   يَقودُ البرَّ والبحرا

القائد : أحقٌّ مارك أنطونيو   س من رومية تَبرا ؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ فى عينيها ما تريد]

أنطونيو : أجل أَتبعُ مولاتى   ولا أعصِى لها أمرا

كليوباترا: على حُبكَ أنطونيو

أنطونيو : ثلاثاً أربعاً عَشرا

أنشو : وإن شئتَ فعشرينَ إلى ما فوقها سُكْرا
وإن شئتَ من الدنيا وصَلْنا السُّكْرَ للأخرى

قائد رومانى [لزملائه همساً] :

دَعــوا أنطونيـو إنى أرى السُّكْرَ به أزرَى
لقد كان الفتى الفَطْنَ فصار الحَـدَثَ الغِراّ

قائد آخر [همساً] :

سنلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سُلَّتْ عُقولهمُ انسللْنَا
فما المُتَدلِّه السِّكِّيرُ أهلا لتنصُرَه السيوفُ إذا استُلِلْنا

الحاجب :

أيـاسٌ المُغنّى وجَوْقَةُ العُزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

[يدخلون]

كليوباترا: أهلاً بوفدِ الآلهـهْ أهلِ الفنونِ النابِهَهْ

الحاجب : الشيخُ زَيْنون
ربّانُ أنطونْياد [يدخلان]

أنطونيو: ماذا عن الأُسطول منـ ـكَ يا أُخيلُ نَعلمُ ؟
هل خَمَدتْ فتنتُه أو لم تزَلْ تَضَرَّمُ ؟

أخيـل : مَولاىَ إن البحـرَ يُخ   فى سِرهِّ ويكتُمُ
وما نواه فى غد   مِثْلُ غدٍ مُسْتَبهم
فلا أقولُ مُقدِمٌ   ولا أقولُ مُحجِم
ولا أقول ينبرى   للحرب أو يستسلم

كليوباترا: أخيلُ ، دَعْنا من غد   إنّ غداً تَوَهُّمُ
أخيلُ ، ما العيشُ سوى   ساعةِ صفوٍ تُغنَم
فلا تَكُنْ كداخلٍ   على الندامَى يلطم
أتيْتَهم مُنادماً   لم تأتهم ليَندموا
اليوم شُربٌ

زينون : وغداً حربٌ

غاغـيز : كلامٌ مُحكَمَ !

الحاجب : بُولا الشاعرُ حَبْرا الساحرْ

كليوباترا [ضاحكة] :
حبْرا ، أعندكَ سِحرٌ   يَشُلُ طاغوتَ رُوما ؟
ويَجْعَلُ الناسَ فيها   حِجارةً ورُسوما ؟

[القواد الرومانيون يدمدمون]

أنطونيو : سيدتى لا تجرحى فُؤَّادى   ولا تَنالى بالأذى أجنادى
وقلِّلى السُّخط على بلادى

كليوباترا : أنطونيو ما أنت رومانيٌّ ألم تقل إنك لي جنديٌّ ؟

أنطونيو : بلى ، وددت أني مصريٌّ وأنني تابعُك الوفيُّ

ما في سوى رضاك لي مُضيُّ

أنشو : تلك والله قضيّهْ أصبح الراعي رَعيّهْ

حَكم الحبُّ على قيــــصرَ والحبُّ بليّهْ

صار كالشعب وساوَى هَمَجَ الإسكندريهْ !

أنطونيو : حبرا ، تَكلمْ ألا عجيبهْ ؟ من سحر منْف أو سحر طيبهْ

حبرا : إلهَ الحرب سامحني فإني غُلِبتُ على أبالستي الغِضاب

همُ لا يَجلِسون على غِناء ولا يتحدثون على شراب !

كليوباترا : ولكنْ قيصرٌ يدَعوك حبرا وقيصرُ لا يُردُّ بلا جواب

وأنت الكاهنُ العرافُ فانظر أغيرُ السحر شيءٌ في الجراب

حبرا : إذا ما شئت مولاتي فإني أطالع في الكفوف وفي الكتاب

كليوباترا : أُدْنُ من قيصرَ حبرا وانظُرِ الكفّين واقرا

أنطونيو : تعالَ حبرا وقلّبْ يَديَّ يُمنَى ليُسرى

لعل أسرارَ كفي كواشفٌ لك سِرا

[يتقدم حبرا ويمعن في كف أنطونيوس]

ألا ترَى لي بقاء ؟ ألا ترَى ليَ عمْرا ؟

حبرا : يا عَجَبَ الفال ! مولا ى أعجبُ الناس أمرا
حياتُه بيديْه والناسُ يحيَوْن قَسْرا
إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمِّرتَ دهرا
[قائد رومانى إلى زملائه همساً] :
لو كنتُ منه قريباً لقلتُ فى أُذن حبرا
حياتُه فى يَدَيْه أم فى يَدَىْ كيلوباترا !
كليوباترا : تعالَ الآنَ سَلْ كَفِّى وبَيِّن ما الذى تُخفى

[يتقدم حبرا إليها ويمسك يدها بعناية وشغف]
حبرا : يا لك كفّاً كنقِّ العاج ناعمةٍ كَخَملِ الدّيباجِ
لامِسُها من الجحيم ناجى !
[ضحك]
تفدى الأكُفُّ كلُّها يمينا بيضاءَ حمراءَ ترَفُّ لِينا
كما أطلَّ الشَّفقُ النَّسْرينا
أنطونيو [ضاحكا] :
سمعتِ حبرامليكتى كيف ابتكرْ كلَّف أن يَصنعَ سِحراً فشعَرْ
بولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ فى الأثرْ
كليوباترا : لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانيهِ
وما سَرَّكَ أنطونيو سُرورى كلُّه فيه
فما تأمر فى حبرا بأى البر أجزيه ؟

حبرا [لأنطونيو] :

جائزتى يا سيّدى تقبيلُ هذه اليد !

أنطونيو [ضاحكا] :

قبِّل ولا تَرَدَّدِ

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام] :

حبرا : عجَبٌ عينىَ لا تَقـ وَى على هـذا الضياء
هذه كفُّ إلهٍ جاء فى زىِّ النساء

كليوباترا : خَلّنى من زُخرُف المد ح ومن زور الثناء
ما وراءَ اليد يا عرَّ افُ من غَيْب القضاء ؟
أحضيضٌ يوىَ الآ خِرُ — قل لى — أم سماء؟
خاتَمُ الأيام أوْلَى باهتمام العظماء

حبرا : مُلْكتى يومُك فى الأيَّ ام منشور اللواء
نَابِهُ الصبح كيوم الشمـ س عُلْوىُّ المساء
خَطَر العز عليه ومشى فيه الإباء
ثم يَتْلوه بقاء لم يُطاوِلْه بقاء

أنشو [لزينون] :

رأيتَ الشعرَ قد أجدَى فماذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهتى وملاكى كُفِّى المهرِّجَ عنى

قد نال منى ولولا ناديك ما نال منى

أنشو : سيدتى عبدُك أنشو قد صدقْ
الفارُ فى مَكتبة القصر نطق
يقول إن أسرقْ فزينونُ سَرق !
هَمِّىَ فى الجلدِ وهَمُّه الورق
يَسطو على آثار كلٍّ من سبق !

أنطونيو : إنى أرى أنشو وأمثالَه زادوا على زينونَ فى الجُرْأهْ
يا وَيْحَ للشيخ على فضله أصبح فى مَجلسهم هُزْأهْ

أنشو : هَبوه فى الدرس بحراً هبوه فى العلم أُمّه
لا يَخلُقُ العلمُ نفساً ولا يُنبِّه همّه
كم عالم فى يد الجا هلين مُلقَى الأَزِمّه

كليوباترا: أقلِّ المَزحَ يا أنشو وأرسِلْه بمقدار
فلولا الجهلُ ما رُحتَ تَقيسُ اللَّيثَ بالفار

زينون : يا سماء احفظى ويا أرض صونى
أظهرتْ عَطفَها على زينون !

كليوباترا: يا غانميز هات النبيذ
هات اسقنى واسق الحبيب
واسق الملا

بولا الشاعر : بنتُ الدِّنانْ أمُّ الزمانْ

خبَّــــأها في قبْــوه

ساقي «مِنَا»

لونُ الفَرَحْ حنّا القَدَحْ

سِرُّ السرورْ صَفوُ الحياهْ

قُــوتُ المُنى

كليوباترا: قيصرُ ، ذي سُلافةُ الفيوم

تُنْمَى إلى عَقائل الكروم

مخبوءة من عهد مصرائيم

قد عُمِّرت كعُمُر النجوم

دنانُ مصرِ لا دِنانُ الروم

القواد الروم [يدمدمون ويتهامسون] :

قائد : قولوا يا رومانيّونا تحيا روما

آخر : تحيا

ثالث : تحيا

أنشو [ضاحكا] · تحيا الخمر يحيا السُّكْرُ

القواد : · تحيا روما

جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو : أيها الشادى أياسْ بلغ السُّكْرُ مَداهْ
غَنِّنى شعرَ مَلاكى غنى شعرَ الإله
أنا لا أطرَبُ حتى أسمعَ «الحبُّ الحياه»

أياس [مغنيا] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لرُوحيْنا عن الحب غنَى
غَنِّنا فى الشوق أو غَنِّ بنا نحن فى الحب حديثٌ بعدنا

رَجَّعتْ عن شَجْوِنا الريحُ الحنونْ وبعينيْنا بكَى المُزْنُ الهَتونْ
وبَعثنا من نُفاثاتِ الشُّجونْ فى حواشى الليل برَقاً وسَنَى

خَبِّرى يا كأْسُ واشهَدْ يا وتَرْ وارْوِ يا ليلُ وحدِّثْ ياسحرْ
هل جَنيْنا من رُبا الأنس السَّمَرْ ورشفنا من دَواليها المُنَى

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحياهْ هو من سَرْحتها سرُّ النَّواه
وعلى صحْرائها مَرَّتْ يداهْ فجرتْ ماءً وظلًّا وجَنَى

نحن شعرٌ وأغانىٌّ غدا بهوانا راكبُ البيد حدا

وبنا الملاحُ فى اليمّ شدا   وبكَى الطيرُ وغَنّى مَوْهنا

من يكن فى الحب ضحى بالكرى   أو بمسفوح من الدمع جرى
نحن قرّبنا له مُلْكَ الثرى   ولَقينا الموتَ فيه هيّنا

فى الهوى لم نألُ جُهدَ المؤثر   وذهبنا مَثلاً فى الأعصُر
هو أعطى الحبَّ تاجىْ قيصر   لم لا أعطى الهوى تاجىْ مِنَا

* * *

صوت : مرحى مرحى يحيا الفنُّ

آخر : يحيا الشعرُ

ثالث : يحيا اللحنُ

[تقوم كليوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس]

قائد رومانى [لزميل من زملائه هامساً] :

هلّا نظرتَ إلى الأميرة ؟ إنها   سكْرى تعثّرُ فى خليع عذارها

آخر : وتأمّل المفتونَ كيف جرى على   آثارها وانجرَّ فى تيارها

آخر [لزملائه حيث يسمعه أوروس وألبوس] :

وانظرْ إلى أوروسَ فى تردّده   يأبى الهُتافَ معنا لمولده

أولبوس [ساخراً] :

أوروسُ ملءُ يومه ملءُ غدهْ   فتى تَضجُّ الحربُ من مُهنّدهْ
ويشتهى الأبطالُ فضلَ سُؤدده   قد راعنى فَناؤه فى سيده

بنفســـه وقومه ومولده يَغلو غُلوَّ الكلب فى تودده

يُقيَّدُ الكلب وراء مرصَده فيحرسُ الدارَ على مُقيِّده

أورروس :

تلك الدُّعابةُ يا طبيبُ ثقيلة لحذار ثم حَذارِ من تَكرارها

لولا الوليمةُ والشَّرابُ وحُرْمة لأميرة الوادى السعيد ودارها

لنَزعتُ من أقصى لهاتك مُضْغَة كثُرَتْ على الأبطال فى استهتارها

أولمبوس :

أورروس !

أورروس :

أولمبوسُ صَهْ بَرِحَ الخفا ورأيتَ نفسكَ فى مَفاضح عارها

ماذا خَبأتَ من السُّموم للْمَلكة غفَلَت عن الأفعى ولؤم جوارها ؟

إلَّا تكنْ علمتْ فإنك عندنا جاسوسُ أكتافيو على أسرارها

مازلتَ منذ وفدتَ تُطلعه على أخبار قيصر أو على أخبارها

إنا رجالَ الحرب ليس يفوتُنا لحظُ العيون ولا خَفِىُّ حوارها

[أولمبوس يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد رومانى ويهمس اليه] :

أقْصِرْ أخى إن الجماعةَ عَربدت فإذا لجَجْتَ لَفَتَّ من أنظارها

إسلمْ بنفسك فى الظلام ولا تُثِرْ ريباً أخافُ عليك غِبَّ مَثارها

إنى لأخشى الكأس أن تجرى دَماً فتُصيبَ شيئاً من رَشاش عُقارها

أولمبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :

أوروسُ أنطونيو احسابُكما غداً روما الأبيَّةُ لم تَنَمْ عن ثارها

[يخرج]

أنطونيو [من أقصى البهو] :

أما للرقص هيـــلا نةُ فى ليلتنا حصّهْ ؟

ألا نَجْمَعُ بين الـكا س والنغْمةوالرقصه؟

فهذى فرصة الأنس وقد لاترجع الفرصه

هيلانة : الراقصاتُ يَقمْنا الراقصاتُ يَثبنا

ولا يدعن افتنانا ولا يقصِّرن فنا

[تقوم الراقصات ، برقصة مصرية]

أنطونيو [قادماً] :

مرحى مرحى يحيا الفن

صوت : يحيا الرقصُ

آخــر : يحيا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أو فوقَ ذاك وآذنَنَـــا بالمضىِّ الدُّجى

ودونَ الخيـام سُرى ساعة وعند الصباح تَدورُ الرحى

فهل تأذنين لنـا يا مَلاكُ فلا بد من سِنَةٍ من كرى

ولستُ أقولُ مَـلاكى الوداعَ ولـكن أقول إلى الملتقى

كليوباترا :

مكانَك قيصرُ لا تَذهبَنّ ولا تبرح القصرَ أهلكْ أسَى

أنطونيو :

ذَرينى أُعَبِّئْ للقتال كتائبى فلى فى غد شأنان فى البر والبحر
ذرينى أُهيِّئْ للأحاديث فى غد فإن غداً يومٌ سيبقى على الدهر
ذرينى أزِدْ تاجيْكِ غارَ وقائعى وأقرن بشعبانَىْ جلالهما نَسرى
ولستُ أخافُ الدارعينَ وإنما أخافُ لُجاءات الخيانة والغدر
وليس كمِينَ الحرب ما أنا هائبٌ ولكن كمِينَ الغدر فى ظُلمة الصدر

[لأخيل] :

فياقائدَ الأسطول هل من مكيدة تُدبر لى خَلفَ الشِّراع وماأدرى؟

كليوباترا :

إمض إلى الهيجاء أنـ ـطونيو كما يَمضى الأسدْ
إن الأسود فى اللبَدْ دونك فى هذا الزَّرَدْ

إمض إلى المجد ولا يُقعدْك شُغلٌ فى البلد
المجدُ لايسألُ عن صاحبة ولا وَلَد
أنت لروما فى غد وقيصرونُ بعد غد
والشرقُ سلطانى الذى إكليلهُ لىَ انعقَد
ياليْثُ سرْ، يانسرُ طرْ عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

ستار

الفصل الثالث

« معبد فى الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين »
« القسم الأصغر خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة ، »
« والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر »
« أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقاق »
« وقوارير ، وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما »
« فيه من أفاع وحيات — باب خلفى يؤدى إلى المعبد »
« ونافذة جانبية تطل على الفضاء » .

[فى حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجى نفسه] :

يقولون أنوبيسُ ... وَلوعٌ بأفاعيـهِ
ومشغوفٌ بثعبان ... من الوادى يُربيه
وفى ناديه حيَّات ... من الجن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم ... كما ذقتُ فَنوا فيه
ألا يا رُب خدّاع ... من الناس تُلاقيه

يَعيبُ السُّمَّ فى الأفعى وكلُّ السم فى فيه !

[يخرج من الباب الخلفى]

٭ ٭ ٭

[خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس]

أنطونيوس: أوروس إنى جَهدتُ مَشيا ومَسَّنى الضرُّ والكَلالُ
فل بنـــا نَسترحْ قليلا · من قبل أن يَدهَمَ الرجال

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى] :

أوروسُ، ماذا دهانى؟ حتى نَسيتُ مكانى
أتيتُ ما هَدّ مجدى وحَطَّ رفعةَ شانى
جللتُ نفسى بعار يبقى بقاء الزمان
لما حَمَلتُ جوادى على الفرار ازدرانى
وضجّ منىَ سيفى وضـــجّ منى سنانى
ووَدّت الأرض تحتى لو طُهِّرَتْ من عيانى
أنا الذى كان أمضى من الحديد جنانى
الشرقُ يَدرى نزالى والغربُ يدرى طعانى
كانَ الملوكُ عبيدى فصرتُ عبدَ الحسان
ولستُ أوّلَ حُـرٍّ استعبدتْه الغــوانى

[يسكت لحظة ثم يستمر] :

ولم أرَ كالحرب استراح قتيلُها وأفضى إلى القَيْد الأسيرُ المُقيَّد

ولكن شقيُّ الحرب والمُصطلى بها

إذا انقضّت الحربُ الطريدُ المُشرَّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ

عزيزٌ ولم ينزلْ على القيدْ سيِّد

أوروس :

وقارَك قيصرُ لا تجزعنَّ وخلِّ المقاديرَ تجرى المدَى

تلقَّ الهزيمةَ ثَبْتَ الجنَان كما كنتَ تلقى الفُتوحَ العُلا

فما أنتَ أوَّلُ نجم أضاء ولا أنت آخرُ نجم خبا

وقد ينزلُ الشمسُ بعد الصعود وتَسقمُ بعد اعتدال الضُّحى

ويارُبَّ غارٍ عَراه الجُفوفُ على هامةٍ قد علاها البلى

أمالك أنطونيو أُسْوة بيوليوسَ قيصرَ أين انتهى؟

رأيتك والحربُ تبلو الكُماةَ فأشهدُ كُنتَ إلهَ الوغى

وقد كانَ سيفُك غُولَ السيوف وكانت قَنَاتُك غولَ القنا

وكنتَ إذا الموتُ أفضى إليك تحدَّيتَه فانثنى القَهْقَرى

وكان جنودُك شَر الجنود عليكَ وخيْرهمُ للعدا

فخانت أساطيلُ أمَّلتَها وجيشٌ عَقدْتَ عليه الرجا

وخُلِّفتَ في عسكر كالنِّعاج كثير الثُّغاء قليل الغَنا

فمن يائس مات قبل القتال ومن خائن فرَّ قبل اللقا

أنطونيو :

إذنْ لم أكن في الوغى بالجبان ولا خُنتُ أوروسُ عَهدَ الهوى ؟

وتشهدُ أنيَ أنطونيوس وأني ابنُ روما وأني الفتى ؟

فإن عشتُ عشتُ نَقيَّ الجبين وإن متُّ متُّ كريم الثنا

[يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوروس مبهوتاً]

أنطونيو : أوروسُ !

أوروس: مولايَ

أنطونيو: تأمل من ترى ؟

أوروس: هذا أولمبوسُ وقد حَثَّ الخُطا

أنطونيو : تُرَى إلى أين ؟ ومن أين أتى ؟

أوروس: ها هو سارٍ نحونا ها قد دَنا

[يظهر أولمبوس]

أولمبوس: تحيةً قيصرُ

أنطونيو : بل أنطونيو لاغير بل قُل الشَّريدالمُقتَني

لا تخدعوني قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالولايات كفى

أولمبوس: مولاي

أنطونيو :

لستُ اليومَ مَولَى أحدٍ أكتافيو السِّيدُ والعبدُ أنا

مررت بالقصر فكيف ناسُه؟ هل عن كلوباترا أولمبوسُ نَبا؟
صرّحْ أَبِنْ، قُل غَدرتْ، قل جَدّدتْ بقيصر الثالث دُولةَ الهوى
قد صَنعتْ بي عند حاجة الوغى ما لم يكنْ يصنعهُ بيَ العدا
أسطولُها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا
أولمبوس: مولاى أعْفنى
أنطونيو: تكلّمْ لا تخفْ إنى أرى عليك رَوْعَةَ الأسى
أولمبوس:
مولاى مهلاً فى الظنون واتّئد إن من الظن اتهاماً وأذى
أنت على مالكَ من مُروءة رميْتَ بالغدر أحب مَن وفى
أنطونيو: ماذا تقول؟
أولمبوس: كيلوباترا انتحرت بطعنة الخنجر فى صدر الضحى
أنطونيو:
يا للسماء! انتحرتْ! أين؟ أَبِنْ ولمْ؟ وكيف كان ذاك؟ ومتى؟
أولمبوس:
مَرَرْتُ بالقصر ضُحَى اليوم فلم أجدْ له نَظْما ولا حُسناً يُرى
بَدا لعينىّ خَلاءً موحشا غيرَ عويل ها هنا، وها هنا
أنطونيو:
انتحرتْ! يا للخبرْ! ويا لقسوة القدر!

إن الأمورَ انتقلتْ من خَطر إلى خَطر
ما غَدرتْ وإنما أنا الذى بها غدر
واخَجْلتَا من قولهم انتحرتْ وما انتحر !
إذهب أولمبوسُ ودعــــنى والهمومَ والكدر
ما بجراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

[يذهب أولمبوس]

[لروما] :

روما حنانَك واغفرى لفتاك أوّاه منك وآه ما أقساك !
روما سلامٌ من طريد شارد فى الأرض وطَّنَ نفسَه لهلاك
اليومَ يَلْقى الموتَ لم يهتف به ناع ولا ضَجَّتْ عليه بواكى
إن الذى أعطاك سُلطانَ الثرى لم تنعمى لرُفاته بــثَراك
إن الذى بالأمس زِنتِ جَبينَه بالغار عَقَّك جُهدَه وعصاك
يارُبَّ تاج فى جبينك زاهر عطَّلتُ منه مَفارقَ الأملاك
الأمهاتُ قلوبُهنّ رقيقــةٌ ما بالُ قلبك لم يَلِنْ لفتاك !
أعرَضْتِ غضبى فى الحياة فرحمةً لا تحرمينى فى الممات رضاك
إنْ كان موتى كلَّ ما تبغينــه فهناك ! هأنذا أموتُ ، هناك !
يا أمّ ، عُذرُك فى اتهام بُنُوّتى بادٍ وعُذرىَ فى العقوق كذاك
لولا الجمالُ وفتنة من سحره ما حَلَّ فى قلبى هوى لسواك

صفحاً كلوباترا فَرُبَّتَ زَلَّةٍ قد كنت تغتفرين حين أراكِ
لما لَقيتُك فى الجمال وعزِّه قَهرتْ قُوای الظافراتِ قُواك
فنسيتُ فى ناديك ذِكْرَ وَقائعى وسَلوْتُ أيامى بيوم لقاك
سجدَتْ لأعلامى الصَّوارمُ والقَنا وأبَى مُهنَّدُ لحظك الفتَّاك
قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادراً مالى ضَعُفتُ فقادنى جَفناك ؟
أخرجت أمرىَ واختيارىَ من يَدى وتَركتنى نفساً بغير مِلاك
خلتُ السلامةَ فى نَواك فذُقتها فإذا الكوارثُ كُلهنّ نَواك
عاديتُ قومى فى هواك وأضْرمتْ روما علىَّ الحربَ من جَرّاك
وشَرَدْتُ فى شرق البلاد وجَدَّفى طلبى عِداىَ بغربها وعِداك
أغدو على سيف العدوِّ وناره وأروحُ بين مكامن وشباك
وتَلمَّستْ نفسى السيوفَ ورامنى فى البر والبحر الكمىُّ الشاكى
كانت حياتى للرجال أليَّةً واليومَ هُنْت فأقسموا بهلاكى
ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً فذَمَمْتُ عهدك واتّهمتُ وفاك
حتى إذا حُمَّ القضاءُ وراعنى عُطْلُ المقاصر من بهاء حُلاك
ضَحَّيتُ بالدنيا وقُلت رخيصةٌ وبَذلتُ أيامى وقلتُ فداك

* * *

أمانًا إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ بهذا الحُطام المُستباح المُبعثر ؟
لقد ذلَّ من بعد امتناع كأنه بقيةُ نَصْلٍ أو رُفاتُ غَضَنْفَر
صدعتَ أكاليلي وحطَّمت صارمي وجرَّدتني من أرجواني المُظفَّر
ولم تألُني هدمًا وكنتَ بَنيتني بناءَ الصَّناع القادر المُتجبِّر
ملأت سبيلي بالهوى وصروفه ومن يمش في أرض الهوى يتعثَّر
تنكَّرتَ حتى اخترتَ لي معوَلَ الهوى فليتك لم تغضبْ ولم تتخيَّر

أروسُ غلامي ، إن في النفس حاجةً

أوروس: وعنديَ أقصى طاعة العبد فأمُرِ

أنطونيو :

أوروسُ أرى الدنيا بعينيَّ أظلمتْ وكانت قديمًا كالصباح المنوَّر
وضاقت بي الأرضُ الفضاء فكلُّها سبيلُ طريدٍ ضائع الدَّم مُهدَر
غَويتُ وأوفى بي على الحُفرة الهوى خففتُ، ومن يركبْ شفا الجُرْف يُذْعَر
قُشعريرةُ الخوف اعترتْني ولم تكنْ إذا ما اقشعرَّتْ تحتيَ الأرضُ تعتري
مُلئتُ من الأحداث رُعبًا فضُمَّني إليك وقرِّبْ من إزارك مئزري
أرى الموتَ ممدودَ اليدين كمُنقذ لمثلي من غَرَق الحياة مُسخَّر
دعاني، ولو أني على النفس مُشفقٌ مددتُ إليه الكفَّ لم أتأخَّر
أروسُ، أرى الماضي يطيفُ خيالُه وتعرِضُ لي أحلامُه في التذكُّر

ذكرتُ بروما أربُعى وملاعبى ... وأين ضِفافُ النيل من شَطّ تيبْر؟
وأيامَ يدْعونى الهوى فأُجيبهُ ... وينفخُ فى البُوق المنادى فأنبرى
قَنِتُّ الغـــوانى بُرْهةً وفتنّنى ... ولكننى عنْ سُؤددٍ لم أقصِّر
فهمّةُ قلبى فى شرابٍ وصَبْوةٍ ... وهمّـةُ نفسى فى عـلاء ومَفْخَر
أروسُ تواقفْنا على كلِّ غمْرة ... وكل مجال ثائر النَّقْع أكْدَر
وفى مِهْرجانِ الفاتحين وعُرسِهم ... وتحت لواء أو على عُود منْبر
فمالتْ بنا الدنيا فصرْنا بموْقف ... شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعر
نرى الأرضَ فيه والسماء تناهتا ... إلى فلكٍ نحْس الجهات مُسمَّر
فكيف مُقامى يا أروسُ على الأذى ... وصبرى على العيش الذليل المكدَّر!

أروس :

أجلْ قيصرُ اعتضْنا من العزّ ذلةً ... ومن حلْية الأعلام عُطْل التنكُّر
فهُنّا كأنقاض الحصون على الثرى ... وَضِعنا عليـه كالقنـا المتكسِّر
نَهيمُ كأبناء السبيل وطالمـــا ... أخَفْنا سبيلَ العاهل المتكبِّر
وما منزِلُ الأبطال إلا رحَى الوَغَى ... إذا هى دارتْ أو رواقُ المُعسكَر

أنطونيو : فماذا ترى أوروس؟

أروس : رأيُكَ أوّلٌ ... وعندكَ تُرجَى نظْرةُ الصدق فانظر

لقد عشتُ ظلًّا لا أرى غيرَ ما ترَى ولا خيرَ فى الرأى التَّبيع المُسَيَّر

أنطونيو :

أروس، أنا الأعمى وأنت هى العصا فخُذْ بزمام العاجز المُتحيِّر

أروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس محتوم القضاء المُقدَّر

أنطونيو :

وماذا يقولُ العاجزون إذا ابتُلوا؟

أروس : يقولون حُكمُ الله يا نفسُ فاصبرى

أنطونيو :

أروسُ ، يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عِثارُ الكوكب المُتغوِّر

أروسُ، ألم تفهمْ؟ هو الذلُّ فاشفنى بضرْبَة سَيْف أو بطعنَة خنْجَر

فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفائز بسيفى وأثوابى ودِرْعى ومِغْفَرى

أوروس :

مَعاذ خلال البرِّ مولاى! أعْفِنى فليس يدى تقْوى ولا السيفُ يجترى

وأنت الذى لو بيعَ بالروح وُدُّه ومالى سوى روحى تقدَّمت أشترى

لآلهة الرومان أشكوكَ قيصرى ظَلمتَ فلم تُنصفْ ولائى وتَقْدُر

أتجعلُ فى الميزان حُبِّى وطاعتى وشتّى عروضٍ من ثيابٍ وجَوْهر؟

لقد جادلني بالسيف والدِّرع قيصرُ

[يطعن نفسه بخنجره]

وجُدتُ بأيام الحياة لقيصر

أنطونيو :

أوروسُ عفواً قد ذهبتَ ضحيةً وجَنَى عليك تَرَدّدى المقوتُ
فعلمتَ منى كيف يجبنُ قيصرٌ وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطعن أنطونيو نفسه فيخر على الأرض جريحا]

[ينتقل المشهد إلى داخل المعبد حيث يدخل أنوبيس إلى حجرته ويناجى أفاعيه]

أنوبيس :

هلمَّ لكُنَّ بنـات التلال وجنَّ الخرائب من صالحجَرْ
تبدّلَ من حولكُنَّ المكانُ وأين القفارُ وأين الحُجَرْ
يدُ العلم وهى حديديةٌ حَوَتكن من جَنَبات الحُفَرْ
وجاءت بكُنَّ إلى حُجرتى أسارَى القوارير رَهْنَ الصُّرَر
أرابنَى الناس فى أمركنّ وصرتُ حديثَهمُ والسَّمَر
وقيل أنوبيسُ حاوٍ تسيلُ إليه الأفاعى إذا ما صَفَر
وما فتنى بجُلودٍ لكُنَّ مُرَقَّشَةٍ كإهاب النمِر
ولا بهيـاكلَ مثل العصىّ من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كدَقِّ الحصا ولا بعيون كوَقْد الشَّرَر

ولكن أزاولُ علم السموم وعلمُ السموم جليلُ الخطر
لقد كان لى فى معاناته تجاريبُ أنفقتُ فيها العمُر
إلى أن نجحتُ ، نعم قد نجحتُ وعاقبة الصابرين الظَّفَر
فكم قد شفيتُ بطئّ اللديـغ وأيقظتُ من نزْعِه المحُتَضر
فقيل إلهٌ أعاد الحياةَ إلى الميت أو خدْنُ جنٍّ سَحر
صَنعتُ من السم ترياقَه وقد يختفى النفعُ تحت الضرر
وأنتنَّ والناسُ قد تلتقون ففيكُنّ شرٌّ وفى الناس شر

[يدخل حابى خلسة]

أنوبيس [مستمراً] :

وتقتلَ عُمْىَ عيونِ السلاح ويقتلُ قاتلهُم عن بصر
لسانُ ابن آدمَ أو نابكنّ كلا السائلين لعابُ القدر

حابى : سلامٌ أبت

أنوبيس: حابى ؟ سلامٌ لكَ يا حابى

حابى : أمشغولٌ أبى اليومَ بذات القرْن والناب
وأنطونيوس مهزومٌ وأكتافيو على الباب ؟

أنوبيس[باستخفاف وهو يشير إلى أفعى] :

حابى ، تقهقر ناحيةْ تلك الخبيثةُ داهيةْ

[يتقهقر حابى قليلا بينما يلهو الكاهن أنوبيس بالحقاق والقوارير]

تلك القوارير وذى الحقاق غوثٌ إلى مستنجدٍ يساق
لكل سمٍّ عندها ترياق

حابى : أبتى ، من للرّعيّهْ من لأوطانى الشقيهْ ؟
خلِّ حيّاتك فى الأسفاط واشعرْ بالرزيّه
بعد حين تملأ الوادى الأفاعى البشريّه
أبتى نحن من اليوم عبيدُ القيصريه
أدنِ أذنيك على قدْ سهما من أذنيه
واسمع البوقَ تجدْ من أحرُفِ الرقِّ دويّه

أنوبيس : حابى ، تقبَّلْ هذه القنّينهْ واقبضْ عليها بيد ضنينهْ
فإنها ذخيرةٌ ثمينهْ !

حابى [لنفسه] :

يا للسماءِ لأبى ! تُراه يستهزئُ بى ؟
ويحَ له ، عساه جُنّ أو لعله نبى
أوحتْ له السماءُ علم غيبها المحجَّب
يعلمُ من يُلدغُ من رقطاءَ أو من عقرب
لأحملنّ حُقّه مثلَ تميمة الصبى
يا لكَ شيخاً طيِّباً يأتى بكل طيب !

[مخاطباً أنوبيس الكاهن] :

ريعَ الحِمَى أبى فكيـف للحمى لم تَغضَب ؟
دع الأفاعى واشتغلْ بالأفعُوانِ الأجنب
الوطنُ المَلدوغُ أولَى اليومَ بالمُطبِّب

أنوبيس : وأين كنت يا فتى وأين فتيانُ الحمَى ؟
وأين فُرسانُ المَقَال هل مَضَوْا إلى الوغى ؟
أدَرتُمُ وجوهَكم ساعةَ دارت الرحى
تركتم أنطونيوسَ وحدَه يَلْقى العدا
من أجلكم سلَّ الحُسامَ وإلى الحرب مشى
ما كان ضرَّكم لو التفقتم على اللوا ؟
أبعد أن حلّ على النيل وواديه القضا
ولم يجِدْ من شيبه ولا شبابه فِدا
أتيتَ تَدعونى كما تدعو العجائزُ السَّما
الرأيُ ليس نافعاً إذا أوانُهُ مضى

[يدخل جند من حرس الملكة] :

الجندى : مولاى ، ذاتُ الجلالة

أنوبيس : الملكةُ الآن عندى ؟

[تدخل كليوباترا فى حاشيتها]

كليوباترا : تحيةً يا أبت

أنوبيس : سيدتى فى حُجْرتى

مُرى بما شئت يكنْ وإن تحدَّى قدْرتى

كليوباترا :

أبى ، أعلمتَ أن الجيشَ ولَّى وأن بوارجى أبَت المضيَّا

أنوبيس :

علمتُ وكان ذلك فى حسابى وذا حابى به أفضى إليَّا

كليوباترا :

وهل نبّاك عن أنطونيوسٍ وكيف جرتْ هزيمتُه عليّا

وما أدرى أأردوْه قتيلا صباح اليوم أو أخذوه حيًّا؟

أبى ذهب الحليفُ فكنْ حليفى فقد أصبحت لا أجدُ الوليّا

أبى خفتُ الحوادثَ

أنوبيس : لا تُراعى لَباةُ النيل ليس تخافُ شيّاً

كليوباترا:

أبى لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بى سَبيّا

أيوطأ بالمناسم تاجُ مصرٍ وثمَّتَ شعرةٌ فى مَفْرقيّا ؟

أنوبيس [باستخفاف] :

لتأت المقاديرُ أو فلْتَذَرْ تعالىْ كلوبترا ألق النظرْ

كليوباترا :

أفاعٍ ؟ أبى ، نَحِّها ، أخْفها ؟ أعوذُ بإيزيسَ من كلِّ شرّْ

فماذا تريدُ بإحرازهنّ وهل يقْتنى عاقلٌ ما يضرّْ ؟

أنوبيس :

أتيتُ بهنّ لدرس السُّموم ولم أخْلُ فى علمها من نظر

أداوى بها أو بترياقها محبَّ الحياة أو المنتحر

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محب الحياة أو المنتحر !

كفى أيها الشيخُ ! بل هات زدْ فما بِىَ خوفٌ ولا بى خَوَرْ

وإن تكُ بى خشيةٌ فى النساء فلى جُرْأةُ المَلكات الكُبر

تكلّمْ فليست سمومُ الأراقمِ فى الخُبث دون سُموم البشر

فيارُبَّ صفوٍ سَقَيْتُ الرجالَ فلما تَروَّوْا سقوْنى الكدر

أنوبيس :

قصارٌ وهُن سهامُ المَنون وليس يَعيب السهامَ القِصَرْ

تَمَسُّ الفريسةَ مسَّ السنان وتمضى مَضاءَ الحسام الذَّكَر

وكلُّ الذى لَمستْ مَقتَلٌ ولو أنشبت نابَها فى ظُفُر

إذا جَرحَتْ لم تَقُمْ عن دم كذلك يجرح سهمُ القدر

وماتتْ لا يُحسُّ المنونَ كمَن مات في النوم لا يُحتضَر

كليوباترا [مرددة قوله في صوت خافت] :

وماتتْ لا يُحسُّ المنون كمَن مات في النوم لا يُحتضر!

ولكن أبِنْ هل يُصانُ الجمال؟

أنوبيس : نعم لا يَحولُ ولا يَنـدثر

كليوباترا: وهل يَطفَأُ اللون ؟

أنوبيس : لا بل يُضيء كما رفَّ بعد القطاف الزَّهَر

كليوباترا :

وهل يُبطِلُ الموتُ سحرَ الجفون ويُبلِي الفُتورَ ويُفني الحَوَرْ

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيْفِ الكرى إذا الجفنُ ناء به فانكسر

كليوباترا : أبِن ، والشفاهُ ؟

أنوبيس : لواقِ الذُّبول كما احتُضِرَ الأقحوانُ النَّضِر

وما الموت أقسى عليها فما ولا قُبْلةٌ من عوادي الكِبَر

كليوباترا: وما عَضَّةُ الناب ؟

أنوبيس : وَخْزٌ أخفُّ وأهْوَنُ من وَخَزات الإبر

كليوباترا: وما شَبَحُ الموت ؟

أنوبيس : ماذا أقولُ ؟

كليوباترا: تُمثلهُ لى كأنْ قد حضَر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتى الموتَ شخصاً يُحَسُّ وعَظَّمت من خَطْبه ما صَغُر

وما هو إلا انطفاءُ الحياة وعَصْفُ الردَى بسراج العُمُر

وليس له صُورةٌ فى العيون على قُبْح صُورته فى الفكر

إذا جاء كان بغَيضَ الوجوه وإن جِيءَ كان حبيبَ الصُوَر

كليوباترا :

إذن هذه الرُّقْطُ فى ذمتى فصُنْها وأحسنْ عليها السهر

وأقسمْ لتَأتِ إلىّ بهنّ ولو أن دونى الظُّبا والسُّمُر

أنوبيس :

يميناً بإيزيسَ أحملهُن إليك ولو فى سلال الخُضَر

إذا بات فى خطر تاجُ مصرَ سبقتُ إليك بهنّ الخطر

كليوباترا :

أتجعلُ لى يا أبى آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر؟

أنوبيس :

هو التين أبعثُ حابى به وبالرُّقط بين غُصون الثمر

* * *

ابنتى ذلك محرابى ادخليه للصَّلاة

واسكُبى الدمعَ عسى أن يَقْبَل الدمعَ الإله

هو ذو المُلْك الذى يبقى ويفنى ما سواه

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندى الأول : تحيا روما يحيا قيصرْ

الجندى الثاني : روما العُظمى أبداً تنصَرْ

الجندى الثالث : ما ذاك ؟ ما فوق الطريق ؟ما أرى؟

جِيء رفيقّ معى لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضَرَّجا الثرى

الثاني : نعم أرى ثَمَّ دما وخنجرا

وهيكلينْ من حياة أقفرا

الثالث : جُبتَارُ يامُصرِّفَ الحروب بارِكْ لنا فى هذه الجيوب!

وابعث لنا بالذهب المحبوب

الأول : ياعَجَبَ الأقدار ! أنطونيوسُ ؟

الثاني : أنطونيو ! أجل وذا أورروس!

وأحسَبُ السيدَ مات بيدهْ ثم حذا العبدُ مثالَ سيِّده

لهفى على أنطونيو فى مرقِدهْ

[يئن انطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو :

ويحى أحىٌّ أنا جريحٌ ؟ ماذا يُريدُ القضاءِ ماذا

جنودُ أكتاف أدركونى يا ليتنى متُّ قبل هذا

جندي :

لا بل جنودُك لكن خانوك حُبّاً لروما

آخر : وما نَسُوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترمي بهم مَطلعَ الشمس أو تَؤُمُّ النجوما

أنطونيو : يا جنودي ومَصَابي ليس ذا وقتَ العتاب

اتركوني وعذابي

[يغمى عليه]

جندي : لهفي عليه دائه الإغماء وأوشكتْ تنْزفُه الدماء

وليس إسعافٌ وليس ماءُ

آخر : هَلُمَّا اسلاه هَلُمَّا احملا وجيئا بمولا كما الهيكلا

وأمضي فأُبلغُ أكتافيو الحديثَ أعرِّفُه المنزلا

[في حجرة الكاهن ـ كليوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب]

كليوباترا: أبي دخلتُ ونفسي حَيْرَى الزِّمام حزينهْ

وقد تركتُ المُصَلَّى وملءُ قلبي سكينه

إن الصَّلاةَ على شدّ ة الزمان مُعينه

[يسمع صوت الجند من الخارج]

كليوباترا: ما تسمعون أصيخوا شرٌّ وهذا بريدُهُ

كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُهُ

حابى : أسمعتم! ضجةٌ صاخبةٌ وجريحٌ وجنودٌ فى الطريقْ
ها همُ قد دخلوا الدار به

أنوبيس : دارُنا الشاطئُ لا يأبى الغريق

حابي : ها همُ قد حضروا

أنوبيس : يا مرْحباً أعدُوّاً كان أم كان الصديق

[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :
ويحَ عينى ماذا ترى ؟ ومن المحـ ـمولُ كالسيف فى الأكفّ خضيبا؟
أيها الجندُ ما بأيديكمُ اليو م ؟

جندى : جريحٌ على الطريق أصيبا

كليوباترا :
أفتدرون مَن حمَلْتم ؟

جندى : حَمَلنا هَيكلا عزَّ فى الرجال ضريبا
قد عرفناه خيرَ من هزَّ رُمحاً ونضا صارماً ولاقى الحُروبا

[تتأمل كليوباترا فى وجه الجريح]

كليوباترا :
آه أنطونيو حبيبى أدركونى بطبيب
ما ترَوْن الأرضَ ترْوَى من دَم الليث الصَّبيب
أبتى ، أين قوى طبِّك والسحرِ العجيب

هو في إغماءة الجرح فنبِّهْهُ بطيب
هو ذا يفتحُ عينيه ويُصغي لنحيبي

أنوبيس [محاولا إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسه توالَى وهذا جسمه لا يزال غضاً رطيبا
هو دا قد تحلَّجت شفتاه وتهيَّا لسانُه ليثوبا
أيها المَلكةُ ارفُقي بجريح بات تحت الرداء جُرحاً صَبيبا
لا تناديه بالدموع مرارا ربما ضَرَّ جرحَه أن يُجيبا

أنطونيو :

كيلُبترا ! عَجَبٌ ! أنت هنا ! لم تموتي .. هم إذنْ قد كَذَبونْ

كليوباترا :

سيِّدي روحي حياتي قيصري أنت حيٌّ ؟

أنطونيو : بعد حين لا أكون

كليوباترا :

من نعاني كَذِباً ! من قالها لك !

أنطونيو : أولمبوسُ النذلُ الخَؤون
مَرَّ فاستوقفتُه أسألُه قال ماتتْ فتجرَّعتُ المَنونْ

كليوباترا زوِّديني قُبلةً من ثناياك العذاب الشَّهاتْ
وأضيئي بسَناها مُقلةً يُسْدِلُ الموتُ عليها الظُّلُماتْ

سيقولُ النـاسُ عنى فى غد … من أولى الرحمة أو أهل الشّمات:
بَطـلٌ لم تَظفَـر الحـربُ به … فى الهوى تحت لواء الحب مات

[يسلم الروح]

كليوباترا :

قد تَداعى محْوَرُ الأر … ض وميزانُ الشعوبِ
مـال كالشمس جمـالاً … وَجـلالا فى الغـروب
أيهـا المجـروحُ لو تـد … رى جُروحى ونُدوبى
أيهـا الذاهب قـد آ … ن عن الدنيـا ذهوبى
أيهـا الخـالصُ وُدّاً … ليس وُدّى بالمَشـوب
أيهـا الصـادق وعـداً … ليس وعدى بالكَذوب
عن قريب يَنطوى القبـ … ـرُ علينـا عن قريب
كَلِّلـوه بالـرياحيـ … ـن وبالغار الرطيب
واهتفـوا فى أذنيـه … بأناشيـد الحروب

* * *

واحبيباه ، جاءه الموتُ فاستسـ … ـلم لا يستطيع إلا ذهوبا
كان ما خفتُ أن يكون وحَلّتْ … نَكبة لم تفاجىء المنكوبا

[تستوى قائمة]

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا … معىَ السيدَ الجَسورَ الوَهوبا
شَبّكوا ساعديْه من فوق صدر … كان فى الرَّوع بالمنايا رحيبا

واعرضوا سيفَه على راحتيْه   واركزوا الرمحَ من يديْه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جُندَ روما   ودَعونى وسيفَ روما السَّليبا
أنا وحدى له ديارٌ وأهلٌ   إن دعا دارَه ونادى النَّسيبا

[ينسحب الجنود]

ويحَ لى قد طلبتُ عند طباع النـ   ـناس ما عَزَّ عندهم مطلوبا
خَلَق الناسُ للقوىِّ المزايا   وتجنَّوْا على الضعيف الذنوبا
واحتفوْا فى الحياة والموت بالغا   لب فانظرْ هل عَظَّموا مغلوبا
شيَّعوا الشاةَ جيفةً بمُداهم   واتَّقوْا وهْو فى الرِّمام الذِّيبا

أنوبيس : الوقارَ الوقارَ يا لَبْأة النيـ   ـل ولا تجعلى الزئيرَ النحيبا
وقفى للخُطوب فى عزة الملـ   ـك وفى كِبْره تُذلّى الخطوبا

[يدخل جندى من جنود أكتافيوس]

الجندى : قيصر أكتافيوسُ آتٍ   يعودُ أنطونيوسَ قيصرْ
كليوباترا : قيصر ! فرَّ الأسير منه   مَنْ فى حمى الموت ليس يُؤْسَر

[يدخل أكتافيوس ومعه جنود]

أكتافيوس :
سلامٌ مَلِكةَ الوادى   سلامٌ كاهنَ المُلْك
يقولُ الناسُ أنطونيو   هنا لم يَبْتعدْ عنك

كليوباترا : نعم لم نفترقْ بعد   ولكن أمعن فى تركى

وهـذا الجسـد الفانى جَـلاءُ الرِّيب والشك

أكتافيوس :

إذن قد قُضِىَ الأمرُ وصار الليثُ للهُـلْك

كلوباترةُ لا تَخشَىْ فلن آخذَه منك !

كليوباترا : أبى تهزأُ أم بالمَيْـــــت أم بالموقف الضَّنك

إن اسطَعتَ على مالـــــك من بَطش ومن فَتك

وما حَوْلك من خيـل وما تحتك من فُلْك

فخُذْه من يد الموت ومن عاجـزةٍ تبكى !

[يدنو جندى من جنود أكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس]

كليوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهتِكَنَّ على سيد الهالكين القنـاع

تُريد لتكشفَ عنه الغطاءَ عسى تحته حيلةٌ أو خداع

عَبَثْتَ به وهو تحت الظُّبا لِـــــس مُلقَى السلاح قليـلُ الدفاع

ولم تَحتشمْ بُقَعاً من دم عليهنَّ تَحسُدُ مصرَ البقاع

رُوَيْدَك ، ما الموتُ مُستبعَدٌ ولا هو مستغربٌ من شجـاع

وإن التماوتَ فعلُ الثعالـــــب ليس التماوتُ فعلَ السباع

أكتافيو :

أتاتك سيـدتى إنـه فتى طاهرُ القلب حرُّ الطباع

أراد ليحتاطَ لى جُهدَه ويُخلصَ فى خدمتى ما استطاع
تنحَّ أخا الجند ما أنت والميــتَ الا يقرَبُ الشمسَ إلّا الشُعاع!
أتأذنُ سيدتى أن أطيــفَ بخدن الصّدام رفيق الصِّراع؟
ومن كنتُ تحت القنا ظلَّه ومن كان ظلِّىَ تحت الشِّراع
وكنا نَشيد لروما الفَخارَ ونجْنى لها الغارَ من كل قاع
ونأتى القلاعَ فنحتلها وإن بعُدَتْ كالنجوم القلاع
ونَركزُ فى السهل أرْماحَ روما ونُطلعُ أعلامَها فى اليَفاع ؟
بإذنكِ ؟

كليو باترا :

قيصرُ لا إذنَ لى أينهى ويأمر من لا يطاع ؟
تصرَّف بجُثمانه كيف شئــتَ فليس له اليومَ منك امتناع
وما جثّةُ الليث إلا لَقىً إذا النابُ طاحت أو الظُّفْرُ ضاع

[يتقدم أكتافيوس فيرفع القناع عن وجه أنطونيو]

أكتافيوس :

لقد حسَم الموتُ ما بيننا وفَضَّ اللَّجاجَ وفَضَّ النزاع
فمن حَقِّ اليومَ بل واجبٌ على أقُدِّسُه أن يُضاع
أقبِّلُ ما قبَّل الغارُ منــك وأهتفُ: أنطونيوسُ الوَداع

ســتـــار

الفصل الرابع

« في القصر الملكي ، في غرفة العرش ، غرفة مطلة على »
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرفة ، شرميون »
« وهيلانة في أقصى الحجرة تنهمر من عينيهما الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

نام « مَرْكُو » ولم أنَمْ وتفــرَّدتُ بالألـم
ليت جُرحي كجُرحه لقيَ الموتَ فالتأم
قاتلَ اللهُ ماضيـاً قتـل المفـردَ العَلَم
أنطوانُ انفُض الكرى ساعةً وانقُل القَـدم
قم كأمس اغنَم الهوى واشرب الراحَ بالنَّغم
وتخَــيَّرْ على المُنَى وتمتَّع من النِّعم
واغمرِ الأرضَ بالقنا وتغلَّبْ على الأمـم
وقُد الخيلَ في الوِهـا دِ ووثباً إلى القمَم
أيهـا العـين أبصري إنمـا كنت في حُلُم !

[ملتفتة إلى شرميون] :

ياشرميون بلغنا موْقفاً حَرجا ... لا الرأىُ ينفعنا فيه ولا الباسُ
لم يبقَ ثقبُ رجاء كنت آلمحُه ... إلاَّ تعرّضَ حتى سدَّه الياسُ

[تلقى نظرة على الاسكندرية من الشرفة]

نجمى يحدِّثنى بوشْك أُفوله ... إسكندريةُ ، هل أقولُ وداعا ؟
وشَّيْتُ برَّكِ جدولاً ونخيلةً ... وكسوْتُ بحرَكِ عُدّةً وشراعا
وأنا اللَّباةُ وقد ملأتُك غابةً ... وأنا المَهاةُ وقد ملأتُك قاعا
قدخفتُ من بعدى عليك ممالكا ... يُطلقْن فيك الفاتحين سباعا
يأتين زرعَك بالرّياح عواصفاً ... ويجئْنَ ضَرعَك بالذئاب جياعا
فإذا الحضارةُ بعد طول بنائها ... قد دُكَّ رُكنُ بنائها وتداعى

شرميون :

يإيزيسَ سيدتى بالولاءِ ... بطول التعاشُر والمُصطحَبْ
بمالى بيسابك من خدمة ... ومن صحبة تُشبهان النَّسب
على أى وجه أدرْت المصيرَ ... وقلّبت رأيكَ فى المُنقلب ؟
فهذا السكونُ يُثيرُ الشكوكَ ... وهذا الهدوءُ يثيرُ الرِّيَب
وماذا اعتزمت؟وماذا كتمت؟ ... أبينى فما بيننا من حُجُب
ولى فى حياتك رأىٌ يُساقُ ... وليس علىَّ إذا لم يُصب

كليوباترا :

إذن فاذكرى أن خصمى العتيد يخاف انتحارى ويخشى الهرب

وليس الذى يشتهى لى الحياة ولكن له فى حياتى أرب

له فى غد موكبُ الفاتحين إذا أقبلوا فى جلال الغلب

يجرُّون فى رومة الأرجوانَ وقد برزتْ فى الثياب القُشُب

وتزدانُ بالغار هاماتُهم إذا ارتفعت فى الخميس اللَّجِب

يحاولُ قيصرُ منى المُحالَ ويذهب فى غير وجه الطلب

يريدُ ليعرضنى فى غد على شعب روما كأنى سَلَب

ويفضحُ مصر وسلطانَها وتاجَ العصور وعرشَ الحقب

لقد ساء تدبيرُ أكتافيوس ولم يلقَ من خُدعتى ما أحبا

[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حِسٌّ قادِم

هيلانة : أجلْ دبيبُ حارس أو خادم

كليوباترا :

بل حارسٌ جافٍ من حَرَس القصر

مُعربدُ الخَطْوِ من نشوة النصر

لا تسعُ الأرض رجليه من كِبْرْ

شرميون :

مَلْكتي دَعي هذه الفِكَرْ

جندُ رومةٍ يَعبُدُ البدَرْ

في سبيلها يركبُ الغرَرْ

كليوباترا :

شرميون صَهْ إنه حضَرْ

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندي؟

الحارس : رسالة من عبد

هل تأذنين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلْكةُ قد جا ء إلى القصر غلامْ

في ثياب الحقل خلو الشكل ممشوق القوام

جادل الحُرّاسَ في حذ قٍ ورفق بالكلام

يَدّعي أن أباه كان عبداً للنِّقام

ناله بستانُ تين من أياديك الجسام

فهو يُهدي لك باكو رته في كل عام

الملكة [هامسة] :

شرميونُ ذاك حابي وجَناه في يمينه

جاءَ فى الميقات يُهدى لىَ باكورةَ تينه

[للحارس]

ألا تَقْبلُ يا حـار س منى هذه البَدْره ؟

الحارس : بشكران وهيهات على الشكران لى قُدْرَه

الملكة : والآن لو تُحْضرُ لى الفلاحا لعله يُحدث لى انشراحا

إنى نسيتُ البَسطَ والمزاحا

الحارس :

علىّ السمع والطاعه سآتيك به الساعه

[يخرج الحارس]

الملكة :

يا شرميونُ تعلّمى الدنيا ويا هيلانةُ اختبرى الزمانَ القاسى

إن التى حُرستْ بأبطال الوغى باتت تُصانعُ سفْلَةَ الحراس

[يدخل حابي فى ثياب فلاح ومعه الحارس]

هيلانة [همسا] :

حابى ، نعم حابى وتلك نظرتُهْ وهذه مشيَتُه وخَطرتُهْ

يا ليت شعرى ما تكون سَلّتُهْ ؟

حابى : تحيةٌ للملكهْ ونعمةٌ وبَركهْ

ونفسُ عبدِها لها وكلُّ ماقد ملكهْ

سيدتى جئت إلى بحرك أُهدى سمكه

أحملُ تينا ولو اسـطعتُ حملت بملكه

حابى : سيدتى

الملكة:

أُدنُ فإنــه ابتعــدْ وقُلْ فما يسمعُ غيرنا أحدْ

حابى : سيدتى

الملكة:

حـابى ، أنوبيسُ اجتهـدْ لنا وأنجز الغداة ما وعدْ ا
يُريدُ أن يَشفيَنى مما أجد وأن يَقِى بملكتى عارَ الأبد

جئتَ كما يأتى لوقته المَدد

وَفَيْتَ لى حابى ولم تـكُنْ تَـفِى ضعِ السِّلالَ وانصرفْ لا بل قفِ

حتى ترى كيف يكونُ مَوقفى

[تلقى نظرة على السلال]

ما لى مُلئتُ من المنيَّـة رهبةً إن المنيةَ فى رقاب الناس
آسى الجراح جَزعتُ عند لقائه والنفسُ تجزعُ من لقاء الآسى
إنى طويتُ بساطَ كل مُدامة لم يبقَ إلا شربُ هذى الكاس
يا خادمىّ بل ابنتىّ تلطفـا فى البحث حتى تأتيا بأياس
فعسى يُغنّينى نشيدَ الموت أو نغما أجود عليـه بالأنفاس

شرميون :

مَلْكتى نادى أياسا   إنه بالقُرب منك
هو فى المقصورة الأخرى مع الباكين يبكى
فكْرُه فيك ولا يَجسُر أن يَسألَ عنك

الملكة :

ياوَيحَ صَحبى بَعد طول سرورهم   قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئى بهم ياشرميونُ لينظروا   جَلَدى فيَهدأ بعضُ ما يَجدونا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تنحنى على زنبقة فى أصيص] :

زَنبقةٌ فى الآنيهْ   ضحيَّةُ الأنانيهْ
جَنَتْ عليها غُرْبَةُ الأسْرِ الأكُفُّ الجانيهْ
وبُدِّلتْ من سَعة الرَّبْوَة ضيقَ الباطيه
يَسقونها من جَرَّة   بعد العيون الجاريه
يا جارتا شأنك لا   يُشبهُ إلا شانيه
لم يبق من مُلكى العريض غيرُ دار خاويه
وكلُّنا ذابلةٌ   عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغنا   من حياة فانيه

[ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [إلى أنشو] :

أنشو يَعزُّ علىّ أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولٌ يَسُرُّ وضحكةٌ إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعتَ يسرنى أعَلَى سرورى اليوم أنت قدير؟

أنشو : سيدتى جرى بما فيه سرورُك القدرْ
من لا تسرُّه السما ءُ لا يسره البشرْ

الملكة: أياسُ، هل من صوت؟ غَنِّ نشيدَ الموت

[أياس يغنى هذا النشيد]

يا طيبَ وادى العدمْ من منزلٍ من منزل
لم تَمشِ فيه قدمْ للعُذّل وادٍ خَل
أنا فيه لحبيبى وحبيبى فيه لى

* * *

يا موتُ ملْ بالشِّراعْ واحملْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوع السِّراع إلى شُطوط النجاه

* * *

شراعُك الفضّى فى لُجِّه التِّبْرى
كالحُلْم فى الغَمض يجرى ولا يجرى

* * *

في ظل ليل ساجْ أقسم لا يَسرى
مُغلَّل الديباجْ مُطيَّب السِّتر

* * *

في يقظةٍ يَظهرْ لي أم أرى حُلْمَا
فُلْكٌ من الجوهر يَخترقُ الظَّلما

* * *

على الدجى لَمَّاح تَحسَبُهُ نجما
ليس به مَلاَّح يسلُكه اليمَّا

* * *

أضوَى من الفجر في ظُلمة الأسداف
من نفسه يجرى لم يُجره مجداف

* * *

مَدَّ شراعَ النورْ يا حُسنَ ما مدَّا
كاللؤلؤ المنثور لو يَنفَح النَّدَّا

* * *

يا لكَ من زورقْ مَلاَّحُه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجة الأكدار

[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحارس ؟

الحارس: الطاعة يا ذاتَ الجلالهْ

قائد يحملُ من قيـــصرَ أكتافو رسالهْ

الملكة: أدخـــله ، أدخـلْ رســولَ قيصـرْ

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد : قيصرُ العـالى إلى ســيدتى يهُـدى التحيهْ

هو فى الشُّـكنة بالقر ب من الدار السنيه

يُظهرُ العَطفَ عليها وهى بالعطف حَرِيَّه

ويقولُ الأمرُ ما تأ مُرُ فى الإسكندريه

ولها الوادى وما يحـــملُ مُلْكا ورعيّـه

وبنوها يَرِثون الـــمُلكَ من روما الوصيه

وإذا حَلّت بـروما وجدت روما حَفيّه

تتلقّـاهـا كـأعلى درة فى القيصـريه

ما الذى تقترحُ المَلْـــكة ما تُمـلى عليّـه

لتقلْ سيـدتى حا جتَها تُقْضَ العشيّـه

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه!

تتلقـاهـا كـأعلى درة فى القيصريه !

[تضحك فى تهكم وألم]

أيها القائدُ أدَّيْـ ـتَ فأحسنتَ الأداءْ
بَلِّغنْ قيصر عنى كلَّ شكرٍ ودُعاء
ثم زدْ أمنيةً قد بَقِيتْ لى ورجاء
أنا لا أكتُمُهُ ما سَرَّ من أمرى وساء
لى سرٌّ كاد عن نفـ ـسىَ يَزويه الخفاء
صُنته عن صاحباتى وصحابى الأمناء
حبذا لو زارنى قيـ ـصرُ فى هذا المساء
وله الشكرُ إذا لم يأت أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتى لمولاىَ قيصرٍ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغَبَات
ولِمْ لا يُلَبِّى دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى لهُ مستعجلَ الخطوات؟
وقد كان يوليوسٌ يقومُ ببابه ويَمْثُلُ أنطونيوسُ فى العَتَبَات!

كليوباترا [بعظمة] :

أساتَ أخا الرومان فهم إشارتى

القائد : إذن فَهِى لى تلك من هفَواتى

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم يُحسنْ إلىّ مُعاصرى ولم أجد الإنصافَ عند لداتى
فكيف إذا ما غيَّبَ الموتُ ذادتى وبُدِّد أنصاري وفُضَّ حُماتى !
كأنى بعدى بالأحاديث سُلِّطت عليَّ سيرتى أو وُكِّلتْ بحياتى
وبالجيل بعد الجيل يَروى زخارفاً فمن زور أخبار وإفك رُواة
يقولون أُنثى أفنت العمرَ بالهوى بهيميَّةُ اللـــذات والشهوات
فداً لغرامى بالرجال وحُسنهم غرامُ الغوانى أو هوى الملَكات
فليس الغلامُ البارعُ الحسن فتنتى ولا الرائعُ الأجلاد والعضَلات
ولم يَسْتَثِرْ وَجدى من الروم فتيةٌ جُنونُ العذارى فتنةُ الخَفِرات
ولا كلُّ غصن من بنى مصرَ مائل يَطير إليه قلبُ كل فتـــاة
يموتون بي عشقاً ويَشقَون بالهوى فكم من حياة فى يدى وممات
ولكن عشقتُ العبقريَّةَ طفلةً وفى الغافلات البُلْه من سنواتى
كلفتُ بكهل أحرز الأرضَ سيفُه وحيزتْ له الدنيا من الجنَبات
إذا هبَّ من غرب البلاد تلفَّتتْ بلادٌ بأقصى الشرق مذعرات
تَعثَّرَ حظى بعد طول سلامة وأقلع نجمى بعد طول ثبات
ومن يَمش فى وَرد الأمور وشَوكها يَعُدّ الخُطا أو يحسب العثرات

[تنظر إلى السلال]

يامرحباً بالسَّلَّهْ والرُّقُب المُطَلَّهْ
الكافياتِ الذِّلّهْ

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحابي]

كليوباترا :

أدخلي بي يا شرميون على طفـلي أُوَدِّعْهُمُ الوداعَ الرهيبا
فعساهم إذا تحجّب صدري وجدوا صَدركِ الحَفِيَّ الرحيبا

[لحابي وهيلانة]

ولدىَّ اهجرا القصورَ فإنى قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجـةٌ وفيها فُضولٌ يُرهقُ الحبّ واشياً ورقيبا
خلّيا عنكما المدائنَ يا ابنـىّ فضوْضاؤها تُميت القلوبا
إن لى فى سهول طيبَةَ حقلاً طيِّبَ الماء والهواء خصيبا
غَرستْه يد الشبـاب فأضحى وارفا كالشباب حُسناً وطيبا
ألّف الحبُّ من نواحيه أيْكا جمع الطيرَ هاتفا ومُجيبا
يُسمعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه وتُغنِّي الأليفةُ العَنْدليبا
أفقٌ لا يُظلُّ إلا مُحِبًّا وثـرى لا يُقِلُّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافىَ الحب والهوى المسكوبا
والعبـا عند كلّ ماء غدير تريا المـاءَ للحَباب لعيبا

وسلا الوردَ هل تنفَّسَ في الور د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدرِكا لذةَ الشروق ولمَّا تبلغ الشمسُ بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حابي :

هيلانُ، هذا مقالُ النصح من مَلك فما ترَيْن وما تَنْوين هيلانا
هَلُمُّ طيبةَ ننزلْ في خمائلها ونَبْنِ مثلَ بناء الطير دُنيانا
كطائرَيْن على بحـر وعاصفة قد آنسا من وراء الشَّطِّ بستانا
تداركتْنا أبرُّ المالـكات به وأشرفُ الناس إحساساً ووجدانا

هيلانة :

حابي ، عرفتَ الحلال الطيِّبات لها وكنتَ أمسِ أقلَّ الناس عرفانا

حابي :

خلِّ الجفاءَ حياتي إن ساعتَه مضتْ وهذا أوانُ السِّلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أني قد سدلتُ على ما كان من نَزَعات الرأي نسيانا
وأنني اليوم أبكيها وأندبُها ولا أقيسُ بها في الطهر إنسانا
اليوم ضُحِّتْ وزكَّاها الفداءُ كما زكى المُقرِّبُ باسم الله قُربانا

هيلانة :

إن التي شب في نَعمائها صغَري ونبَّهتْ لي في سُلطانها شانا
إن لم أمُتْ دونها أو لم أمت معها فما جَزَيْتُ عن الإحسان إحسانا

حابي :

والحبُّ هيلانَ؟ ماذا تصنعين به

هيلانة : إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابي أراها أَزْمَعَتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ
فاذهبْ لجئْ بأنوبسٍ فعسى يردُّ الفاجعه

حابي :

وسواءٌ أردَّها أم أبى ذلك القدر
في غد أيها الملا كُ إلى طيبةَ السفر

[يخرج حابي]

هيلانة :

ويح حابي اعتقادُهُ أن سأحيا فنلتقى
ليتني نلت قُبلةً منه قبل التفرُّق

[تدخل كليوباترا وفي أثرها شرميون]

كليوباترا :

بروحي وإن لم تبْقَ مني بقيّةٌ صغارٌ ورائي ذُقْنَ اليُتمَ نُوَّحُ
أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أنني حَمَلتُ عليهم ما يَجِلُّ ويَفْدَحُ
وقد أشتهي عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لي ولا النُّبلُ يَسمَحُ
فصفحاً صغاري إن شَقيتم بمصرعي وإني لأرجو أن تَنضوا وتصفحوا

وَداعاً صغارى صَيَّرَ الله يُتمكم ... إلى خير ما يكفى اليتامى ويُصلح
أطفتُ بكم والنومُ تسرى سناتُه ... على صفَحات كالأهلَّة تَلمَحُ
وما منكُم فى الخَزِّ إلا حمامةٌ ... عليها طليلٌ ناعمُ الفرع أفيَح
تنامُ وما تدرى الكرى ما وراءه ... ولا الصبحُ فى ظلِّ الرُّبا كيف يُصبح
أتغدو على الدنيا كأمس طليقةً ... ضُحى اليوم أم يُغدَى عليها فتُذبحُ ؟

[ملتفتة إلى هيلانة وشرميون] :

فيم هيلانةُ تبكيـــن وأنت شرميون
كفكفا الدمعَ فلا شـدّ ... ة إلا وتهـون
واعلما بنتىَّ أن الـ ... بؤسَ والنعمى دُيون

[تركع أمام تمثال إيزيس]

اليومَ أقصرَ باطلى وضلالى ... وخلت كأحلام الكرى آمالى
وصحوتُ من لعب الحياة ولهوها ... فوجدتُ للدنيا خُمارَ زوال
وتلفتتْ عينى فلا بمواكبى ... بصُرتْ ولا بكتائبى ورجالى
وطئتْ بساطى الحادثاتُ وأهرقتْ ... كأسى وفضَّتْ سامرى ونقالى
إيزيسُ ينبوع الحنان تعطَّفى ... وتلقَّى لضراعتى وسؤالى
أنت التى بكت الأحبَّةَ واشتكت ... قبل الأرامل لوعَةَ الإرمال
إنى وقفتُ على رحابك فارحمى ... ذلَّ الملوك لمجدك المُتعـالى
هل تأذنين بأن أعجِّل نُقْلتى ... وأحُثَّ عن دار الشقاء رحالى

وعُلاكِ ما أدعُ الحيــاةَ جبانةً ... أو ضيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قالى

إنى انتفعْتُ بعبقرىٍّ جمالها ... وتمتعتْ من عبقرىٍّ جمالى

وجمعتُ بين شعورها وعواطفى ... وقَرَنتُ رَحْبَ خيالها بخيالى

ووجدتُها قد خلّدت أبطالَها ... فبسطْتُ سلطانى على الأبطال

بنتُ الحياة أنا وتَشهَدُ سيرتى ... ما كنتُ من أمى سوى تمثال

منها تناولتُ الرياءَ وراثةً ... وأخذتُ كلَّ خديعة ومحال

وقسوْتُ قسوتَها ولنتُ كلينها ... واقتستُ فى صَدّى بها ووصالى

ولربما رَشَدتْ فسرتُ برُشدها ... وغَوَتْ فأغوتْنى وضل ضلالى

ووجدتُها حباً يفيضُ ولذةً ... فجعلتُ لذّاتِ الهوى أشغالى

يومى بأيامٍ لكثرة ما مشت ... فيه الحيــاة وليلتى بليالى

ولقد لقيت من الحياة صَبيّةً ... ما جل من بؤس ورقة حال

خلعتْ مُلكى طفلةً وشردتُ فى ... صدر الصبا ورأى المكارهَ آلى

شرعتْ علىّ السوطَ فى كُتّابها ... واليومَ تَضربُنى بدرس غالى

ياموتُ هل حَرَجٌ على مُستنجد ... بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال

يومى أعجّـلهُ ولو لم أنتحرْ ... للقيتُ يوماً ما له من تالى

ياموتُ أنت أحبُّ أسراً فاسبقى ... لا تُعط روما والشيوخ عقالى

ياموتُ لا تُطفئ بشاشة هيكلى ... واحفظْ ظواهرَ لمحتى وجلالى

يا موتُ طُفْ بالروح واسرقْها كما ... سرق الكرى عينَ الخليّ السالي
حتى أموتَ كما حَييتُ كأنني ... بيتُ الخيال ودُميةُ المثّال
وكأن إغماضَ الجفون تناعسٌ ... وكأن رقدتيَ اضطجاعُ دلال
سِرْ بي إلى أنطونيو في نَضرتي ... ورُواء جلبابي وزينة حالي

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن أفعى] :

هَلُمِّي الآن مُنقذتي هَلُمِّي ... وأهلا بالخلاص وقد سعى لي
شرَيتُ السم من فيك المُفدَّى ... بسلطاني وزدتُ عليه مالي
على نابيْك من زُرق المنايا ... شفاءُ النفس من سُود الليالي
وبعضُ السم ترْياقٌ لبعض ... وقد يَشفي العُضالُ من العُضال
دعوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ ... فبُعداً للحياة وللنِّضال
هَلُمِّي عانقي أفعى قصور ... بها شوقٌ إلى أفعى التلال
سَطتْ روما على مُلكي ولَصَّتْ ... جواهرَ أسرتي وحُليَّ آلي
فرُمتُ الموتَ لم أجبنْ ولكن ... لعل جلالةً يَحمي جلالي
فلا تمشي على تاجي ولكن ... على جسد ببطن الأرض بالي
وقد علم البريةُ أن تاجي ... نمتْه الشمسُ والأسرُ العوالي
يُطالبُني به وطنٌ عزيزٌ ... وآبائي ودائعُهم غوالي
أأدخلُ في ثياب الذل روما ... وأُعرَضُ كالسبيِّ على الرجال ؟

وأُحدَج بالشماتة عن يمينى ... ويَعرض لى التهكمُ عن شمالى ؟
وألقَى فى النّدىِّ شيوخَ روما ... مكانُ التاج من فَرْقِىَّ خالى ؟
وأغشى السجن تاركةً ورائى ... قصورَ العزّ والغُرَفَ الحوالى ؟
وتحكمُ فىّ روما وهى خصمى ... وتُسرفُ فى العقوبة والنَّكال
يَرانى فى الحبائل مُترَفوها ... وقد كان القياصرُ فى حبالى
إذن غيرُ الملوك أبى وجَدّى ... وغيرُ طرازهم عَمّى وخالى
سأنزلُ غيرَ هائبة إذا ما ... تلمَّظت المنيَّةُ للنزال
أموتُ كما حَييتُ لعرش مصر ... وأبذُلُ دُونه عرشَ الجمال
حياةُ الذلِّ تُدفَعُ بالمنايا ... تَعالىْ حَيَّةَ الوادى تعالى

[تتناول الأفعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة]

يا ابنَتىَ وُدّى ... هَلُمّا ... زيِّنانى ... ... للمنيه
غلِّلانى ... طَيِّبانى ... بالأفاويه ... الزكيه
ألبسانى حُلَّةً ... تُعْ ... جِبُ أنطونيو ... سنيه
من ثياب ... كنتُ فيها ... أتلقاه ... ... صبيه
ناولانى التاج ... تاجَ الشمـ ... ـس ... فى مُلْكِ ... البريه
وانثرا بين يدىْ عر ... شى ... الرياحين البهيه

[تموت بين وصيفتيها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أفعى] :

كلوبترا وياهنى ... عليك يا كلوبترا

وصيفاتُك فى الدنيـا وصيفاتُك فى الأخرى

[وتهمد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كلوبـترا ذهبت اليـو مَ بالدنيا كلوبترا

تعالىْ أيهــا الأفعى أريحينى أنا الأخـرى

[يدخل أنوبيس وحابي]

أنوبيس :

انسلّت المُهرةُ من قَيْدها وأفلت الطيرُ من الصائد !

حابي : هيلانَ ، يالهفا على الحبيبهْ على الجمال وعلى الشبيبهْ

على الفتــاة الحُــرّة النجيبه

[يتحسس جسمها]

يا للحيـاة ما تنى دبيبـا أبى، تأمّلْ جسمَها الرطيبا

واسمــعْ تجــدْ لقلبهــا وجيبــا

أنوبيس : حابى ، نسيتَ حُقّةَ النجاة

حـابي : هيهات أعصيك أبى هيهات

إنْ أنسَ أشياءك أنسَ ذاتى !

[يخرج الحقة من جيبه]

خُــذْها

أنوبيس : بل اسكبْ فى فم الفتـاة لعلها تصحو من السُّبات

[يشتغل حابي بإيقاظ هيلانة]

أنوبيس [على جثة كليوباترا] :

بنتي رجوتُك للضحية والفدا فوجدتُ عندك فوق ما أنا راجي
إن تُصبحي جسداً فنفسُك حرةٌ وعُلاك سالمةٌ و عرضُك ناجي
سيقولُ بعدك كلُّ جيلٍ مُنصف ذهبتْ ولكن في سبيل التاج

[ثم يلتفت الى جثة شرميون] :

وأنت أيضاً شرميونُ جيفهْ مُتِّ ولكنْ ميتةً شريفهْ
ما أعظمَ المليكةَ والوصيفهْ !

حابي : أدنُ أبي ألق النظرْ يا العجائب القدرْ !
أنوبيس: أحدث ترياق الأثرْ ؟
حابي : أنظرْ أبي ترياقك الـ محسن ماذا منحا ؟

أنظرْ فهذا مَلَكي من رقدة الموت صحا
قد فتحَ العينيْن بعـ د اليأس من أن تُفتَحا
وهذه أنفاسُه رَيْحانُها قد نَفَحا
مولاي قد قرَّبتْ من سعادتي ما نَزَحا
أنت الذي رَددتَها رُوحاً وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تَطِرْ عن الضلوع فرحا

هيلانة : يا ويح لي ! ويحَ ليهْ هل صدَّقتْني عَينيهْ ؟
حابي أفي الدنيا أنا ؟
حابي : بل أنت دنياي هنا

هيلانة : منذا جنى عليّه حتى بُعثتُ حيّه ؟

حابي : أبي الذي شفاك ياملاكي

أنوبيس: لا بل مَلاكُ الحب قد شفاك

وأدمُعُ الإخلاص من فتاك

هيلانة : أبي لقد مَرّ عليّ الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَوْتُ

علامَ حُلْتَ بينه وبيني ؟ الموتُ لا يُذاقُ مرّتينْ

[ترى جثة الملكة وهي تتلفت]

رحماك آلهةَ الوادي ذهلتُ فلم أذكرْ مَلاكاً وراء العرش مُضطجعا

بالأمس، لا، لا بل اليومَ التحقتُ به صُرعتُ بالناقع الساري كما صُرعا

لقد رَحلنا عن الدنيا الغَرورِ معاً مالي رَجَعتُ إلى الدنيا وما رَجَعا

ليت الطبيبَ الذي داوى فأخرجني إلى الحيـاة على الدنيـا به طَلَعا

مليكتي ، ربّتي ، صفحاً ومغفرةً . إن المروءةَ كانت أن نموتَ معا

الكاهن: بُنيّتي . . .

هيلانة : صَهْ أبي ،

الكاهن: لا أنت واهمةٌ

فلستما في مُلاقاة الرّدى شَرَعا

وقفتما موقفاً فى الخطْب مختلفاً — لو جَرَّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابي : تعالَىْ نَحْىَ فى الحقْل — مع الطير كما تحيـا
هَلُمِّى الحبُّ هيـلا — نَةً فالحبُّ هو الدنيا
أبِى دونك باركْنا — وإن شئتَ فشاركْنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محرابى — فمن يبكى على مصرا ؟
سأبقى ها هنا ابْنَىَّ — إلى أن أقضىَ العُمرا
هَلُمَّا ابنىَّ باسم اللّـــه — سيرا وابنيا الوكْرا
هلمـا جنةَ الوادى — هلمـا طيبةَ الغـرَّا
لئن فرقنـا الدهرُ — فقد تجمعُنا الذكرى

[يخرجان]

[يسمع صوت بوق]

أنوبيس : البوق دَوَّى — قيصرُ أقبـلْ

[يدخل حارس]

الحارس : مـــولاى قيصر

[يتنحى عن الباب ويدخل قيصر وفى معيته الطبيب أولمبوس] :

أنوبيس :

ما يَبتغى قيصرُ من أسيرتهْ ؟ — إن التى أعـدّها لزينتـهْ
يدخل روما وهى فى كتيبتهْ — تَزِيدُ فى مَوكبه وقيمته
ماتتْ ولم تنزلْ على مشيئتهْ — بُورِكَ فى النيل وَفى عقيلتهْ

قيصر :

آلهةَ الرومان ، ماذا أرى ؟ امرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ
قد أبطلَتْ كَيْدى على ضعفها ولم تزلْ تَسْخَرُ بالكائد
فى الجسد الحىّ تمنَّيتُها لم أبغها فى الجسد البائد

[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

أنوبيس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ
يَغدُرُها وعهدُه ببابها قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجراح !
أليست فى الفناء أرفَّ لوناً وأندَى من رياحين الصباح
فهل تدنو فتكشف كيف ماتتْ أبِالسم الزُّعاف أم السلاح ؟

[يقترب أولمبوس وينحنى على صدر الملكة من الناحية التى رميت فيها الأفعى]

أولمبوس :

جبين مُشرقُ الغُرَّهْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ
وعينان كأن المو ت فى جَفنَيهما كَسْرَه
وهذا فُها تبدو الـ ـمنايا عنه مُفتَرَّه
ولكن قيصرُ ادنُ انظرْ هنا السرُّ هنا العِبره

فبين السَّحر والنحر كمثل الخدش من إبره
مكانُ الناب من صلٍّ شديد البأس والشِّرَّه

[تلدغه الأفعى]

إلهى ، قيصرى ، آه لقد مَسّتْ يدى جَمَرَهْ
سرى السمُّ بأعضائى وعَمّتْ جسدى فَتْره
وجاءت سَكرَةُ الموت فلاصحو... من السَّكْره

[ثم يسقط ميتاً]

أ كتافيوس :

ويل النفوس منْ فُجاءات القدرْ !
وويحَ ألمبوس بالأفعى عَثر

أنوبيس [لنفسه] :

قد وقع الحافرُ فيما قد حَفر

قيصر :

وَداعاً كلوبَترا إلى يوم نلتقى وَتنفضُ عنها الهامدين المقابرُ
محا الموتُ أسبابَ العداوة بيننا فلا الثأرُ ملْحاحٌ ولا الحقدُ ثائر
وما استحدثت عند الكرام شَماتةً صُرُوفُ المنايا والجُدودُ العواثر
وداعا وإن نحن اقتتلنا وجَرَّدتْ حُسامَيْهما أوطانُنا والعشائر
تَحدّيتنى بالموت حتى قهرتنى ومالى سلطانٌ على الموت قاهر
ترفَّعت عن قيْدى ومُتِّ عزيزةً وأيدى المنايا للقيود كواسر

وأنت التى نازعت روما مكانها — وجرّت بناديك القيود القياصر
لعبت بأنطونيو ويوليوس حقبةً — كما جاء بالمسحور أو راح ساحر
وما أنا إلا سيفُ رومةَ باتراً — أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر
زَجرتُ فلم أُسمَعْ فقاتلتُ مكرَهاً — وفى الحرب إن لم تَردَعِ السِّلمُ زاجر
وأنطونيو صهرى الكريم بمثله — يُطاوِلُ أنسابَ الملوك المُصاهر
وَداعاً عروسَ الشرق كلٌّ ولاية — وإن هَزّت الدنيا لها الموتُ آخر

[يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الأبواق والحناجر خارج القصر]

أنوبيس :

أكثرى أيها الذئاب عُواءً — وادّعى فى البلاد عزًّا وقهرا
أنشدى واهتفى وغَنِّى وضِجِّى — واسبحى فى الدماء ناباً وظُفرا
لا وإيزيسَ ما تملّكتِ إلا — وادياً من ضَياغم الغاب قفرا
قَسَماً ما فتحتُمُ مصرَ لكنْ — قد فتحتُم بها لرومةَ قبرا

ستار الختام

على بك الكبير

أو

دولة المماليك

تمهيد

زمن الرواية :

حوالى سنة ١٧٧٠ ميلادية .

مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا .

أشخاصها :

على بك الكبير :	حاكم مصر ، ويلقب بشيخ البلد .
محمد بك أبو الدهب	متبنى على بك والخارج عليه ومن أمراء المماليك
مراد بك	من أتباع على بك وأولاده .
ضاهر العمر	صاحب حصن عكا وحليف على بك .
مصطفى اليسرجى	« الجلاب »
آمال	
شمس	إماء معروضات للبيع
زكية	

عشاق	شاب شركسى مع الجلاب .
أم محمود	الماشطة والواسطة فى بيع الجوارى .
رزق الله الوكيل	وكيل على بك .
بشير بك	من أصحاب على بك .
عثمان بك	« « محمد بك .

قائد الأسطول الروسى فى عكا .

أمراء .

جواسيس .

قواد .

جنـــد .

فتيـات .

أغوات .

خـــدم .

الفصل الأول

فى قصر على بك الكبير

«حجرة من القصر واسعة فخمة على الطراز الشرق مفروشة بنفيس الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفف وزين سقفها بثريات الزجاج الملون المشكل وركزت فى زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة ..»

«جلس هناك فى انتظار على بك الكبير ، مصطفى اليسرجى (الجلاب) ومعه ثلاث فتيات شركسيات (آمال) و(شمس) و(زكية) وشاب شركسى اسمه عشاق من جنسهن وقرابتهن وأم محمود الماشطة»

زكية : يا أمَّ محمود تلك دنيا — وهكذا فلْتَكُ القُصورُ
وهكذا شمس فى الليالى — تنزل هالاتِها البدور
قصرٌ سماواتُه الثريا — وأرضه الوشىُ والحريرُ
أم محمود : ونحنُ ياشمس نحن بؤسٌ — بيوتُنا الجصُّ والحصيرُ
نُنقَلُ من حُفرةٍ لِلَحدِ — تساوت الدورُ والقبورُ
شمس : يا أم محمود خبّرينى — أهنا ينزلُ الأميرُ
أم محمود : أجل

شمس : ومن ذا وما يُسمَّى ؟

أم محمود : سلطان مصرٍ على الكبير

شمس : والطيبُ يا أمُّ لم تُسمِّي النَّدُّ والمسكُ والعبيرُ

مصطفى: لا تعجبي هم ملوكُ مصرٍ دنياهمو الطيبُ والبخورُ

زكية : وما الأميرُ يا يسر جى ما له من العمرُ

مصطفى: قد جاوز الشبابَ إلاّ أنه كهلٌ نضر

أم محمود الماشطة :

ما بلدُ العزِّ غير مصرٍ كيف طعمتُنَّ يا بناتُ

شمس : طعامُ شاهٍ طعامُ عُرس لم يَرو أمثالَه الرواةُ

ما القصرُ ما الفرشُ ما الأواني

ما الأكلُ ما الشربُ ما الطهاةُ

مصطفى: هذا هو المُلكُ مُلكُ مصر وهكذا الحظُّ والهباتُ

وأنتِ آمالُ ؟

آمال : خليِّاني ما تلك إلا خُزعبلاتُ

القصرُ كوخي على جبال جلَّلها الثلجُ والنباتُ

إذا عوى الذئبُ من مكانٍ أجابَه الكلبُ والرُّعاةُ

زكية : أجل حَنَنَّا للجبال الشيبِ وللشتاء القارس العصيب

وكلِّ راعٍ واقفٍ للذيب أمَّن خوفَ الحَمَل الرعيب

تلمحه كالعلمِ المنصوبِ والوعلِ فى الجيئة والذهوب
والديدبان فى فم الدروب

مصطفى : بخٍ بخٍ مرحى يا كومَةَ الشحمِ
يا جَزْرٍ بلُّوطٍ لكن من اللحم

أم محمود : أعرفت يا جلاب أنك جئت بالحمل الثقيل
عن تلك كان لنا غِنًى ما تلك إلا سقط فيل

مصطفى : يا أمَّ محمودَ اقصدى لكل سلعةٍ ثمن
إن سَراةَ الناس فى مصرَ يحبون السِّمَنْ
وهذه الكومةُ فيها سِمَنٌ لكن حَسَنْ

[يسمع أذان العصر بصوت شجى من محراب فى دار الامارة فتلتفت شمس بأم محمود وتقول]

شمس : ما هذه الرنة فى قبة القصر
زكية : صوت من الجنة يهتف بالعصر
أم محمود : ما زالت السُّنَّة والبرّ فى مصر
يا رب أيدها بالعز والنصر

شمس لعشاق : قم غنّ يا عشّاق أغنية المعّاز
وناج بالأشواق أحبّة القوقاز

عشاق يغنى: كوخ وراءَ الجبالِ مُكَلَّسٌ بالجليد
فديتُه لا أبالى بكل قصرٍ مَشيد
ما مرَّ يوما ببالى إلا بللتُ خدودى

* * *

يا منزل القوقازِ عِم من بعيد صباحا
لمعتَ لمعةَ بازى فى الجوِّ سلَّ الجناحا
سلِّمْ على المعَّاز إذا غدا أو راحا

* * *

وقل له يا راعى فى الناى هات الأنينا
اسمع على البعد راعٍ صوتاً من الغائبينا
هل أنت للعهد راعٍ أم قد تركت الحنينا

« بعد صمت واطراق من الجميع »

أم محمود للبنات :

تعالين بنات الشركس الغيدَ تعالَيْنَا

زكيـة : ولِمَ ؟ ماذا ؟

أم محمود: تعالَيْنَ تُزَيِّنُكُنَّ يدى زَيْنَا
فلا أتركُ لا شعْرا ولا خداً ولا عيْنَا

أم محمود لشمس :

تعالى أيها الشقرا وهاتى شعرك التبرى
هَلُمِّى اقتربى منى وألقى الرأسَ فى حجرى

غداً يأخذُك الشارى وما تدرينَ من يَشرى

أم محمود لآمال :

تعالَىْ أيها السمرا فان الخيرَ فى السُّمْر
أشَعرٌ ذاك آمالُ أم الليلُ إذا يَسْرى
قضاك اللهُ للوالى أو الحاكمِ فى مصرِ

آمال فى غضب :

دعينى مرأةَ السوءِ دعينى بومَةَ الشرِّ
قضاك الله للجوع وللسجنِ وللقبرِ

أم محمود لمصطفى :

ياسيدى النخاس هذه صَبُعْ فارجعْ بها لاتَشرها ولا تبعْ
إلا إذا ساوَمنا فيها سَبعْ

آمال الى صاحبتيها :

قوما إليها

شمس : وأنت ؟

آمال : لا ، لا أحب الفضولا
علىّ ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيولا

شمس : ما الخطب مم غضبتْ آمالُ ؟

زكية : ما بالُها ساخطةً ما بالُ

أم محمود : غبيّةٌ ما عَرَفتْ ما المالُ

مصطفى همساً لشمس : شمسُ

شمس : يَسْرْجي

مصطفى : انظرى آمال ماذا غمّها

ميلى إليهـا وخُذى فيما يُسِرّى همّهـا

آمال : بل الحقُّ معى وحدى وأنـتُنَّ الغبيّات

سوامٌ نحنُ أم نحنُ نفوسٌ آدميـاتُ

أم محمود زكية:

وأنت يا ضخمةُ يا بدينه يا محملا يخطُرُ بالمدينه

قومى إلىَّ أقبلى للزينه رُزقت عمدة بلا قرينه

ثروته فى داره دفينه يطلب منا امرأة سمينه

مصطفى : يا أمَّ محمودَ أرَى آمالَ جِدَّ مُغضَبَه

هائجـة صاخبـة ثائرة مُقَطَّبَه

فى وجهها تكاد تبدو نفسهـا المعـذّبه

مصطفى لآمال:

آمال بنتى استريحى وقللى التفكيرا

لا تحملى هم شىء دعى لىَ التدبيرا

عساى أغنـم ملكا أو أستفيد أميرا

فتحكمين بمصر وتنـزلين القصورا

مُلْكُ الجمال كبيرٌ زيديه مُلْكا كبيرا

صونى جمالك هـذا عن أن يعيش فقيرا

آمال : يا أبي ما تريد بي ... أنت تلهو وتلعب
مَلَكةٌ أو أميرةٌ ... أبهذا أُلقَّب
حُلُمٌ ثم ينقضي ... وأمانيُّ تكذبُ
كيف تسمو إلى العلا ... ابنةٌ باعها الأبُ
ثم مستمرة : أبي .. تاجر كما شئت ... وكيف أردت فاحترفِ
ولكن لا تَرُم ثمني ... ولا في هذه الغرَف
فبيعُ الجنس فاحشةٌ ... أليسَ كذلكَ اعترف
أبي ، شرف على فقر ... ولا فقر إلى الشرف

مصطفى لنفسه

يا مالُ ما فيكَ من سحرٍ ومن خطر
لقدَ نزلت بنا عن رتبة البشر

تاجرت بالجنس حتى صار محتقراً
عند الشعوب وما جنسي بمحتقرِ

ذهبتُ بالشركس الآساد أعرضهم
عرض الرعاة صغَارَ الشاءِ والبقر

لولاكَ ما بعتُ أطفالي ، فما كبدي
من الحديد ولا قلبي من الحجر

مصطفى يقبل على آمال :

طفلةٌ آمالُ أنت ... أنت ما تدرينَ شيَّا
ههنا الدنيا وملكٌ ... لك في الدنيا تهيَّا
آمال : خلِّ عنك المُلْك والقهـ ... ـر ولا تذكر عليَّا
إن ما تصنعُ بي قد ... بغَّض الدنيا إليَّا

ثم لنفسها

رَبِّ جنِّبنِى شبابَ ذا البلد لا يُصبنِى منهمو ربِّ أحد

لى أخٌ فى أرض مصر باعه والدى لم يخش من بيْع الولد

وركب الآفاق فرخاً ما له من جناح الأب والأم سند

فجعَ القريةَ فيه وسقَى أُمَّهُ الثُّكلَ فماتت بالكمد

لستُ أنسى عبرات إثره قد جرَت شيّعنه حتى ابتعد

وهو يومِى بيدٍ من رقةٍ وأبى من غضبٍ يومِى بيد

ربِّ ما صار إلى أين انتهى أهو فى الخيل لواءٌ أم وتَد

يوسف المسجونُ فى مصر له أم من الجوع ليوسف سَجَدَهْ

زكية : وأين بنو السلطان ؟ لم لا نراهمو

أليس له ابن يغتدى ويروح

يرِفُّ الشباب الغض من طيلسانه

وينفح ريحان الصبا ويفوح

شمس : فلا خير فى دارٍ إذا لم يطف بها

نسيم شباب أو شعاع جمال

ولا خير فى روضٍ بغير بهارةٍ

ولا خير فى قاع بغير غزال

مصطفى : أجل له ابنٌ

شمس : ما اسمه ؟

مصطفى . محمد العالى النسب

شمس : لعله أبو الدهب ؟

زكية : لله ما أحلى اللقب
ففيـه رنة الذهب

مصطفى : متبنّى الأمـير والمتبنّو ن بهذى البلاد كالأبنـاء
نعتوه لنـا فقالوا أمـيرٌ أريحىٌّ من صفوة الأمراء
تغدق الألسن المديح عليه وتفيض الشفاه حسن الثناء
مَلكٌ سابقٌ إلى كلّ فضلٍ نابغ الغرس عبقرىُّ البناء

ثم مستمراً : وأنت يا أم محمو د ما الذى تعلمينا ؟

أم محمود : محمـــدٌ ليس برًّا ولا وفيًّا أمينـا
بالأمس عقَّ أباهُ فـكان شرَّ البنينا
واليوم يشهر حرباً على الأمـير زَبونا
وأما أخوه

زكية : كيف ؟ من؟ هل له أخ ؟

أم محمود : أجل، وهو أيضاً لم يلده أبوه

زكية : إذن فعلىٌّ والد النـــاس كلهم
وكل شبـــاب الضفتين بنوه
وكيف الفتى يا أم محمود، ما اسمه ؟

أم محمود : غلام وضىءُ المفرقين جواد
رأيتنّه مثلى تذكرنَ ساعة رأيناه

شمس : من ؟ ما اسم الأمير ؟

أم محمود : مرادُ

أم محمود لآمال :

هنـــاكِ آمال انتى هنـــاكِ

آمال : ما ذاكِ يا أم اذكرى ما ذاكِ

أم محمود : الحظ يا بنتـــاه قد أعطاك

عُشقت عشقاً سوفَ يُروى فى السِّيَر

عشقٌ له فى مصرَ والشرق خَطَرْ

وعاشق عالى السنـــاء كالقمر

آمال : يا أم محمود هُديت . . ما الخبر ؟

أم محمود : لقيتُ مراداً أمس

آمال : ماذا يهمنى ؟

أم محمود : عجيب ! ألا يعنى النساء مرادُ ؟

فتىً عَلمٌ فى مصر . . فى الشرق كله

نبيل كأبنـــاء الملوك جواد

يُحبُّ عَليًّا جهـــدَهُ ويُحبُّهُ

علىٌّ فبين السيدَيْن وداد

كأنى به نال الولاية وانتهت

إليه أمورٌ فى غد وبلاد

يُحبُّك يا آمالُ حُبًّا مُبرِّحًا

على مثله ما انضمَّ قطُّ فؤاد

زكية : عرفته

آمال : ومن ؟

زكية : فتىً أمس إلى السوق حضر

ذاكَ الخفيفُ كالقنا ة والوضيءُ كالقمر

أتى لنا أمس فما اختص سواك بالنظر

آمال : عرفتُه ذاكَ الوَقاحُ فى دعابة الهذرْ

ذاكَ الذى قلبَّنا أمس كتقليب الحُصُر

شمس : وكنت أنت قبلة الـ لحظ وموضع الفكر

أم محمود : وأنت كنت وزكيـ ة الحصير المحتقر

آمال : أوذاك الذى تقولين يهوانى

أم محمود : أجل وهو أرفع الناس قدرا

هسِّ صهٍ هُس انظرا ها هو ذا قد حضرا

« يدخل مراد بك »

مراد بك عند الباب لنفسه :

ويحَ لى رب ما أرى أمُّ محمو دَ إلهى وهذه آمالُ

هى فى القصر كيف جاءت إليه

كيف وافاه مصطفى المختال

أتُراها قد حازها لعلىٍّ جبرالجاه واحتواها المالُ

كيفَ هل بعدُ فى فؤاد علىٍّ

موضعٌ يحتوى عليه الجمالُ

رَبِّ مالى أهابُها كلما قمتُ ومالى يُرَدُّنى الإجلالُ
وأنا الذئبُ لم تُسلَّط على قلبى
مَهَاةٌ ولم يُسيْطر غزالُ

ثم لأم محمود ومن معها :
سلامٌ أمَّ محمود سلامٌ يا بُنَيَّاتى

أم محمود : سلام لك مولاى

زكية : وعلوىٌّ التحيات

مراد بك ويشير الى آمال : أمُّ محمود مالها ما لتلك المحببه

أم محمود : مالها سيدى

مرادبك : انظرى كيف تبدو مقطبه
لقيتنى فلم تَقُم بلقائى مُرَحِّبَه
مالها اليوم مثل عهدى بها أمس مُغْضَبه

أم محمود : سيدى قد ظلمتها إن بنتى مُهذَّبَه
غير أنى وجدتُها مُذ بدا الصبح مُتعَبه

شمس : معذرة ياسيدى لأختىَ المعذَّبَه
نحنُ النهارَ كلَّه كالسلع المقلَّبَه

مرادبك : مصطفى

مصطفى فى ناحية وحده : سيدى
« لنفسه » : أهذا مراد؟

ويْحَه ما أضلَّه فيمَ جاءَ

مرادبك: مصطفى هل نسيتَ أنّا التقيْنا
عند سوق الرقيق أمس مساءَ

مصطفى : سيدى ما نسيت واليوم نستأ
نف فى حجرة الأمير اللقاءَ

مرادبك: والتى اخترت من ظبائك

مصطفى : نرجيها إلى أن يرى الأمير الظباءَ

مرادبك: أتُرى ما تزالُ تأبى

مصطفى : أجل

مرادبك: ويحكَ هل يملكُ الرقيقُ الإباءَ

آمال : سيدى مَنْ عنيْتَ؟ قل لى بمن عَرَّضت؟

مرادبك: أعنى المليحة الحسناءَ

آمال : سيدى إننا حرائرُ ما زلنا

مرادبك: ولكن غداً تصرن إماءَ

آمال : وغدٌ سيدى عليه غطاءٌ
أترى عن غد كشفتَ الغطاءَ

مرادبك: قُمْ مصطفى، هذه الحسناء تُعجبنى
أليس يكفيك فيها ألف دينار

مصطفى : ألفٌ ! قبلتُ

مرادبك: إذن تأتيك كاملة
فاخرج ببنتك واحملها إلى داري

آمال : أبي أبي أنت تمضي بي وتحملني
كالشاة ! هذا لعمري أعظم العار

مصطفى : آمال

آمال : قف أنت عبد المال يا أبتي
تُلقي البريء لأجل المال في النار
لا سيدي ، لا أبي ، لا تذكرا ثمناً
فلست مخلوقة للبائع الشاري

مصطفى لنفسه :
رباه أعظم من وجدي ومن شفقي
على ابنتي اليوم إعجابي وإكباري
وأنت تعلم والأفعالُ شاهدةٌ
أن ابنتي حرةٌ من نسل أحرار
يا ألفُ سحقاً ويا مالُ امض من سُبلي
قطعت منك أسبابي وأوطاري

(ثم لآمال :
آمال هيّ اذكري لي كيف أدفعه
(ثم لنفسه : ماذا أقولُ فإني لستُ بالداري

آمال : أبى أما نحن فى دار الأمير «على»
إنى لجارةُ حرٍّ مانع الجار
لا أبرح القصر إلا عن مشيئته
فحكمُه هو فىّ النافذ الجارى

مراد بك : ويحَ لى قد رُددتُ أقبحَ ردٍّ
وأبَتْ أن تُجيبنى الحسناءُ

لمصطفى : سنرى من يفوز بالبنت يا وغد

لآمال : ومن يقتنيك يا حمقاءُ

« ويخرج مراد بك »

آمال لنفسها :

ما بالُ قلبي بمراد مُذْ تلاقينْا اشتغل ؟
لعلّنى أحببْتُه لا لا ، فمالى والرجُل
عساىَ قد هِمتُ به هذا لعمرىَ الخَبَل

خيالُه فى فكرتى فى كل ساعةٍ مَثَلْ
مالى أُحسُّ لاعجا بين الجوانح اشتعل
إن فُتح البابُ يُرى أولَ إنسان دَخَلْ
أو جىء بالزاد وجدته بجانبى اكل
وإن شربتُ حَضَر الماءَ فعلَّ ونَهِلْ
قد أخذتْ صورتُه على مشاعرى السُّبُل

وحيث سرتُ طاف بي وأينما حللتُ حلّ

أم محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبوابَ قد فُتحت وأسمعُ وقع أقدام

مصطفى : عليٌّ جاءَ قُمْنَ له بإجلال وإعظام

يدخل علي بك وفي حاشيته رزق الوكيل . . الأغا مرجان . بعض الخدم

علي بك : أضعنا نهارك يامصطفى أطلنا انتظارك لاعن جفا

مصطفى : بباب الأمير وليّ النعَمْ يطيبُ الوقوفُ لأوفى الخدم

علي بك [همسا لمصطفى] :

يا مصطفى قد بعتني من سنوات ولدا

مصطفى : أجل صبي كان من أذكى الصغار محتدا

علي بك : ما ارتبت فيه ساعة أن سيكون سيدا

مصطفى : عاش أبوه لا أرى أباه إلا أسدا

علي بك : ولكنه لم يدُر في البلاد ولم يعرف الناس حتى فسَدْ

فسلَّ الحسامَ وهزّ القناةَ وأصبحَ عزريلَ هذا البَلَدْ

مصطفى : ذاكَ ذنبٌ لم أبعْهُ حنشٌ غيري باعَه

بئسَ ما باعوكَ يا موْ لايَ يا شؤمَ البضاعَه

علي بك : وأين البنيات ؟

مصطفى : ها هُنّ قُمْ نَ وقاراً لمولايَ في المجلس

على بك : تخـــير الحسن قبلى — فكيف كيف اختيارى
على بك [لرزق] : يارزق ماأنت راءٍ
رزق الوكيل : — كذا تكون الجوارى
أم محمود : بل قل ثلاث شموسٍ — تــنزلت فى نهـــار

على بك [ممازحا] :

من أنتِ يا شرَّ وجهٍ — ومن أحلَّكِ دارى ؟
أم محمود : أنا يامولاى حُسْن الماشطه — أنا فى أمر البنات الواسطه
ثم لنفسها : آه من لى بحيــاةٍ ثانيه — ليتنى أرجع يوماً غانيه
ليتنى يا ليتنى يا ليتنى — آه لو ينفع قولى : ليتنى!

[أم محمود . تأخذ يد شمس وتأتى بها] :

فهــذى كاسمها شمسٌ — ولكن حُسْنُها أحسَنْ
على بك : تعـــالَى اللهُ ما أبهى — تعـــالَى اللهُ ما أفْتَنْ

[ثم ترجع شمس وتأتى بزكية] :
أم محمود : وهذه زكية
على بك [معرضاً عنها ومشيراً الى آمال] :
وهذه الحوريه ؟
أم محمود : مهاة فداها الغيد من شركسية
لها سيرة عند الملوك تُدارُ

إذا برزت ودّ النهار قميصَها
يُغير به شمسَ الضحى فتَغارُ

وإن نهضت انثنى وزاد قوامها
نساءٌ طوالٌ حولهـا وقصارُ

لهـا مَبْسِمٌ ... الخليجُ لأهله
وعاشت لآلٍ في الخليج صغارُ

على بك : ما اسم هـذى ال...ة ؟

أم محمود : آمالُ الحسناء

على بك لآمال : آمال كيف ألفيتِ قصرى

آمال : جنة الله يا أمير على الأرض و لم لا ألست سلطان مصر

على بك : وهذا الوشى والديبا ج ما موقعه منك ؟

وهاتيـك المصابيحُ من البلّورِ والسِّلْكِ

وهذا الخشبُ المصنو عُ بالصندلِ والمسكِ

لقد طفتِ على فار س والقوقاز والترك

وأدخلتِ قصور العز والـثروة والملك

فهل أبصرت ما يشبه هذا الصنع أو يحكى ؟

ثم مستمرا : وكل ما أبصرت فى قصرىَ من صُنع البلد

فليس يعلو الصانعَ المصرىَّ فى الذوق أحد

آمال : لا عَجَبٌ مولاىَ يا طالما قد بلغَ الفنُّ بمصر الكمال

على بك : لكن أرى القوقاز أعلى يداً مَنْ غيره يصنع هذا الجمال ؟

آمال : سيدى

مصطفى [همساً] :

حاذرى ابنتى قدّرى المو ْ قف لا يخطر العقوق ببالك

آمال : لا أبى، خلّنى أبحْ أشكُ بثّى خَذَل الصبرُ قلبىَ المتهالك

آمال [لعلى بك] : سيدى

على بك : ما أرى ؟ دموع لآلٍ ذهبت فى الخدودشتى المسالك

مِمّ تشكين يا ابنتى ما رواء الدمع ؟

آمال : لا شىء

على بك : بيِّنى ما هنـــالك !

آمال : سيـدى ،غـيرُ شأننا بك أولى

هـذه السوق لم تلِق بجلالك

تُشترى النفسُ أو تُبـاع على الأر

ض ولم يرض فى السماء المالك

مصطفى : قلِّلى الهمّ يا ابنتى والتّشكى

وانظرى الحال وافكرى بمآلك

هذه السوق نُعمة الوطن البا ئس منها

على بك : ونحنُ نعلم ذلك

أنا أيضاً مررت بالسوق يا آما

لُ ، حالى يا بنتُ من مثل حالك

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من ورائها وممالك
وقديماً كانت سبيلَ المعالى للماليك أو سبيلَ المهالك

على بك [مستمراً] : لك الله يا آمال، أنت كبيرة
وكل كبير النفس سوف يسود
فداؤك نفسى هذه نفس حرة
وهذا إباء ما عليه مزيد
أتيت بما لم يأت فيما مضى لهم
ملوكٌ على عرش الكنانة صيد
شَرونا وباعونا صغاراً وفتيـة
كما بيع سودان بمصر عبيـد
فما كان منا من رأى الرِّقَّ سُبَّةً
ومن قال عند البيع لست أريد

ثم مستمراً: الخطبُ غيرُ عظيم لا تحزنى يا فتـاة
وكلٌّ جرح يُداوى إن عالجته الأساةُ

آمال : مولاى قالوا رُزقتَ نفساً فضائلُ الصالحينَ فيها
بأىِّ دين تحوزُ رقِّ وتشترى البنت من أبيها

على بك : أبوك ! ؟
آمال : أجل والدى
على بك : مصطفى أأنت أبوها ؟

مصطفى : أجل سيدى

على بك : فماذا ترى ؟

مصطفى : فى يديك الفتـــاة

تصرّف لقد خرجتْ من يدى

على بك : دع البيْعَ يا مصطفى والشراءَ

وزوّج فتاتكَ أو فارددُ

مصطفى : بمَنْ ؟

على بك : بى

مصطفى : إلهى !

على بك : أجل بى أنا

مصطفى : سمعت فتاتى اشكريه احمَدى

آمال : علامَ أَجَرِّبتُه بعدُ ؟ لا سأعلمُ ما صاحبى فى غد

على بك : لم تقبلى الرق منذ حين يالك من حرة نبيله

والآن تخشينَ من زواج تمشينَ فى ظلِّه ذليلَه

آمال

آمال : مولاى

على بك : هاك قصرى سُوسيه بالنُّبل والفضيله

أم محمود : تحيــــةٌ للملــكه من أَمة فى المملـكه

مصطفى : أُقبِّلُ سترَ مولاتى

آمال : أبى ! أستغفـــر الله !

علي بك : وأنتِ الملكةُ اليومَ مُري وانهَيْ على الدار
وحُلّيها حُلُولَ الشمـ ـس في أرجاء آذار
وكوني قُفْلَ أموالي وأذخاري وأسراري
ولا يَهمُمْك ترْحالي ولا تشغَلْك أسفاري
فللمغنم والصيد خروف الأسد الضاري
وللرفعة والمجد سفار القمر الساري

آمال : مولايَ هاتها يداً قد طوّقتني خيرَ يَدْ
هات أضَعْ في راحتيـ ـكَ قُبَلاً بلا عَدَدْ

مصطفى : يا للجلال والخطَر ويا لتوفيق القَدَر
من البشيرُ بالخبَرْ إلى البيوت والأُسَرْ
حظّ لعمري قد كمَل فمن يُبلّغ الجبَلْ
وكلَّ دارعٍ نَزَل على الشعاب والقُلَلْ
أنا ظفرنا بالأمل

أم محمود : قمن بنات الشركس للهو والتأنّس
زدنَ سرورَ المجلس برقصكُنَّ الخمس

شمس : عشّاق ماذا أخرّك لِم لَمْ تجرِّدْ خنجرك
قم لاعب الغيدَ تَرَكْ كيفَ تخوضُ المعترك

عشاق : غدا يُعقَدُ للوالي على الحسناء آمال
جبالَ الشركس اختالي بهذا النسب العالي

هلِّلوا الفرحَ الأكبر هلِّلوا رقصةَ الخنجر
غداً يمتلك الوادى من الحاضر والبادى
فمن طالب أفراح ومن شاهد أعياد
هلبوا الفرح الأكبر هلبوا رقصة الخنجر
غداً يبتهجُ العصرُ وتُمسى فرحا مصرُ
وتُجلى الشمسُ والبدرُ ويزهو بهما القصرُ
هلبوا الفرح الأكبر هلبوا رقصة الخنجر

هتاف خارج القصر :

لازلت منصور القنا يا أسد المعارك
أطعمتَنا سقيتَنا ياربِّ زدْ وبارك

على بك : اسمعوا

رزق : ضجّةٌ

الأغا مرجان: أجلٌ وابتهالٌ ورجالٌ بسيدى يهتفونا

على بك: من تُرَى الهاتفونَ رزقُ ويامرجانُ أُخْرج فانظرْ مَن الصاخبونا

الأغا : عادةٌ تلك كل يوم خميس عندنا ألف جائع يطعمونا

على بك : امض فاجعل فى كفِّ كلِّ فقير

ذهباً يطعمونَ منه البنينا

نفحةٌ من أميرة النيل مولاتك

آمال : بل منك سيّدَ المحسنينا

رزق : مولاى

علي بك : من ؟ أوَ رزقُ ذا ؟

رزق : كم ذا تجودُ وكم تَهَبْ

إن الخزانة أصْبَحَتْ بنداكَ كالجحر الخربْ

الفضَّةُ انفضّتْ وما قد كان من ذهب ذَهَبْ

رمضان راحَ بنصفه والنصف راحَ به رجَبْ

علي بك : أجل نحنُ أطعمنا الفقيرولم يكُنْ

له في قصور المُتَرَفينَ طعام

ونحن سقينا ابن السبيل ولم يكن

يُبَلُّ له فوقَ الطريق أوامُ

ونحنُ حضَنّا اليتمَ نمسحُ دمعهَ

وآواهُ منا محسنونَ كرامُ

ترى الزاد مبذولا وفى كل ساحة

يتامى قعودٌ حولَهُ وقيام

ونَبنى فركنٌ للثقافة والحجا

يُشَادُ وركنٌ للصلاة يُقامُ

ودارٌ يُواسَى البؤسُ فيها ومنزلٌ

تداوى جراحاتٌ به وسَقامُ

ونرفق بالعجماء نأسو جراحها   ثقاتٌ على ساحاتنا وتنامُ

على بك للاغا مرجان وهو بالباب .

مرجان ، خيرٌ

مرجان .   سيدى «للسير»

على بك   أدخله ليس دونه سرور

الأمالى: أميرى ... داعى   يتسرُّ من أولادى

آمال لأم محمود .

... سعله   بالمهمات قد كثر

أم محمود .

أم محمود .   ملكتى   ما تريدين ما الخبر

آمال   شمس

شمس .   لبيك ملكتى   دونك الشمس والقمر

آمال لزكية: أختُ

زكية :   أهديك ملكتى   زاد فى شأنك القدر

آمال : حُلْنَ فى القصر جوْلةً   وتنقَّلْنَ فى الحُجَر

نحنُ فى الودِّ والصفا   ءِ كأمس الذى غبَر

عشنَ ضيفاً علىّ فى الـ   قصر ما امتدّ بى العمُر

« يخرجن مع مصطفى وعشاق .. ويدخل بشير بك فتتنحى آمال ناحية »
« من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

على بك : ماذا وراءك يا بشير

بشير بك : شأنٌ سأعرضه خطيرْ

علي بك : قل

بشير بك : لا أقولُ لأنه شأنٌ يُسَرُّ إلى الأمير

على بك يذهب ببشير بك الى ناحية أخرى من الحجرة :

على بك : عجل وكاشفنى بما بَلَغتْ من الجدّ الأمور والبرُّ

بشير بك : مَنْ ؟

على بك : أبو الدهب

بشير بك : يأخذُ للشرِّ الأُهَبْ
حاز الأقاليم إليه وتألف العرب
والغُزُّ فى ركابه والشعبُ جذلانُ طَرِبْ
فلنرتحل فربما جُنَّ فعجل الطلب

على بك : أرى الأزْمَةَ اشتدتْ وأبطا انفراجُها

بشير بك : فصبراً عساها آذنت بذهاب

على بك : صبَرت طويلا يا بشيرُ فما جلا
ولا ذلَّلَ الصبرُ الجميلُ مُصابى

ولو أن رُزْقِى بالغريب احتملتُه
ولكن بأهلي نكبتي وعذابي
يُطاردني في الأرض من دَبَّ في يدي
ورُبِّيَ في حجري وشبَّ ببابي
ومن طلب الدنيا بيأسي وسطوتي
فلما حواها في يديه سَطَا بي
ومَنْ عشتُ أبنيه وأعْمُرُ ركنه
فصَيَّرَ هدمي شُغْلَهُ وخرابي
لقد آن أن أسعى وأن أدفع الأذى
بشيرُ امض هيّئ للرحيلِ ركابي
إلى كم قعودي عن عدوي وكيده
وهذا عدوي لا يملُّ طلابي
سأخرج نحوَ الشامِ في فَلِّ شيعتي
فهيّئ جيادي وادع خيرَ صحابي

بشير بك: وماذا وراء الشام ؟

علي بك: أُسْدٌ ضَراغِمٌ
ألُفُّهمو حولي لنُصْرة غابي
يزيد بهم جيشي وتقوى عشيرتي
ويشتد ظفري في القتال ونابي

الان فرشنا

بشيرك: أمس ... أأمضي؟

علي ملك: بل ابق انتظر يا بشير

إذا أما قضيت هذا المساء نعرف الأمير ماذا تضير

بشيرك: وليل غد والذى بعده

وإن شئت فابق الليالى الكثير

ونحن فنمضى فنأتى العريش

ونبقى بها بانتظار الأمير

نريغ الجواسيس طول الطريق

ونهرب من منكر أو نكير

ندرككما أمس مستمهلا

كثير التوارى قليل الظهور

علي ملك: بل امض بنا سر بنا سر بنا

فما جلب الخير مثل البكور

لآمال: لا تجزعي أميرتي لابد لى من السفر

لقد دعت حادثة من الحوادث الكبر

كيف رواج وسفر

مزاحة من القدر

أغيب شهراً واحداً فـانتظرى

آمال : سأنتظر

على بك : ما أنتِ إلا مَلَكٌ نَهَى بقصري وأمر

في ذمة الله يا ربّة القصر

آمال : وأنتَ مولاىَ شُيِّعتَ بالنصر

على بك لرزق : سأصعد يا رزقُ نحوَ الصعيد لشغلٍ

رزق: ولِمْ لا صعودَ القمَرْ

« ثم لنفسه: صُعودَ الدخان إلى ذروة إذا صار فَيها امّحى واندثَرْ

على بك : وما في الخزانة أو في القصور بأمر الأميرة فيه ائتمر

« لآمال: هكذا مصر كل يوم شئون شغلت مصر بالشئون الناسا

وكأن البلاد خيلُ جهاد كلَّ يوم تُبدِّل السُّوّاسَا

رزق الوكيل لنفسه :

لا رحلةٌ ، لا سَفَرٌ هذا لعمرىَ الهَرَبْ

وما الصعيد يقصدون بل إلى الشام الطلب

أما أنا فقد ملأت اليد من أبي الذهب

إذا الزمان بملىّ بعد حين انقلَبْ

يجعلنى محمد على خزائن الذهب

على بك : سلام على قصر الإمارة والغنى

وإيوان سلطاني ودست جلالي

ووالله ما فارقت مغناكَ عن قلًى

ولا خطرت سلوى الأمور ببالي

وأعلمُ أنى عنك لا بدّ زائلٌ
وأنك منى لا محالة خال
ولكن أمورٌ قد جَرَتْ وحوادثٌ
بنقلةِ دنيا أو تبدل خال
فخالفنى من كان عند إشارتى
يصول بجاهى أو يعيش بمالى
وعقّ الذى ربيت فى حجر نعمتى
ووطّأتُ أكنافى له وظلالى
تألّف أصحابى وألّب شيعتى
علىّ وأغرى بالخروج رجالى
لقد جئت بابن ليس لى فكأنما
أتيتُ بأفعى من سحيق تلال
تفرّق عنّى الناسُ إلا بطانتى
ولم يبقَ حولى اليومَ غيرُ عيالى
سأمضى وما عندى لهم إن تركتهم
سوى قوتِ أيام وخُبز ليالِ
وقد زَعَمَ الناسُ الغِنَى فى خزانتى
أتى من حرام تارةً وحلالِ
وأُقسمُ لم تُحرز يمينىَ درهماً
من المالِ إلا أنفقته شمالى

أسير. أجلْ أمضى نَعم فعسى السُّرى
تَروحُ بنَجْمى أو تجى بهلالى
فما الدهر إلا حالةٌ ثم ضدُّها
والا ليالٍ بعدَهُنَّ ليالِ
وتلك التى أحبَبْتُ أول وهلة
وأشركتُ فى مُلْكٍ وشيكِ زوالِ
أعود إليها فى المواكبِ ظافراً
وفرقَ بالنصر المؤزَّرِ حالى
وأرجعُ حُراً تحتَ النيلُ كله
وما من بنى عثمانَ فوقَ والِ

[يخرج على بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب]

[تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول]

يا ربَّة القصر لامسَّك الضُّرُّ
هل عندكم غوث هل عنـدكم نصرُ
لحرةٍ فى وادْ ليس به حُرُّ

آمال : مرجان ويحى هذه صيحة وامرأةٌ صارخة باكيه
مرجان أنظر

مرجان : هى ذى أقبلت مُعوِلةً صاخبةً شاكيه

[تدخل امرأة مقطوعة الأذن وصارخة]

آمال : ماذا دهى يا خاله أنتِ بشرِّ حاله
ذا الدمُ من أساله ؟

المرأة : جنودٌ وراء كبيرٍ لهم من الذين قد جرّدوا الخُلُقْ
أتَوْا دارنا فمضى نصفهم أزال العفاف ونصفٌ سرق
ومال على أذنى بعضهم بسكينه طمعاً فى الحلق

آمال تدفع الى مرجان صرة :
مرجان خذ ناول

مرجان : تعالَىْ خذى

آمال : لا بأس يا خالةُ لا باسُ
انتظرى عوْدَ علىٍّ غداً فنى غد يرتدعُ الناسُ

« المرأة تأخذ الصرة وتصيح مولولة »

وأذْنى أينَ ألقاها مضَتْ آهاً لها آها
ويا مَنْ عندهَ أذنى أما يكفيكَ قرطاها

« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة »

الفتاة : سيدتى

آمال : وأنت أيضاً

الفتاة : رحمةٌ سيدتى

آمال : ما تشتكين يا فتاة

الفتاة : الترك سيدتى

يذبحون إخوتى في ساحة الرميلة

آمال : ويحَ لهم ماذا جَنَوْا ويحَ لهم

الفتاة : لا شىء

آمال : لا لا بُدَّ من داعٍ دعا

النفسُ لا تُقتَلُ يا أختُ سُدًى

الفتاة : صدقتِ يا أميرتى إلا هنا

لا ينزلُ الرأس بمصرَ جسداً

إلا نزولَ المرء فى بيتِ الكِرا

آمال : تذكَّرِى قُولى لىَ الحق اصدُقى

الفتاة فى حياء : قد سرقَ الإخوة جحشَ الكَتْخُدا

آمال : سرْ امض مرجانُ مع الفتاة

واشفع لدى الحاكِمِ للجناةِ

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل أغا آخر ويقول :

سيـــدتى

آمال : وأنتَ ما عندَك قُلْ

الأغا : ابنُ الأمير سيـدى مرادُ

آمال : ابنُ الأمير . ا هيِّ عَجِّل جئْ به
أكلُّهم لسيدى أولاد
أدخل مراداً واتتنى بمصطفى
آمال لنفسها: أخافُ إن قلتُ أبى أن يعرفا

[يظهر مراد بك]

آمال لنفسها: ويحى وويحٌ لعلِّ ما أرى
إنى أرى الغَدْرَ على هذا الفتى

مراد بك: تحيةٌ سيدتى أتذكرينَ مَنْ أنا ؟
آمال : كل الذى أعرفه ابن الأمير ههنا
مرادبك: أميرتى قد خدعوك ما علىَّ لى أبا
ما أنا إلا صاحبٌ قدَّمه وقرَّبا
آمال : يا عجباً !

مرادبك: ومم يا مالكة القلب العجبْ
وكلُّ ما فى الأمر أن ليسَ علىَّ لى بأبْ
وليس ما يمنعُنى من أن أُحبَّ وأُحَبْ
آمال : تحِبُّ أو تُحَبُّ قو لٌ لا يليقُ بالأدبْ
نسيتَ للقصرِ ولى ولأبيكَ ما وَجَبْ

مرادبك: قد عرفناك يا أميرتى إننا أمسِ التقينا فى معرض الجلاب

مرادمستمراً: ذهبت لأشرِى فاشترانى وباعنى

غزالٌ بسهم المقلتَيْن رمانى

هَمَمْتُ ولكن صاحبُ الصيْدردَّنى

وصيَّر سلطان البلادِ مكانى

ولم يدر أنى فوق شأن محمدٍ

وشأن علىٍّ فى الرياسة شانى

إذا ما حوتنى كِفَّةٌ رجح الذى

رمى بىَ فى ميزانه لحوانى

وجاء علىٌّ فاشترى

آمال : لست صادقاً بنىَ بىأمير للمكارم بان

مرادبك : وطار عن الوادى

وماذا يَعيبُه أَلَمْ تُخلَق العِقبان للطيران

مراد بك يقترب منها :

آمال لو تعرفينا آمال لو تعطفينا

مصطفى بالباب وقد سمع كلامهما «لنفسه»:

أرى شبحَ الجريمةِ حامَ حولى

كما ناشَ الغريمَ الأفعوانُ

آمال لمراد بك :

لا تدعُنى باسمى ولكن نادنى باللقبِ

مرادُ هذا هَوَسٌ قف عند حدِّ الأدب

مراد ما مقصورتي بمجلس لأجنبي

أخرج

مرادبك : على رسلكِ مولاتي

آمال : دعــنى . إذهب

مرادبك : بحقّ الحب مولاتي

آمال : ظلمتَ الحبّ يا نادر

فمـا الحبُّ فُضوليٌّ ولا لصٌّ ولا فاجر

ولـكن معدن النبـل وكنز الخُلُق الطاهر

(تنحسر العمامة عن جبهة مراد باك فيظهر أثر جرح قديم)
(بجبينه كان قد أصيب به في صغره ... ...)
مصطفى بعد أن رأى أثر الجرح وهو بالباب :

إلهي هذا جُرحه ذا مكانه

أما بات طولَ الدهر للجرح لازما

إلهي هذا الجرح فوقَ جبينه

مَضَتْ سنواتٌ ما مَحَوْنَ علائما

لقد بارز الصبيان بالسيف ناشئا

فصادفَ سيفاً خدش الرأسَ صارما

إلهي أرى أشياءَ ثَمَّ مهولةً

وأشفقُ فيها من عقابك صارما

إلهى لا تجعله حقاً ومُرْ أكُن
بما أنا راءٍ من عذابك حالما
كفَى غضباً يا ربُّ حسب عقوبةً
وحاشاكَ لم تظلم ولم تَكُ ظالما
إلهى كانت هفوتى عن غَوايَةٍ
فتُبتُ فكن لى فيهما اليوم راحما

آمال لمصطفى :
وا أبتـــا

مصطفى : لبيْكِ آمالُ

آمال : إلىّ يا أبى

مصطفى : أحبِبْ بهذا الصوت أحببْ بالنداءِ أحبب

آمال : أبى

مصطفى : ابنتى أنتِ هنا ؟

آمال : تعالَ قِف بجانبى

مصطفى : لا بأس يا ابنتى عليـ ـك دونَ ناديك دمى

آمال : أبى لقد ديسَ العرينُ فى غيـــابِ الضيْغَم

مصطفى : مَـنْ فى مقاصير الأمير ؟ ما أرى من الفَتى ؟

آمال : ذئبٌ بشكل آدم للصيـدِ فى الغـاب أتى

مصطفى [مهمهما] :

خنجرى أين خنجرى اليومَ منى
يغسل العــارَ والدنيّـةَ عنى
فعسى أن يُريحنى من صبىّ
عابثٍ ، أو يريحــه هو منى
هو يطغى بسنه سأريه
أننى الليث ساعدى هو سنى

آمال : أبتى ما تقول ؟ ماذا تلمستَ ؟

مصطفى : سلاحى

آمال : لا لا أبى لا تَرُعْنى

آمال [لمراد بك] :

يربك إلا حقنت الدماء

مرادبك : دمائى أنا أم دماء اللعين ؟

مصطفى : أتلعنُنى يا أضلَّ الشباب
أتلعننى يا أعقّ البنين

مرادبك : ولِمْ لا وما لكَ من حُرْمَةٍ

مصطفى : ستعلم ما حرمتى بعد حين
سأقلع عيناً سمت للبـاة
وأقطَعُ رجلاً مَشَتْ فى العَرين

آمال : كفى هوساً أيهذا الأمير

مراد بك : أبى هَوَسٌ ملكتى !

آمال : بل جنون

كفى جرأة

مراد بك : وعلامَ اجترأت ؟

آمال : على امرأةٍ تحفظ الغائبينْ

مصطفى : مراد لك الويل من سادرٍ وقاحِ اللسان وقاح الجبين

هتكتَ على الحزن محرابَهُ ودُسْت على عبرات الحزين

ولم تحتشم فى خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقار السنين

مصطفى [لنفسه وهو يبحث عن خنجره] :

ربِّ ضلَّتْ يدى وحطِّمْ سلاحى

ربِّ لا تَقضِ أننى أقتل ابنى

مراد بك : سيسبق سيفى خنجر الشيخ

مصطفى : مرحباً

بسيفك من ماضى الحديد يمانى

فهاتِ مرادُ السيفَ هاتِ منيّتى

أرحْ من عذاب الحادثات جَنانى

مراد بك [وقد شهر سيفه] :

إلهىَ مالى قد غُلبتُ على يدى

وما بالُ سيفى إذ هممتُ عصانى

وما بال نفسي بعد طول جمودها
قد انفجرت من رحمةٍ وحنان
عَفَوْتُ فَمِلْ ياشيخُ مِلْ عَنِّيَ انطلق
وعش ناعماً في غِبطةٍ وأمان

مصطفى: أميرِيَ ذا رأسي تحذه بضربةٍ [يخرج مراد بك]
عساني أرى هذا الضمير عساني

مصطفى [لنفسه، ويتبع مراد بك]:
أَأُنْبيه؟ لِمْ لا؟ لا. بل استأنِ مصطفى
أَأَذكرُ لابني كيف خِسَّةُ شاني

آمال لنفسها: ويحَ لي ويحَ قد قسوتُ عليه
وتجاوزتُ في العقوبة حَدِّي
ما الذي استوجبَ الأميرُ وما أذنب حتى رددتُه شرَّ ردٍّ
ويحَ قلبي يحبُّه كذبَ القلبُ
وبعداً لحبِّه ألفَ بُعْد
هو مستهتِرٌ على حجراتي
وتناسى أمانةَ الزوج عندي
لا. بل القلبُ شُغْلُه بمراد هو شغلي من الحياة وقصدي
ربِّ مالي أحِسُّ نحوَ مراد
شغفاً زائداً ولوعةَ وجد
وحناناً كأنه رقةُ العشق جرى في دمي ولحمي وجلدي

صدق الأولون ألآن أدرى
كيف تجزى القلوبُ وداً بودّ
كيف قلبي تحبُّه كيف تهواهُ
بودّى لو تستفيق بودّى
عبثاً آمُر الفؤادَ وأنهَى
وسدىً أستردُّ عقلى ورُشدى
كلّ نُصح يُقالُ للقلب فى التّرك
وفى سلوة الهوَى غيرُ مُجد ٠

لم لا أشتهى مراداً وأهواه
ومالى أغالبُ الشوق جُهدى

ومرادٌ ألذُّ فى العين لمحاً
من سنا الصبح بعد ليلة سُهد

مَلِكٌ جاء حجرتى يشرحُ الحبَّ
أفى الحقِّ أن يُجازَى بطَرد
لمَ لَمْ أتخذه فى حادث الدهر
نصيراً يرد عنى التعدى
لمَ لَمْ أتخذه بعد علىٍّ
ركن دنياى أو دِعامة مجدى

لا وربّ الجلال والحقّ «آمال»

ارجعى للصواب «آمال» جِدّى

أنت من أمةٍ تصون حمى الزوج

وتقضى حقوقه وتؤدى

ربِّ لا تجعل العَلاقةَ إلا

من سلامٍ إذا التقينا وردّ

رَبِّ إن البلاءَ منى قريبٌ

وأرى حُفرةً وأخشى التَّردِّى

رب لا تقضِ أن أخون عليًّا

وأَعنِّى على الوفاء بعهدى

أنا حَيْرى وأنت تهدى الحيارى

كيف أهوَى على هوى الزوج عندى

ثم مستمرة: لا لا رويدك يا آمال لا تثبى

على الأمير ولا تجزيه طغيانا

واحمى حمى الليثِ فى أيام غيبته

إن اللباة تحوط الغاب أحيانا

هبيه لم يخلع الدنيا عليك ولم

يُلبسكِ تاجاً ولم يُنزلك إيوانا

هبيه لم ينفجر قبل الزواج ولا
بعـد الزواج ولم ينهلّ إحسانا
هبيـه سافر فى شأن له جَلَلٍ
يبنى لدولتـه فى الأرض أركانا
أما هو الزوجُ يُرعى حقُّ غَيبته
وتَجعل الحرّة الفُضلى له شانا
لقد أقامَك فى محرابه مَلَـكا
لا تجعلى المَلَكَ المهـدىّ شيطانا

ســـتـــار

الفصل الثانى

فى قلعة ضاهر العُمر صاحب عكا

« فناء قليل الضوء مبنى من الحجر انتشرت المصاطب فى جوانبه »
« يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الأسطول الروسي »
« في ناحية من فناء الدار بعض الجند يتحدثون ... ... »

أحد الجند: سمعتم الرعد ؟

آخر : سمعنا القعقعه

بربكم هل فى السماء مسبعه ؟
أم فى السماء وقعة ومعمعه

الأول : بجبل من الرخام انشقّا

أو كالنحاس بالنحاس دُقّا

الثاني : والبرقُ لمحةُ القبَسْ أو زفرةٌ حرّىالنّفَس
أو كالدم القانى انبجس

شقَّ الظلامَ وخَفَقْ على مُلاءةِ الأُفُق

كأنه خيْطُ الشَّفقْ

حبيش : ضرغام

ضرغام : ماذا يا حبيش ؟

حبيش : أَلعَمَى لك العَمَى

البرد زاد

ضرغام : صه أما في طوبة نحن أما

حبيش : ضرغام إنى قد حسدت القوم فى جهنما

ضرغام : اصعد إليهم إن أردت

حبيش : كيف ؟

ضرغام : هاك سلما

وانشد حماتى بينهم وطف بها مسلما

حبيش لملاط: ملَّاط

ملاط : لَبَّيْكَ حُبَيْشُ

حبيش : قم أخى لك العَطَبْ

ملاط : وما الذى أصنع يا حبيش

حبيش : جئنا بحطب

ملاط : من أين ؟

حبيش : قم خذ كلما لاقت يداك من خشب

ملاط : كيف أجُرّ الساق والبرد بأطرافى ذهب

كأنني مَيْتُ اليهود نُزِعتْ منه الرُّكب

حبيش : يالك برداً قارساً وزمهريراً لاذعا

لا الصوف فيه واقياً ولا الحرير نافعا

ضرغام : مـــــاالصوف ماالحرير لا لاأعطنا برادعا

حبيش : أنظر قَفا صاحِبنا كأنه بغل ذُبح

وانظر أهاتيك أنو فٌ فى الوجوه أم بلح ؟

كأن كل رجُل فى أذنيه قد جُرح

« تسمع فرقعة »

آخر : صوت ؟ !

ضرغام : أجل !

الأول : ما الصوت ؟

ضرغام . تلك فرقعه

الأول : وأين ؟

ضرغام : عند الترك هل من موقعه ؟

[تسمع فرقعة ثانية]

حبيش : وذاك ؟

الأول : مدفعٌ وتلك بُندقه

اسمع !

ضرغام : وما ذلك !

الأول تلك طقطقه

أقدامُ خيل في الفضاءِ مُطلقه

ملاط : ربِّى متى ينقضى البلاءُ وتنقضى الحربُ والشتاءُ

حبيش : ربِّى متى نَنْعم بالسِّلم متى
كم.ذا إلى كَم نحنُ حربٌ وشتا

آخر : كم أنا كالفار شق من خندق لخندق
أصحو على المدفع أو على صفير البندق

حبيش : قل لنا يا خرابُ ما هذه الحالُ متى تنتهى وأينَ المصيرُ؟
قدسئمنا القتال واشتاقت الزوج إلى زوجها وحنّ الصغير
وتركنا وراءنا الدور عزّ القمح فيها وقلّ فيها الشعير
وبنو ضاهرٍ شرابهمو العُنّاب والشهّد قوتهمْ والفطير

آخر : كل حين يجىء من مصر جيش
ينزل القدسَ أو يحلُّ الشآما
وأميرٌ يقاتلُ الترك فى مصر
أتى شاهراً علينا الحُساما

نحنُ ما بينَ مصرَ والتركِ ضِعنا
وسَئمنا الحياةَ والأياما
غنم نحن بين راعٍ وذئبٍ
أي هذين جاع كنا طعاما

آخر : وغداً . .
حبيش : ما غدٌ ؟
الأول : بلاءٌ عظيم
حبيش وآخرون : كيف ! ما ذاك ؟
الأول : إسألوا ضرغاما
ضرغام : العمى للرجال ما تُبصرونَ الفُلك في البحر تُشبه الأعلاما
آخر : فلك من ؟
فُلكُ قيصر الروس في البحر تَصُبُّ الردى وترمي الحماما
قِطع من جهنم راسياتٌ قعد الشرُّ حولهنّ وقاما
وغداً ينزل الجنود فيحتلون هذي القلاع والآجاما
ملاحظ : إذن فأهلا بغدٍ إن غداً قد اقترب
آخر : كيف ! وماذا في غد ؟
ملاحظ : فيه كرائم السلَب
غداً نفوز بالسلاح والملابس القُشُب

آخر : وما على الصدور من قلائدٍ ومن صُلُبْ
وعادة الروس يـنوءون بصلبان الذهب

[يدخل ضاهر العمر ومعه حسين المصري]

ضاهر : وكيف حال الدار ؟

حسين : غابة الأَسَل
أو هى وكر النسر فى رأس الجبل

ضاهر : وسَهَرُ الدار على الضيف الأجل

حسين : تحفظه حفظ الجفون للمُقَل

ضاهر : والشام . كيف تجد الشام ؟

حسين : نُزُلْ
يليق فى جنة عدن للرُّسُل
أنهارها من لبنٍ ومن عسل لا شيء إلا فى ذرا الشام كل
إن تخلُ من شيء فمن لحم الحَمَلْ

ضاهر [ويصفق] :
غضبانُ صعبُ يا عبوسُ يا نَكد

صعب وغضبان : لبّيك مولاى اقترح أشرْ تجدْ

ضاهر : امضوا اجمعوا الحُملان من سوق البلد
وقدموها للضُّيوف منذُ غدْ

[ينسحب حسين والخادمان]

يدخل خادم ويقول :

مولايَ

ضاهر : ما ذا . . زائر آخرٌ ؟

الخادم : لا سيدى ، بل هذه زائره

ضاهر : امرأةٌ أنثى ؟

الخادم : أجل سيدى

ضاهر : وما اسمها ؟

الخادم : لم ترض أن تذكره

ضاهر : هلْ صَرَّحتْ منْ أينَ جاءتْ ؟

الخادم : أجَلْ منْ مصرَ مولاىَ منَ القاهرهْ

ضاهر : وما سنها ؟

الخادم : غادةٌ فى الصبا تُشَبِّهُها الزنبق الطيبَّا

وقد لبسَتْ حلَّةً للسّفار

وشالا كوشى الضحى مُذْهَبا

تريدُ تقابلُ ضيفَ الأمير

ضاهر : تريد عليّاً إذن مرحبا

ثم لنفسه : إلهيَ أنثى لدارى سَعَتْ تريدُ عليّاً فما تطلبُ

ترى امرأةٌ هىَ أم حيَّةٌ تُريدُ صديقَ أم عقربُ

[يخرج ثم يعود بشمس]

شمس : سلامٌ لكَ مولاى

ضاهر : سلامٌ جارَةَ الدّار

فما أنْت وما تَبغينَ مِنْ ضَيْقٍ ومنْ جارى

شمس : رسولٌ أنا يامولاىَ قد جئتُ بأخبار

جرى فى مصرٍ الدهر بأحوال وأقدار

ضاهر : وما ذلك؟

شمس : لا أعطى سوى مولاى أسرارى

ضاهر : هىَّ تقدم فتِّش السيده

شمس: لا سيدى يَحسن أن تبعده

مُرْ لا يمدَّ الوحش نحوى يده

الخادم ويتقدم نحوها :

ماضرّ لو زحزحت الـ غادة فضلَ البرقع

شمس : مالك يا وغد ولـ ـبرقع دع عنك دع

الخادم : عمّى لك ياعمرُ ما ذى غدا ةٌ لكنها أفعوان قَبَعْ

وتلك الجفون سلاح مضى وسهم أصاب وسيف قطع

وفى الصدر غدارةٌ ههنا وأخرى إلى جانبيْها تَقَعْ

وهذا القَوام كرمح الأمير إذا اهتز فى كفه أو لمع

أميري أأنزع منها السلاح

[يدخل علي بك]

علي بك بعد أن يسمع : سلاح الملاحة لا ينتزع

« ينسل ضاهر »

علي بك لشمس :

أهلا بشمسٍ بالرسولِ ومرحباً
بنسيمِ مصرَ ونفحة الأحبابِ

كيف الأحبّةُ «شمسُ» هاتِ خبّري
قد طال بُعدي عنهمو وغيابي

كيف الديارُ وكيف قصري هل تُرى
تركَ القواصدُ والصنائعُ بابي

أتراهمو قدّردهم خدي وقد منعوا اطماعي عنهمو وشرابي

وموائدي ياشمسُ كيف موائدي
والطاعمون بها وكيف رحابي ؟

شمس : مولايَ طِبْ نفساً فبرّك لم يزل
يَجري وخيرُك في يدِ الطلّابِ

علي بك : والناسُ شمسُ ؟

شمس : مع الأمير قلوبهم لكنْ سيوفهمُ مع الكذاب

الغُزُّ والأمراء حول ركابه

على بك : وكذاك كانوا أمسِ حول ركابى
والأزهر المعمور ؟

شمس : صادَ محمدٌ فيه الشيوخَ وعاد بالطلاّب

على بك : والشعبُ ؟

شمس : سالٍ يا أميرُ كعهده قد مالَ عن باب وقام ببابِ
والتركُ قد نصبوه بعدك هِرَّةً يتصيّدون بظفرها والناب

على بك : والقصرُ كيف القصرُ كيف صديقتى
وشريكتى فى شدتى ومُصابى ؟
أرأيتِ آمالا وكيف وجدتِها ؟

شمس : لم نفترق مولاى

على بك : منذ ذهابى ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيمَ بقصرها
وتعطَّفت وحَنَتْ على الأتراب

على بك : فوجدتها ياشمس

شمس : خيرَ عقيلةٍ وأجلَّ ربة منزل وحجاب
مَلأَتْ مكانَك عِزَّةً ومهابةً
وكَسَتْ حماك جلالة المحراب

سَهِرت على ذكرى الأمير وعهده
سَهَرَ اللباة على حريمِ الغاب
لو كنتَ أمسِ ترى رأيتَ أبيةً
غَضْبَى محاميةً عن الأحساب

على بك : غَضْبَى ؟ ومِمَّ وماجَرَى ماراعها ؟

شمس : من سافل مُتهافت دبّاب

على بك : ما ذاك شمس من الوقاحْ من الذى
نقل الخطى بمنازل الغيّاب

شمس لنفسها :
رباه ماذا قلتُ لمْ خبّرتهُ

على بك : قولى أجيبى ؟

شمس لنفسها : ربِّ كيفَ جوابى

شمس لعلى بك :
ذنبٌ فلا تجعله شغلك سيدى
إن القذارة شيمةُ الأذناب

على بك : من ذاك شمسُ ؟

شمس : مراد

على بك : ويح له ولى ويحى من الأتباع والأصحاب
أمراديَصنعُ ذاكَ ماذا غرّه بخزانتى ما غرّه بثيابى

والزوجُ شمسُ ؟

شمس : استعصمت فی دینها

ورمت بزائرها وراءَ البابِ

علی بك لنفسه :

یانفسُ قد خان مَنْ قلّدته ثقتی

وكان حولی لواءَ الصحبِ والآلِ

هذا أبو الدهب استولی علی شیَعی

وحازَ دونیَ جاهی واحتوی مالی

والیوم هذا مرادٌ نال من شرفی

ما لا یمر لأعـــدائی علی بال

علی بك لشمس :

تعالَیْ نَجُلْ یا شمسُ فی دار ضاهرٍ

تعالَیْ نری الجیشَ الحلیفَ تعالی

فنحنُ اقتسمنا الحصنَ ثَمَّ عیالُهُ

علی كثرة اللاجی وثَمَّ عیالی

« یدخل حسین من باب ویدخل سعید من باب آخر »

سعید : حسین هنا ؟

حسین : من أری مَنْ سعید ؟

سعید : سلامٌ حسینُ

حسین : سلامٌ سعیدْ

سعيد : أأنت هنا لم تزلْ يا أخى تراقبُ فى الشام حالَ الطريد؟

حسين : وكيف اقتحمت فِناءَ العرين

وجاوزت هذا الحصارَ الشديد ؟

سعيد : بمالٍ بذلت هنا وهناك وبالمالِ يُعطى الفتى ما يريد

حسين : متى جئْتَ من مصْرَ ؟

سعيد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك ؟

سعيد : بغالُ البريد

حسين : وماذا بمصْرَ من الحادثات ؟

وهل جدّ فى أرضِ مصرٍ جديد ؟

سعيد : حوادثُ مِصْرَ على حالها

وأمس القريب كأمسِ البعيد

حسين : وكيف محمد ؟

سعيد : خلّفته كما يشتهى وعلى ما تريد

قبولٌ يحرِّقُ قلبَ الحسود ودنيا تفيض وشأنٌ يزيد

لقد نزلَ الريفُ فى راحتيه وحج إلى قدميْه الصعيد

ترَى الأمراءَ على بابهِ يقومون فيه قيامَ العبيد

وللفقهاءِ على دارِه صباحَ مَساءَ زحامٌ شديد

حسين : إذن قُضِيَ الأمرُ مصرٌ لنا

سعيد : أجل ملكُنا اليومَ فيها وطيد

حسين : وكُتبي سعيد ؟ تجيء الأمير ؟

سعيد : أجل وهي موضعُ إعجابه

يشيرُ بها في أحاديثه ويَنشُرُها بينَ أصحابه

ونحنُ كلانا على بالِه غداً نتلاقى على بابه

ونَطعم أطيبَ إحسانه ونلبَس أسبغَ أثوابه

حسين : وما أتيتَ يا أخي تصنعُ في هذا البلدْ

سعيد : ذلك سرّي يا حُسَيْنْ لا يقالُ لأحدْ

حسين : حَذارِ أن تقول أو تفعلَ شيئاً يُنتقَدْ

نحن بدارِ ضاهرٍ دارِ العديد والعُدَدْ

الجمع يقظانُ بها وإن ظننته رقَدْ

وكلُّ جاسوس هنا عليه عينٌ ورصَدْ

وقد تظُنُّ ضاهراً مبتعداً وما بَعُدْ

وضاهرٌ ليلَ نهار في السلاح والزرَدْ

قد جعلَ الشام هي الغاب وطاف كالأسد

« ثم بعد فترة سكون »

سعيد : حسين !

حسين : ماذا يا سعيد قل سلِ

سعيد : أينَ تُرَى أصادفُ الآن على ؟

« يقبل على بك »

حسين : سعيدُ انظر التفت هذا الأميرُ مقبلا

يمشي الهوينا ويختالُ الأسدَ المستهلا

سعيد : حسينُ ما له انحنى ما باله ترهلا

لأمشينَّ نحوه

حسين : لا يا أخي بل ابْقَ

سعيد : لا

حسين : إياك أن تقولَ ما يغضبه أو تفعلا

فهو مهيبٌ ههنا كالليث في جوز الفلا

سعيد : لا تخشَ لا أكون إلا محسناً ومُجملا

ألم يكن أمس أمير البلد المبجَّلا

على بك لسعيد :

من المرء من أينَ من أرض مصر ؟

فهذا اللباسُ لباسُ الوطن

سعيد : أجل مليكي من رعاياكمو

على بك : ومن مصرَ هذا اللسانُ الحسن

وما اسمُك ؟

سعيد لنفسه : ما همّه إسمى !

سعيد لعلى بك : سعيد

على بك : سعيد تذكرتَ مَنْ أنتَ مَنْ ؟

سعيد لنفسه :

تذكّرنى عجبٌ كيفَ ذاكَ !
ولم نجتمع مرة فى الزمَنْ
تُراهُ بىَ ارتابَ ظنَّ الظنونَ
تراه لِمـا كلَّفونى فَـطِنْ

على بك : وكيف تركت بمصر الأمور ؟
سعيد : عواصفُ حولَ مراسى السُّفُنْ
وجوُّ الأمور من الحادثات كثيرُ الغُيوم كثيرُ الدُّجَنْ
على بك : وكيف تركت الأمير الجديد ؟
سعيد : سقيمُ الولاية نكدُ الزّمَنْ
على بك : ولِمْ يا فتى هل تولَّى الولىُّ
وخانَ منَ الشيعة المؤتَمَنْ
سعيد : أجل يا أميرُ ودبَّ الخلافُ
وثارَتْ هنا وهنـاك الـفِتَنْ
على بك : حديثكَ يا صاحبى لا يُساغُ
ولا تطمئن إليـه الأذن
عساك تبالغُ فيما تقول لعلَّكَ تخلُقُ ما لم يكُنْ
إذن لم يَخُنْ عهدىَ الأمراءُ ولم يقلب التركُ ظهر المجَنْ

ولم ينس أصحابَ الفقهاءِ أياديَّ عنـدهمو والمننْ

ولا الشعب ملَّ الأمير القـديم

ولا بالأمـير الجـديد افتتنْ

بلغت المدى أيهذا الفتى رُوَيْدَ تأنَّ رُوَيْدَ تأن

فما نحن فى فلوات الحجاز ولا نحن فى ربوات اليمن

ولكن على الشام فوق الطريق

تمرُّ الركابُ بنـا والسُّفن

وأخبارُ مصرَ وأحوالُها هنـا سمرٌ للقُرى والمدُنْ

سعيـد : وكتب الثقات إلى سيـدى

على بك : وما هى من أرسل الكتب مَنْ ؟

سعيـد : كتابان من عمر الجركسى ومن حسنٍ

على بك : مَنْ ؟ صـديق حَسَنْ ؟

كتابان من مصر من صاحبيّ ؟

سعيـد : أجل سيدى

على بك : سوف أُغلى الثمن

وأين الكتابان ؟

سعيـد : خذ سيدى

خذ النعش خذ من يدىّ الكفنْ

« و ينقض عليه بخنجره ليقبض على باك على ساعده »

حسين لنفسه : أسفاه على سعيدٍ فما أدرى إلى أين ينتهى أين يُمسى

نحن سيانِ فى البلاء وأيدٍ طلبَتْ رأسه ستطلب رأسى
هو فى قبضة الأميرين لِمْ لا أتوارى أنسلُّ أنجو بنفسى

« ثم ينسل هاربا »

على بك : كيف تَرَى يا معتدى لقد وقعتَ فى يدى

يدخل ضاهر ويقول :

اتركه لى يا سيدى

اتركه لى فإنه فى دارى سطا بضيفى وسطا بجارى

على بك : مَن ؟ ضاهرٌ ؟ بالنفسِ أفدى ضاهرا

أكنتَ معنا يا أمير حاضرا

ضاهر : كنت عليك يا صديقى ساهرا

والآن أذهب يا أمير بصاحبى

على بك : أتريدُ تذهبُ بالأثيم العادى

ضاهر : لِمْ لا وفى دارى وبين عشيرتى

شهَرَ السلاحَ على أمير الوادى

دعنى أُحِلّ به العقابَ وخلّنى

أمنع حمَى شرفى وحوضَ ودادى

سعيد فى ضراعة :

مولاى !

على بك : مابكَ قُلْ ؟

سعيد : بمصرَ وحقّها

لاتُلق رأسي في يد الجلادِ

مولايَ سيفُكَ بي أبرُّ فسُلَّهُ

إن شئت فاقتلني بسيف بلادي

ظاهر : حَسَنٌ قم انهض يا بنيَّ قم انطلق

فلقد طلبت الخير عند جواد

أنا قد وهبتُكَ للأمير وقد عفا

إن الأميرَ بكلِّ فضل بادي

علي بك : ألآنَ سعيد

سعيد : أميرىَ قُلْ ؟

علي بك : تكلّم أبِنْ نبِّني مَنْ أمَرْ

ومن بَذَلَ المالَ بي مُغرياً وكيفَ أتاكَ جوازُ السَفَرْ

تكلم أبِنْ

سعيد : سيدى أعفني فلا خير في أن يَذيعَ الخَبَرْ

علي بك : قل السرَّ لا تُخفِهِ لا تَخَفْ فسرُّكَ عند صديق العُمُرْ

أليسَ محمدٌ الجتري ؟ قل الصدق تأمن به كل شرْ

سعيد : مرادٌ أشار بقتلِ الأميرِ وغيرُ مرادٍ به لم يُشرْ

على بك : مرادٌ ؟

سعيد : أجل إنه المعتدى وما أنا إلا سلاحٌ شُهِرْ

على بك « ملتفتا بضاهر العمر » :

سمعتَ أخى مايقول الغلام عدوٌّ من الأهل ثانٍ ظَهَرْ

إذا مابغى الأهل والأقربونَ

فكيفَ مِن العالمَين الحذر

« يخرج الضاهر فيتغيب لحظة ثم يعود فيقول »

ضاهر : أميرىَ

علي بك : مَنْ صاحبي ضاهرُ ؟

ضاهر : هنالك مولاىَ ضيْفٌ حَضَرْ

على بك : ومَنْ ؟

ضاهر : قائد الروس فى عكَّةٍ أيدخل مولاىَ أم ينتظر ؟

على بك : أميرٌ على البحر ماذا يقود ؟

ضاهر : بوارجَ للروسِ مثلَ الجزُرْ

على بك: وماذا ترى أنت مرنى أشِرْ

ضاهر : تلاقيه فهو جليل الخَطَر

على بك : ألاقيه ؟

ضاهر : لِمَ لا وما فى اللقاءِ إذا ماسمحتَ به من ضَرَرْ

« يصفق الشيخ ضاهر فيدخل القائد الروسي محاطاً برجال »

« الشيخ ... ويخرج ضاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأمير

على بك : تحياتٌ وأهلا بسيدى الربّان

أدنُ خذْ مجلساً بجنبي تفضّل

القائد : عشت مولاى مُولِىَ الإحسان

نحن جاران يا أمير ولكن نحنُ فى منزلين يختلفان

أنتَ كالليث رابضا فى الصحارى

وأنا الحوت فى العباب مكانى

على بك : غيرَ أنى مُقيّد بخطوب حَبستْ همتى وردّت عنانى

القائد : لاتضق ياأمير ذلك أسطول خلال البحار نور الموانى

سفُنُ القيصْر العظيم قصورٌ لك إن شئتَ زُيّنت ومغان

على بك : أشكر القائد النبيل وإن لم يخف ما فى خطابه من معان

مستمراً : أنا فى دار ضاهر وهى دارى مع أعوانه وهم أعوانى

أنا فى دار مسلم عربىٍّ مانع الدار مُكرم الضيفان

أنا فى الدار أولٌ منذ هاجرت إليها وصاحبُ الدار ثان

القائد : [illegible] ألى بشاهراً وتقلّد بحماة القيصر العظيم الشّان

لا ترومنّ بالعصا [illegible] [illegible] بالحسام اليماني

كيفَ تبغى سريرَ مصرَ بشيخ

بدوى بصارم وحصان

على بك : بكريم من الرجال أبيٍّ عبقريِّ الوفاء والإحسان
فزن القول يا نبيل وأمسك لا تنلْ ذكر صاحبي بهوان

القائد : ما أهنتُ الصديق مولايَ لكن
قلتُ أحسنْ تخيُّر الأعوان

على بك : ليست النجدةُ البوارجَ كالأعلام
تطوى اللُّجاج كالطوفان
لَيْسَتْ النجدةُ الحديدَ ولا النار
بأيدى المُشاة والفرسان
لَيْسَتْ النجدةُ اصطفافَ العوالى
والتفافَ العروش والتيجان

ما النجدة الحق إلا صاحبٌ دمه
عند البلاءِ دمى أو ماله مالى
أخٌ قديمٌ كعرق التِّبر خُلَّتُهُ
لم أسْقَ من ودِّه إلا بسلسال
وعرضه عندىَ الغالى وإن بعُدت
به الديارُ وعرضى عنده الغالى

القائد : كصاحب الدار؟

على بك : لم لا ضاهرٌ رجلٌ
من المروءة لا عُطْلٌ ولا خال

« يقبل شمس »

القائد : والملك مولاى ملك الضفتين

على بك : أجل
الملك يا قائد الأسطول آمالى

القائد : إذن فتلك سفينُ القيصر اضطجعت
على مراسخَ من عكا وأميال
فاركب أميرىَ فيها وائت مصر غداً
فى الدارعين وفى الفولاذ والمال
لعلنا ندخل الوادى معاً وعسى
على لوائك يغزو التركَ أبطالى

على بك : نمضى فنفتح مصراً ثم ندخلها
أمنيّة الدهر تأتى لى وتسعى لى
غداً أحلُّ بأعدائى العقاب على
ما استمر أو أمس من قهرى وإذلالى

« يدخل ضاهر »

على بك لنفسه : رباه ماذا يقول المسلمون غداً
إن خنت قومى وأعمامى وأخوالى

يُقالُ فى مشرق الدنيا ومغربها
فعلتُ فعْلَه نذل وابن أنذال

على بك [للقائد] : أجلَ سَمَوْتُ لملك النيل أطلبه
بهمتى وبإقدامى وأفعالى
لا أستعين على الأهل الغريب ولا
أرمى الذئابَ على غابى وأشبالى

القائد : مولاى تلك معانٍ تحتها كرمٌ
ليسَتْ لمن طلب الدنيا بأشغالِ

على بك : بُعداً وسُحقاً لعلياءِ الأمورِ إذا
لم أنتَهِشها بخُلق فاضل عال
الموتُ فى ثمر ترقَى لتجنيَهُ
فى سُلَّم من ثعابينٍ وأصلال

القائد : إذن أميرىَ فالأسطول منتظرى
والبحر يسأل عن شأنِ الأميرَالِ

على بك بصوت منخفض :

إذهب فما أنتَ دارٍ ما غدٌ فعسى
يغيِّرُ الله من حال إلى حال

« ينصرف القائد ويشيعه ضاهر وأتباعه »

على بك لنفسه :

رباه ما بالى أبعدَ محمد وعقوقه أشقَى بكيدِ مرادِ

أنا صخرةُ الوادى يُراوحُ عاصفٌ
ركنى ويبكُرُ عاصفٌ فيغادى
حَمَلتْ كواهلَ الخطوبَ كما حوَتْ
هوجَ الرياح مناكبُ الأطوادِ
ولقد تركتُ ورائىَ الوادى وما
بالضفَّتَيْنِ فتىً يحوطُ الوادى
لم يبقَ فى مصرٍ ومصرُ عزيزةٌ
من قائلٍ هذى البلادُ بلادى
الذئبُ يرتَعُ فى الديار ويرتعى
والشعبُ يسرحُ كالقطيع الهادى
نقلَ الزمانُ زمامَه ورمى به من فاتحٍ باغٍ لآخرَ عادى
ويحى فما وقف الرجالُ كموقفى
من ظلم أحبابٍ وكيد أعادى
فهناكَ فى فسطاط مصرَ محمدٌ
يَجشِمُ العداوة لا يَمَلُّ طِرادى
حتى حوى بيدٍ مواكبَ دولتى
وحوى بأخرى طارفى وتِلادى
مالى محمدٌ الأثيمُ يكيدُ لى
ومرادٌ الباغى يدوس وسادى

عجبُ العجائب مصرُ صارت ضيعةً
لمحمدٍ ورفاقهِ الأوغادِ
ذئبٌ أتى الأتراكُ فى الوادى به
خلعوا عليه إمارةَ الآسادِ
وبقيتُ فى أرضِ الشآم مُشرَّداً
حيرانَ ليس لحيرتى من هاد
قد نمتُ عن حقِ وتاركُ حقِّه
لاقى الخسارِ على الندامةِ غادِ
مالى قعدتُ وتركيا مقهورةٌ
والروس حولى يخطبون ودادى
أسطولهم بيدى وقائدهم معى
سأصيبُ جُندى عنده وَعتادى
لا يا علىُّ رُوَيْدَ فى الغضب اتئد
ما تلك خُطَّةُ حكمةٍ ورشاد
ماذا جنَتْ مصْرٌ علىَّ وأهلُها
إن الجناةَ علىَّ هُمْ أولادى
ماضرَّ مصرَ وضرَّنى إن لم تكُن
مهدى وكان بغيرها ميلادى

بلدٌ رعانى فى الصبا وأحلَّنى بعد الشباب مراتب القواد

ودخلتُه عبداً كيوسفَ مُشترىً

فاعتضتُ تيجاناً عن الأصفاد

لا يا علىُّ اسمع نُهاكَ ولا تُصِخ

لوساوسِ الشهواتِ والأحقاد

لا ترمِ بالروس الشداد جماعة

ضعفاء مهزولينَ غير شدادِ

لا تنس موضع مصر واذكر مالها

من أنعمٍ سلفَتْ وبيضِ أياد

لا تنسَ ماذا ألَّفتْ من سامرٍ

لك فى الشبابِ وهيأت من ناد

شمس : أميرىَ

على بك : شمسُ سمعتِ النجىَّ ؟

شمس : أجل سيدى وعلمتُ الخبَرْ

على بك : فماذا ترينَ ؟

شمس : أرى الخطبَ جلَّ وأنتَ عليه جليلُ الصَّبرْ

ومازدتُ علماً بعلم الأمير ولا خُلقه الأريحىّ العطِرْ

دع الروسَ لا تنتصرْ بالغريب وبالله بالأقربينَ انتصِرْ

علي بك : وأينَ همو شمس ؟

شمس : هم فى يديْك وتحتَ لوائك مُر قل أشِر
أصِخ لسجاياكَ فالخير فيكَ

علي بك : وليسَ يُقابَلُ إلا بشَرّ
أبو الدهب الغِرُّ بالترك لاذَ
وفى مصر فى غدِها ما افتكَرْ
وكم قد غزاها على رايتى وكم من سلاحٍ عليهم شَهَرْ
وكنا خطَطْنَا انتشال البلاد
وإنقاذها من عتُوّ التتَرَ
وأن نستقل بسلطانها ونُنهضها فى النواحى الأخَرْ

شمس : تركت ورائى ما تبتغِى من العون والمدد المنتظَر

على بك : جموعٌ ؟

شمس : هناك على الصالحية جمعٌ كسربْ الجراد انتشرْ
وينتظرون ركاب الأمير كمثل انتظارِ النباتِ المَطَر

« يعود ضاهر »

ضاهر : ضاهرٌ عند ظن مولاى فيه

على بك : مَنْ ؟ صديقِ أخى حليفىَ ضاهر ؟

ضاهر : قد سمعت الذي جري ولمست الفضل والنبل والسجايا الطواهر
عِزوتى سيدى ونفسى ومالى
فى الذى شئتَ ما الذى أنتَ آمر

نحنُ إلفان يا أميرى على الأرضِ
والفان فى مُتون الضوامرْ
ومعى مدفعانِ من سلَب الترك
وتلٌّ من السيوف البواتر
والمواشى كثيرةٌ فى ضِياعى
والطريقُ الطويلُ بالخير عامر
كلُّ شيءٍ كما تُحبُّ مهيَّأً فمتى الظّعنُ سيدى مُرْ نسافر
على باك : غداً الظعنُ يا أخى قُم تأهَّبْ
إنما الغُنمُ للخفيف المبادر
ضاهرُ اسمع هناك فى مصرَ
ضاهر : ماذا ؟
على باك : أُهبةٌ يا أخى وجيشٌ مناصر
من صحابى المُشردينَ وأتباعى ومن كل حافظ العهد ذاكر
إن جمعنا إليه جيشكَ سرْنا وأخذنا محمداً أخذَ قادر
وانتزعنا البلادَ من قبضة
الترك ومن كل فاسق الحكم سادر
آن أن نُنقذ البلادَ فماذا أنت راءٍ
ضاهر : هلمَّ والجيشُ حاضر

علي بك : حاضرٌ ؟ فلنَسِرْ إذن

ضاهر : بعيون الله فى حفظه بأيمن طائرْ

ثم يصيح: عَرَبَ الشام تلكَ مصرُ دعتكم

جماعة من عرب الشام : ألفَ لبّيْكِ مصرُ لبّيْكَ ضاهر

ستار

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — في سرادق محمد بك ابو الدهب »
« بالصالحية حيث دارت رحى الحرب بينه وبين على بك . »
« فى الوجه محمد بك راقد على سرير وعثمان الجاسوس التركي »
« يكبس قدميه . فى أحد جوانب السرادق جماعة من البكوات »
« يتحدثون ويلعبون الشطرنج . في الجانب الآخر خادمان مصريان »
« مشغولات بتنظيف ملابس محمد بك ابو الدهب ... »

أحد الخادمين للآخر :

ولدى زعزوع أنصتْ أصغ للحقّ المبين
نحن فى أيام جهلٍ وبلاءٍ وجنون
نحن فوضى من مراح الشاة للخدْر المصون
فى زبون من حروب الأهل فى إثر زبون
ورؤوسٌ فى الصوانى نُزِعَتْ منها العيون
وعزيزٌ هان ما كان ببالٍ أن يهون
أصبحَ الناسُ على الوادى بلا دنيا ودين
حركاتٌ كالسكونْ وحياةٌ كالمَنُون

وقفَ الحاكمُ من كل رخيصٍ وثمين
مثلَ ما قد وقف الدائن من مال المَدين
وشريك الشعبِ فى كدِّ يديه والجبين
وشريكا فى الأوانى وشريكا فى الصحون

الآخر : يا شيخُ هذا بلدٌ أحماله بلا عدد
من سلفٍ وكُلف ومن نكوسٍ وفِرد
وكلَّ يومٍ مطرٌ من الضرائب الجُدُد
وتلدُ الفردة ما لا يعلمون من ولد
على الحمار فِرْدَة وفِرْدَة على الوتد
وفردة على اللجام وهو حبل من مسد
وفردة على برادع الحصير واللبد

مستمراً : يا شيخ لى نعجةٌ غرامى وكل همى كانا إليها
الأول : ما صنعت، ما الذى دهاها
الثانى : قد ضربوا فردة عليها
فضقتُ ذرعاً بذاك حتى ذبحتُ شاتى وطفلتيها

الأول : ما قد دهاك دهانى ومثل شأنك شانى
أتيت طنطا لشغلى وكان تحتى أتانى
خرجتُ منها مع الليل مُسبلاً طيلسانى
فمرّ فوق طريقى من لا أرى ويرانى
أغاً عليه سلاح فى صورة الشيطان

فصاح بي قف ترجّل   لقد سرقت أتاني

الثاني : وما جرى ؟

الأول : قلت له   بل الأتان لي أنا

فقال ذاك أمس   إلا أنها اليوم لنا

بل هي لي وحدي فدَعْـها لِيَ وامضِ من هنا

ثم رماني بيدٍ   كأنها كفُّ النَّمِر

ثم اعتلى ظهر الأتان

الثاني : ثم ؟

الأول : لكن لم يسر

حتى سمعت هدَّةً   وصرخةً من النَّهَر

وأبصرَتْ عيني وراء   الليل آية القَدَر

حمارتي تجبرتْ   مثل تجبُّر البشرْ

فأغرقت راكبها   وغرقت على الأثر

بميش بك لعثمان بك [في تهكم واستهزاء] :

لقد رأيناك ضحَى اليـوم تمحى من الجبل

فوق حصان كالـغزال رقّةً وكالحَمَلْ

عثمان بك [في غضب] :

كذبتمو قد كان تحـتي سيد الخيل « بطل »

لا حَمَلٌ ولا غزال هـو لكن الوعل

كالأفعُوان فى الشعـــاب والشهاب فى القُـلَلْ

تميش بك : وقد تمايلتَ على السر ج تمايلَ الثَّمِل

وقد تدلّى بطنك الضخمُ عليه وانسدل

كأنك المحمل والحصـــان تحتك الجمل

عثمان بك: تميش عِبت حصانى ولم تدع لى اعتبارا

هذا جزاؤك عندى خذ هاك منى عيارا

« ويطلق عليه غدارته »

محمد بك : عثمان

عثمان بك : ملْكى

محمد بك : لا ترُعْ قد كان من حزب على

كفيتنيه فتولّ اليوم ما كان يلى

هيوا احملوا جثته هيوا اذهبوا بالرجل

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

عثمان لنفسه : خدمتُه والله ما خدمتُ إلا دولتى

كبّسته والله ما كبّست إلا حاجتى

خادمُ تركيا أنا ما أنا خادم الغبى

كم من حرير فى نواحى صُدرتى وذهب

هاتيك ألقابى وتلـــك شُرطى ورتبى

مما بلغتُ فى رضا اللـــه وطاعة النبى

وتحت أعلام السلا طين السيوف القُضُب
أقمتُ في مصر سنيـــن أنزوي وأختبي
وأنا حيناً ماهنٌ وأنت أحياناً صبي
أرمي أخاً على أخٍ وأصدم ابناً بأب
لم آلُ حكم الغُزّ جُهد الباحث المنقّب

« يلتقي محمد بك بالمملوكي وقد تاب »

محمد بك : ماذا يقولون عنا في مصرَ يا عثمان ؟
عثمان : عهد الأميرِ رخاءٌ وغبطةٌ وأمان
فمصرُ راضٍ بنوها والناسُ فيها لسانُ
يقول إن أميري يحبه السلطان
محمد بك : والأمراءُ أمنهم مخالفٌ غضبانُ
عثمان : الأمراء جميعاً ببابكم أعوان
لا يذكرون علياً وبيته مذ بانوا
فما لغيرك صيتٌ ولا لغيرِكَ شان

محمد بك : صدقت هم حيث كـــان الجدبُ في مصر كانوا

يقبل جندي ويقول لمحمد بك :

مولاي عندي أخبارُ سوءٍ وقفْن في فيَّ فهو حائر

محمد بك : أنت رسولٌ ؟

الجندى : أجل

محمد بك : خبِّر بيِّنْ إلامَ القتال صائرْ ؟

الرُّسلُ لا يُسألونَ عما بعد المناعى ولا البشائر

الجندي : مولاىَ

محمد بك : ماذا ؟ عجِّل . تكلَّم

الجندى . دارتْ على جيشنا الدوائر

محمد بك : وما الذى كان من علىٍّ ؟

الجندى : أُعينَ فى أمره بضاهرْ

محمد بك : وفاز ؟

الجندي : فى أول التلاق بقوة الشام والعشائر

محمد بك : إذن هلكنا ؟

جندي آخر وهو داخل : لا يا أميرى بل أنتَ ناج بل أنتَ ظافر

محمد بك : من قال ذا ؟

الجندي : شاهدا عيانٍ

محمد بك : من أين ؟ ممَّن ؟

الجندي : من العساكر

« يدخل الجنديان ويتبعهما خدم يحملون صينية كبيرة »

الجندي : ها هما

محمد بك : مرحبا

الجنديان : عوافٍ حياةٌ

محمد بك : أوجزا

الجنديان : نحنُ موجزان المقالا

هُزِمَ الجيشُ صُبحَ أمسِ ولكن
عادَ نجمُ العدو ظهراً فمالا

فحملنا عليه حملةَ صدقٍ وحوينا الرجالَ والأموالا

محمد بك لأحدهما :

زِدْ ، أَبِنْ

الجندي : ما قصَّرَ الجيشانِ ضربا وطِعانا

« يقبل البكوات »

محمد بك للجندي :

وأبو مَيْلَةَ(١) ؟

الجندي : غشَّى ساحةَ الحربِ دُخانا

أحد البكوات :

قد رأينا من هنا ظُلمتَه واللمعانا
وسمعنا من هنا رَجَّتَه والدَّوَرانا

---

(١) مدفع من صنع واختراع محمد بك أبو الدهب .

محمد بك : اختراعى مدفعى قد ظهر اليوم وبانا
ومُرادٌ ؟

الجندى : كان كالليث لحاظاً وجنانا
شد بالزأرة والوثبة فى الحرب قُوانا
كلما انهار حِصَانٌ تحته احتلَّ حصانا

محمد بك : ثم ؟

الجندى : رمى بنفسه على علىٍّ فى الرحى

محمد بك : ثم ؟

الجندى : تجالدا فلم يدعه حتى جُرحا

محمد بك : أين هو الآن

الجندى : على آثارنا على سرير لينٍ مُظَلَّل
يخدمه الناسُ ويُعْنونَ به
كالولد الممَهَّد المدلّل

محمد بك همساً لعثمان :

عثمانُ هذا علَوى لاتنسَ رأسَه غداً

محمد بك للجندي :

تلك رؤوس شيعته . ومن سعى لنصرته . من بيته وعِزوته

« يأخذ الجيش في العودة من ميدان القتال في أزياء شتى بين »
« الضجيج المتواصل من الطبل والزمر، وتقبل طائفة طائفة »
« فيمر بخيمة محمد بك، وكلما طاف به جماعة خرج اليهم »
« البيك فينثر عليهم الذهب وهو يقول »

محمد بك: خذوا خذوا خذوا خذوا إنى أنا أبو الذهبْ
خذوا املأوا أيديكم من الشعاع المنسكب

الجماعة: سلمت يا أبا الذهب وعشتَ تُعطى وتهَب
أخجل جودك السُّحُبْ

الجيش والنظارة يهتفون معاً:

بنى الوادى قفوا حيّوا اللواء
وغطوا الأرضَ ورداً والسماء
رَجَوْتُم من وراءِ الحرب نصراً
وهذا النصرُ بينَ يديْهِ جاءَ
هو الرمزُ المُقدسُ فاتبعوه وموتوا فى القتال له فداءَ
عليه ضجّةُ الفرح ابتهاجا بطلعته الحبيبة واحتفاءَ
كأن وراء هيكله خيالا
من الشهداء والجرحى تراءَى

على قدم حيُّوا العَلَمْ
حيُّوا الشعار حيوا الفخار
رمز الوطن مجد الديارْ

أحد القواد القادمين :

سيدى فُزت بالمُنى هو ذا الجيش قد رجَعْ
وهَبَ الله نصرَهُ للمريدين والتَّبَع
وعلىٌّ وجيشه شبعَتْ منهما الضبُعْ
ليس يُدرى أمات أم فى يد الجُند قد وقع

محمد بك : أجل أرى الجيش اقتربْ نشوانَ بالغَ الأربْ
يرسل رنّةَ الطرَبْ

فريق من الجند يتغنون من خارج الخيمة :

سلمتَ يا أبا الذهبْ وعشتَ تُعطى وتَهَبْ
أخجل جودُكَ السُّحبْ

جماعة أخرى من الجنود والنظارة يهتفون :

يا عسكر النيل بالسلامه يا عسكر النيل بالسلامه

ظفرت بالنصر كلَّ حين وفُزتَ بالعزِّ والكرامَه
فى يوم سلم وفى قتال وفى رحيل وفى إقامه
فما شهدت القتال إلَّا رفعت للصفَّتين هامه
أبليتُمو قادةً وجُنداً بوركَ فى الجندِ والزعامَه
قد شيَّد الله مجدَ مصرِ والجيشُ من مجدها الدعامه

جماعة آخرون :

هلمَّ خيلَ الوطن تخايلى فى الرسَن
اليوم أنت مطلقه حمحمةً وطقطقه

محمد بك ابو الذهب وينثر الذهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا إنى أنا أبو الذهب
خذوا املأوا أيديكم من الشعاعِ المنسكب
الجماعة : سلمت يا أبا الذهب وعشت تعطى وتهب
أخجل جودك السحب

أحد البكوات :

مليكى

محمد بك : ما جرى ؟

الأول : تاَّمْلْ أسيرٌ

سيدى من عواهل الشامِ كهْلُ

محمد بك : من يسوقُ الرجالُ ضاهرٌ الشامىُّ
عانٍ عليه قيْدٌ وغُلُّ

« يدخل ضاهر يحوطه الجند »

محمد بك : ويحهم ذاك ضاهرٌ ما لجندى
قد غووْا ما لقادة الجند ضلُّوا
كثر الجندُ فى الحديد عليه
وهو كالليثِ فى الحديد يُدِلُّ

محمد بك ، ويتقدم منه :

ما أرى ضاهرٌ يُساقُ أسيراً
أنتَ من ذاكَ يا أمير أجلُّ
أيها الجند ضاهرٌ صار لى ضيفا
فخلُّوا سبيلَ ضيفىَ خلُّوا
من فلسطينَ أنتَ ضاهرُ أم من أرز لبنان أم لك الشام أصلُ ؟

ضاهر : كل هذا هناك مولاى أصل
واحدٌ يجمعُ الرجالَ وفصلُ
عربٌ كلنا ومنطقنا الفُصحى
وآباؤنا نزارٌ وذُهلُ

محمد بك للجند :
ما صنعتم بسيفه ؟

أحد الجند : هو عندي

محمد بك : هاته فهو مُحْرَمٌ لا يحلُّ

محمد بك ويناوله السيف :
خذ تقلّد والله ليس لهذا الظُّفرِ
إلا يدَ المُصورِ محلُّ
أنتَ خِلٌّ للبائسين وفيٌّ وهو أيضاً لهم صديقٌ وخِلُّ

ضاهر : لستُ أنسى لسيدى الفضلَ ما عشتُ

محمد بك : وهل في رعاية الحق فضلُ
قد رددْنا على السموءل سيفاً
كان دونَ الوفاء أمسِ يُسَلُّ

ضاهر : كيف أمشى فى الشام أو فى سواها
ألبسُ العزَّ حين جارى يذلُّ
ذاك سيفى فأينَ إكرامُ ضيفى
مالىَ اليوم غيرَ ضيفىَ شُغْلُ

محمد بك : من ! علىٌّ ؟

ضاهر : أجل ومن كعلىٍّ ملكٌ ماله على الأرض مثلُ
سيدى قيلَ فى خلالِكَ بِرٌّ ليس يُحْصَى وفى سجاياك نبْلُ

قد تركت الأمير فى شدة الـ
ـكرب وغادرتُ جمعنا وهو فَلُّ
ما الذى أنتَ صانعٌ بعلىٍّ ؟

محمد بك : غايةُ الخيرِ فهو للخيرِ أهلُ
هو فى قصرِهِ كأمسِ المفدّى
بينَ أولاده الأميرُ الأجلُّ

ضاهر : أسرونى ولو بقيت طليقاً

محمد بك : ماالذى كنت صانعاً ؟

ضاهر : كنت تبلو
كيف أبنى اللواء حول حليفى
وأرمُّ الصفوفَ إذ تضمحِلُّ

محمد بك : بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا
مصرُ دارٌ للأكرمينَ وأهلُ

ضاهر : ورجالى

محمد بك : سيلحقونك فيها لك عندى وللعشيرة نُزُلُ

ضاهر لنفسه :
ذلك الغدرُ والمماليك فيهم
من قديم الزمان غدرٌ وخَتْلُ

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بضاهر »

« يقبل مراد في جماعة من الجند »

محمد بك : ما أرى ؟ ماترون ؟

أحد الحاضرين : هذا مرادٌ

محمد بك : هو ذا جرَّ ذيلَهُ إدْلالا

مرادبك: التحياتُ للأمير

محمد بك : مرادٌ مرحباً مرحباً تعالَ تعالا

مرادبك : ألف بشرى مولاى

محمد بك : أهلا وسهلا أدنُ مني أعانق الرئبالا

« يعانقه »

مرادبك : قد بلغتَ الآمالَ

محمد بك : لم لا وماعلقت إلا بسيفك الآمالا

كيف كان القتالُ؟ أينَ تركتَ الجيش ؟

مرادبك : خلفي مُظفراً مختالا

بعد حين يمرُّ من ههنا الجيشُ على سيدى رِعالا رعالا

محمد بك : وعليٌّ

تركتُهُ في يد الآسينَ قد ناءَ بالجراح ثقالا

بعد حين يأتي به الجُندُ محمولا مُسجًّى إذا استطاعَ انتقالا

« جماعة من الجند يتغنون خارج السرادق »

سلمت يا أبا الذهبْ وعشتَ تُعطى وتَهَبْ
أخجل جودُك السُّحُبْ

« يخرج محمد بك فى جماعته لتحيتهم »

«فى هذه الأثناء يتقدم مصطفى اليسرجى جريحاً من مراد بك زاحفاً على الأرض»

مراد بك: يالعجائب الحياة ما أرى هذا اليسَرْجىّ

مصطفى اليسرجى: اليسرجِى مصطفى

مراد بك: أنتَ الذي برزتَ لى من ساعة

مصطفى : أجل لألقَ من حُسامك الردى

مراد بك: لقد جُرحتَ من يدى لِمْ لَمْ تَمُتْ

مصطفى : إنى أحسُّ أجلى الآن دنا
مولاى لا تقطع حديثى وانتظرْ
عجائبُ الحياة فوقَ ما ترَى

مراد بك: وهل عجائبُ الحياة غيرما يجرى هنا الآن؟

مصطفى : أجل وما جرَى

مراد بك: فمُتْ إذن وأعفنى

مصطفى : لا بل أقمْ
واسمع فقد ينجيك ما أروِى هنا

مراد بك: سِرٌّ ؟

مصطفى : أجلْ وقد ينالُك الأذى

من أن أموت أنا والسرُّ مَعا

مراد بك: إذن فقم إبقَ تأخّر ساعةً قل مالديكَ ثم مُت كيف تشا

مصطفى : أهكذا ربّاك جافٍ خَشِنٌ من المماليك مُضيِّعُ الوفا

ليتك عشتَ راعياً في وطن مُهذبِ الفتية صالح النَشا

مرادبك: دَعِ الفضولَ واحترس يا مصطفى

أنت غبيٌّ لستَ تدرى مَن أنا

أما كفاك أمسِ أن أخرتنى أنا وقدمت علياً فاشترى

مصطفى : أنت تُحبُّها ؟

مرادبك : أجل

مصطفى : أنت

مرادبك : أجـل

مصطفى : حَذارِ يامرادُ مَن هذا الهوَى

مراد بك مضطربا :

ولِمْ ؟ وما آمالُ ؟ أهْىَ من دمى ؟ أم هى لحى

مصطفى : هى والله هُمَا

مرادبك : أختى ؟

مصطفى : أجل أختك

مرادبك : يالى ولها من هول ما كنتُ عليه مُقْدما

مصطفى : مراد أنت فى صعيد واحد

ضربت بالسيف المُربِّى والأبا

مرادبك : ومن أبوها وأبى أنت ؟

مصطفى : أجل أناالذى باعَ الفتاةَ والفتى

أنا الشقىُّ بائعُ ابنيْه

مرادبك : أبى مابعتنا إلا لتدركَ الغنى

مصطفى : مراد أدركنى

مرادبك : فداك يا أبى

رُوحى وإن قلّت لك الروحُ فدى

مصطفى : أنظر مرادُ أنافى النزع وما يُغنى المُفدُّون إذا النزعُ أتى

سُقتُ لك الرقّ وسقتَ الموتَ لى

والرقُّ والموتُ على حدٍّ سَوا

مرادبك : أُعفُ أبى عنى أتعفو يا أبى ؟

مصطفى : القلبُ عنك وعن السيفِ عَفَا

بل اعف أنت يامراد عن أب

باعَكَ طفلاً كبديعة الدُّمى

مارحمَ الدمعَ بعينْيكَ ولا رقّ لذلك البُكى ولارثى

مراد بك: وا أسفى وا نـدمى أبى عليك قد غُمى

أفق أبى تكلَّم

مصطفى : مراد ! لا يقوى فمي

« ويموت مصطفى »

مراد بك: ماتَ انتهَى ربِّ ارحمِ

« مراد بك يلقي عليه عباءته ويرجع باكيا »

تدخل آمال فيلمحها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال أختيا أجلْ أجلْ هيا

لاكفينّهـــا تلك الضواريا

آمال لنفسها :

مالَهُ مضطرباً يرمقُني بالرضا حيناً وحيناً بالغضب

مابه ؟

مراد بك: آمال

آمال : مهلا سيدى ادعُنى حينَ تُنادى باللقبْ

مراد بك: اسمى آمال أختى

آمال لنفسها : أخته ؟

ربِّ من أينَ متى هذا النسبْ

ثم لمراد بك :

كيفَ من نبّاك

مراد بك: نبّأنى أبى أنّنا يا أختُ من أمٍّ وأبْ

آمال : وأبى ؟ أينَ أبى ؟ أين مضى ؟

مراد بك: هو هذا جُثَّـة

آمال : مات أبى

مراد بك: احملى الجُثَّةَ يا أختُ معى هىَّ نحجبْها هلُمِّى نحجب

آمال بعد أن تقف أمام الجثة وتتأملها :

حنانيْكَ ربِّى أبى رمةٌ يَمُرُّ عليها الترابُ الخشنْ

أبى كيف صرت وراءَ التراب

إلى جسد بالبلَى مرتَهنْ

أبى ما الأذنكْ قد أبطأَتْ وكنتَ إلىَّ سريعَ الأذُنْ

وما بالُ حظى مَنك الصدود وكان نصيبى اللقاءَ الحسَنْ

وأين يدٌ سمحةٌ طالما مسحتَ بها عبراتى الهُتُن

أحقٌّ أبى دهمتْكَ المنون

أجل وجَرَتْ فيك كبرى السُنَنْ

ذهبت كما ذهب الأولون قتيل الحياة جريح الزمن

مراد أخى

مراد بك: أختُ لا تحزنى فاذا يَرُدُّ البكا والحزَنْ

آمال : أحقٌّ أخى أنه قد قضى وأنا فقدنا الذرا والركُنْ

قضى فى معارك لم يجنها

غريب التراب غريب الوطن

ثم مخاطبة الجثة :

تمنّيت أنى أقيكَ الردَى بنفسى ومن يدفعُ الموتَ عَمَنْ

وأجعل غُسلك ماء الشئون

واصنعُ من هُدب عينى الكفن

وأختطُّ بين حنايا الضلوع صوانا ولحداً لهذا البَدَن

جُعلتُ الفدا لكَ مما دهاكَ ومِمَّن رَمَاكَ ومِمَّنْ طَعَنْ

وليتَ جراحَك بى يا أبى

مراد بك : رويدكِ أختُ أقلِّى الشجن

ولا تكثرى حسرات الصديق

ولا تُشمتى الكاشحَ المضطغنْ

آمال : وكيف مراد وهذا أبوك لَقىً فى التراب كأن لم يكن

[يخرج مراد بك وآمال بالجثة]

[يؤتى بعلى بك مجروحا محمولا على سرير من جريد فيوضع فى ناحية من الساحة]

على بك لنفسه :

ويحى تفرّق عسكرى وخيامى

وطوَى الزمانُ وريبُه أعلامى

أحتالُ والأحداثُ تُفسدُ حيلتى

وأروم والأيام دون مرامى

لما طوَت مُلكَ الكنانة راحتى
لم يكفنى فطلبت مُلكَ الشام

صيّرتُ حربَ الترك وجهَ سياستى
حتى اقتنيتُ عداوة الأقوام

وكفرت إحسان الذين خدمتهم
حتى تجرّأ خادمى وغلامى

فى الصالحية مالَ صرحُ مطامعى
وكذاك ركُن بنايةِ الأوهام

النصرُ غابَ وكان طاف برايتى
حيناً وحام على شباةِ حسامى

وحُمِلت فى سُرُرِ الجريد ببلدةٍ
وطئتْ جواهرَ عرشها أقدامى

قد عشتُ بالدنيا العريضةِ حالماً
حتى انتبهتُ فلم أجد أحلامى

دنيا أردتُ من العروش حُطامَها
جعلَتْ سرير القشّ كلّ حُطامى

بالأمس جلَّلت الترابَ مواكبى
واليومَ لا خلفى ولا قدامى
اليومَ أرسفُ فى دمى وجراحتى
وغداً أجرُّ منيَّتى وحمامى
أنا قد جعلتُ الغُزَّ مهبط نعمتى
وخصَصْتهم بمنازل الإكرام
فلُدغتُ من صِلَّيْن منهم عقَّنى
هذا وذاك أضاعَ حقَّ ذمامى
وتتابعَ الأمراءُ فى أثرَيْهما
يستمرئون عداوتى وخصامى

« يقبل محمد بك ابو الدهب فى حاشيته »

محمد بك ابو الدهب :

يا ويحَ لى ماذا جرى هذا أبى وسيدى
سيعلمُ المغْرى به كيف عقابى فى غدِ

« ويتظاهر بالأسف ويتقدم للاقالة الجريح »

محمد بك ابو الدهب :

يا أسفا عَلى،على،يا أسفا على أبى وسيدى،وموئلى
يا أسفا على الكريم المفضل

أحد البكوات همساً :

ماذا يقول ؟ سيّدُه ! شلّتْ يده شلّت يده

على بك لمحمد بك :

محمد اسمعْ مراد غادرْ
اقضِ عليه وأنتَ قادرْ

محمد بك: لا بل تعيش سيدى ويديك تقتـــله
سيدى انس اليوم وافكر فى غد

على بك : ليس للمغلوب غيرَ الذل غد

محمد بك : بل غداً تبرأ من جُرحك

علي بك : لا قلما قام من الجرح الأسد

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئبُ جرّب فى المُرَبّى ظُفْرَه فأصابهُ
لا تحوِ دارُك أرقاً حتى تحطِّم نابه

على بك لمحمد بك :

محمد اطلب لى قليل ماءٍ إنى أحس حرقة الظماءِ

محمد بك : مولاى لا باس فداؤك النـاس

محمد بك لعثمان ويناوله حقاً :

عثمانُ جئْ بالشراب أغثهُ بالعُنابِ

على بك : عجلْ وأطفئْ لهيبى أسرع وخَفِّفْ عذابى

« يذهب عثمان ثم يعود بالماء »

علي بك لمحمد بك ويتأمل الكأس :

أغريتَ في الصبح بي عَقوراً ما أنا من جرحه بصاحِ
والآن أرسلتَ كلبَ سوء يدُسُّ لي السُّمَّ في القَراح
وهكذا تجرحُ الأفاعي وتُفرِغُ السُّمَّ في الجراح

علي بك لعثمان :

عثمانُ ما دسَسْتَ لي في الكاس
عُشْبَ القفار أم تُرابَ الماس
السم أحيانا طبيبٌ آس

« ويشرب »

محمد بك لعلي بك :

أبي وأميري كفى سوء ظَنِّ

علي بك : محمدُ نَلْ كلَّ ما شئتَ مني
ومالي ألومُكَ والسُّمُّ فنِّي
أخذت الخيانة والغدر عني

« محمد بك يبتعد في حاشيته فيختلط بالأمراء الآخرين »

علي بك وقد لمح آمال ومراد بك قادمين :

أرى ويحَ لي ماذا أرى ؟
توالتْ جراحاتي وطالَ عذابي

مرادٌ وآمالٌ . عدوّى وزوجتى
فيا زمنى هل من جديدٍ مصاب !
يُعذبُنى يا رب أنى أراهما
قد اختلطا من جيئةٍ وذهاب
إذن هى تهوى النذلَ وهو يحبها
إذن ليس ما خُبِّرتُه بكذابِ
إذن فرادٌ لم يَثْب بىَ وحدَه
ولم يقتحم سترى ويَسطُ ببابى
ولكن أعارته الخبيثة نابها
وما فى ذراها من نقيع لعاب
أجلْ هَدَمَا عُشّى معاً وتعاونا
على ثلم محرابى وهتك حجابى

آمال لنفسها :

إلهى أعنْ زوجى وبُلَّ جراحَه
فما باله مستوفزاً لعتابى
رمانى بعين قلّبت عن كراهة
وعن نظرات كالشّرار غضاب
تُرى ظنّ بى سوءاً تُرى ارتابَ فى أخى
ففكر فى جُرمى وكيف عقابى

له العذر فى حال أضاعت صوابه
فإنى أنا الأخرى أضعت صوابى

وتتقدم من على بك :
سيدى مولاى

على بك : من ؟ أنت ؟

آمال : أجل

على بك : أعزبى عَنِّىَ خلّينى اعزُبى
الأقاويلُ إذن صادقةٌ الرواياتُ إذن لم تكذبِ

آمال : ما أذاعوا سيدى ما نقلوا ؟

على بك : خبّرونى امرأتى تعبَثُ بى

آمال : مع مَنْ أعبث ، مَعْ هذا الفتَى ؟
مع شقيق وابن أمى وأبى

على بك لمراد بك :
مراد

مراد بك: مولاى

على بك : اعزُبِ لا بل تعالَ اقتربِ

مراد بك: أبى

على بك : سؤالٌ يافتَى أَصْغِ إلىَّ أجب
مرادُ كنتَ لا ترى غيرىَ فما غرَّكَ بى
أنتَ الذى اشتريتُه بفضتى وذهبى
ولم أقصّر معه عن واجب المؤدّب

مراد بك: مولاىَ خلّنى إلى ضميرىَ المُعذب
أعفُ فأنتَ أهلهُ هبْ لى جرائمى هب

على بك: مرادُ

مراد بك: مُرْ

على بك: أوصيك خيراً بالملاك الطيِّب
أما تراها أصبحتْ من غير زوجٍ وأب

ثم مستمراً: مرادُ بنىَّ أصخْ أصغِ لى تعلمّ من الذاهبين استفد

مراد بك: تكلم أبى هات قل سيدى وبيّن كذا بك سُبْلَ الرشَدْ

على بك: بناء المماليك واهى الأساس وسلْطانهم مُضمحلّ العمَدْ

وضيعتهم بعد طول الإباء عوى الذئب فيها وصاح الأسد

إذا فَسدَ الخُلْقُ فى أمة فقل كلُّ شىءٍ لهم قد فَسَد

وصاحبُكم ذَهَبَتْ نفسهُ فكلّ عنايته بالجسَدْ

يحبُّ النساء ويهوَى الطعام ويبنى القصورَ ويُغنى الولد

بفضل التعاون سُد نا البلاد ولولا تعاوُنُنا لم نَسدْ

إذا قام بانٍ إلى غاية تعثر بالهادم المجتهد

وأُولعَ بالعصُبة العاملينَ رجالٌ كسالَى مُنوا بالحَسَد

فلم يرَ واحدُهم همةً وفضلا لآخرَ إلا حقَد

يميناً مرادُ لما فى البلاد سوَاكَ يليقُ لحكم البلد

يَلُمُّ المماليكَ من فرقة ويوقظُ من حزمهم ما رَقَدْ

ويُرجعُ للطاعة المارقينَ — ويكسرُ من شرَّة المستبدّْ

فثِبْ بالغنيِّ غداً ثبْ به — وقم أنتَ فاحمِ الحمى بعدَ غدْ

« ويغمى عليه »

مراد بك: ويحَ للمجد حلّ بالماجد الموتُ وأخنى على الكريم الحِمامُ

رحمتاهُ له مضى وتولّى — واستردت جمالَها الأيامُ

آمال : مات ! لا يا مرادُ قل هو حيٌّ

قل أخي تلك ضجعةٌ ومنامُ

فرحي يا عليُّ ما أنتَ داءٌ — مأتمٌ بين ناظريْكَ يقامُ

فرحي مثل يوم نحرٍ عليه — من دم البر لمحة وابتسام

ضحت الحادثاتُ فيه بكبش

لجمع الشرق فيهِ والإسلام

قد أُصبنا من العيون كلانا — أدركتني وأدركتك السهام

أحد البكوات لآخر :

أرأيتم أسمعتم جرأةٌ — تلك يا ويحَ مراد ويحَ لهُ

ماله استهتر في موقفه — ومضى يفعلُ فعلَ السَفلَهْ

أنظروا فهو عليها مُقبلٌ — وهي بالسمع إليه مقبله

تركا المقتولَ لم يكترثا — لدمٍ من حوله قد جلَّلَهْ

أتُرى يطمع أن يخلُفَه — وهي هل تطلبُ زوجاً بدلَهْ

آمال وتلتفت نحوها :

مراد أخي

مراد بك: لبيك آمال

آمال : مالنا رمتنا عيونُ القوم من كلِّ جانب

وإني لشكلي مرَّتين وما دَرَوْا
تولّى أبي عنّي ولم يبق صاحبي

مرادبك : كذاك فضولُ الناس شُغْلٌ بحاضر
كما قد شغلناهم وشُغْلٌ بغائب
ومن ألسُنٍ تجرى بسوءٍ وهَمُّها
فوائدُ عند الغير أو في مصائب

آمال : صدقتَ مرادُ انظر تأمل فضولهم
لقد رمقونا بالعيونِ الشواغبِ
يَرَوْنَ عجيباً أننا ههنا معاً
وأنك تمشي يا أميرُ بجانبي

أحد البكوات يتقدم :
مرادُ من الحسناءُ ؟

مرادبك : ما أنت ؟ ما الذى
يهمُّك من أمرِ الحسانِ الكواعبِ

« ثم لآمال :
أأبصرتِ يا أختُ الفضولَ

البك لنفسه : أخته عجيب فلم نعلم له من أقارب

« لمراد بك : وأينَ تُرى كانت ومن ذا أتى بها ؟
روايةُ غاوٍ أو مقالةُ كاذبِ

« مراد بك يهم ويلطمه بيده لطمة شديدة »

آمال لمراد بك:

ترفق أخي ساعةً

البك لنفسه : تدعوه يا أخي إذن لم يكنْ فيما رواه بلاعب

مرادبك: تعلَّمْ إذن أن الفضولَ وقاحةٌ

وأن عقابي عنك ليسَ بعازب

البك : وأنت تعلَّمْ أن سيفي منَّيةٌ وغداري محشوّةٌ بالمعاطب

مرادبك: وقوسك ؟

البك : قوسي ليس يخطيء سهمها

مرادبك: ورمحك ؟

البك : مثل الأفعوان المواثب

مراد بك :

وقلبُكَ إني لا أرى القلبَ حاضراً على أنه أمضَى سلاح المحارب

وإلا فذا صدري فضع فيه ما تشا

وسدّد إليه ماضياتِ المضارِب

البك : وكيف اجترائي سيدي وابنَ سيدي

معاذَ أياديكم معاذَ المواهب

مرادبك: إذنْ خلِّ شأنيْنا ولا تَشْتَغلْ بنا

وطر في فضاء الأرضِ ذاتِ المناكب

آمال : مرادُ أخى

مرادبك: آمال هـــذا محمدٌ

يلاحظنا فى الجمعِ لحظَ المراقب

ولابدَّ مِنْ إنبـائه بالذى جَرَى

آمال : وما ضرَّ سرْ قابله كلّه خاطب

محمد يقترب ويقول :

مرادأرى شَغْباً وأسمعُ ضجَّة بنىَّ أهذا موضعٌ للتصاخب

ونحن على موتٍ وحولَ جنـازةٍ

وفى مأتمٍ فخمٍ وشيكِ المواكبِ

مراد !

مرادبك: أميرى !

محمدبك : تلك والله ريبة

مرادبك: تفضل أميرى واستمع ثم عاتب

محمد بك: أما هذه عرس الكبير فما أتى بها ههنا بين ازدحام المناكب

مرادبك: بلى يا أمـــيرى وهى أختىَ

محمدبك : أخته ! حنانيك ربى تلك إحدى العجائب

مرادبك: أجل سيدى أختى اجتمعنا من النوَى

على قدرٍ من صنعةِ اللهِ غالب

ولم ندر قبلَ اليوم أنا قرابةٌ وأنا التقينا فى كريم المناصب

محمد بك : ومن قال للصنوين هذا ؟

مراد بك: أبوهما

محمد بك : وما هو ؟ مَنْ ؟

مراد بك: بعضُ التجّار الجوالب

محمد بك : وأينَ فأدعوه فأُعْلِي محلَّه وأرفعه وابْنيه فوقَ الكواكب

مراد بك: تعيش وتبقى . . مات

محمد بك : مات أبوكما ؟

مراد بك: أجل . هو ذا يَدمَى وراء العصائب

محمد بك : جريح ؟

مراد بك : أجل لكن قَضى من جراحِه

محمد بك : قتيلٌ ؟

مراد بك : أجل ثاوٍ وراءَ السباسب

محمد بك : وما تصنعانِ الآنَ ؟

مراد بك: ما أنتَ آمرٌ

محمد بك : هنالكَ حراسي وثَمَّ ركائبي

خذها إلى الفُسطاط حتى تَجِيء بها

إلى قصرِها محفوفةً بالرغائبِ

وبعد غد تجرى على القصرِ نعمتي

ويأتيه برّي كالغيوثِ السواكب

آمال وهى منصرفة :

وداعاً أبى !

محمدبك : صبراً جميلا أميرتى

ولا تفعلى فعل البواكى النوادب

آمال : عفا اللهُ عنه كان شيخاً مصلِّياً

محبَّ اليتامى راغباً فى المثاوب

لقد طلب الدنيا بمصر فنالها

فولَّى إلى الأخرى وجوه المطالب

ستار الختام

الست هدى

تمهيد

زمن الرواية : سنة ١٨٩٠ م

مكان الرواية : حى الحنفى ـ القاهرة

أشخاص الرواية :

الست هدى

الست زينب : صديقتها

خديجة
أسماء
بهية
اقبال
(من فتيات الجيران)

عبد المنعم المحامى : زوج الست هدى

حلمى : كاتبه

السيد العجيزى : من أعيان الريف وزوج آخر للست هدى

محمد
أحمد
عامر — من أصدقاء «السيد العجيزى»
الشيخ الحلبى
مصطفى النشاشقى

ألماز : أغا
رضوان : خادم
سلمان : مرابٍ

الفصل الأول

« فى دار صغيرة مؤلفة من : « مندرة » فى الطبقة السفلى ، ومن سلم يصعد منه إلى قاعة صغيرة ، وثلاث حجرات ... والمنزل مطل على مسجد « أبى الليف » بحى « السيدة زينب » ! ... » .

« الست هدى » وجارتها « زينب » فى إحدى الحجرات ... » .

الست هدى : كيفَ يا أختِ أنتِ؟...

زينب : نحن برَغْدٍ كلُّنا مابقيتِ أنتِ برَغْد

الست هدى : أنتِ يا «زينبُ» الوفيَّةُ بالعَهْد

زينب : ولِمْ لاَ أَفِي وخَيْرُكِ عِندِي ؟

نحن من أربعينَ عاما علىخَيْرِ جوارٍ بين اثنتين وَوُدٍّ

الست هدى : لاَ ، بلِ العهدُ لايزيدُ على العشرينَ . . .

خَلِّي حِسابَه ، لا تَعُدِّى ! .

اسمَعى زينبُ ، اسمعى يا صديقى.لك هذا الدبُّوس

زينب : لِي أَنا ؟...

الست هدى : بَعْدِى

أنا أعطَيْتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً
وأنصفتُ فى الوصيَّة جُهدِى
مايقولُ الجيرانُ «زينبُ» عنى ؟

زينب : اترُكيهم ، لا تَحفلى بالردِّ

الست هدى : يقولون فى أمرى الكثيرَ وشغلُهم
حديثُ زواجى أوحديثُ طلاق
يقولون إنى قد تزوجتُ تسعةً
وإنِّىَ واريتُ الترابَ رِفاق

وما أنا «عِزْريلُ» وليسَ بمالِهم
تزوجْتُ ، لكن كان ذَاك بمَالِى

وتلكَ فدَاديني الثلاثونَ كلّما
تولَّى رجال جئْنَنِى برِجالِ

فما أكثرَ عُشّاق وما أكثر خُطّابى !..
ولولا المالُ ما جاءوا أذلاء إلى بابى ...
لستُ ما عشتُ ناسيهْ لستُ أسلُو حَياتِيَهْ
أول البختِ «مصطفى» «مصطفى» كان سَارِيَهْ

حـــينَ يمشى تظنُّه نخلةَ « المَرْج » ماشِيَهْ

رحمةُ الله عليــهِ لم يكن يطلبُ مالِى
تلكِ « أبْعَادِيَّتِى » وَهْىَ جنونٌ للرِّجال
لم تــكن تخطر فى العـام له يوماً بِبَـالِ

لم يكن يَعنيهِ من ذَاكِ سوى قبضِ الإجارهْ
جعـل الله تعـالى جنةَ الخُلد قَرارَهْ

ماتَ فكدتُ أموتُ حزناً وكانَ عمرى عشرينَ عاما
ثم تزوجتُ بعد خَمسٍ من ذا يرَى فعلتى حَراما؟!.

زينب : أجل! . تَعيشِينَ وَتَدْفِنينا حتى تصيبى مِنهُم البنِيناَ

الست هدى : وزوجىَ الثانِى «عَلِى» ولم يَكنْ يصلُحُ لِى
يَاليْتنِى لم أقْبَـــلِ

ذاكَ ، لِمَا لى اختارَنِى واختـرْتُه لمـالِهِ
ما كان إلا مُفلِسًا وقَعْتُ فى حِبَالِهِ

يرحمُه الله ، وكان ذَا بَخَرْ
وكانَ إنْ يقعدْ وإنْ يقُمْ نَخَرْ
وإن مشَى تخرجُ أصواتٌ أُخَرْ

يرحمه الله لقد عشنا معاً
من السنينَ الصاخباتِ أربعا
ثم مضى لربِّه لا رجعا

رحمةُ الله عليه جُنَّ بالنسل جُنونا
ثم لمَّا ماتَ، ما خلَّف لى إلاَّ دُيُونا

وماتَ لم تبكهِ عُيونى وكان عُمْرِى عشرينَ عاما
ثم تزوجتُ من سِواهُ من ذا يرى فعلتى حَراما؟!.

زينب : أجل!.. تعيشين وتدفنينا حتى تُصيبى منهمُ البنينا

الست هدى : ولستُ أنسى زوجِيَ الرابعا
لا نافعاً كان ولا شافعا
قالوا: أديبٌ لم يروْا مثلَه ولقَّبوه الكاتبَ البارعا
قد زيَّنوه لىَ، فاخترتُه مااخترتُ إلاعاطِلاضائعا

راحَ أكثرَ الزمان على الصُّحْف مُغْتدِى
يكتب اليومَ فى «اللِّوا» وغداً فى «المُؤيَّد»
ليلَه أو نهارَه فارغ الجيبِ واليَدِ

ويُعجِبُنى عند المُباهاةِ قولُه:
بنيتُ فلانا أو هدمتُ فلانا

وقد يُصبحُ المَبْنِيُّ أوضعَ منزلا
وقد يصبح المهدومُ أرفعَ شانَا

رحمةُ الله عليه كان لا يحقِر مالاَ
كان إن أفلَس لايسـألُنِي إلا ريالاَ

ثم تزوجتُ بيوزباشي « قمرْ »
نَهَى كما شاء هَوَاه وأمَرْ
لقد وددْتُ أنه زوجُ القَمَرْ

لاعفا اللهُ عنه ، لاغفرَ اللهُ له ، لاارتقى لرُتبَةِ «صاغٍ»
لاعفا الله عنه،قدكان لصًّا،لم يُردْنى لكن أراد «مَصَاغى»

وطالما زَيَّنَ لى أننى أبيعُ أوأرهَنُ أطيانى
من أجلِ «يوزباشى» ؟ لقد ضَلَّ ، لاَ
لا أشترى جيشـا بفـدّانِ

لحـاهُ الله كان مُنَى فؤادى
وفاكِهتى ورَيْحَانى وراحى
وكنتُ أحبُّه ويحبُّ طيبى
ويحلمُ بالقِلادة والوِشاحِ
وكان مُقامِراً شِرِّيبَ خمرٍ
يجىءُ البيتَ فى ضوء الصباحِ

يكادُ إذا تورَّطَ فى قِمارٍ
يُقامِر بالنُّجوم وبالسِّلاحِ

عشنا ثلاثاً ثم افترقْنا وكان عُمرِى عشرين عاماَ
طلقَّنى فالتمستُ زوجاً من ذا يرى فَعْلَتِى حراماً؟!.

زينب : أجل تعيشينَ وتدفِنيناَ حتى تصيبى منهمُ البَنِيناَ

الست هدى : وعشتُ عامين دون زوجٍ ثم تزوجتُ بالموظفْ
لم أنسَهُ منذ ماتَ يوما
ما كان أبْهَى ا. ما كان أظْرفْ ا..
كان خفيفاً وكان حُلْوًا
ومن نسيمِ الربيعِ ألطفْ ا..

ما كنت أَدرى إذا تولَّى
أجيبُه أم قفاهُ أنظفْ ا..

يرحمه الله مات ما وجدوا
فى جيبه غيرَ قِطعتىْ ذهَبٍ ا..

وسُبحةٍ من خزانتى سُرقت
كانت على الرفِّ من وفاةِ أبى
وسُمت فى دفنه ومأتمهِ ولم أضيق عليه فى رَجبِ

رحمةُ الله عليـه كان «جَخَّاخاً» كبيرَا
كلَّ يوم يدعُ البيــتَ رئيسًا أو وزيرا
ثم لا يرجعُ لِي إلاَّ كما كان صغـيرا

رحمـةُ الله عليه كان مشغولا بِطِينى
كلَّ يوم بزبُونٍ أو بسمسارٍ يَجِيئنى
وفدادِينىَ عنـدِى هى فى الحفظِ كَدِينى

ما كان فى وجنتِى يقبِّلُنى بل همُّه فى يدِى يقبِّلهاَ
وعينُه فى خَوَاتِمى أبداً يحدِّثُ النفس كيفَ ينشلُهاَ

ثم اقـترنتُ بفقـيهٍ عالمٍ فى البـلدِ
لا فى الشيوخِ القُدَماَ ولا الشيوخِ الجُدُدِ
كهلٌ أخُو خمسينَ لـكنْ فى نَشَاطِ الأَمْرَدِ

زينب : عرفْتُهُ ، ذاكَ الفقيهُ «الشيخُ عبدُ الصمدِ»
قد كانَ فى « الخُطِّ » وجيهاً ومُقَبَّلَ اليَدِ
وكل من مرَّ به خاطَبه بسَيِّدِى ! . . .

الست هدى : يرحمــه الله لقــد أدَّبنى
حتى عرفتُ كيف تخضَعُ النِّسَا ؟

زينب : أنْتِ ؟...

الست هدى : أجلْ ! . . أدَّبَنى بيدهِ ورجلهِ وبالعصَا

زينب : كيفَ ؟... متى ؟

الست هدى : رأى غُباراً عالِقاً بجَبْهَتِي
ولم أكنْ أعلمُ من أينَ أتى ؟

فقالَ هذا التربُ من نافذةٍ
مَنْ كنتِ منها تنظرين يا تُرَى ؟..

وهاجَ حتى خِفتُ أن يقتُلَنِي
وشمّرَ الذيلَ وجرّدَ العصا

وجاء بالنجّار من ساعَتِه
سدَّ الشبابيكَ وسمّرَ الكُوَى

فقلتُ يَهْوَانِي وتلكِ غَيْرَةٌ
يا حبّذا الزوجُ الغيورُ حبّذا !..

وقبلَه لم أرَ من غارَ ولا
من ظَنَّ في قلبي لغيرِه هَوَى

يرحمه الله لقد مات على
سَحْرِي ونحْرِي بعدَ ما صلّى الضُّحى

مات ولم يرقُدْ له جَنْبٌ ولا
بدَتْ عليه عِلّةٌ ولا اشتكى

رحمة الله عليه لم يكنْ فمُه يذكرُ « أبعادِيَّتِي »
وإذا ما جاءني أو جئتُه لم يُقلّبْ عينَه في « صِيغَتِي »

لـكنه مُنذُ كنَّا ما حلَّ عقدةَ كيسِه
يفضِّل الأكلَ منْ غيـــرِ مالهِ وفلوسِـــه
كأنَّ الأزهرَ المعمورَ بيتى
هناكَ «جرايةٌ» وهُنا «جرايهْ»!.
خَلَّفَ الشيخُ من الأولادِ ما يملأُ حارهْ !...
قُسِّمَتْ ثروتُه فيهِمْ فنالَ الطفْلُ بارهْ !...

عشتُ مع الشيخ نصفَ عامٍ
وكان عمـرى عشرين عاماً
ومات فاختارنى سِـوَاهُ
من ذا يرى فعْلَتِى حراماً ؟!...

زينب : أجل تعيشين وتدفنينا حتى تُصيبى منهمُ البنينا
الست هدى : أتذكرينَ بعدَه من جاءَ بيْتى يَخْطُبُ؟!.
زينب : منْ ذاكَ ؟ منْ ؟
الست هدى : أنْتِ الّتى جئْتِ بهِ يا زَيْنَبُ!..
زينب : «مهْدِى» المقاولُ الثّرِى المُمْتَلِى مِنَ الذّهبْ
الست هدى : قد ذَهَبَ اللهُ بهِ أَجَلْ!. إلَى النّارذهبْ!.

لم ينسَ أن يذكرَ «أبْعادِيَّتى»
ما للغنىِّ ، ولطينى مَالَهُ ؟!

ولم يكن عند الطعام يَسْتَحِي
يأكل مالِي ويعدُّ مَالَهُ !...

يرحمه الله وإن لم أر لَونَ قرشهِ
عشتُ اثنتيْن معهُ لم أنتفعْ بفَرْشِهِ
لو لم يَمتْ لمتُّ منْ جَخْتِـــه وفَشِّـــه
كأنَّمَا تسرَّبتْ عمارةٌ في كِرْشِه
يَدِبُّ كالحلُّوفِ في خُرُوجِهِ من قَشِّه
وما استرحْت ليلةً من طَحْنِهِ ودَشِّه
ومن تِلالِ جيرِهِ وَمنْ جِبالِ «دبْشِهْ»
ظللْت عامَيْن في بلاءٍ وكان عُمري عشرين عاماَ

ومات « مهْدِي » فاعتضْتُ عنْه
من ذا يرى فَعْلتي حرَاماً ؟!..

زينب : أجل تميشين وتدفنينا حتى تُصيبي منهمُ البَنينَا
الست هدى : ثم اقترنتُ بمُحامٍ عَاطِلِ
شِرِّيب خمْرٍ يحتسيها في الضُّحى
قَلَّتْ دعَاويهِ وقلَّ مَالُه
وأصْبَحَ الْمَكْتبُ منهقدْ خلاَ..

عبد المنعم المحامى: « زوج الست هدى ، وهو سكران ، يصعد السلم » :

هدَى ، ضلالٌ ، أين أنتِ ياهدَى ؟
أين العَجوزُ ؟ أين جدّتى هدَى ؟

الست هدى : وَانَــكَدا « زَيْنبُ » واداهيَتَا
لقد أتى لم أَدْرِ من أيْنَ أتى ؟!.
يشْتمُ فى السُّلَّم

زينب : خلِّيهِ دعى لاتفرِضيهِ غيرسكْرَانَ هذَى!.
رأيتُه ،

الست هدى : وكيف ؟

زينب : منْ تحتُ وقدْ
كان من السقْف أطلّ وانحنى
وكانت الحارةُ منّا امتلأتْ فأرسل القيْءَ علينا ورمى!.

الست هدى : القىءُ ؟ ماذا قلتِ ؟

زينب : قلتُ ما رأتْ عينى ومامرَّ على رَأْسى وَمَا

عبد المنعم : « وهو بالسلم »
هدى ، عجوزَ النّحْس ، أنت قردةٌ
خطوطُك الوحلُ وكُحْلُك العَمَى

الست هدى : سمعتِ يا زَيْنبُ ؟

زينب : خلِّيهِ ، دعى

لا تفرِضيهِ غيْر سكْرانَ هذى

ومرةً جاءَ « أبا الليف » ضُحًى

أذَّنَ فى الناس يُصلُّون العِشاَ

فضيحةٌ فى الخطِّ !

الست هدى : وَافضيحتا

زينب : ما شهدُوا فى « الحَنَفِى » مثْلها

عبد المنعم : « وهو بالسلم »

هدى تعالَىْ يا عتيقةُ اظْهَرِى

عندى لك النَّعْلُ وهذه العَصاَ

الست هدى : سمعت يا زينب ؟

زينب : خلِّيه ، دعى

لا تفرضيهِ غير سكران هذى

الست هدى : دعيه يهذى ما يشا غداً ترينَ زينبُ

فنى غــدٍ لى وَله شأنٌ ، غداً يُؤَدَّبُ

زينب : ومَا الذى عــزمْتِ يَا حبيبتى أن تصْنَعى

الست هدى : أقذف فى القسمِ به وأشتكى وأدَّعى
إن رجال القسْم ، والنَّائبَ والقاضى معى !..

«لزوجها»

لَتندَمنَّ يا لُكعْ يَا منْ يَقُومُ ويَقعْ

عبد المنعم : « وهو بالسلم »
ماذا سَمِعتُ ؟ صوتها ؟ أأنتِ بومتى هنا ؟ !..
الآنَ يا جُمَّيْزَةَ « الخُطِّ » أُريكِ مَن أنا ؟ ...

زينب : هُدَى ، حبيبَتى اسمِعى تعالىْ اهْربى مَعى ! ...

الست هدى : أنا ؟

زينب : اسمِعى ، دَعِيه ،

الست هدى : لاَ

زينب : دَعيهِ يا هُدى ، دَعِى ! ...
لا تُغضِبيهِ إنهُ مُمْتلِئٌ ، ليس يَعى ! ...

عبد المنعم : « وهو بالسلم »
هدى ! . هدى ! أينَ هدى ؟
أينَ العَجُوزُ الباليهْ ؟ ...
أين مضيْتِ بومَتى ؟ أين ذهبْت خُفَّتى ؟
خداَّكِ ضِفدِعْتَانِ قد أَسنَّتَا
وأُذُناكِ عقْرَبَانِ من قِنا

وحاجباكِ وَالخطوُط فيهمَا
كدُودتَيْنِ اكتظّتا منَ الدِّما
وبينَ عينَيكِ نِفارٌ وجفا
عيْنٌ هناكَ خاصمتْ عيناً هنا !..

الست هدى : دعِينى أُقطّعْ عليهِ الحذاءَ وأَجْزِ الوَقاحَ على ذنبهِ
دعينىَ أَضْرِبْهُ حتى يُفيـ
قَ فلابدَّ زينبُ من ضرْبهِ ! ..

زينب : قد جاءَ ... هَىَّ نتقى جنونَه وهَوَسَهْ
فى يمينِه العصاَ وفى الشِّمال المِكنَسَهْ
سكرانُ يضربْ إذن لنهربْ هلمَّ زينبْ
هذهِ حجرةُ نومى أسرعى زينبُ فيهاَ
نحنُ يازينبُ لا نكبحُ سكرانَ سَفيهاَ

« تدخلان الحجرة ، وتستتران وراء الباب »

عبد المنعم : « وهو داخل يترنح »
هدى ذاتُ الفدادينِ هدى

الست هدى : فكّرَ فى طينى

عبد المنعم : من لىَ بالزبرجدِ ؟ من لىَ بالزُّمُرُّدِ ؟
ياليتَ ذاكَ فى يدى ! ...

الست هدى : سمعتِ ؟ عبدُ المنعمِ قد هام فى خواتمى

« يجتاز « عبد المنعم » القاعة إلى حجرة نومه »

الست هدى : زينبُ انظرى ما الذى صنعْ ؟

زينب : جاءَ حجرةً ثمَّ فاضْطَجعْ
فلندعْهُ فى النــــوم فلْندعْ
الآن أستودعك الله هُدى
محفُوظةً ،

الست هدى : لا تُهمليني زينبُ ! ...

« تخرج زينب »

« تسمع ضجة بالسلم ... »

الست هدى : ما الصوتُ ؟ . . . ما أسمعُ ؟ من يا تُرى ؟
ما هذه الضَّجَّة فى السُّلَّم ؟

هذا خطُوطى وكُحْلى وتلك صبغةُ شعرى
لم أنس حُمرةَ خدِّى لم أنس زينةَ صدْرى

وهذا الثوبُ ما أبهى !. وهذا الخُفُّ ما أحسنْ !.
ومنديلى على رأسىَ ما أحْلى ! .. وما أَزْيَنْ ! ...

وهــذه خَواتمى بهــا يدى مُرَصَّعَهْ
وهــذه قلائدى فى لَبَّتى مُلَمَّعَهْ
اقترب الصوت وتلك أرجلُ
تَدِبُّ عند البابِ ، مَنْ ؟

أصوات : هل ندخلُ ؟؟

الست هدى : ادخُلْنَ ! .. أهلا وسهلا ومَرْحباً بالحبائب

« تدخل أربع فتيات من بنات الجيران : « خديجة » و «أسماء » و « بهية » و « إقبال »

خديجة : صباح الخير يا عمةُ

الست هدى : صُبِّحْتُنَّ بالخيرِ

« خديجةُ » ابنتى هُنا ؟ هذا هو التفضُّلُ !..

خديجة : إنْ أنا بالعمَّةِ لم أسلْ ، فممَّنْ أسألُ ؟..

الست هدى : أنتِ ابنتى ستأخُذينَ خاتَمِى الزُّمرُّدا !..

خديجة : اليوم يا عمةُ ؟ ..

الست هدى : لا ! ..

خديجة : متى إذن متى ؟ !

الست هدى : غدًا ! ..

من بعدِ موتى ،

خديجة : لا تموتى ، أنا عمتى الفِدا ! ..

الست هدى : « لأسماء »

: وأنت يا أسما إذا مِتُّ غدا

أخذْتِ هذا الخاتم الزبرجدا

أسماء : لا كان يا عمةُ عشتِ الأبدًا ! ..

اقبال : أسماء يا عمةُ مخطوبة ،

الست هدى : لِمَنْ ؟

اقبال : لشيخٍ عمدةٍ في الصعيدْ !

الست هدى : حــذارِ يا أسماء أنْ تفعلِي

أسماء : أنا ؟ أبي يختارُ لي منْ يُريدْ !...

الست هدى : قُولِي لهُ : العُمْــدَةُ جرَّبْتهُ

أسماء : أقولُ ؟ مَنْ يسْمعُ أوْ منْ يعِي ؟...

إن أبي صعبٌ ولا أجترِي

الست هدى : إذَنْ دَعِيني أنا أفعل ، دعِي !...

« لبهية »

وأنت يا ابنتِي ؟

بهية : خُطِبْتُ من زَمَنْ

الست هدى : مِنْ زَمَنٍ ؟ تبارَكَ الله، لمَنْ ؟...

بهية : لضابطٍ في الجيش !

الست هدى : ضابطٌ ؟

بهيه : أجلْ ! ...

الست هدى : أحْسَنْتِ ، أحْسَنْتِ ، تخيَّرْتِ الرجلْ ! ...

بهية : مااخترت ياعمّتي ولـكنْ أبي وأمّي تخيّرَا لِي !...

بناتُ مصر يُخطبن لـكنْ لا يتناقشْنَ في الرجالِ !...

نُبَاعُ يا عمّتي ونُشرى ما نحنُ إلا عُروضُ مالِ !..

الست هدى : «لأسماء»
وكيف أختُك «بَنْبا»

أسماء : تقبِّلُ اليدَ

الست هدى عشْتِ

أسماء : مخطوبةٌ هيَ أيضاً !...

الست هدى : ماذا تقولين بنتى ؟ .
مَنِ الكبيرةُ ؟ «بَنْبا» أمِ الكبيرةُ أنتِ ؟...
عمرُكِ بالتَّخميـن

أسماء : لســتُ خالتى مُخَمِّنَهْ
في رجبَ الذى مضى أتممْتُ عشرين سَنَهْ

الست هدى : عشرون أنت يا ابْنَتى إذنْ فما عُمْرى أنا ؟

أسماء : ستّون يا خالَةُ ؟

الست هدى : سَنَهْ لم أرَ مِنْكِ أرْعَنا

أسماء : خمسون يا سيِّدتى ؟ !

الست هدى : كذبْتِ كِذْباً بيِّناً

أسماء : إذنْ ففى العشرينَ يا خالةُ أنتِ وأنا !

الست هدى : هـذا الحديثُ عَبَثٌ خُذى بنا فى غيْرِهِ !
كل امرىءٍ داخلُها برزْقِهِ وعمـرِهِ

خديجة : أُسكُتى أسماء خلِّى السنَّ ما هذا الفضُولْ ؟ ...
هى يا خالةُ حمْقى ليْس تدْرى ماتقُولْ !...
أنتِ يا خالةُ فى وجهْك قد خُطَّ القبُولْ !...
لا مشيبٌ لا اصفرارٌ لاغُضونٌ لا ذُبُولْ !...

الست هدى : سمعتِ أسماء ؟ علِّميها ما القوْلُ ؟

خديجة : بل أنْت علِّمينا !...

الست هدى : صُنَّ جمالَ الوُجُوه صوْناً فالسنُّ بالوجهِ لاالسِّنينا !.

« يسمع صوت خارج الحجرة »

ماذاك عنـــد الباب ؟ صوتُ رجلٍ ؟

القادم : سيدتى! ... أَدخلُ ؟

الست هدى : « ألمـازُ » ، ادخُلـِ !...
« ألمَاز »أغَا ! ...

الأغا : سيِّدتى ! ...

الست هدى : يا مرحباً يامرحباً ! ...

الأغا : أرسَلَتْنى حرمُ الباشاَ

الست هدى : أَعِدْ

الأغا : أرسلتْنى حرمُ الباشاَ إِليكِ

الست هدى : هذا أغا الباشاَ اقتربْ ماذا وراءَ القادمِ ؟

الأغا : أحمـلُ يا سيِّدَتى تحية الهوَانمِ !...

الست هدى : بالله « ألماز » إلا جلستَ بالقرْب منّى
تُحِبُّ بنىَّ تجرِّب بُنَّ السَّراى وَبُنِّى

« تناوله قهوة »

ما للهوانم « ألماز » ليس يسألن عَنى ؟!...

الأغا : نسيتِ يا سيِّدتى أمسِ ، أما كُنَّ هُنَا؟...
الست هدى : ومن أنا حتى تزورنى الشُّمُوسُ من أنا ؟ ! ...
الأغا : واليوم يا سيِّدتى أرسلْتَنِى بالمرْكَبَهْ
الست هدى : جئتَ إذنْ فى طَلَبى ؟
الأغا : أجلْ ، وتحتُ الْعَرَبَهْ
الست هدى : أيَّتهُنَّ يا أغَا ؟
الأغا : « فيكْتوريا » ، المقفلهْ ؟
ذاتُ الرَّفارفِ الخفا فِ والسُّتُور المسْدله ؟

ركوبةُ الهانمِ فى الأعْيَاد والمواسم ؟
إلى السرايات مِنَ الإنشا إلى الهيَاتم ؟

الست هدى : « للفتيات »

« الجوانتى » هُنَاكِ « أسما » انظُريهِ
أُنْظُرِى يا « خديجةُ » الْفرَجيَّهْ

« وهى تلبس »

انظُرى « إقبالُ » ما أجمل هذى الفرجيَّا
انظُرى شالىَ « أسما » كيف حلَّ كتفيّا

ثم انظُرا هُنَاكَ يا بنتىَّ فوق الـكَنَبَهْ
مرْوَحةً من النَّعام بيـــدٍ مُذَهَّبَهْ
وخلِّيَا هناك لى مروحةً
عاجًاوأُخرى كلُّهامن الصَّدفْ

خديجة : « همساً »
أسماء ! ...

أسماء : أختى ! ...

خديجة : أبيتٌ أمعملٌ من مراوحْ ؟ ! ...

أسماء : ما تصنَعينَ خالتى بهذه المراوحِ ؟ ! ...

الست هدى : أنا ابْنتى مولعةٌ بهَا وبالرَّوَائحِ ! ..
ذكَّرتِنى « أسماء » لا تنسَى الوردَ –
على الرَّفِّ ولاَ اليَاسَمِين

أسماء : خالةُ ماذَا ؟

الست هدى : كلُّ شىء عندِى

أسماء : أأنتِ سمعانُ أم اللاوَرْدِى ؟

الست هدى : « أسماء » تعالَى انظرى
كيف ترَيْنَ رِجْلِيَا ؟ !
هذا الحذاء هل تُرى
يليق للفِـكتورِيَا ؟ ! ...

أسماء : خـالة لا تُبـدِّلى
هذا الحذاء « مملـكَهْ » ! ...

الست هدى : اللهُ يا بُنَيَّتي
يطرَح فيكِ البَرَكَهْ ! ...

« للأغا »

« ألمازُ » هيَّ ننطلقْ طالَ وقوفُ المركَبَهْ
لا أحدٌ فى الخطِّ إلاَّ استوقفتْه المركَبَهْ
لحارةٍ قائمةٍ وحارةٍ مُنقلِبَهْ

الأغا : سيدتى لا تخافى مركبتى لا تحزَنْ
الست هدى : «ألمازُ» أنتَ ظريفٌ ومركباتك عِزٌّ

« للفتيات »

قد آن أن أجيبَ دعوةَ الأغا
هيَّ ابنتَيَّ هيَّ ألبسانِى

« الفتيات يشتغلن بلباسها ... »

الست هدى : « لخديجة وأسماء »

أنت ابنتى وهذه فتاتِى بناتُ جاراتِى وصاحِباتِى
إذا حُرِمْتُ النسلَ هنَّ بناتِى

وكل ما فوقَ صَدْرِى وفى يدِى من «مصاغٍ»
وكل شىءٍ ببيتى لَكُنَّ بعدَ دماغِى

ستار

الفصل الثانى

« فى قاعة الدار »

« عبد المنعم يتناول طعام الفطور ... الست هدى »

« عبد المنعم ينادى حلمى الكاتب وهو تحت . . . »

عبد المنعم : حلمى ! . . . تعالَ ! . . .

حلمى : سيِّدى ! . . .

عبد المنعم : تعال يا ابنى إصْعدِ

« يحضر حلمى »

تعالِ قرِّبْ « شَلْتَةً » تعال هَهُنا اقعُدِ

صُبِّحْتَ بالخيرِ أهلا

حلمى : يا صَبَّحتكَ السعادة ؟ . . .

هذا الفَطور سيدى بصحةٍ وعافيهْ ! . . .

عبد المنعم : تعال جرِّب هذه الصناعهْ

حلمى لقد أكلتُ الفول منذُ ساعهْ

عبد المنعم : تلك بضاعةٌ وذى بضاعَهْ

حلمى : « وهو يأ كل »
الفول يا سيـدى لذيذٌ

عبد المنعم : الفولُ من حارة النصـارى
والعيش من مخبز الرمالى

الست هدى : والزيت من مَعْمل «البَدَارى»

عبد المنعم : البدارى ! ما تِلْك ؟ لا تِلْكَ سوقٌ
قد سَمِعْنَا بها ، ولا تلك حارَهْ ! . . .

حلمى : وليمـونُكِ يا هـانمُ

الست هدى : كالشهْـدِ وكالسُّـكرْ

حلمى : ومن أين به جىء ؟

عبد المنعم : من الجنّة والـكَوْثرْ ! . . .

الفول يا حلمى لذيذٌ فـكلْ
وخلِّ ما تسمع من دَشِّها
فـا على الدنيا سـوى أ كلها
ولا على الأرض سوى فَرْشِها

كلْ، كلْ، ولاتُصغ لها فإنهـا مُخَرِّقَهْ
وكل شىء لم يكنْ قادرةٌ أن تَخلقَهْ

الست هدى : لا أيها الفاضل ، لا ما أنَا بالحاميَهْ ! . . .
أُثير من شقْشقَةٍ زوبعةً فى آنيهْ ! . . .

حلمى : وما ذاك يا سيِّدى فى يديْك ؟

عبد المنعم : ألذُّ من اللَّبن المزْبدِ
زبيبٌ ! ! . . .

حلمى : على الرِّيق ؟ ! . . .

عبد المنعم : لا يا غبىُّ ! . . .
على الفول ! . . .

حلمى : أفْطَعُ يا سيِّدِى ! . . .

الست هدى : نحن ياحلْمى هلكْنَا أصبحَ المنزل حانَهْ
صار لا يكفى المحامى كلَّ يوْمٍ «بَجدانَهْ»!...

زينب : « لدى الباب »
العَوَافى ! ...

عبد المنعم : صوتٌ لدى الباب

الست هدى : هذى زينبُ جارتى ، تعالَىْ تعالىِ
« لزوجها »
خبِّىءِ الخمرَ أخْفِ ما أنت فيه

عبد المنعم : دعْنَى ، دعْن ، ما لكُنَّ ومالى ؟ . .

الست هدى : ادخُلِى جارتى ادْخُلِى ، هىِّ خُشِّى
« لزوجها » خبِّىءِ الخمر ! . . .

عبد المنعم : أَتْرُكينى وَحالى

الست هدى : أدخُلي زينبُ ادْخُلي لا تهابي
زينب : مَنْ هُنا ؟ قد سمعت صوت رجال ! . . .
الست هدى : الأفندي وسِكْرِتير الأفندي
ادخُلي ، لا غريبَ زينبُ عندي
زينب : الأفندي وتقولين ادخلي ؟
الست هدى : ادخلي ليس سواه ها هنا ؟ . . .
ما الذي تخشَين ياأخت ادخلي
زينب : لا ، دعيني ! . . . أنا لم أنس العَصا

«زينب تنصرف مذعورة ، ويظهر «ألماز أغا» لدى الباب»

ألماز أغا : صباح الخير يا هانمُ
الست هدى : مَن ؟ صُبِّحتَ بالخير
«لزوجها»
هذا أغا الباشا أتى وفيم جاء يا تُرى ؟ ...
إرم الزبيب من يديك فهو من أهل التُّقى
عبد المنعم : لينصرف لشأنه فما لَه وما لنا ؟ . . .
الست هدى : إرم الزبيب قلتُ
عبد المنعم : لا
الست هدى : يستهزئ الناس بنا
قم امض حلي بالزبيب ، بل به أمضي أنا
« تخبيء الزبيب ... فيدخل الأغا

الأغا : سيدتي ، عندكِ ناسٌ ؟

الست هدى : ماسوى زوجي هُنا

أغا : « للزوج »

عافيةً ياسيدى هذا فطورٌ أم غدا؟...

عبد المنعم : ادنُ تفضَّل ، كُلْ معى فولٌ لذيذٌ ياأغا

الأغا : بصحة يا سيدى أكلتُ من وقتٍ مضى

عبد المنعم : لا ، لا ، بل ادخُل ياأغَا ادخُل مكاناً غيرَ ذا

هذا المكانُ قذرٌ خذيه ثمَّ يا هُدَى

الأغا : ياحبَّذا المجلسُ لولا شُغلٌ داعٍ لقضَّيتُ النهارَ هَهُنا

حلمى : وما الذى يشغُلكَ الآن ؟

عبد المنعم : ومايعنيك يا أحمقُ من شأنِ الأغا ؟

الأغواتُ تنقضِي أعمارُهم بين السَّرايات هناكَ وهنا

« همساً »

اتركه يمضي يا غَبي فلا أريدُه هُنا

حلمى « للأغا » : أنت ظريفٌ ياأخي

الأغا : أنت الظريفُ لا أنا

« للمحامى »

مـااسم أخينا؟

عبد المنعم : ذاكَ « حلمي » كاتبي

الأغا : السكرتيرُ؟.... مَرْحَباً يامَرْحَبَا

والآنَ فى حراسة الله

حلمى : انتظرْ ياسيدى ! ...

عبد المنعم : «همساً»

دعهُ ! . . .

حلمى : انتظرْ نَخْرُجْ معاَ

عبد المنعم : وأين ياحلمِي ؟

حلمى : أشيِّعُ الأغا

الأغا : لا سـيدى بالله

حلمى : لا ،

الأغا : بل ابْقَ !

حلمى : لا ! . . .

الأغا : لى كلِمَة ياسيِّدِى أقولُها للهانِم

عبد المنعم : « مبتسما » اذهبى مع الأغا هُدى

الأغا : ياسيدى الهانمْ أختى. لا تخفْ

حلمى : أنظر إليه ما أخفَّهُ دماً ! . . .

عبد المنعم : إمضِى هدى هلُمِّ شيِّعى الأغَا

الأختُ ياهدى تشيع الأخا

« السيدة والأغا يخرجان »

الحمـد لله على نعمتـه زال العنا

أشربُها ؛ فلا هدى ولا الطواشىُّ هنا

لى ساعةٌ ما ذاقَها أنفِى ولا ذاقَ فمى

« ويخرج الكأس من مخبئها بين قدميه »

حتى لَكِدتُ من ظَمى أشربها بقدمى
حرمت منها ساعةً وأنتَ كنتَ السببَا
سبحان من لم يُعطِك الفهْم وأعطاكَ الغَبا
الآن تأتى هدى فكن فطناً حلمى و كن ثعلباً وكن حذرا
إن هدى ذئبةٌ

حلمى : علىَّ أَجِلْ
سوف ترى ما أكون ، سوف ترى

ما ذاك أولُ نصب جرَّبتَ فيه صبيَّك

عبد المنعم : احفظ لسانك حلمى قالُ زوجىَ مالى
حلمى صهٍ هاهى ذى عائدةٌ
حلمى : من يفتحُ الحديث ؟ أنتَ أم أنا ؟
عبد المنعم : بل أنت ثم خلِّ لى تمامَه
حلمى : ولمَ لا نقتحم النار معا

« تدخل هدى »

عبد المنعم : هدى
الست هدى : لقد كنتَ غليظاً جافياً
ولم تعظِّم الأغا

عبد المنعم : قد كنتُ مشغولا بلقمتى هدى
الست هدى : تعاقرُ الخمر ضُحى ! . . .

ولو رآكَ لجرتْ فضيحة

عبد المنعم : لـكن مضى وما رأى ! . . .

حلمى : رأيتِ سيدى وكيف ساسَهُ وكيف دارَى وَاتَّقى ؟!
لأجل عينيكِ رمى الزبيب منْ يديْهِ

الست هدى : ألزَّبيبَ رمى ! . .

عبد المنعم : الآن أسمعِي يا هدى مسألة آن بها أن يُعتنى

الست هدى : وبمْ تريدُ أعتنى ؟

عبد المنعم : بمكتبى ،

الست هدى : وما الذى له جرى ؟

عبد المنعم : يكادُ مكتبى يكون مقفلاَ

الست هدى : ما ضَرَّنى أن يُقفلا ؟!..

حلمى : سيدتى المـكتب «أبعادية» هل تتركانه سُدى ؟!
غَلَّته ألفان كلَّ سـنةٍ

الست هدى : وكيف ذاك ؟ ومتى ؟

حلمى : بل زاد عن ذلك يا سيدتى
بالأمس ، من عامٍ مضى

الست هدى : وما الذى تريدُ أن أصنعَه ؟

حلمى : مُدِّى لزوجك اليدَا

الست هدى : وكيف ياحلمى ؟

حلمى نبيعُ الطين أو نرهنُه إلى مدى

الست هدى : طينى أنا أبيعُه، أرهنُه ؟ ماذا تقول يافتى ؟ ..

حلمى : لقد عرضتُ صفقةً رابحةً

إن أُنقذ المكتب أنقذْنا الغنى

الست هدى : حلمى تعقّل ! ..

حلمى : دعينى «المترُ»[1] أُغرق دينَنا

كنا نقيمُ الدعاوَى صارتْ تقامُ علينا

فى كل يوم يطلبون «المتر» بالقدَم

ويلى عليك سيدى ويلى على معلّمى

غدا ترَيْن سيدى فى قفص التُّهم

الست هدى : «لنفسها»

أتسمعين يا هدى ؟

إبكِى هدى، اندُبى، الطِمى ! ..

غدا يقولون : هدى تزوجت بمجرمِ

حلمى : المحامى عليه للناس دينٌ

تصلحُ الحالُ حين نُخْلص منه

دَينُه أنت تقدرين عليه

مائتا ليرةٍ[2] ؛ فأدِّيه عنه ! ..

(١) أى الأستاذ المحامى

(٢) الليرة الجنيه

الست هدى : أؤدى الدينْ ياحلمى ؟ ومن أين ؟

حلمى : من الطِّين

الست هدى : وماذا بعدُ يبقى لى إذا بعتُ فدادِينى ؟

« لنفسها »

لولا فدادينى وغلاتُها ماطاف إنسان على بَابى

بهاتزوجتُ وفى قطنِها كفَّنتُ أزواجى وخُطّابى

« لحلمى »

أنا أؤدى الدين عنه ، أنا

ما تستحى يا شَابُّ ما تخجلُ ؟

حلمى : ألستِ يا سيدتى زوجه والزوجُ عن صاحبها تحمِل

الست هدى : أحمل عن مستهترٍ يومَه وليلَه سكران لا يعقل ؟

« تنادى »

رضوان !...

« يدخل رضوان »

رضوان : منْ ؟ « ستّى » ؟

الست هدى : « همساً » رضوان !...

رضوان : مولاتِى !...

الست هدى : اذهب على الفور أدعُ صديقاتى

« يخرج رضوان »

« عبد المنعم يتمشى مغضبا »

عبد المنعم : «لحلمى»
قد قلتَ ياحلمى الصواب إسمى هذا هو الصدق هدَى
مكتبيَ الثروةُ مكتبي الغنى لا مكتب إلا أنا

الست هدى : أنت ؟ لأنت حانة تنقلتْ وأنت برميل مشى
وأنت شيء فى الرجال ضائعٌ وعالةٌ على النسا

حلمى : سـيدتى لا تشتمى سيدتى لا تغضبى
طينك قد تُرجمه قضيةٌ فى المكتب

عبد المنعم : إنىَ لم أخطبْكِ يا هدَى لفرط حسنِكْ
ولا تزوجتُـك يا صغيرتى لسنكْ
ولا وقعتُ فى البلا ء لسوادِ عينِكْ

الست هدى : إذن لطينى بى تزوجت ؟

عبد المنعم : أجلْ لطينكْ ! ..

الست هدى : وأنا يا محامىَ الشوم ما اخترتُك للقبح والمحيا الدميمِ

عبد المنعم : هذر بيّنٌ وقولٌ هراءٌ لِمْ إذن قد قبلْتِنى لك بعلا

الست هدى : ذكر الخاطبون فضلك عندى
فإذا أنت لست للفضل أهلا

عبد المنعم : إذن دعى الزبرجدا لى ودعى الزُّمرُّدا
وكلَّ ما حلّيتِ منه الكفّ والمقلّدا

الست هدى: ولمْ ؟ قل لى : أمالُ أبيكَ هذا ؟
أأمك خلفتْ هذِى الحُليّا ؟

عبد المنعم : ألستُ الزوجَ ؟

الست هدى : لا ما أنت زوجٌ

عبد المنعم : فما أنا ؟

الست هدى : بل طُفَيلِىٌّ عليّا

عبد المنعم : هاتِ مصوغكِ !..

الست هدى : لا

عبد المنعم : إذن لابد لى من فلْق رأسِك

الست هدى : تضربنى ؟ أهكذا يكون شكرُ الحسنَةْ ؟

« وتتناول عصا »

تضربُنى أنا التى تأكل زادى من سنهْ

عبد المنعم : حلمى!... تقدّمْ نحوها خذ العصا من كفها

حلمى اختطف منها العصا

حلمى : ما حاجتى بخطفها ؟
أما تراها كاللّبـاة فى مثار عُنفها

عبد المنعم : طِرْ ياجبان ، وانتزع من الخبيثة العصا

حلمى : بل الجبانُ من يُجرّدُ العصا على النّسا
تريد أن تأخذ بالقوة منها مالها ؟
فما لها لا تستميت فى الدّفاع مالها ؟

الست هدى : يا ويلتا واخجلى وعارى لى رجلٌ بأذُنَىْ حمار
أضحوكةُ الجارةشغلُ الجار لم يُرَ إلا طائحاً فى الدار
ثيابُه كفُوطة الخمَّار تنضحُ بالليل وبالنَّهار

عبد المنعم : أتسمع حلمى كلام العجوز ؟ وماتقذف الرِّمةُ البالية؟
أخذتُ عصاى لتأديبها فجُرَّ عصاكَ وقفْ ناحيهْ

حلمى : رأيت رجالاً يضربون نساءَهم
فشلّت يمينى يوم تُضرب زينب(١)

« تدخل زينب ثائرة وراءها نساء من الحارة »

زينب : من قال تُضربُ زينبُ؟ من قالها ؟ أنا أُضرَبُ ؟
: من قال ذلك ياهدَى ؟ لأُريه كيف يؤدبُ ؟..

الست هدى : ما قالها كاتب المحامى وإنما قالها المحامى
زينب : إذنْ هو السِّكير يا أُخت
الست هدى : أجلْ

زينب : ماتستحى تقول ذاك يارجلْ؟
منذ متى فارق وجهَك الخجلْ ؟

الست هدى : دافعى زينب عنى شاركينى ما أقاسى
منذ حينٍ أوعدَ السكِّيرُ أن يَفلق راسى
إن أنا لم أعطه دُرِّى ويَاقُوتى ومَاسى

(١) بيت قديم .

زينب : إذن دعيني هدى دعيني أُنزِلْ على زوجك انتقامى

عبد المنعم : حلمى تأملْ هــذه عصابةٌ
من خدم البيت ومن بعض النِّسا
قد نظرتْ فى البيت حتى جمعتْ سلاحها من ههنا وههنا
زحّافةٌ مكنسة مِغْرفة ونحن ما فى يدنا غيرُ العصا
حلمى تأهّبْ إستعدّ دافع ِ

حلمى : قفْ أنت ، عن رأسك حامِ ، رافع ِ ا.
أسامعٌ أم أنت غير سامع ِ؟

انظر إلى الزّحافهْ تدور فى لطافهْ كعنق الزّرافهْ

عبد المنعم : وتلك ؟

حلمى : تلك المِغْــرفة كالعقْرب المؤلّفــهْ

النساء : « يضربن المحامى ويقلن »

اضْربْنــهُ حــتى يقــعْ
اضربْنــه ، خــذ يا لُــكَعْ
كيف ترى ؟ أين الوجــعْ ؟

عبد المنعم : أَجِرْنىَ حلمى تعالَ احمنى

حلمى : أنا ؟ خلّنى ، خلّنى ، أهربِ
علىّ من اليوم لا تعتمد
فإنى استقلتُ من المكْتبِ

عبد المنعم : « لحلمى وهو منصرف » :
قف يا جبانُ تعالَ !... قلتُ

حلمى : لا تنتظرنى إنى استقلتُ
أنت تعرضت لذا إبق!... خذالزَّبرجداَ..
وأنت كنت المعتدى أقمْ!... خذِالزُّمرُّدا..
إنىَ مستعفٍ

عبد المنعم : والأجر ؟ ننساه ؟

حلمى : الأجر قد ضَاع يعوّض اللهُ !...

الست هدى : زينب تلك صخرةٌ بغير حسٍّ فاضربى
« تضربه »
أسما خديجةُ اضربا رضوانُ أدِّبْ أدِّبِ
هذا هو الفولُ فكلْ هذا الزبيب فاشربِ
خذ من يدى الزبرجدا خذْ من يدى الزُّمرُّداَ
وخذْ إن اسطعْت اليدا

عبد المنعم : حسبى هُدى كفى كفانِى ضربا
قد كان هذاَ اليومُ لى مُخبَّا
سلّمتُ رايتى فكُفِّى الحربا

الست هدى : إن أنا خلّصْتكَ ماذا تصنعُ ؟

عبد المنعم : أذهبُ !...

الست هدى : ثم ؟ . . .

عبد المنعم : أبداً لا أرجعُ !..

الست هدى : اخْرجْ إذن وَلِّ القفا يا لُكعُ

قف يا محامى لِي استمعْ واسمعَ يا مَنْ هٰهُنا

النــذلُ قد ردَّ الطلاق لمشيئــتى أنــا

« تخرج عقد زواجها »

عصمتى منكَ فى يدى شهدتْ لى الوثائقُ

إمض يا نذلُ لا تُمدْ إنكَ اليوم طالقُ !..

ســـتـــار

الفصل الثالث

« بحجرة بالطبقة العليا من دار المرحومة
« الست هدى » . «السيد العجيزى » من أعيان
الريف وزوج المرحومة « الست هدى »

العجيزى : « لنفسه »

المـالُ صـار يا عجوزُ مالِى
وأصبحَ البيتُ وما حوَى لِى
من بَعْدِ عشرةٍ من الرِّجال

نَعم رجال كثيرٌ ماتوا بحسرةٍ مَالِكْ
كنتُ الموفّقَ وحدى لمـا ظفرْتُ بذَلكْ

الطينفى « بَنها » كماقيلَ لِى
من أجوَدِ الأطيانِ فى الناحيهْ
وفى الضواحِى ياعجيزى ابتهجْ
ما قيمةُ الفدان فى الضاحيهْ ؟

والبيتُ مِلكٌ قيِّمٌ وإن مشى فيه القِدمْ
مُهَنْدَمٌ مُنَوَّرٌ من رأسه إلى القَدمْ

بأيسر البياضِ والترميمِ يحيَا من عَدَمْ

ما قيمة البيت يا عجيزِى
وما يساوى إن بِيع يوما ؟

قد قيل لِى هى ألفٌ
وقيل ألفٌ ونصفُ

والفرشُ شىءٌ حسنٌ الفرشُ لا بأس بهِ
لا بدَّ من تنجيدِهِ لا بدَّ لى من قلبهِ

الكَنَبَاتُ خشبٌ زانٌ وسنديانُ
قيِّمَةٌ يبدو على صانِعِها الإتقانُ

وهذه سَجادةٌ نادرةٌ ذاتُ ثمنْ
وهذه أخرى علَيها قد تقادَمَ الزمنْ

وصيغةُ العجوزِ والحلىُّ
أين تُرى موضعُها الخفىُّ ؟
أسألُ « رضوانَ » فمالِى غيرُهُ من مُرْشدِ

« ينادى »

رِضوان ! . . .

رضوان : من ذاكَ يناديني ، أأنت سيدى ؟

العجيزى : رضوان أنتَ صادقٌ تعالَ «رضوان» اصعدِ!

« يحضر »

رضوانُ قل يا وَلَدِى أين مكان الصيغةِ ؟

فى أى موضع تُرى جواهرُ الميّتةِ ؟

رضوان : « مَصَاغُهَا » ياسيدى ليسَ هنا

العجيزى : أينَ إذَنْ ؟

رضوان : فى منزلِ الباشا « صفَرْ »

قد ذهب الأغا به فى عُلْبةِ

العجيزى : منذُ متَى ؟

رضوان : من نحو شهرٍ قد غَبَرْ

العجيزى : فى المرضِ الأخيرِ ؟

رضوان : فى أوّلهِ

العجيزى : وأين كنتَ ؟

رضوان : كنتُ فى بعضِ السفرْ

العجيزى : أمانَةً ثم تُرَدُّ

رضوان : سيّدى أعلم منّى بالدخائلِ الأخَرْ

العجيزى : وكنت أنت حاضراً ؟

رضوان : أجلْ حضرتُ يومَ ذاكَ ، وخدمْتُ من حَضَر

« صوت من الطبقة السفلى »

يا صاحبَ المنزلِ

العجيزى : مَنْ

الصوت : ثلاثةٌ محمدٌ وعامرٌ وأحمدُ

جئنا نراكَ ساعةً فقُلْ لنا

تنزلُ أم نحنُ إليكَ نصعَدُ

العجيزى : قد حللتم بداركمْ اصعدوا عِنْدِىَ اصعَدُوا

« لرضوان »

رضوان أجلسْهم هنا وحيِّهم حتى أجى

وجِئْهُمْ بقهوةٍ من عَزَبانَ «القهْوَجى»

« الثلاثة يصعدون »

رضوان : تفضلُوا ياسادَتى الآن يأتى سيِّدى

« ويخرج »

محمد : ثروة ضخمة

أحمد : وخَيْرٌ كثيرٌ

محمد : كلُّ هذا إلى العجيزىِّ آلاَ

أصبحَ الكلبُ بعد أن كانَ يمشى

ينفض الجيب أكثرَ الناسِ مالاَ

أحمد : و « المصاغُ » « المصاغُ » بالروح أفديه
فماذا من لؤلؤ وزبرجدْ !؟.

محمد : وهل نسيتَ يا أخى خاتمها الزمُرُّدَا ؟!
فهم يقولون يساوى مائةً وأزْيَدَا !

أحمد : قد ارتدَى المغفلُ الحريرَا
محمد : واتخذ الشاهِىَّ والكشميرَا
أحمد : إذا مشى حسبته أمِيرَا
وحذاؤه ، أرأيته ؟
محمد : لا ، كيف ، كيف حذاؤهُ !
أحمد : تسبيك رقته ويأخذ ناظريك بهاؤهُ ! . . .
والحزام الحزام ، رقعة كشميرٍ تمنيت أن أكفَّن فيها
وكم وكم من قيِّمٍ قد اقتنى بعد السَّعهْ
ذاكَ الحمارُ تحتُ مثلُ الشمعة الملمَّعهْ

محمد : لا يا أخى الحمار شىءٌ من شهور أربعهْ
قد اشتريتُه له وكنتُ فى السوق معهْ
إن زاد شىء فاللجامُ أو يكون « البردعهْ »

أحمد : الطين يا عامرهُ الطين عجبْ !...
الطين أبعاديَّة من الذهبْ

والبيت ياسيدى محمدْ البيت فخم البِناَ مُشَيَّدْ

محمد : كم ياتُرى الأرض والمبانى ؟

أحمد : ألف ذراعٍ وقيل أزيدْ ! . . .

محمد . عامرُ لِمْ سكتَّ لِمْ وما ابتلاك بالبَـكَمْ ؟!

عامر : صهْ فى غدٍ أستأجرُ الطينَ

محمد : وكيف وبِـكَم ؟

عامر : ذاك فنّى

أحمد : مذ كان يُستأجَر الطين

عامر : أجل تلك صنعتى يا عزيزى

فى غد تـكتب الشروط وأمضى

نحو « بنها » أحتلُّ طينَ « العجيزى »

محمد : ما كالعجيزى رجلٌ يَدْرى اغْتنامَ الفرصِ

إنّ « هدى » دجاجةٌ باضت لهُ فى القفصِ

أحمد : وقد رأيتَ كيف كان دفنُها

قد دُفنت مثل فقيراتِ النِّسَا

عامر : لا ياأخى ظلمته إن الذى قام على المأتم والدفن الأغَا

جاء من الباشا ومن زوجته

أخرجها « خرجة » عزٍّ وغنى

« يدخل العجيزى فيقول : »

العجيزى : يا مرحبا بالأحباب يا مرحباً بالصِّحاب
: كذا أُنْسَى، كذاأُجفَى كذا عنّىَ لا يُسأَلْ ؟

محمد : بنـا شـوق ولـكنّا نرى المشغول لا يُشْغَلْ

أحمد : ياعجـيزىُّ عـزاءً مَرَّةً أخرى عزاء
أنتَ قد أحسنتَ واللهِ وأظهرتَ الوفاء
مثل ما قد دُفنت ما دَفَن القومُ النِّساء

محمد : وما الذى أنفقتَ ؟

العجيزى : خمّنْ، قلْ على التَوَهُّمِ ؟

محمد : أمِائَةً ؟

العجيزى : فى الدفن ثم مثلَها فى المأتَمِ

« زائر ينادى من تحت »

يا صاحبَ البيتِ !...

العجيزى : « لنفسه » قد صار لي بيتُ

الزائر : يبقى لنـا الحيُّ ويُرحَمُ الميْتُ

العجيزى : « لنفسه »
: يرحمكِ اللهُ هدى خيرُكِ هـذا عَمَّني

الزائر : تَهانِئي يا عجيزى لقد وَرِثْتَ جَليلا
تَهانئي يا صـديقى قد نِلْتَ خيراً جزيلا

العجيزى : مَنْ ؟

الزائر : « مصطفى النّشَاشِقى »

العجيزى : أجئتَني بعُلبَتى ؟

الزائر : أجل ! ...

العجيزى : تعالَ اصعَدْ بِهَا إصعَدْ ، معِى أحبّتِي

الزائر : معى الفقيهُ الحلبى

العجيزى : يا مَرحباً بهِ ، اصعَدَا

« للحاضرين »

ذاكَ فقيهٌ من سبيل دينه عَلَى هــــــدى

أتعرفون الشّيخ ؟

أحمد : قل عامرْ

عامر : سَلْ مُحمدًا

محمد : فى « الزينبىّ » قد سمعناهُ يرُجُّ المسْجـــــدا

ذاكَ الفقيهُ ليس بعدَه أحَدْ لـكـنه عندى مُزوّرُ البَلَدْ

كم حلّ بالفتوَى و بالفَتوَى عقَدْ

أحمد : ياحلبىّ أنتَ حبلُ المشنقه

كم لك فى الحارات من معلّقهْ

لم يخل بيت لك من مطلّقهْ

« يدخل النشاشقى والشيخ »

العجيزى : هذا هوَ الشيخُ أتى يا مرحباً يا مرحباَ

« للحاضرين »

استقبلوه وقِفُوا بين يديْهِ أدَبَاً

« لرضوان »

البنُّ يا رضوانُ

الشيخ الحلبى : لا .. شيئاً من الـكراوِيَهْ

العجيزى : اذهبْ جِئْ الشيخَ بهـا عاطرةً وصافيَهْ

النشاشقى : « همساً فى أذن العجيزى ، ويناوله العلبة : »

هذا النَّشوقُ من نَشوق المُفتِي

يليقُ للوَارث زوجِ السِّتِّ

آخر : « ينادى من تحت »

صاحبَ البيتِ

العجيزى : سيدِى

الزائر : عِمْ صبَاحاً أنا عبدُ اللطيف شيخُ الحاره

العجيزى : مرحبًا مرحبًا تعالَ تفضّلْ

« للحاضرين »

رجلٌ لا يرَى ثيَابَ الجارَه

الشيخ : « عند وصوله »

ولـكن أنا ماقدْرِى ؟ وهـذَا مجلسٌ عالِ

العجيزى : « همسا »
تعالَ ، ما يقولُون ؟

الشيخ : صنوفَ القِيلِ والقَالِ

يعزُّونكَ بالمَيْتِ يهنّـونكَ بالمَـالِ

« وهو ينظر إلى جوانب البيت »

تعالَى اللهُ ماأبْهى ! ... تعالى اللهُ ماأوسعْ !...

مكان الأنسِ والبَسْطِ و بيْتُ النسوةِ الأربعْ

يرحمُهـا اللهُ لقـد كانت ملاكا محسناَ
ولم تقابلْ رجلاً فى بيتِها إلّا أَنَا

فَـكَمْ طعِمتُ وشربتُ وكُسِيتُ هـــهنا

البيت لمـا اشترتْه كان أبى شيخَ حاره

ولم تزلْ كلّ عام تُجيل فيـه العماره

العجيزى : وأَنْتَ ؟ . .

الشيخ : كنت ابن خمسٍ فلست أذكرُ شيًّا
إلا ليالِيَ عُرْسٍ لعبتُ فيهـا صَبِيًّا
لم يدخلِ البيتَ زوجٌ وفارَقَ البيتَ حَيًّا

العجيزى : إذن فعمرُ البيت ستون سنَه

الشيخ : ومن يقولُ مائةً ماغَبَنهْ
فهم يقولون « الفرنسِى[1] » سكَنَهْ

العجيزى : إذن فلقِّبوه بالعتيقِ

أحد الحاضرين : والأرض والموقع يا صديقى ؟
آخر : البيت كله على الطريقِ

الشيخ : بل منزلٌ مباركٌ تسكنه فى عافيهْ
يكفيه ما حلَّ عليه من جلالِ الناحيهْ
فأنت بين الحنفىِّ[2] والبتول الزاكيهْ[3]

لاتنس مَن جارُكْ إنك جارُ (الحنفى)
الحاضرون : وكلنا خادمه وكلُّنا فى الكَنَفِ

آخر : « يزعق من السلم ويقول : »
ياعجيزى ياصديقى

العجيزى : « فى اضطراب لنفسه »
ذاك داودُ المغَنِّى
ربما خلَّط حتى
أضحك المجلس منى

(١) المراد بالفرنسى نابليون . (٢) السلطان الحنفى رضى الله عنه .
(٣) السيدة زينب رضى الله عنها .

داود : « من تحت »

أيها الوارث قل لى

أأعَزِّى أم أهَنِّى ؟

العجيزى : « للحاضرين »

ذاكَ داودُ المغنِّى

قد أتى يسألُ عنِّى

داود : لقد أتيتُ ومعى حميدهْ لكى أريها دارَك الجديده

العجيزى : « لنفسه »

الويلُ لى الويلُ لى حميدةٌ فى منزلى

كيف أوارِى خَجَلى ؟ !

العجيزى : « للحاضرين »

أتسمعون ؟ معه زوجتُه

أحد الحاضرين : ومـا لداودٍ وللتـفرجِ

آخر : أصعِدْه ، دعه ياعجيزىُّ يجى

العجيزى : لا ومقام (الحنفىّ) ان يجى

آخر : قاتلَه لاتُضيع عليه سعيَه ليس على أمثالِه من حَرَج

العجيزى : لا، ان يطا لى عَتَبَهْ سوف أريه أدبَهْ

« وينزل فيصرف « داود » ويعود »

زائر آخر : « يصيح من تحت »

الزائر : سيدى ! سيدى ! . . . أأنتَ هنا ؟

العجيزى : مَنْ ؟

الزائر : أنا سلمانُ ياعجيزى أأصْغَدْ ؟

العجيزى : « لنفسه »

ذاكَ سـلمانُ جاء يطلبُ بالدينِ

وقد جُن أمسِ حتى تهدَّدْ

أحد الحاضرين : سلمانُ مَنْ ؟

مصطفى : تجهــلُه ؟ ذاكَ مُرابى الناحيهْ

استرجَعَ الخمسينَ منى بعد شهرَيْن مِيَهْ

محمد : مُسْلمٌ ؟

مصطفى : وابنُ مسلمٍ ولَه جَــدٌّ بقلب الصعيد شيخٌ ولىٌّ

لم يدَع لليهودِ فى « الخط » رزقا

ليس فى « الخط » غيره رِبَوِىٌّ

يا يهودَ الأرضِ قد أصبحَ يشقى العالَمون

من بنى الإسلامِ سلمانٌ ومنـكم « سالمون »

محمد : « همسا » ومالَه والعجيزى وما الذى جاء يصنعْ ؟

أحمد : أليست الزوجُ ماتتْ فالوارث اليوم يدفعْ

العجيزى : سلمانُ يا إخوانُ لمْ يأتِ لديْن أو سندْ

عامر : وما يضر الدَّيْنُ لم يخلُ من الدينِ أحدْ

العجيزى : لا ، بل علاقتى به علاقةٌ من البــلَدْ
آباؤه كانوا وآبائى شيــوخاً وعُمَــدْ

محمد : نادِ إذنْ يصعدْ فلا بأس فى مجيئه

العجيزى : سلمانُ سلمانُ
تعال سلْمانُ فما ههنا إلا أحباء وإخوانُ

« يدخل سلمان ويقول للعجيزى »

سلمان : قيل لى عنك مطلَقُ البطْن شاكٍ
كيف ياسيدى العجيزىُّ حالُكْ ؟

العجيزى : أحمدُ الله قد تعافَيتُ فاجلس
«همسا»
لا تخَفْ ، فى غدٍ يوافيك مالُكْ

سلمان : أمامَكَ شهران حتى تفيقَ
وتهدا فلِمْ لاتمدُّ الأجلْ ؟ ! . .
وتدفعُ خمسين فوقَ الحساب
إذا الإرثُ من كل وجه كَمَل ؟!.
دواتى علىَّ وفيها اليراعُ وأنتَ بخير وهذا السنَدْ
فخذ فضع اسْمَكَ

العجيزى : سِرْ فى الرواقِ لا يطلعُنَّ علينا أحد

« ينصرفان »

محمد : قد دخَلا فى الرِّواق سِرًّا وفاز بالوارثِ المُرَابى

أحمد : و بين هذا وذا حسابٌ ويعلم الله بالحسّابِ

« يعودان »

سلمان : « همسا لمصطفى »

يامصطفى يانشوقى

لَبَّيْكَ سلمانُ أهلا

سلمان : لى كِلْمَةٌ فادْنُ منى لا تنسَ، دينُكَ حَلاّ

العجيزى : ماذا يقول المرابى ؟ وما أسرَّ إليكا ؟

مصطفى : يريد منى نَشوقاً مما رَأى فى يَدَيْكا

الحلبى : الحق أنه نَشُوقٌ طيبٌ

مصطفى : وفيهِ يا فقيهُ عرقُ العنبرِ
الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والمفتى وشيخُ الأزهرِ
وسيدات « الخط » من حين إلى
آخر يبعثن الأغا فيشترى

عامر : « فى سخرية »
السيدات ؟ أأنثى
على النَّشوق تطوفُ ؟

مصطفى : لِمْ لا ؟ أما هُنَّ خلقٌ أما لهُنَّ أنوفُ ؟

لا تنس يا عامر ! . . .

عامر : ماذا مصطفى ؟

مصطفى : لا تنس ياأخي أعزّ الناسِ
أمُّك كانت من غَرامها به تأخذُه مِنّيَ بالأكياسِ

عامر : أمي أنا يا رجلاً لا يستحي نشاشِقيٌّ يذكر الخدَّره

« يتناول كل من مصطفى وعامر عصاه »

مصطفى : وأي عارٍ بالنشوق إنما
العارُ كل العار شغْل السمسره

شيخ الحارة : خذوا العَصا من « عامر » و« مصطفى »
إني أخافُ أن تكون « مجزَرَه »

عامر : دعوةٌ لي لابد من تحطيمه

مصطفى : خلوه لي لابد أن أُكَسِّرَه

العجيزي : وحرمة الميْتةِ تنسيانها وحق بيتي لاتراعِيانِهْ
غدا يقال عنكما قد سخرا من العجيزيّ ومن ضيفانِهْ

مصطفى : تلك العصا طرحتها ياسيدي حُبًّا بِكَا

عامر : وأنا أيضا قد رميت بالعصا لأجلكا

« صوت من الخارج: »

دستوركم يا أهلَ هذا المنزل

العجيزى : مَن ؟ . .

الصوت . الأغا ! . .

العجيزى : ألماز أغا ؟ .. تفضَّلِ

الأغا : « يدخل باكيا مولولا ... ويقول : »

آهِ على صديقتى آهِ عليكِ يا «هدى»
قد خُرِّب البيتُ فليتَ لك عينا فترى !
أين جَبينٌ كان كالـــــبدر سناءً وسَنا ؟
وأين « أهلاً » كلّما جئت وأين «مرحَبا» ؟
وأين ما قد كان لِى عندكِ من طيب اللّقا ؟
وأين صوتٌ كان كالسحرِ ينادِى يا أغا ! . .

العجيزى : ماذا دهاكَ سيدى هَوِّن عليكَ يا أغا ! . .

الأغا : «مستمرا» قد ذهب البيتُ ، لبيتِ الله وحدَه البقَا
قد ذهبَ المال ، فسبحانَ الذى له الغِنَى ! . .

العجيزى : أفِقْ تجلّدْ يا أخى ليسَ البُكا مِنَ التُّقى

الأغا : أبكيكِ يا هدى وإن لم يُرجِع الميْتَ البُكا
« ويقع مغمى عليه »

مصطفى : « للأغا»
جرِّب نَشوقَ مرةً خذ تجِدِ الحزنَ هدَا

العجيزى : رُشُّوهُ بالماء يُفــــق

« لرضوان » رِضوانُ هاتِ كوزَ ما

الأغا : « يرفع رأسه قليلا ويقول : »

وَلَيكُ عَـذْبًا بارِدًا إنى أحِسُّ بالظَّمَا
ليتكِ مامت وليتَ الميْــــتَ ياهُدى أنا ! ؟ !
هُدَى تعالىْ انظرِى البيتُ منكِ قد خلا

« للعجيزى : »

سيدى أصْغِ لى :

هدَى رحمة الله على روحِها وألفُ سَلامِ

يا أسفا على هدَى يا أســفاً يا أســفاً
مالى يخونُنِى فمِى ؟ مالى تخونُنِى القُوَى ؟

« ويتمايل الأغا ثم يسقط »

محمد : لقد رجعْنا فوقَعنا فى البــلاء والعَنا

العجيزى : « للأغا »

قم ياأخى انهَضْ قل تكلَّمْ هاتِ بيِّنْ ياأغـــا
ما نحن فى مأتمِها مأتمُها قد انقضى
وكل حىٍّ ميِّتٌ يوماً و إن طالَ المدَى

الأغا : تَركتْ عندَنا وَصاةً

العجيزى : وما ذا ؟

الأغا : كتبتُها قبل الزَّوَاجِ بعامِ
كتبتها وأشهدتُ مُفتِي القُطرِ عليها وقاضِيَ الإسْلامِ

قد تركتْ يرحمُها اللهُ امسكونى لا أقعْ ...
« ويتمايل كالنشوان »

العجيزى : قم خلفه يا مصطفى ! ...

مصطفى : دعْه لساعِدَىَّ دَعْ

الأغا : قد تَرَكَتْ فى عُلبة «مَصَاغها» عشرَ قطعْ
من جوهرٍ مُبرَّإٍ من الخُدُوشِ والبُقَعْ

العجيزى : لمن ؟ . .

الأغا : لعشرٍ من نساء الحارهْ من كل جارةٍ و بنتِ جاره

العجيزى : وعيَّنْتُهنَّ ؟

الأغا : أجل ، و بيَّنَتْ

العجيزى : يالىَ ، يالغبن والخسارة ! ...

يا أسف الدهرِ على جواهرى يا ندماً

مصطفى : مالك يا أخى ؟

العجيزى : أحسُّ أنَّ ظهرى انقسما
عوقبتِ يا هدى ولا أُخرجت من جهنَّما

« يغمى عليه »

محمد : لا. بأس لا بأس لا بأس إني أرى به إغماء

شيخ الحارة : رضوان طرْ جيء بكُوزٍ

الحلبي : صُبُّوا عليه الماء

العجيزي : « وهو يفيق »

والبيت يا أغا أجبْ البيت ما أصابَهُ ؟ . .

الأغا : وَقَفْته لبنت أول زوجٍ

الحلبي : إن هذا قضاه حقٌ قديمِ

العجيزي : أرى البغي والتعسّف حقّاً

يا كثيرَ التحليل والتحريم

قلبتني هدى على النار حيًّا

قلّب الله جسمها في الجحيم

« للأغا »

وأثاثُ البيت هذا ؟

الأغا : جاء أيضاً في الوصيّهْ !

أصبح البيت وما في البيت مِلكاً لبهيّه

العجيزي : إدم يا دهرُ بالمصائب إدم

ظلمتني هدى فما كان جُرمي ؟

شيخ الحارة : بقى الطين فانتظرْ رحمة الله
ولا يدخلنَّكَ اليأسُ منها
إنها خلَّفتْ ثلاثين فداناً بينها وأنت تعرف بنْها

الأغا : لا ، لا تصدق سيدى
فما درى ، ما عَرَفا

العجيزى : ماذا جرى إذنْ ؟ أينْ
الأغا : الطينُ أيضا أُوقفا
العجيزى : لمن ؟

الأغا : لبيتِ الله والروضةِ قبرِ المصطفى

العجيزى : ياربِّ بيتُك غنىٌّ وعن نصيبى غنىٌّ
وقل لقبرك يُرجعْ لى ثروتى يا نبىٌّ
الطين أيضاً قد مضى وكل شىء انقضى
يا لأعاجيب القضا

الحلبى : اصبرْ أخى ، تعزَّ ، ما هذا الجزعْ
هب أن ذلك الزواج ما وقعْ
ليس الحياةُ غير رِىٍّ وشِبعْ

العجيزى . « وهو يهجم عليه »

هبْ أن رأسك انفلقْ هب أن مخّك اندلقْ
حتى جرى على الزلق

سلمان : الطينُ أيضاً قد مضى ياويح لى ، ويحَ ليَهْ !..
ضاع علىَّ تعبى وضاعتْ التسميهْ !..

هــذا العجيزىُّ مزيج من غباءٍ ونكدْ
قد جاء مصر هارباً من الديون فى البلدْ
ومـاله من عمـل فيهـا ولا له أحــدْ
لكنْ عليه سند

النشاشقى : إذهبْ ، كل ، اشرب السند
الجميع : إذهبْ ، كل ، اشرب السَّندْ ! . . .

ستار الختام

البخيلة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٤

تمهيد

زمن الرواية	سنة ١٩٠٧
مكان الرواية	القاهرة

أشخاص الرواية

الست نظيفة	(البخيلة)
جمال	حفيدها
حُسْنى	خادمتها
عبد السلام	طبيب
رشاد	سمسار
عزيز	من أبناء الذوات

الفصل الأول

« قهوة « جميل » بميدان « لاظ أوغلى » . « جمال » و « رشاد »
« على مائدة يتحادثان ، وآخرون متفرقون . يدخل صبي القهوة »
« بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن . ويقول : »
« هنا سادة ، هنا القرفة ، هنا الشاى . ثم ينتقل إلى مائدة « جمال » »
« و « رشاد » ، ويقول : خشاف سيدى . والبازهيران؟ (١) »

جمال : البازهير لى أنا

رشاد : وشيشتى يا مصطفى

الصبي : طلبتها يا سيدى

[يمر بائع جرائد مناديا]

اللوا (٢)

---

(١) الليمون

(٢) جريدة « اللواء » التى أسسها الزعيم مصطفى كامل

رشاد : اللوا تعال يا ولد

البائع : إقروا حديث مصطفى[1] إقروا خروج المعتمد[2]

رشاد : كُورمر ؟ خروجه متى ؟

البائع : غدا أو بعد غد

رشاد : من قال ذاك ؟

البائع : [ويمشي]

مصطفى

رشاد : التفَّت الأفكار حول مصطفى كالقائد

جمال : وصارت الأخبار عند باعة الجرائد

رشاد : آمن مصر بمصطفى كفى تعششا كفى والعقلاء

جمال : كُلهمو

رشاد : والأذكياء

جمال : اشربهمو

(١) الزعيم مصطفى كامل

(٢) اللورد « كرومر » ، المعتمد البريطاني

رشاد : ما أنت ؟

جمال : لستُ منهمو

إنى أنـا مع البـــلدْ إن قام قمتُ أو قعَــدْ

لم يرنى فيـــه أحــدْ

[اثنان على مائدة يتحادثان عن جمال] :

الأول : تأمّل المُكثِرِ من إعجـابهِ بنفســه ينظــر فى ثيـابهِ

تلفُّتَ الطـاووسِ فى إهابهِ

الثانى : لله ما أظرفَ . يالهُ فـتى قد أبدع البارِى تعـالَى شكلَهُ

لو كان هذا ولدى وواحِدى خرجتُ قبل الموت من مالى لَهُ

الأول : من الفـــتى يا أخى ؟

الثانى : جمـال هــــذا الذى يخلف البخيـــلهْ

على الدكاكين والضِّـــياع والثروة الضـــخمة الجليـــلهْ

هــذا الذى يفترس الأكياسا ولا يرى الأحـــلام إلا ماسا

فإن صحـا شكا لك الإفلاســا

يأخذ من هذا وذاك بالرِّبا يُعطى نحاسًا ليردَّ ذهبـا

وقيــــل شىء فــوق ذا

الأول : وما يقولون ؟

الثانى : عَجَبْ

الأول : ماذا ؟

الثانى : بلاطُ بيتِها مركّبٌ على الذهبْ

الأول : وذلك الآخرُ من ؟

الثانى : ذاك من السماسرِ

يبيع كل عامر يصيبه وغامرِ
وكم وكم زوّج أو طلّق من حرائرِ
تلقاه فى كل طريق كالغبارِ السائرِ
من قهوةٍ لبيرةٍ لمنتدًى لسامرِ
ويدفع الشباب فى الوُحولِ والمخاطرِ
من يسدىْ مسالفٍ الى يدىْ مُقامِرِ
ومن سموم حانة الى لُعاب عاهرِ

لا يُبغِضُ اللهُ ولا رسوله
من العبادِ كالمرابين فئهْ

الأول : أىّ رباً يشـــترطون يا تُرى ؟

الثانى : عشرون أو ما فوق ذاك فى المائةْ

أنظر إلى السمسار يسحر الفـــتى

وانظر إلى الغلام كيف استحسنهْ

عنـــدىَ ألفٌ ما ملكتُ غيرها

مَن لى بهـا ألفين إن فاتت سـنةْ ؟

الأول : عندك ألفٌ أنت ؟

الثانى : ألفٌ ذهبا

الأول : تريـــد تعطيهـا بفـاحش الربا ؟

إذن لقـــد كنت تُرائى يا أخى

ولم تكن تقَـــواكَ إلا كَذِبا

[جمال يرفع صوته] :

باللهِ مِن ذا الحـــديثِ دَعْنـا

وانظـــرْ معى هـذه الكُرُنْبَــةْ

[ينظر إلى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم] ويقول :

ومن يكون الوجيه ؟

رشاد : هــذا مقــاول يُكبرون كَسبَه

وكلّ يومٍ عليـه نعـلٌ وكل يوم عليـه جُبّـهْ

تراكم المـال فى يديه من حبةٍ أمسِ صار قُبّـهْ

جمال : وما فتنَ الحظّ بالكركدنٌ وما أعجب المـالَ من سِحنتِهْ ؟

رشاد : ومن عجبٍ بعد هذا المشيبِ

بَنَى باثنتــين على زوجتِــهْ

ورام الزواجَ ببنت النقيبِ ؟

فما قبِـلوه عـلى ثروتِه

جمال : وماتلك ؟ من هى بنت النقيب ؟

رشاد : فتـاةٌ هى البـدرُ فى ليلتِـهْ

جمال : وما بيتُهـا ؟

رشاد : قصرُ آبائها

طويلُ العمادِ عريضُ الغرَف

جمال : وما مالُهـا ؟

رشاد : القصرُ عنوانُه

أليس القصورُ رموزَ الترَف ؟

جمال : وما سمعةُ البيتِ ؟

رشاد : ماذا تقولُ ؟

أما فى قديم البيوتِ الشرفْ ؟

جمال : وَلِمْ أَبَتَ الشيخَ وهو الغنىُّ

رشاد : وهل كل مافى الزواج المهورْ ؟

وهل يملأ التيسُ عينَ المهاةِ

وهل تحمل الكركدنُّ القصورْ ؟

جمال : رشاد أَهْىَ حلوةٌ ؟

رشاد : وذات قصرٍ ، وكَفَى

جمال ، ما ضرَّ لو أَنِّىَ صا هرتُ الغنى والشرفا ؟

أتعرف البنتَ يا رشادُ

رشاد : وأعرف الأمَّ يا جمالُ

جمال : كيف ومن أين ؟

رشاد : لى ببيتِ النقيب من نشأتى اتصالُ

أُمِّىَ كانت إليه تغدو

إذ أنا طفلٌ . ولا تزالُ

جمال : ماذا ترى رشادُ إن طلبتُها ؟

ترى تردُّنى إذا خطبتُها ؟

رشاد : أَصْغِ لى . أنت مثل ما تتمنى

«زينبٌ» تجمع الغنى والجمالا

جمال : الغنى يا رشاد ؟ إنك تهذى

رشاد : أنا أهذى ؟

جمال : أجلْ . وتخلِطُ

رشاد : لا . لا

أنت فوق النقيب دخلًا ورَيْعًا

بعد حينٍ وأنت أكثرُ مالا

جِدَّةٌ تجعل الحديد على الما

لِ وتحمى الأبوابَ والأقفالا

جمال : لكنها يا صديق أشدُّ منى ومنكا

رشاد : صبرا قعمّا قليل سيُفرِج الله عنكا

جمال : وجمالى ؟

رشاد : [ويخرج مرآة]

أفي جمالك شكٌّ ؟

خذْ تأملْ . أنظرهُ في مرآتي

سوف تَسبي فؤاد زَينبَ

جمال : من « زيـــــنبُ » ؟

رشاد : هذا يا صاحبي اسمُ الفتاةِ

جمال : رشاد ، اسمع . عقدتُ العزمَ فاذهبْ

وأمَّكَ فاخطبـا لي اليومَ زينبْ

رشاد : إذن أعطـــني ليرة من حِسابي

وبعـــد غـــدٍ نلتقي ها هنـا

جمال : [يناوله الليرة] :

قبلتُ خـــذْ

رشاد : [بعد أن ينظر أمامه] :

إنتظر يا جمالُ بربِّكَ فالحـظُّ قـد أحســـنا

فهـذا أخـو زينبٍ مقبلًا

فسِر حيث شئتَ ، ودعني أنا

[يجلس عزيز فيتقدم إليه رشاد]

رشاد : عزيزُ ؟ مَنْ ؟ أهلاً أخى منذ شهورٍ لم أرَكْ

عزيز : رشادُ أنت ها هنا ؟

مَن ذا الذى كان معَكْ ؟

رشاد : أنظر إلى ثيابِهِ ولونِها كيف اتّحَدْ

أنظر إلى حذائه من النظافة اتّقَدْ

والبنطلون مُسْتَوٍ لم ينكسِرْ ، لم ينعقِدْ .

أعِرْنِىَ السمعَ أعِرْ عندى لكم شىءٌ يَسُرْ

عزيز : ما ذاك ؟ هاتِ . ما الخبرْ ؟

رشاد : هذا جمالٌ وحيدُ جَدَّهْ

بخيلةٍ يا عزيزُ ، جِلْدَهْ

عزيز : وعمرُها يا رشادُ ؟

رشاد : يربو على الثمانينَ

عزيز : تلك مُدَّهْ

والمالُ ؟

رشاد : ما شئتَ من فدادينِ
ومن بيوتٍ ومن دكاكينِ
والذهبُ الصَّبُّ كلَّ ناحيـةٍ
فى البيت ، مِن مُخبَّـأ ومدفونِ

عزيز : والآن ماذا تبتـغى ؟
رشاد : أُريـدُهُ لزينبـا
عزيز : وكيف ؟ هل يقبلُها ؟
رشاد : كلَّمتُـهُ فـا أَبَى
فامض إلى أمِّـكَ يا عزيزُ بلِّغها النَّبـا
لقـد وصـفتُ القصرَ لِـأبيهِ وصـفًا عجَبَـا
ولم أزلْ أطـرى له الــجَدَّ وأمـدحُ الأَبا
وأَنعتُ المجدَ القـديـمَ وأحـلَّ النَّسـبا
وقلتُ عن أُمِّـكَ خيْــرًا وامتدحتُ زينبـا
عزيز : وقـد نسـيتَنِي أنا ؟
رشاد : لا . بل أَطَلتُ الكَذِبا

عزيز : وما الذى قلتَ عـنِّى ؟

رشاد : قُلت : فتًى ما أفاقا

بالليلِ يَغشَى الملاهي وبالنهارِ السِّباقا

تسألني عزيزُ رأيي

عزيز : لِمَ لا ؟ ألستَ منذُ زمنِ المهدِ أخا ؟

رشاد : أنتم عزيزُ يا أخى في أزمةٍ ولا يفُكُّ ضيقَكُمْ إلا الغِنى

المالُ فيه وحدَهُ خلاصُكم لا بدَّ منه اليومَ أو لا فغدا

عزيز : أجلْ ، بغيرِ المالِ لا عَيْشَ لنا وكيف ؟ من أين يجيءُ ؟ أفْتِنَا

رشاد : مما نخوض فيه منذ ساعةٍ مِنَ الفتى ، من موتِ جَدَّةِ الفتى

عزيز : وما الذى نصنع كى نصيدَهُ ؟ لا بد من مَصيدَةٍ

رشاد : تلك أنا

اسمعْ أخى عزيزُ أنتم أسرةٌ لم يبقَ من وجودِها إلا شفا

قصرُكمو من قِدَمٍ مُهدَّمُ
قد خاطَ فيه العنكبوتُ وبَنَى
سكنتموه ها هنا وهاهنا
كالبوم . . كل بومتَيْنِ فى فَضَا
ملأتموه خدمًا أشداقُهم
دائرةٌ على الرغيف كالرَّحَا
أنظر إلى القصور كيف أصبحتْ
لم يبقَ من مقدَّمٍ ولا أغا
احتجب القوم وراء ظلها
لا يُسألُ البوابُ إلا قال : لا

عزيز : كفى رشادُ صفقةً لبؤسنا . كفى . كفى
ولا تعذِّبْ مهجتى ولا تهِجْ لِيَ البكا
وامضِ اجتهدْ رشاد فى تزويج أختى بالفتى
إذا كان لها أهلا

رشاد : ولِمْ لا يا أخى ؟ لِمْ لا ؟
فتًى لم يحْكِه الشبا نُ هندامًا ولا شكلا
ولم يُنكِرْ له الإخوا نُ لا ظَرْفًا ولا عقلا

ومن بيتٍ يرى الناس عليه الخيرَ والنبلا
أبوه كان إنسانا

عزيز : وهذا كله فضلا
عما وراء جدَّتِهْ

رشاد : وعن عظيمِ ثروتِهْ
يا ليتني في حالتهْ

اسمع عزيزُ يا أخي أنا وأنت لا نَرِثْ

أُمْلُطْ يارب كما خلقتني راضٍ على قلَّةِ ما رزقتني

عزيز : دعنا من الهزل . هلا أخذت في الجدِّ ساعهْ ؟
رشادُ أنت صديق ماذا ترى في البضاعهْ ؟

ادخلْ بنا في الجدِّ يارشاد متى تراه ؟

رشاد : في غدٍ أراه

عزيز : لم تقل لي عن الفتى ، ما أبوه ؟

رشاد : كان فخر الرجال .. كان مديرا

[ثم لنفسه]

كان والله يسكَعُ الصبح والليل إلى كل حانةٍ سكيرا

عزيز : والفتى . كيف شغلُهُ ؟

رشاد : في الدواوين

عزيز : إذنْ قد نراه يومًا وزيرا

رشاد : لِـمَ لا ؟

[ثم لنفسه]

قلتُها ومن أين أدرى ؟ ربما صار حاجباً أو خفيرا

[ثم لعزيز]

لا تسلْني ما أبوه يا أخى أو مَن الأمُّ وسَلْ ما جدَّتُهْ

لا ولا ماشغله ؟ ماجاهه ؟ في الدواوين ولا ما رتبتُـهْ

لجمالٌ في غـدٍ أو بعـدَه بوزيرين تساوى ثروتُهْ

[بعد لحظة]

وَلِـمْ لا وجدَّتُهُ نملةٌ

إذا وقفتْ او مشتْ حصَّلَتْ

وتُدخل في بيتها ما تُصيبُ

ولا يُخرج الدهرُ ما أدخلَتْ

لو انقلبتْ من جميع الجهات

على القشّ في فمها ما انفلَتْ

ترى المال في بيتها في اللحاف

وتحت البلاط وحشو الشَّلَتْ

عزيز : عجبتُ . يأتي البخيلَ المالُ وهو يرى

أنَّ البخيلَ إليه غيرُ محتاجِ

وقلَّ ما جاء حرًّا ماجدًا ومشى

إلى الكريمِ الكثيرِ الهمِّ والحاجِ

آهِ ما أكثرَ حاجي مَن بحاجاتي أناجي ؟

أزمةٌ دُرتُ فلم أَلْقَ لها وجهَ انفراجِ

رشاد : عزيزُ أنت مفلسٌ

عزيز : ما شئتَ في ذاك فقُلْ

رشاد : على البلاطِ يا عزيزُ كلُّنا ذاك الرجلْ

عزيز : إذن بمالُ صفقةٌ رابحةٌ لنا كلينا

رشاد : قد فهمتَ مأربي

ولستُ أنسى فضلكم عندي ولا

ما طوَّقتْ أمُّك أمي وأبي

عزيز : إذهبْ إذنْ رشادُ فاخطبْهُ

رشاد : لمن ؟

عزيز : لى ، ولزينب ، وأمِّ زينب

رشاد : للأُمِّ والإبنِ وللبنتِ ؟

أجل

عزيز : وكلِّ مَن مَتَّ لنا بالنسب

رشاد : أصبتَ يا عزيزُ أنتَ فَطِنٌ

عزيز : لا ، بل هو البؤسُ يفطِّن الغَبي

رشاد : وَرُكوبى يا صـــديق وذَهابى وإيابى ؟

عزيز : إمض أنفقْ ما تشا واصـــبِرْ إلى يومِ الحساب

أنا لو بيــع بفلـس لم يجــد سوقًا جرابى

كلانا رشادُ على زورقٍ كسيرٍ وموجٍ عنيفٍ شقى

فإن ننجُ ننجُ بخيرِ المتاع وإلا غرقنا مع الزورقِ

* * *

« ثلاثه آخرون جلوس على مائدة بالقهوة . »

« أحدهم يقرأ جريدة ، والآخران يتحادثان »

الأول : مَن ذلك المُطِلُّ من لحيتِهِ

كالبغل من وراء بِخلاةٍ رنا

الثانى : تسألُ عن ذاك الذى انحنَى على

صحيفةٍ يَقْرا وولَّانا القَفا ؟

الأول : أجل، أجل هذا القفا

الثاني : هذا هو الدكتور

الأول : منَ ؟

الثاني : عبدُالسلام مُرتضَى

يقرأ ما صادف من جريدة

من سطرها الأول حتى المُنتَهى

وتستوى صُحُفُ الصباح عنده

وصُحُفٌ ظهرنْ من عامٍ مضى

تذاكرُ الدفنِ التي يكتبها

في الشهر أضعافُ تذاكرِ الدوا

وعيبه البخلُ

الأول : فيه بخلٌ ؟

الثاني : أبخلُ من جارتي نظيفة

الأول : من يا أخي هذه ؟

الثاني : عجوزٌ في (الخط) من أسرة شريفة

ليس لها في الحياة إلا عبادةُ المالِ من وظيفة

حتى لقــد صارت حديثَ الحــارهْ

وضحكَ الجــارِ ومُخْـزَ الجــارهْ

كلهمــو يحسدها بمــالها ويتمــنى حاله كحــالها

وهكذا الأنفس فى ضلالهــا

الأول : ما غِنــاها يا أخى ؟

الثــانى : أكـــثرُ هــذا الحُطِّ مالا

الأول : ومن الوارث إن ماتت

الثــانى : فــتًى يُــدعَى جمــالا

الأول : وذلك الدكتورُ ؟

الثــانى : هذا « مادرٌ »(١)

الجــوعُ يا أخى ولا الأكلُ معَــهْ

لقــد دعانى للغَــداء مرّةْ

فقدَّم البيضــة بين أربعَــهْ

وجىء بالشواءِ

(١) أبخل العرب ، ويضرب به المثل فى البخل .

الأول : قُلْ ماذا جرى ؟

الثاني : أومَا إلى خادمه أن يرفعَهْ

رأى فيه عيبًا وإن لم نجدْ
على الجسم عيبًا سوى قلّتِهْ

فقد كان أنضجَ لحمٍ رأيتُ
وقد كان كالمسكِ فى نكهتِهْ

ومن بخلِهِ تُفتحُ القهواتُ
وتُغلقُ ، وهو على « شيشتِهْ »

يُقضّى بها طَرَفَيْ يومه
ويُمضى بها طرفَيْ ليلتِهْ

الأول : ومرضاهُ ؟

الثاني : يلقاهمو فى الطريق حينًا ، وحينًا على قهوتِهْ

[غلام يدخل القهوة صائحًا]

الغلام : أين هو الدكتور ؟

أحدهما : ذاك

الغلام [للدكتور] : سيِّدى أخى سَقَطْ
تحت الترام

الدكتور : فليكن أو تحت وابور الزلط
فما الذى أصابه ؟

الفلاح : إنفلق الرأس

الدكتور : فقط ؟
هيا ولو أنى ما عالجت فى الشارع قط

الفلاح : الله فى عون الجريح منك جراح القطط

« ستار »

الفصل الثانى

[فى منزل السيدة نظيفة]

« حجرة بها دكة عليها شلتة ومخدات ثلاث — السيدة »
« نظيفة تلبس جلابية من الشاش الأبيض ، ومتعصبة »
« بمنديل ، وفى رجلها القبقاب »

نظيفة : [تتكلم وحدها فى الحجرة] :

منزلى حولى نظيفٌ　　وأنا الست نظيفةْ
وبلاطى ذاك أنق　　بكثير من صحيفةْ
كل ما كلّفنى ما　　ء وصابون وليفةْ
لا بساطٌ لا كليمٌ　　لا حريرٌ لا قطيفةْ
غير هذى الخشبات الـ　　ـخيزُرانات الخفيفةْ

ليس بيتى كبيوت الناس أحمالاً كثيفة
أنا بيتى فى الهواء الطَّلقِ والشمس اللطيفة

ودكتى تلك أغلى لدىَّ من ألف صفَّة
كم مال زوجى عليها وكان يقطر خفَّة
جلستُ فيها عروسا واليوم إذ أنا قُفَّة

[بعد أن ترى « حسنى » الخادمة داخلة عليها وبيدها شىء]

تعالَىْ يا ابنتى جيئى بماذا جئتِنى « حُسنى » ؟
حسنى : لقد جئتُ بفنجان
نظيفة : خُذيه جرِّبى البُنّا
وهذا شُبُكى هاتِى (١)
حسنى : أجل بالعود قد جِيتُ (٢)
وفى الكيس مع الدخا نِ زَندانِ وكبريتُ (٣)
نظيفة : سلمتْ حسنى يداك

---

(١) أداة التدخين .
(٢) عود البخور .
(٣) مثنى « زند » ، وهو ما تقدح به النار .

حسني : أنا مولاتي فداك

والآن هل آخذ خَرْجَ النهار (١)

نفليفة : إمضِ خذيه إنه في (الكرار)

حسني : هيَّأتِهِ سيدتي ؟

نفليفة : أجل

حسني : وما أخرجتِ لي ؟

نفليفة : رأسٌ من الثوم وخمسٌ من صغار البصلِ

حسني : والسمن مولاتي تُرى ؟

نفليفة : كالأمس . لم أقلِّلِ

أوقيَّةٌ

حسني : والأرز ؟

نفليفة : لا لا يدخلنَّ منزلي

لقد غلا سعرًا ولا يُعجبني السعرُ الغَلِي

حسني : ليتك بالزيت اقتصرتِ والدقيق والعسلْ

نفليفة : ولِمَ ياحسنيّ أرا كِ اليومَ هادكَ الخَبَلْ ؟

(١) ما تخرجه « نفليفة » مادة من مواد لإعداد الطعام .

نسيتِ أنَّ هاهنا وتحت هـذى الكنبـة
العشراتِ من قديـم الكعـك والقُرَيِّبـة ؟
حسنى : لَمْ أَنْسَ يا سيدتى
نظيفة : أنت إذنْ مخـرِّبة
حسنى : قـد اشتهيتُ لُقمـةَ الـقاضى
نظيفة : اشتهتـك عقـربة ؟

وما الذى اشتريت يا «حسنى» لنا من الخضرْ ؟
حسنى : «الباميا» كأنها الـزُّ مرُّدُ الخامُ الحجَـرْ
نظيفة : «الباميا» ؟ منـذ متى هـذا الخضارُ قـد ظهرْ ؟
حسنى : جـديدة .. قلت عسى سـيدتى بها تُسَـرّ
نادَى المنـادونَ عليـها منذ أسبوعٍ عَبَرْ
ترفـلُ فى شـوكتِها وفى شبابها النَّضِـرْ
نظيفة : أجـل لقـد أكلتُها فى منزل الشيخ «عمرْ»
كالذهب الإبريزِ والـثـومُ عليها كالدررْ
حسنى : واليـومَ تأكلينها
نظيفة : أمرّ من طعم الصَّبِرْ
اشـتُرِيَتْ غاليـةً مثـلَ البواكيرِ الأُخَرْ

حسنى : هدية تلك

نظيفة : ومِمَّنْ ؟

حسنى : مِن قريبٍ لى حضَرْ

نظيفة : من أين جاء ؟ ومتى ؟

حسنى : من الصعيد قد بَكَرْ

نظيفة : وبِمَ تُرى جَزَيْتِه ؟ بقُبلةٍ مستعجلهْ ؟
امضى فتاتى واطبخى « دقيَّة » مكمَّلَهْ
كأنها خليَّةٌ من عسلٍ محمَّلَهْ
والثوم فيها لؤلؤٌ وهى به مكلَّلَهْ
والعظم ..

حسنى : واللحم ..

نظيفة : احذَرى يُتعبنى أن آكُلَهْ

حسنى : اللحم يا سيدتى فى « الباميا » ما أسهلَهْ

نظيفة : « حسنى » انظرى

حسنى : سيدتى

نظيفة : على البلاط وَسَخْ

حسنى : الآن أغسل البـــلا ط ثم أَمضى أطبـــخُ

[تنسل السيدة إلى حجرتها . . يدخل جمال]

جمال : حُســـنى

حسنى : جمـالُ سـيدى ؟

جمال : أنتِ هنـا ؟

حسنى : أنـــتَ هنـــا ؟

جمال : ما تصـــنعين ؟

حسنى : صنعتى الـــيومَ وصـــنعتى غـــدا

على البـــلاط أنحـــنى أغســـله كما تـــرى

جمال : يـارب لِمْ خلقتَ للـــعذابِ هـــذه اليـــدا ؟

حسنى : لا . . لا عذابَ سيدى إنى أحب العمـــلا

جمال : وأين جـــدتى فـإ نّـــى لا أراها ها هنـا

حسنى : أظنهـا مضـــتْ تصـــلّـــى فى الخـــزانةِ الضحى

جمال : لله أو للـال يـا حُسنَى تُرى ؟

حسنى : كما تَشا

مالى وما تعمـــلُهُ ؟ لكلّ عبـــد ما نوَى ؟

جمال : [لنفسه وقد رأى كيسا على الدكة] :

ما ذاك تحتيَ ... كيسٌ ؟ بُشراىَ ، هذا جِرابُ
أعامرٌ ليت شعرى جرابُها أم خرابُ ؟

كيسٌ ؟ أجل كيسٌ وحُسنَى لا ترى ... لا تسمعُ

[ثم يقبله] :

كيس وفيه ذهبٌ آخُذُهُ أم أَدَعُ ؟

[يتركه مترددا]

لا ... لا ... ألصٌّ أنا ؟ لا ليت يدى تنقطعُ

[يتناوله] :

لننظرْ ما حوى الكيسُ

[يفتحه ويعد ما فيه]

جنيهان . . . ريالانِ
وهذا فصٌّ ياقوتٍ وذى سُبحةُ مَرجانِ

[يخرج ما فى جيبه]

لننظرْ ما حوى جيبى أقرشانِ ونصفانِ ؟
حرامٌ شدة البخل حرامٌ طولُ حرمانى

[يرد نقوده ، وينظر إلى الكيس] :

فإن مددتُ نحو كيسها اليدا سرقتُ نفسى ما سرقتُ أحدا

ولا أرى سارقَ نفسه اعتدَى

لا يا جمالُ .. ما رأى رأيكَ فى الناس أحدْ

من قال مالُ الوالدين مُستباحٌ للولدْ ؟

[حسنى ، وقد نظرت إليه خلسة فرأته ، وهو يسرق]

يا أسفا على جمالٍ ما صنعْ ؟ جاء إلى الكيس مرارا ورجعْ

حام عليه برهةً ثم وقعْ

[لنفسها] :

ويحَ جمالٍ جرؤتْ على الحرام راحتُهْ

ما كان لصًّا إنما جَنت عليه جدّتُهْ

[جمال يدس الكيس فى جيبه] :

ولِمَ لا ؟ والمال مالى بعدَها وإنْ تصرفتُ بمالى وحدَها

وديعتى حتى تموتَ عندَها

[يخرج مسرعا]

حسنى : يا ألفَ ويلٍ على جمالي انسلَّ كاللصِّ في الظلامِ
الفقر والبخـل صيَّراه من ابن بيتٍ إلى (حرامى)

هـو لصٌّ وسارقٌ غيرَ أنى أُحبُّـهُ
حرمتُـه القليلَ من حقِّـه .. أين ذنبُـهُ ؟

إنى بعيـنى هـذه رأيتُـه مـرددا
لما أحسَّ المال جُـنَّ وأضاع الرَّشَـدا
على الضمير والعفا ف والحيا تعـوَّدا
لو مـلأت جدَّتُه يديه ما مـدَّ اليـدا

[ثم تسمع ضجة فتقول] :

قد رنَّ في الحجـرة قبقابها
صلَّتْ وعادت من مُصـلَّاها

وما درتْ وهى تصـلِّ الضحى
أنَّ جمـالًا من ضحاياها

[تدخل السيدة نظيفة بدون أن ترى « حسنى »]

[فتقول حسنى لنفسها] :

تسـرع نحـو كيسها لم تـرَنى .. فلننتظـرْ

ماذا تُرى تفعل ؟ هل تبكى دماً أم تنتحرْ ؟

[نظيفة لنفسها] :

كِيسىَ كان هاهنا من ساعةٍ .. شيءٌ عجبْ !
من يا تُرى طَيّرَهُ ؟ كيف اختفى ؟ أين ذهبْ ؟
فيه ريالان وفيه قطعتان من ذهبْ
وضعتُه هنا وغبتُ عنه .. ليت لم أغبْ
كِيسى حبيبى أين أنتَ ؟ كيف ألقاكَ ؟ أَجِبْ !

كِيسىَ .. يارب أعدْ لى كيسى وخذه لى يارب من إبليس
وكلِّ لص فاجر خسيس

إن عدتَ لى فشمعةٌ للحنفى أو شمعتانْ
قرش يعود لى به من القروش مائتانْ

وشمعةٌ للسيدهْ توضعُ فى مسجدها
تبيت فيه موقدهْ بالقرب من مَرقدها

لا .. أنا فى فقرٍ إلى شمعة
سيدتى « زينبُ » بى عالمة

ولم يَرَ الناس ولم يسمعوا

سيدةٌ تأخذ من خادمةْ

[ثم بعد أن ترى « حسنى »]

نظيفة : حُسنى

حسنى : مُرِى

نظيفة : أنتِ هنا ؟

حسنى : أجل

نظيفة : تعالَى اسمعِى

خلِّى البلاطَ

حسنى : ما جرَى ؟

نظيفة : دعيه ساعةً دعِى

حسنى : ماذا جرى سيدتى ؟

نظيفة : مالم أكُنْ أنتظرُ

مصيبةٌ .. فاجعةٌ

حسنى : ماذا دهَى ؟ ما الخبرُ ؟

نظيفة : كيديىَ كان ها هنا طيَّره المُطَيِّرُ

حسنى : ما كان فيه ؟

نظيفة : ذهبٌ وسُـبحةٌ وجـوهرُ

حسنى : وهل ظننتِ السوءَ بى سيدتى ؟

نظيفة : أستغفر الله ابنتى أستغفرُ

« حُسنَى » ابنتى خادمتى تسرقنى ؟

ذلك ما ليس ببـالى يخطرُ

فى ذمـةِ الله كيسى عوّضـنى اللهُ عنـهُ

واللـصُّ لا بد يوما يقتـصُّ لى اللهُ منـهُ

حسنى : سـيدتى مسـرفةٌ سـيدتى مضيّعـهْ

إن الجـرابَ لم يكنْ هـذا المكانُ موضـعهْ

نظيفة : إذهبى يا ابنتى عرفتُ غريمى

أنت لا تجهلينه فهـو منّـا

حسنى : مَن تُرى؟ مَن ؟

نظيفة : سلى ضميرَك عنه أنتِ منـه ملئتِ قلباً وذهنا

حسنى : مَن ؟

نظيفة : جمـالٌ

حسنى : ماذا تقولين يامو لاتى

نظيفة : الصدقَ

حسنى : بل تظنّين ظنًّا

مَن ؟ جمالٌ ؟ هذا محالٌ فَظُنّى

بى أنا السوءَ

نظيفة : أنتِ؟حاشاكِ «حُسنى»

حسنى : إذن مَن ؟ قِطّةٌ فى البيـــتِ لمّا لَمْ تجـدْ لحمـا

مضت بالكيس ظَنّتْـهُ هـو الجـلدَ أو العظمـا

نظيفة : [مستضحكة]

إمضِى اذهـبِى ياخَباثْ يا نكبـةً فى الإناثْ

أوشكتْ تدخلُ الضحى .. إلهَسى الفو

طَةَ « حُسنى » طِيرِى إلى الكانونِ

واحذرى الطّبخ أن يشيط وسُدّى الـ

ـباب دون الأنوفِ .. دون العيونِ

حسنى : سـيدتى ها أنا ذى ذاهبـةٌ لشأنيـا

انتظريني ساعةً ثم انظُرى طعاميا

[تخرج]

نظيفة : [لنفسها]

قد ذهبتْ اشأنها اليوم يومُ « الباميا »

« حُسنَى » اذهبي إنى لفى شكٍّ وإن

أظهرتُ أنِّى بِك جِدُّ واثقهْ

قد سُرِقَ الكيسُ وما من أحدٍ

سواكِ فى البيت فأنتِ السارقهْ

ولكنى أداريكِ فَأُخْفِى خبرَ البئرِ

وكم سيدةٍ قيَّدَها الخادمُ بالسرِّ

[جمال يدخل] :

نظيفة : مَن ؟

جمال : جدتى ... هذا أنا

نظيفة : مَن ؟ وَلَدِى جمالُ ؟

جمال : ما صنعَ الزكامُ يا جدةُ

نظيفة : لا يزالُ

وأنت ما تصنع يا جمالُ ؟ كيف الحالُ ؟

جمال : الحال يا جدَّةْ زفتٌ وقطرانْ

نظيفة : كيف ؟ انفضِ الجيبَ

فيه جنيهانْ

جمال : أنا ؟ جنيهانِ ؟ ومن أين له ؟

جيبي حتى من ريالين خلا

جدةُ

نظيفة ؟ روحي ... تكلَّمْ ماذا ؟ فَداكَ البنونا

جمال : أقول لكن مدينِي جدةُ لا تغضبينا

نظيفة : إلا النقود فإني حلفتُ أمس يمينا

جمال : إذن أمضي كما جئتُ إذن لا شيءَ يا جدهْ

على أنيَ لم أظفر بشيءٍ منك من مدّهْ

نظيفة : والثلاثون ريالا ؟

جمال : قد مضى شهرٌ عليها

تلك شمَّتْها يدُ النشالِ فانسلّتْ إليها

نظيفة : لا حَرَمَ اللهُ اللصوصَ خيرَكا

ما بالُهـم لا يسرقون غيرَكا

لم تلقَـنِي وتنصرف بمـالى إلا وعادتْ قصةُ النشّالِ

كأن مالى ليس بالحلالِ

جمال : لم اقـلْ مالُكِ يا جـــدّةُ سُحتٌ أو حــرامْ

فلقـد يُسرق مالُ الالـــه والبيتُ الحــرامْ

نفاوفة : العينُ يا جمـالُ

جمال : لا تقـولى ما إلى مالك من سبيل

لعين حاسـدٍ ولا فُضـولى

مالُكِ فى الحـائِطِ والمنـديل

مالُكِ فى القفّـةِ والزنبيـلِ

وتحت مـاءِ البئرِ فى برميـلِ

نظيفة : فى البـئر ؟ إنّ ذا عجب ماذا تصوغ من كَذِبْ ؟

[فى اضطراب]

جمـال لا تنْسَ الأدبْ

في البئرِ يا ابني؟ هذه   ما خطرتْ ببالى
لِمْ لا تقول المالُ قد   خبئتْ في سِروالى؟
لكن هَبونى قد فعلتُ   ما لَكم ومالى؟
ألستُ يا ابني حرّةً   بصيرةً بمالى؟
أصنعُ ما شئتُ به   أصنع ما بدا لى

جمال : هَوِّنى جدتى عليك فإنى   لم أنازعك هذه الحريّةْ
خبئِي المالَ حيث شئت من المنـ
زلِ في السقفِ أو وراء حَنِيّةْ
ادفنيه في مطبخ أو كرارٍ
أو لحافٍ أو شلتةٍ أو حَشيّةْ
أو قَواريهِ في قَرارةِ بئرٍ
ذاتِ عمقٍ عن الظنونِ خفيّةْ

جدتى هذا كثيرٌ   ما الثلاثون ريالا؟
هي يا جدة ليست   عند أمثالىَ مالا
لا يمينًا ملأتْ يو   مًا ولا أغنتْ شِمالا

نظيفة : عند أمثالك؟

جمال : أىْ واللهِ

نظيفة : ما أنتم رجالا
هى تبغِى ثروةَ المرءِ إذا كانت حلالا

اسمع جمالُ

جمال : سامعٌ يا جدتى

نظيفة : جَدُّكَ يا بُنَىَّ كان مُفلِسا

جمال : مثلِى يا جدةُ ؟

نظيفة : لا يا ولدى بل كان أشقى حالةً وأتعسا
أسَّسَ من شروى نقيرٍ ثروةً

جمال : لم تذكرى جدةُ كيف أسَّسا
ألم يكنْ سكناهُ رَبْعًا دارِسا ؟
ألم يكن طعامه المدمَّسا ؟
ألم يكنْ على البلاطِ نومُهُ ؟
ألم يُحَرِّمْ نفسه أن تلبسا ؟

نظيفة : ومَن نبَّاكَ أو مَن ذا
رأى جدَّكَ عُريانا ؟

جمال : هَبِيهِم لم يُنَبِّئوني كفاني بك عنوانا

جدتي ما رأيت قطُّ على جسـ
ـمِك مذ كنتُ غير هذي الثياب
بدِّلي ثوبَكِ القديمَ أهذا
كفنٌ يُرتَدى ليومِ الحساب ؟
وعلى الرأس ذلك الشاش و (الأو
يَةُ) مَلَّا تَطاوُلَ الأحقابِ
قد عفا رقعتيهما النشر والطـ
ـيُّ وطولُ المدى وطولُ الخضاب
لم يَرَ الناظرونَ رجليكِ إلا
كعصيِّ الحمَّامِ في القبقاب

نظيفة : قد توقَّحْتَ يا جمالُ

جمال : دعيني

اتركيني (أفش) جدةُ ما بي

والدي مات في الشباب من الصبر

مات واليومَ تقتلين شبابي

نابغة : لا تــذكّرني العــزيزَ جمالُ

وَدَعِ الجرحَ ، لا تحرّكْ مُصابى

جمال : اقتليني كوالدى

نابغة : بَعُدَ الشــرُّ بل اسلمْ وحُطّنى فى التراب

إن يا اخى الجرابَ والمالُ فيه لكَ

جمال : مَن لى ببعض ما فى الجراب ؟

ما انتفاعى به ؟ كُليه .. اشربيه

بعد ما آذن الصّبا بذهاب

[سر ورق هيناء بالدموع]

إصفحي جدةُ عما كان منى واغفرِى لى

وائذنِى أيتها الجدّةُ أمضى لسبيلى

نابغة : لقد نسيتُ يا جما لُ وطويتُ ما جَرى

والآن ادعوكَ

جمال : لما ذا ؟

نابغة : للغَداء .. ما تَرى ؟

ابقَ جمالُ نقتسمْ لونًا جديدًا غاليا

ابقَ بنيّ كُلْ معي اليومَ عندي (باميا)

جمال : «الباميا» جديدةٌ؟ من قال يا جدّتيا؟

نظيفة : أكلْتَها؟

جمال : أجل مراراً عند أصدقائيا

نظيفة : في (الباميا) خَلُّ الطها ةِ وخُذ الطّواهيا

وطبخُ «حُسنَى» يحفظُ الشبابَ والعوافيا

اجلسْ جمالُ ساعةً وناجِني بحاجتِكْ

جمال : ماذا أقول جدتي؟

نظيفة : قلْ ما تشا لجدّتِكْ

جمال : أنا يا جدتي كبرتُ ولا أطلب إلا الزواج

نظيفة : عندي صبيّةٌ لكْ

جمال : الخادمُ؟ لا ، كم قلتُ : لا

نظيفة : لا تَدْعُ «حُسنَى» خادماً

جمال : ابنةُ من؟

نظيفة : بنتي أنا

جمال : لقيطةٌ ربّيتِها أنت ، أليس هكذا؟

سطيحة : تذاكرنا الزواج تعالَ ننظرْ

زواجك كم يكلّفُ يا جمالُ

جمال : قليلاً سيدتى

سطيحة : كم ؟

جمال : نصف ألف

سطيحة : أعندك ما لنصف الألفِ بالُ ؟

[[illegible]]

ما ثَمَّ مصرٌ لا يَبقى عليها | ولا يَبقى على الأفراح مالُ

[ثم يقول جمال]

اشرحْ جمالُ ما يكو | نُ المهرُ

جمال : هُدَيه هيّنة

سطيحة : من الجنيهات ؟

جمال : أجل | ليست ريالاتٍ هيّنةْ

و « شبكة » تصلح أن | تُهدَى وأنتِ المُهدِيَةْ

سطيحة : وكم تُساوى ؟

جمال : مئةً

سطيحة : أتخرجُها من ماليّةْ ؟

جمال : ومشية كراة بيت للعروس وليه
نملؤه أمتعة وحلية وآنية
ومشية لفرحي ومشية لجيبه

نظيفة : واحيرتي ! واضيعتي ! « جمالُ » .. والخرابية !
إن أنا زوجتك يا ابني بعتُ ما ورائيه

جمال : إذن فاعلمي جدتي أنني خطبتُ

نظيفة : وما لي ومَن تخطبُ ؟
أحقا خطبتَ ؟

جمال : أجل جدتي

نظيفة : ومن تلك؟ ما بيتها؟ ما الأبُ ؟

جمال : فتاةٌ من « الخُط » بنت النقيب

نظيفة : بلا والدٍ واسمها « زينبُ »
هنيئاً لك البيتُ بيتُ العفاف

جمال : وبيتُ الغنى ، والغنى يُطلبُ

نظيفة : أأنت تعرفني من تكون
وما مالها ؟ إنما تكذبُ

لأنت أسعدُ منها وأنت أكثر مالا

جمال : أنا ؟ انظرى ذاك جيبي هل تُبصرين ريالا ؟

نظيفة : بل تلك « حسنى » فتاتى أتمُّ منها جمالا

وربما صارت على فقرها أكثرَ منها فى غدٍ مالا

وكيف وجدتَ المالَ يا ابنى ؟

جمال : اقترضتُهُ

نظيفة : وممن وكم يا ابنى وكيف رِباه ؟

ومن أين تقضى الدينَ ؟

جمال : يقضيه قادرٌ

على الشيء لا يقضى الديونَ سواهُ

نظيفة : إزعق « جمالُ » ناد « حسنى » أدعُها

[ثم تنادى] : يا بنتُ

جمال : حُسنَى

نظيفة : بنتُ

حسنى : [تدخل] مولاتى

نظيفة : عندي « جمالٌ » يتغدّى معي

هاتي حديثَ « الباميا » هاتي

حسني : سوف ترى ياسيدي صَنعتي

وسوف تنسى « كفتة الحاتي »

نظيفة : حُسني بذلتِ كثيرًا وما رفقتِ بمالي

أكفتــةٌ بيمينٍ وباميا بشمال

حسني : سيدتي لاتغضبي لالحمَ في المطبخ لا كفتةَ لا كبابا

العظمُ لاغيرَ ملأتُ «الباميا» منـه ... فطابت نكهةً وطابا

نظيفة : يَسلمُ فُـوكِ يا ابنتي

[ثم لجمال] : إسمع لهـا

«جمالُ»... كيف تحسنُ الجوابا

جمال : جدتي هل فكّرتِ في أمرِ « حسني » ؟

نظيفة : كيف ؟ ماذا ؟

جمال : كما افتكرتِ بأمرِ

زوجيها

نظيفة : أزوِّجُ البنتَ ؟

حسنى : لا . . . لا سيدى ... ذاك لم يَمُرَّ بفكرى
أنتَ ياسيدى « جمالُ » كثير الـ ـمزْح فاجعلْ محلّ مزحِكَ غيرى
أنا لا أقبل الزواج بإنسا نٍ ولو ساق مالَ قارونَ مهرى
أنا ماعشت لا أفارق هذا الـ ـبيتَ إلا الى قرارةِ قبرى

نائفة : عشتِ « حسنى »

[ثم لجمال] :

سمعت كيف أجابت ؟

كيف لم تنس لى حنانى وبِرّى ؟

[وتهم السيدة نائفة بالوقوف] :

جمال : أين يا جدة تمضيـنَ

نائفة : قريبـا . . خُطوتيْنْ
أنا قد خبَّأتُ أمس لك يا ابنى موزتيْنْ

[تمشى وتخرج] :

جمال [لحسنى] :
بَعُدَتْ جدتى تعالَىْ أقبِّلْـ
ـكِ تعالَىْ حبيبتى قبّلينى

حسنى : بعدتْ فليكنْ عفافى ودينى
حول عرضى لا يُبعِدُ اللهُ دينى

إن أكن خادماً فنفسيَ في خِد
رٍ من النبلِ والعفافِ مَصونِ
لابغ يا سيدي سواي لما تد
عو له اليوم من خسيسٍ ودُونِ

جمال : هي حُسنيَ لا يذهب الوقتُ

حسني : دعني

وقتُ مثلي بجانب الكانونِ

جمال : قبلةٌ ها هنا على الجيد «حُسنيَ»

أو على الوجنتين أو في الجبين

حسني : ما الذي قلتَ يا جمالُ

جمال : طلبتُ الحقّ

حسني : حقّ المهوَّس المجنون

لكَ يا سيدي جمالُ شئونٌ

فامض فيها وخلّني وشئوني

جمال : إلى أين ؟ قفي (حُسنيَ)

حسني : إلى الكانون والنارِ

إلى الشغل الذي يَنهى عن الريبةِ والعارِ

[وتمشي . . السيدة نظيفة تدخل]

نظيفة : جمـالُ يا ابنى

جمال : جـــدتى

نظيفة : [لجمال] : ما لكِ تَوجعينـا

المَوزتان يا جمـا لُ صـارتا عجينـا

جمال : ألقيهمـا يا جدتى الـــقِى العَفَنَ التِّنينا

نظيفة : اشربْهما يا ابنَ عمى أن يُورثاك لينـا

جمال : أنا يا جــدة لا أقــــوى على هذا العلاجْ

إن فى البيت دجاجًا فاطرحيــه للدجاجْ

« ســتار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

« الست نظيفة على فراش أرضى فى قاعة من منزلها »

« وحولها « حسنى » وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات »

زائرة [وهى داخلة] :

العوافى أمَّ الأفندى العوافى

حسنى : اخفضى الصوتَ . . أمسكى يا خالهْ

الزائرة : ما لها ؟ ما بها ؟ عفا الله عنها

حسنى : هى من ليلتين فى شرِّ حالهْ

زائرة : أمُّ الأفندى عوفيتْ من قلبها تحبنى

ما كان أندَى يدها على الفقير والغنِى

شفاها الله للبيت وللجار وللجارهْ

جَرى إحسانها كالسيلِ حتى أغرق الحارهْ

قد وقعتْ عينى عليها مرّة فى « السيدهْ »

أخرى : فما رأيتِ ؟

الأولى : نخوةً وكرمًا ما أزيدَهْ

جاءت وراحت تُقرِضُ الله وتُعطى مسجدَهْ

وكلما مدّ فقيرٌ يدَهْ

الثانية : عضّتْ يدَهْ

يا أختُ أين ذلك المدحُ العَطِرْ؟

وأين جُودها الذى كان المطرْ؟

الأولى : [لحسنى]

أنظرى خلفَكِ « حُسنى »

حسنى : مَن ؟

الأولى : هى الشيخة « بنبهْ »

[الشيخة بنبه تتقدم] :

بنبه : كيف حال المائم اليوم ؟

حسنى : انظرِى . الحالةُ صعبة

إحدى الزائرات :

« حسنى » اطرَحِى الغمّ ولا

تستسلمى إلى الكدَرْ

رأيت رؤيا أمس

أخرى : ما ذلك

حسنى : خيرًا . ما الخبرْ ؟

الزائرة : رأيتنى فوق طريــق فيه طينٌ ومطرْ

مشتْ به أم جمالٍ تنثنى وتفتكِرْ

تحملُ حِملَ جملٍ أو جملين من حَجَرْ

حسنى : ثُم

صاحبة الرؤيا :

إذا فوقَ الطريــق ثَمّ شيخٌ قد ظَهَرْ

كأن نورَ وجهِه تحت العمامةِ القمرْ

قد طرحَ الأحمالَ عنها فجَرَتْ على الأثرْ

حتى لبثتُ ساعةً عجبتُ كيف لم تَطِرْ

سمعتِ يا شيخةُ رؤ ياىَ ؟

الشيخة : سمعتُ العَجبا

رؤيا كأنها الفَـــلَقْ تبـارك الذى خـــلَقْ

أم بجمالٍ أعيُـــيَتْ وزال عنها العــناءُ
وذلك الشـــيخ قطبٌ على يــديه الشــفاءُ

أخرى : أم بجمالٍ بخــــيرٍ قــد أُلقِيَ الحِمـل عنهـا
[يظهر الدكتور مقبلا]
إحدى الزائرات :
ماذا ؟ من الداخل ؟ من يا تُرى ؟
أخرى : هذا هو الدكتورُ عبدُ السلامْ
الأولى : أبعدَ هذا .. القطبُ يؤتَى به ؟
الثانية : وأىُّ قطبٍ ؟
الأولى : هلْ نسيتِ المنامْ ؟

أخرى : ماذا تقـــول ؟ تظنُّ هــــــذا القطبَ ؟
الأولى : ذاك هــو العمَى
هــذا الطبيبُ مُطربَشٌ والقطبُ كان مُعمَّمَا

شتَّانَ بين القمــرِ الــــمنــوَّرِ المــلمَّــجِ
وبين تيسِ الجبـــلِ الـــمفلفَـلِ الممـلَّــجِ

ما تلك فوق عينه ؟

الثانية : زجاجةٌ مُدوّرهْ
تقيه ضوءَ الشمس أو تمنعُ عنه الغَبَرهْ
كأنها غمامةٌ تحجب عيْني بقرهْ

الأولى : ولِمْ تغطّى بالثيا بِ السودِ رأساً لقدم ؟
كأنما أُخرجَ من زكيبةٍ من الفحَمْ

الثانية : سودُ الثياب بمصرٍ صارت ثيابَ الإمارهْ
فلا ترَيْنَ بياضاً إلا على شيخِ حارهْ

الأولى : وما يفيه ؟

الثانية : إسألي حُسنى

حسنى : يفيه « تُوسكَنَهْ »

الأولى : مسكينٌ الدكتورُ قد أصبح فُوهُ مدخنَهْ

الدكتور: العوافى أمّ الأفندى العوافى

حسنى : هى فى غَشْية ونومٍ عميقِ

الدكتور: كيف حسنى؟ما حال أمّ جمالٍ ؟

حسنى : هى فى الكَرْب خفّف الله عنها

الدكتور: ودوائى ؟

حسنى : لمـا تعاطَتْهُ نامت
نومةً لم تَقُــمْ إلى اليــوم منهــا

ما بهــا يا ســيدى ؟ ما داؤها ؟
الدكتور : تُخَمَــةٌ من أَكْلَــةٍ ذاتِ دَسَمْ
حسنى : تخمةٌ ؟ لا سيدى الدكتور . . لا
نحن لا نعــرف فى البيت التُّخَــمْ

الدكتور : إذن بهــا ضعفٌ
حسنى : ومن أين جا ء الضعفُ
الدكتور : من قلَّــةِ ما تَطْعَمُ
حسنى : وما يقوِّى الضعفَ ؟
الدكتور : الأكل يا حسنى
حسنى : وكيف الأكلُ ؟ أين الفمُ ؟
الدكتور : رحــم الله زوجهــا إنه كان صاحــبى
كان فى كل منزل وطــريق بجــانبى

[ثم ينتقل الدكتور بغتة لمخاطبة إحدى الزائرات]

« خضرةٌ » أنت هنا ؟ ما تصنعين يا ابنــتى ؟

خضرة : فى كل ساعةٍ أجى أسألُ عن سيدتى

الدكتور : و« حسنٌ » زوجُك ما
يصنعُ ؟

خضرة : فى البيت انطرَحْ
منذ تناول العلا جَ بالأوانى ما سَرَحْ

الدكتور : وما له لم يَجِئْنى ؟

خضرة : بأىّ رجلٍ يَجيئكا ؟

الدكتور : [إلى مرجانة] :

ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى ؟

مرجانة : تورّمَ الخدُّ من الدُّمَّل

الدكتور : [يخرج مشرطا من جيبه]
هاتى أُريه .. إصبرى ساعةً
أفتحُهُ

مرجانة : لا ، يفتحُ اللهُ لى

أخرى : دعيه يفعلْ تستريحى

أخرى : اقعدى حَذارِ « مرجانةُ » أن تفعلى

[يدخل جمال]

الدكتور: من ذاك ؟ أنت جمالٌ ؟

جمال: من ؟ سيدى الدكتورُ ؟

كيف وجدتَ جدتى ؟

الدكتور: تسير نحو العافيَهْ

جمال: وكيف وهى من ثلاث لم تُفِق ؟

حسنى: بل إنها من أربع كما ترَى

وارحمتاهُ لك يا سيدتى

ولطفَ اللهُ بنا فيما جرَى

جمال: حُسنَى أقلِّ الحزنَ .. يعفو اللهُ عن

أزيدَ من هذا ويَشفِى أكثرا

الدكتور: دَعَا .. لا تخافا ولا تحزَنا

فما الأمر لليأس بالصائرِ

وكم فاقدِ الرشدِ لا غائبٍ

ورائى تركتُ .. ولا حاضرِ

وآخَرَ لا راقدٍ فى الفراشِ

إذا قلَّبوه .. ولا ساهرِ

حسني : أمرضاك كلُّهمو هكذا ؟

وهل يستفيقون يا سيدي ؟

الدكتور: تقوم عليهم يدي بالشفاءِ

قيامَ المسيح على المُقعدِ

حسني : [لجمال]

وأنت سيدى جمالُ قوِّني

علِّمْنيَ العزاءَ والتصبُّرا

زائرة : « مرجانةُ » انظريهما

الأخرى : يحبها

الأولى : تحبُّهُ

الثانية : وبيديه قلبُها

الأولى : وفى يديها قلبُهُ

« يخرج جمال ، وتخرج مرجانة وبعض »

« الزائرات ، وتدخل إحدى الجارات تدعى زهرة »

زهرة : ما حال أمِّ الأفندى ؟

حسنى : سيدتى فى العذابْ

مضى عليها أربعٌ   في كُربةٍ لا تُفرَجُ
في النزعِ لا وعىَ لها   والسرُّ ليس يخرجُ

زهرة : لدىَّ خاطرٌ خطَرْ

حسنى : ما ذاك ؟

أخرى : ماذا ؟ ما الخبَرْ ؟

زهرة : اصغَينَ .. مما جرّبوه في الأسَرْ
صوتُ « الفلوسِ » عند رأس المحتضَرْ
إن كان في دنياه بالبخل اشتهرْ
يسمعها فينطفى على الأثَرْ
وكلما تأخرتْ عنه انتظرْ

حسنى : إذن قومى أريحيها   إذن من هذه الحالَهْ

زهرة : وأين الشاشُ والفضةُ ؟

حسنى : من مالىَ يا خالَهْ

زهرة : مالُكِ أو مالُ سوا   كِ كلُّ مالٍ قد حضَرْ
القصدُ أن يقرعَ صو   تُ المالِ سمعَ المحتضَرْ

« حسنى » اسمى لِىَ أصغى

هاتِى ملاءة فرش

والآن فليُلقِ كلٌّ منكنّ فيها بقرش

ثم لحسنى

« حُسنَى » خُذِى من طرَفٍ

ثم لأخرى

وأنتِ من ذاك الطرَف

للجميع

وأنا أبقى ها هنا

لصبى موجود

وانت قُم خُذْ لا تخَف

والآن فلنقْم إلى الفراش

ومثلَ صُنعِى فاصنعوا بالشاش

يدخل جمال

جمال : ما الحال حُسنى ؟ وكيف أمستْ ؟

حسنى : فى النزع والكَرْب لا تزالُ

« يذهبون بالشاش حتى يقتربوا من فراش المحتضرة ، وهم »
« ممسكون بجهاته الأربع ، فتخرج الأولى نقودا وتلقيها فى »
« الشاش ، فيعمل الباقون مثلها ، يتقدم « جمال » بلا ة »
« ويخرج من جيبه نقودا ، ويقول : »

جمال : وأنا أيضا أشترك هاك خُذى ما أمتلك
وضعتُ كل فضتى كى تستريحَ جدتى

« ياق النقود »

« الأربعة يهزون الشاش بالنقود بينهم »

« وتقول الأولى مخاطبة المحتضرة »

الأولى : إمضى ولا تُفكِّرى فى المالِ وانسَىْ حديثَ القرش والريالِ
أنتِ وما ملكتِ للزوالِ

هزُّوا معى . . هزُّوا معى يا أيها الروحُ اطلعى
إلى النعيم الأوسَعِ

وديعةَ الله اذهبى إمضى ولا تُعذِّبى
لله عُودى والنَّبى

إحدى السيدات [بعد وفاة الجدة] :

قد انقضى الأمرُ قد خرجَ السرُّ
« حسنى لكِ الأجرُ

حسنى [لجمال] :

الصبرَ . . واخرجْ سيدى جمالُ
لمثلِ ذا لا يصلحُ الرجالُ

المنظر الثانى

« فى منزل المرحومة الست نظلومة . »

« تظهر « حسنى » فى ثوب أسود »

حسنى [لنفسها] :

عَيني أحقٌّ أننى فى منزلى ؟

لا ، كان لى فوهبتُهُ بجمالِ

غاليتُ فى شَغَفِ الفؤادِ بحبِّه

حتى وهبتُ له الثمينَ الغالى

أعطيتُه ما كان أصبح فى يدى

من مال جدته .. فليس بمالى

لم يرضَ قلبي أن أعيش سعيدة

ويعيش فى بؤسٍ ورقة حالِ

أتُراه يقدرُ خدمتى ومحبتى

أو لا يمرُّ له الصنيعُ ببالِ ؟

رحمة الله على سيدتى
وسقى الله ثراها وجزاها
حرمتنى الشاش حتى ذهبتْ
فكستنى الخزَّ فى الموتِ يداها
وحمتنى الماءَ حتى احتجبتْ
فسُقيتُ الشهدَ من فيض نداها
صار لى من بعدها منزلُها
والدكاكينُ وآلتْ ضَيعتاها
ثروةٌ قد نهض الجوعُ بها
ومشى الحرمانُ فيها فبناها
وهبتْ لى كلَّ ما قد ملكتْ
لم تدَعْ من ذاك شيئاً لفتاها

[بعد لحظة]

لا .. ذاك مالُ جمالٍ تركتُهُ لجمالِ
وعدتُ ماكنتُ مِن قبلُ ، فوطنى هى مالى

أجل أنا الخادم والطاهيَهْ
وما أنا السارقةُ الباغيَةْ

ولا على الناس طفيليّة
أجمل أموالهمو ماليَة

سمعتُ حديثَ البخلِ حتى صحبتُه
زمانًا أراه كلّ حينٍ وأسمعُ
يروح ويغدو بين عينيّ صورةً
ويأتى خيالى بالحياةِ ويرجعُ

سيدتى وبخلُها في (الخطّ) سارا كالمثَلْ
وانتقلتْ وذكرُها بالبخلِ فيه ما انتقلْ
يرحمها الله فما أنسى لها تلك الجُمَلْ
في غضبٍ عند الحوا رِ واضطرابٍ و (زعَلْ)
وما اختلفنا مرةً في تَمَلٍ ولا جَمَلْ
لكنْ لأجلِ الثومِ كا
نَ الخُلْفُ ، أو حول البصلْ
ولم نكنْ من الدقيـــق نتتهى ولا العسَلْ

يرحمها الله وإن   لم تأتِ يوماً بحسن
عاشت بثوبٍ واحدٍ   كالميْتِ عاش بكفن
أما أنا . . فالشاش أو   ما دون ذاكَ في الثمن
وبذلتي وفوطتي   طال عليهما الزمن
وأجرتي عشرون قر   شاً مع كثرةِ المهن

البئرُ لا أبرحُها   خارجةً وداخلة
صاعدةً كالدلوِ   كلَّ ساعةٍ ونازلة

طبّاخةٌ أصنع من   لا شيء شيئاً نأكُلُه
وأنحني على البلا   طِ كلَّ حين أغسلُه
وكلُّ دكانٍ علـ   ـيَّ أجرُها أحصّلُه

[تدخل زهرة]

زهرة : العوافي يا ابنتي

حسنى : من جاءنا ؟ خالتي زهرةُ ؟ أهلاً مرحبا ادخلي

زهرة : [لنفسها في حسد وحقد] :

يا لك من طبّاخةٍ   نثرَ الحظُّ عليها الذهبا

[ثم لحسنى]

يا هَناكِ المالُ حسنى

حسنى : مالُ من ؟

زهرة [لنفسها] : هى تُخفِى

حسنى : بلغوكِ الكَذِبا

زهرة : عَجَبًا . . أنت إذن لم تَرِثى

مال مولاتِكِ ؟

حسنى : لا . لا . عَجَبا

أنا يا خالةُ لستُ لِصّة

لعنَ اللهُ الغِنَى المُغتَصَبا

زهرة : إن للجيرانِ « حسنى » ألسُنًا تهذى هاوالا

حسنى : ما الذى قالوه ؟

زهرة : قالوا أنتِ جَرَّدتِ جمالا

حسنى : كذبوا والله لم ألمسْ له باليدِ مالا

[تخرج « زهرة » وتتبعها « حسنى » ، يدخل « جمال »]

[تدخل « حسنى » فترى جمالا]

حسنى : مَن ها هنا ؟ أهُوَ جمال سيدى ؟

جمال : أجل . أنا الغريبُ فى بيتِ أبى
أنا الذى قد سلبوه مالَهُ
لم يبقَ من مالِيَ ما لم أُسْلَبِ
قد ضربتْنى فى الحياةِ جدتى
وفى المماتِ

حسنى : الف لا . لم تُضْرَبِ

اجلسْ . تفضلْ . استرِحْ
هَوِّنْ عليك سيدى

جمال : لم يبقَ من مالِكِ يا
جدةُ شىءٌ فى يدى
ضَيَّعْتِ أمسى ثم لم يَكْفِ فضيَّعتِ غدى

« حسنى »

حسنى : « جمال »

جمال : افترقنا

حسنى : كيف ؟ لا . أبدا

جمال : تغـيَّرَ الأمرُ من حالٍ إلى حالِ
أنتِ الغنيةُ « حسنى » والفقيرُ أنا
المـال مالُكِ منـذُ اليـوم لا مالى

حسنى : المـالُ يا جمـالُ ؟ الفقرُ ؟ الغِـنى
ماذا تقول سيدى ؟ ماذا جرى ؟

جمال : أليس حرمـانِيَ أسـونا متقنـا
طبختِه أنت وجـدتى معا ؟
« حسنى دَعى الخُبْثَ ولا تجاهَلِى

حسنى : أتعـلم الخبثَ علىَّ والرِّيا ؟
حُـرمتَ مِمَّ ؟

جمال : من تراثِ جدتى

حسنى : إذن من الوارث

جمال : أنت لا أنا

حسنى : أنا أراك سـيدى تهـزأ بى
كفى جمالُ تحقـراً منى كفى

أُقسمُ هذا الأمرُ لم أعمَلْ لَـهُ
وإننى آخرُ من درَى بِه

جمال : أما رأيت كاتباً معمّماً
وشاهدَيْنِ يعملون ها هنا ؟
وشيخةً تُملِي عليهم سخفَها
تحْرِمُ ذا قُربى وتعطِي أجنبا
كمينِ ربوةٍ تخطّى خيرهُا
إلى الوهاد مُستحقّاتِ الرُّبى
حسنى : جمالُ سيدى تعالَ نحتكِمْ
إلى الحقوقِ والصوابِ والنُّهى

هَبْ ما تقول يا جما ل قد جرى
جمال : لقد جرى
حسنى : هاتِ الكتابَ فامحُ ما
تشاءُ ، واثبتْ ما تَشا
بدِّلْ وغيِّرْ فى كتا بِ وَقْفِها كما ترى
أنت غِناىَ . . إنْ غضبْ
تَ ما انتفاعِى بالغنى ؟

أمضى فابغِى سيداً أو ابتغِى
سيدةً أطهو لها

جمال : ماذا أرى ؟ تبكين حسنى ؟ مم ؟

حسنى : لا

جمال : كفى ابنتى كفى بكا

حسنى : خذ مالنا وخلنى أعيش كما
كنت أعيش أولا

جمال : بحياتى قولى الحقيقة حسنى
اتحبيننى ؟

حسنى : أجل . بملء قلبى

جمال : مثل حبى ؟

حسنى : جمال أحببتنى اليوم ؟

جمال : قديم وحق عينيك حبى
كنت أهواك طفلة تملأين ال
بيت والحوش من صياح ووثب

كنت أهواك طفلة في الكوانين نافخة
كنت أهواك خادما كنت أهواك طابخة

[ثم يمسك يدها و يقول]

كم اشتهيتها يدا ما فرغت من العمل

كنت أراها كبيد المملكة أهلاً للقبل
واشتهى رائحة الثوم عليها والبصل

حسنى : سيدى أنت خطبت

جمال : لا

حسنى : نعم بل خَطَبْتَ امرأةً ذاتَ يَسَارْ
وأبوها كابرٌ ذو لقبٍ وله زرعٌ وضرعٌ وعقارْ

جمال : وما تريدين "حسنى" ؟ أأنفضُ اليد منها ؟
الله ربُّ جمالٍ يغنيه عنك وعنها

[امرأة تريد الصعود]

المرأة : أأحدٌ في المنزلِ ؟

جمال : [من أعلى]
مَن هذه ؟

المرأة : أمُّ " علي "
أنتَ هنا ياسيدى ؟

جمال : أجل . تفضّلى ادخلى

أم علي : [تصعد] .

دستوركم

جمال : تفضلي لا أحدُ في المنزلِ

حسني : [لجمال]

من تلك من ؟

جمال : إمرأةٌ من بيت أصهاري الجُدُدْ
صديقةٌ قديمةٌ في كل أمرٍ تجتهدْ

حسني : ماذا تُريد يا ترى ؟

جمال : الآن نعلم الخبَرْ
أما أنا فليس لي في بنت إنسانٍ وَطَرْ

حسني : كرهتَ سيدي الغني ؟

جمال : أجل

حسني : وهكذا أنا

[ثم وهي خارجة]

لا يأخذُ الإنسانُ من دُنياهُ إلا الكَفَنَا

[تدخل أم علي]

جمال : يا مرحبًا أمَّ علي ماذا حملتِ من خبَرْ ؟

أم علي : كنتُ رسولَ الصفوِ والـيومَ أتيتُ بالكَدَرْ

جمال : ماذا ؟

أم علي : أصغِ يا سيدى أمُّ العروسِ جُنَّتِ

جمال : كيف ؟ ولِمْ أمَّ علي ؟

أم علي : تريد فسخَ الخطبةِ

جمال : كذا أنا

أم علي : وأنت أيضًا ؟

جمال : تلك كانت نيَّتي

قد سمعتْ لا شكَّ أنِّي قد خسِرتُ ثروتي ؟

قد علمتْ بأنني قد حرمتني جدتي ؟

أم علي : أجل

جمال : فقالت مفلسٌ ليس يليق لابنتي

أم علي : وهذه (الشبكةُ) ياسيدى

انظر . تأمَّل . خاتمٌ لا يُعاب

وهـــذه قيمـــةُ ما جاءنا

من (سَبَتِ) النقلِ وغالى الثيابْ

خمسون خُذْها. عُدَّ ، مِنْ عادتى

جمال : [يأخذها]

أنْ تَغْلَطِى يا خالتى فى الحسابْ

[ثم ينتهى من العد]

أم على : هى خمسون سيدى

جمال : هــذه خمسةٌ لَكِ

اذهبى . لستُ ناسيًا أَبَدَ الدهرِ فضلَكِ

[تخرج أم على ثم تدخل حسنى]

جمال : [بعد أن يراها]

رَبَّاهُ . . ما ذاك ؟ تلك حُسنَى ؟

من أين حُسنَى ؟

حسنى : مِن الستارَهْ

سمعتُ ما قالت العجـوزُ

ولم تَفُتْنِـي لَهـا عِبـارَهْ

خُــذْ ســيدى

جمال : ما ذلكا ؟

حسنى : ذلك وقــفُ أسرتِكْ

[تناوله ورقة]

كانت شروطُ الوقفِ لى

فاسْتُعْمِلَتْ لخــدمتِكْ

وما ظننتُ ثروتى ما كان غيرَ ثروتِكْ

ذاك اتفاق قد جرى بيني وبين جـدتِكْ

ما أرصــدتْ بجهتى حــوَّلْتُهُ بجهتِــكْ

جمال : جــدتى فى تمَــاتِها بَرَّةٌ بى ومحســـنَهْ

فعلتْ فىَّ فعــلةً نبهتْنى من السِّــنَهْ

ساء فى المــال مذهبى فــرأت أن تُحَسِّنَهْ

وأنتِ « حسنى » أتحبيننى ؟

حسنى : أأنتَ فى ذلك تــرتابُ ؟

قــد كنتَ دنيــا مغلقاً بابُها

دُونِي .. فكيف انفتحَ البابُ ؟

جمال : الآن «حسني» أقبل ... نُجْزِ حديثَ ما مضى
كيف وجدتِ جدتي ؟ ... وما مكاني عنـدها ؟

حسني : تحبُّـك الحبَّ الذي ... كانت تحبُّـهُ ابنَها
وتكتسي إن غبتَ عنــــها أو بَعُدْتَ الوَلَهَـا
تكاد لا تسمعُ إنْ ... غِبْتَ .. تكادُ لا ترى

جمال : فـما لهـا كانت تُذيـــقُني الجفاءَ ؟ مالهـا ؟
فـلو سألتُهـا العَمى ... ضَنَّتْ عليَّ بالعَمَى

حسني : سـيدتي بخيـلةٌ

جمال : أعلمُ يا حسني بـذَا
وهي إذا قيستْ إلى ... جَدِّي .. كالغيثِ نَدَى
علَّمها جَدِّي .. وكا ... ن أجمدَ النـاس يدا

حسني : وأنا أيضًا سيدي ... أُصِبْتُ بالبخلِ أنا !

جمال : حنانيك . ماذا قلت «حسني» أَخَفْتِني
اقــدَّرَ ربِّي أنْ يطــولَ عذابي ؟
أأعداك حُسني بخـلُ جَدِّيَ . إنني
انوف من مصـاب صائرٌ لمُصابِ

حسنى : لا تخشَ بخلى سيدى .. لستُ مَنْ
تبخلُ فى حقٍّ ولا واجبِ

جمال : ويحى ! أأرميك بالبخلِ ؟ قَبَّحَ اللهُ ظنِّى
وقد رأيتُ بعينى وقد سمعتُ بأذنى
فأنتِ أرجعتِ مالى وكان قد ضاع منى
فما سوى اللهِ «حُسنَى» يَقْدِرُ يجزيكِ عنى

ستجمعنا الدنيا غداً .. كيف يا تُرى
يكونُ طعامى أو يكون شرابى ؟

حسنى : سنشرب الماء فى أوانٍ
غاليةٍ حلوةٍ نضيدَهْ
وبيرةً كل ظهرِ يومٍ
توضع فى الثلج والبرودَهْ

جمال : والأكل ؟

حسنى : ماشئتَ من شواءٍ
ومن دفينٍ ومن عصيدَهْ

جمال : نسيتِ « حسنى » ما ليس يُنْسَى

حسنى : ما ذلك ؟

جمال : « البامية » الجديدة

هذه « الشبكة » التى ارجعتها المغفلة
خاتم قد وضعته فى البنان المقبلة

[يلبسها الخاتم و يقبل يدها] :

حسنى : والمهر ؟

جمال : [يشير إلى النقود المردودة]

تلك هى لك أعطى جمال ما ملك
ما المال مهرا للملك

حسنى : ومهرك سيدى ؟

جمال : مهرى ؟ ترانا

تزوجنا على دين النصارى ؟
دعى حسنى المزاح

حسنى : أقول جدا

ولم تأبى ؟ أتحسب ذاك عارا ؟

وكم من مسلماتٍ سُقْنَ مهرًا وإن دُعِىَ الأباعدَ والعقارا

جمال : إذن هاتى اذكرى مَهرى وسمّيـه على قدرِى

فقد تعطينى قرشًا وقرشين . . وما أدرِى

حسنى : بلْ الدنيا وما فيها وما جلّ عن الحصْرِ

جمال انزل إلى البئرِ تجدْ مهرَكَ فى القعرِ

جمال : مَهرِىَ فى البئرِ ؟

حسنى : أجلْ

جمال : كيف هوَى ؟ كيف نزلْ ؟

أنزلْـا ؟ هـذا خَبَلْ !

حسنى : ننزلُ إنْ شئتَ معا

لكى أريكَ الموضعا

هناكَ تُبصِرُ العَجَبْ

جمال : ما ذاكَ ؟

حسنى : صُندوقُ خَشَبْ

مُمتلئٌ من الذهبْ

جمال : هناك الذهبُ الحلوُ إذن طيرى بنا طيرى

قبلتُ المهرَ يا حُسنىَ إلى البيرِ إلى البيرِ

(ستار)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٤/٢٠٦٧

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٢٦٨ - ٩